

الجزء الثاني من كتاب

في عصور العرب والرافعة

تأليف

أحمد زكي صفوت

الجزء الثاني

النصر الأموي

دار النشر للنشر والتوزيع

حياتنا حكايا، الزرقاء، عمان، الأردن

# لجوه خزانة العرب

في عصور العرب في الزاهرة

الجزء الثاني

العصر الأموي

تأليف

أحمد زكي صقوت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة الجمالية

شيزوت - لبنان

# تصدير

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبدأ بحمدك اللهم على ما أوليتني من جزيل تفضلك ، ومزيد تطولك ، وأصلى وأسلم على رسولك الأمين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبعد : فها هو ذا « الجزء الثاني - من جمهرة خطب العرب » أصدره حاويا ما وصل إلينا من خطب العصر الأموي ووصاياه ، وما دار بمجالس الخلفاء والأمراء والرؤساء من حوار ومجاوبة ، وهو كما ستراه أحفل أجزاء الكتاب الثلاثة ، وأغزرها مادة ، لتوافردواعي الخطابة في هذا العصر ، ونفاق سوقها .

وقد نهجت فيه نهجى فى سالفه ، من التوفيق بين الروايات ، وتحرير الألفاظ وضبطها وشرحها ، والتعليق عليها بما يميظ اللثام عن خفايا مراميها ، وغوامض مغازيها ، فحجاء بحمده تعالى وافيا مرضيا ، والله نسأل أن يكلائنا برعايقه ، وأن يمن علينا بالتوفيق للعمل الصالح ، إنه خير مرتجى ، فنعم المولى ونعم النصير ما

أحمد زكى صفوت

حرر بالقاهرة فى رجب سنة ١٣٥٢ هـ  
نوفبر سنة ١٩٣٣ م

## فهرس

### مآخذ الخطب في هذا الجزء

- الأمالى : لأبى على القالى  
الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى  
الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى :  
» الثانى - السابع - الثالث عشر -  
الخامس عشر - السابع عشر - الثامن  
عشر - العشرون - الحادى والعشرون  
صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : الجزء الأول - التاسع  
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : » الخامس - السابع  
عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى  
الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول - الثانى  
العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث  
زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث  
البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث  
نهج البلاغة : للشريف الرضى : » الأول  
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع  
أمالى السيد المرتضى : الجزء الأول  
جمهرة الأمثال ، لأبى هلال العسكري : » الأول

- مجمع الأمثال : لأبي الفضل الميداني : الجزء الأول - الثاني
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبري : « السادس - السابع - الثامن - التاسع
- تاريخ الكامل : لابن الأثير : « الثالث - الرابع
- مروج الذهب : للمسعودي : « الثاني
- الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : « الأول - الثاني
- معجم البلدان : لياقوت الحموي : « الثالث
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير : « الثالث
- النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر والقاهرة : « الأول
- لابن تفرى بردى :
- وفيات الأعيان : لابن خلكان : « الأول - الثاني
- معاهد التنصيص : لعبد الرحيم العباسي : « الأول
- نفح الطيب ، للمقرئ : « الأول
- بلوغ الأرب : للسيد محمود شكري الألومي : « الثالث
- مواسم الأدب : للسيد جعفر بن السيد : « الثاني
- محمد البيهقي العلوي
- سيرة عمر بن عبد العزيز : لأبي الفرج بن الجوزي
- « « « « : لابن عبد الحكم
- شرح العيون : شرح رسالة ابن زيدون : لابن نباتة المصري
- أنباء نجباء الأنبياء : لابن ظفر المسكي
- الحسن البصري : لابن الجوزي

الفخرى : لابن طباطبا

بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور

دستور معالم الحكم : للقضاعي

إعجاز القرآن : لأبي بكر الباقلاني

المُنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح



## الباب الثالث

# الخطبة والوصايا

في

## العصر الأموي

الخطبة

### خطبة بني هاشم وشيعتهم وما يتصل بها

١ - خطبة الحسن بن علي بعد وفاة أبيه<sup>(١)</sup>

خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد وفاة أبيه فنعاه فقال :

« لقد قتلت الليلة رجلا في ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رُفِعَ عيسى بن مريم عليه السلام ، وفيها قتل يوشع بن نون ، فتي موسى عليهما السلام ، والله ما سبقه أحدٌ كان

(١) في الكامل لابن الأثير ( ٣ : ١٩٧ ) أن الحسن بن علي توفي سنة ٤٩ هـ وفي ابن أبي الحديد ( م : ٤ : ص ٤ ) أنه توفي سنة ٥٠ وفي الإمامة والسياسة ( ١ : ١٢٧ ) أنه توفي سنة ٥١ .

قبله ، ولا يُذركه أحد يكون بعده ، والله إن كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبيعه في السرية<sup>(١)</sup> ، وجبريلُ عن يمينه ، وميكائيلُ عن يساره ، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ، ثم خنفته العبرة فبكى ، وبكى الناس معه ، ثم قال :

« أيها الناس : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ، أنا من أهل البيت ، الذين أذهب الله عنهم الرجس<sup>(٢)</sup> وطهرهم تطهيراً ، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول : ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ) ، فاقترافُ الحسنة مودتنا أهل البيت . »

فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة ، قام عبيد الله بن العباس بين يديه ، فدعا الناس إلى بيعته ، فاستجابوا وقالوا ما أحببنا وإلينا وأحقه بالخلافة ! فبايعوه ثم نزل من المنبر .

( تاريخ الطبري ٦ : ٩١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ ص ١١ ، والعقد الفريد ٢ : ٦ )

(١) السرية من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة . (٢) الرجس : القدر والمأثم ، وكل ما استقدر من العمل ، والعمل المؤدى إلى العذاب .



## تعبئته الجيوش لقتال معاوية

سار معاوية بجيوشه قاصداً إلى العراق ، وبلغ الحسن خبره ، ومسيره نحوه ، فأمر بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادى : الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يثوبون ويجمعون ، فخرج الحسن ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

### ٢ - خطبة الحسن بن علي في الحث على الجهاد

« أما بعد : فإن الله كتب الجهاد على خلقه ، وسماه كُرْهًا <sup>(١)</sup> ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : « أَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » فلستم أيها الناس ناثين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون . بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزهنا على المسير إليه ، فتحرك لذلك ، أخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بِالْخَيْلَةِ ، حتى ننظر وتنظروا ، ونرى وترؤوا » - وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له - فسكتوا ، فما تكلم منهم أحد ، ولا أجابه بحرف ، فلما رأى ذلك عدى بن حاتم ، قام فقال :

### ٣ - مقال عدى بن حاتم

« أنا ابن حاتم ، سبحان الله ! ما أقبح هذا المقام ! لا تُجيبون إمامكم ، وابن بنت نبيكم ! أين خطباء مُصَرِّ الدين أَسِنَّتُهُمْ كالمخاريق في الدَّعَةِ <sup>(٢)</sup> ، فإذا جَدَّ الْجِدُّ

(١) يشير إلى قوله تعالى « كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ » .

(٢) جمع مخراق بالكسر : السيف ( وهو أيضا المنديل يلف ليضرب به ) وفي الدعوة : أى وقت الدعوة : أى الخفض والسلم .

فَرَوَّاعُونَ كَالثَعَالِبِ ، أَمَا تَخَافُونَ مَقْتِ اللَّهِ ! وَلَا عَيْبَهَا وَعَارَهَا <sup>(١)</sup> ! » .

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال : « أَصَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرَّاشِدَ ، وَجَنَّبَكَ الْمَكَارَهَ ، وَوَفَّقَكَ لِمَا تَحْمَدُ وَرُودَهُ وَصُدُورَهُ ، قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكَ ، وَانْتَهَيْنَا إِلَى أَمْرِكَ ، وَسَمِعْنَا لَكَ ، وَأَطَعْنَاكَ فِيمَا قُلْتَ وَمَا رَأَيْتَ ، وَهَذَا وَجْهِي إِلَى مَعْسُكِرِي ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوَافِقَنِي فَلْيُؤَافِقِ » ثم مضى لوجهه ، إلى النخيلة .

وقام ثلاثة آخرون من أصحاب الحسن ، فأنبوا الناس ولا موم وحرضوم ، وكلوا الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم ، فقال لهم : صدقتم رحمكم الله ، ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيراً ، ثم نزل ، وخرج الناس فمسكروا ونشطوا للخروج ، وسار الحسن في عسكر عظيم ، وعدة حسنة .  
( شرح ابن أبي الحديد م : ص ١٤ )

### ٤ - خطبة الحسن وقد جنح إلى مصالحة معاوية

ثم نزل الحسن ساباط <sup>(٢)</sup> ، فلما أصبح نادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصعد المنبر ، فخطبهم فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلِّمَا حَمِدَهُ حَامِدٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كُلِّمَا شَهِدَ لَهُ شَاهِدٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ، أُرْسِلَهُ بِالْحَقِّ ، وَأُتِمَّنِي عَلَى الْوَحْيِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَمَا بَعْدُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ أَصْبَحْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنِّهِ ، وَأَنَا أَنْصَحُ خَلْقَهُ لَخَلْقِهِ ، وَمَا أَصْبَحْتُ مَحْتَمِلًا عَلَى مُسَلِمٍ ضَعِيفَةً ، وَلَا مُرِيدًا لَهُ بِسُوءٍ وَلَا غَائِلَةً <sup>(٣)</sup> ، أَلَا وَإِنْ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا تَحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ ، أَلَا وَإِنِّي نَازِرٌ لَكُمْ خَيْرًا مِنْ نَظَرِكُمْ

(١) أي عار فعاتكم هذه : ومعنى تقاعسهم عن إجابة الحسن إلى مدعاهم إليه ، وفي الأصل : «وعارته»

وأراه محرفاً إذ العارة هي العارية ولا معنى لها هنا . (٢) ساباط كسرى بالمدائن .

(٣) الغائلة : الشبر والفساد والداهية .

لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولا تردوا على رأيى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى وإياكم لما فيه محبته ورضاه إن شاء الله « ثم نزل .

فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا ما ترّونه يريد بما قال ؟ قالوا : نظنه يريد أن يصلح معاوية ويكفل الأمر إليه ، كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه ، حتى أخذوا مُصَلَّاه من تحته ، وشد عليه بعضهم ، فنزع مُطْرَفَه<sup>(١)</sup> عن عاتقه ، فبقى جالساً متقلداً سيفاً بغير رداء ، فدعا بفرسه فركبه ، وأحرق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراده ، ولاموه وضعفوه لما تكلم .

فلما مرّ فى مُظَلِّم<sup>(٢)</sup> سابات ، قام إليه رجل من بنى أسد يقال له جراح بن سنان ، وبیده مِعْوَل<sup>(٣)</sup> ، فأخذ بلجام فرسه وقال : الله أكبر يا حسن ! أشرك أبوك ، ثم أشركت أنت ! وطعنه بالمعول ، فوقع فى فخذه فشقتُهُ ، حتى بلغت أُرْبَيْتَهُ<sup>(٤)</sup> ، وسقط الحسن إلى الأرض بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه فخرّاً جميعاً إلى الأرض . ( شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٤ )

### ه - خطبته يبرر مصالحته لمعاوية

لما رأى الحسن رضى الله عنه تفرق الأمر عنه ، بعث إلى معاوية يطلب الصلح ، فبعث معاوية إليه رسولين ، قدما عليه بالمدائن ، فأعطياه ما أراد ، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف - فى أشياء اشترطها - ثم قام الحسن فى أهل العراق فقال :

« يا أهل العراق ، إنه سخى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى ، وطعنكم إياى ، وانتهابكم متاعى . » ( تاريخ الطبرى ٦ : ٩٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٥٣ )

(١) رداء من خز مربع ذو أهلام . (٢) مظلم مضاف إلى سابات التى قرب المدائن : موضع هناك . (٣) المعول : الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر . (٤) الأربية : أصل الفخذ .

## ۶ - خطبته في الصلح بينه وبين معاوية

وقدم معاوية الكوفة لإفناذ الصلح بينه وبين الحسن ( سنة ۴۱ هـ ) ، وكان عمرو ابن العاص حين اجتمعوا بالكوفة ، قد كلم معاوية ، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس ، فـكره ذلك معاوية ، وقال ما تريد إلى أن أخطب الناس ؟ فقال عمرو : لكنني أريد أن يبدؤ عيئه للناس<sup>(۱)</sup> ، فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم نادى الحسن ، فقال : قم يا حسن فكلم الناس ، فتشهد في بديهة أمر لم يرو فيهِ ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فإن الله قد هدى أولكم بأولنا ، وحقن دماءكم بأخرنا ، وكانت لي في رقابكم بيعة ، تحاربون من حاربت ، وتسلمون من سلمت ، وقد سلمت معاوية وبايعته فبايعوه ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دُول ، وإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ( وَإِن أَدْرِي أَعْلَهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ) وأشار إلى معاوية ، فلما قالها قال معاوية اجلس ، فلم يزل ضرمًا<sup>(۲)</sup> على عمرو ، وقال هذا من رأيك ، ولحق الحسن بالمدينة .

( تاريخ الطبري ۶ : ۹۳ ، ومروج الذهب ۲ : ۵۳ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۱۲۰ )

وأنباء نجباء الأنبياء ص ۵۶ وتاريخ ابن عساکر ۴ : ۲۲۴ )

## ۷ - خطبة له بعد الصلح

روى المدائني قال : سأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنه بعد الصلح أن يخطب الناس ، فامتنع ، فناشده أن يفعل ، فوضع له كرسي فجلس عليه ، ثم قال :

(۱) روى أبو الفرج الأصبهاني أنه كان في لسان الحسن ثقل كالكافأفة (شرح ابن أبي الحديد ۴ ص ۱۱) .

(۲) ضرم عليه كفرح : احتدم غضبا فهو ضرم .

« الحمد لله الذي توحد في ملكه ، وتفرد في ربوبيته ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزعهُ عن يشاء ، والحمد لله أكرم بنا مؤمنكم ، وأخرج من الشرك أولكم ، وحقن دماء آخركم ، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء<sup>(۱)</sup> ، إن شكرتم أو كفرتم . أيها الناس : إن ربَّ عليّ كان أعلم بعليّ حين قبضه إليه ، ولقد اختصه بفضل لم تعتدوا مثله ، ولم تجدوا مثل سابقته ، فهيات هيات ، طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم ، وهو صاحبكم وعدوكم في بدر وأخواتها ، جرّعكم رنقا<sup>(۲)</sup> ، وسقا<sup>(۳)</sup> ، وأذلّ رقابكم ، وأشرقكم بريقكم ، فلستم بلومين على بغضه ، وإيم الله لا ترى أمة محمد خفصاً ما كانت سادتهم وقادتهم بنى أمية ، ولقد وجه الله إليكم فتنةً لن تصدروا عنها حتى تهلكوا ، لطاعتكم طواغيتكم<sup>(۴)</sup> ، وانضواثكم<sup>(۵)</sup> إلى شياطينكم ، فعند الله أحسن ما مضى ، وما ينتظر من سوء دعوتكم ، وحيث<sup>(۶)</sup> حكمكم ، ثم قال :

« يأهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله ، صائب على أعداء الله ، نكالٌ على فجّار قريش ، لم يزل آخذاً بمناجرها ، جاثماً على أنفاسها ، ليس باللومة في أمر الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، ولا بالفرّوق<sup>(۷)</sup> في حرب أعداء الله ، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه ، دعاه فأجابه ، وقاده فاتبعه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فصلوات الله عليه ورحمته » ثم نزل .

فقال معارية : أخطأ عجل أو كاد ، وأصاب مثبت أو كاد ، ما ذا أردت من خطبة الحسن ؟  
( شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٠ )

(۱) البلاء يكون منحة ويكون محنة ، وهو هنا بالمعنى الأول .

(۲) ماء رنق : كعدل وكنف وجبل كدر . (۳) العلق : الدم ودويبية في الماء تمص الدم .

(۴) الطواغيت : جمع طاغوت ، وهو الشيطان وكل رأس ضلال . (۵) انضمامكم .

(۶) الحيف : الظلم : (۷) الفروق والفروقة : شايد الفرع .

## ٨ - خطبة معاوية في أهل الكوفة

وروى المدائني قال : خرج علي معاوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلاح الحسن رضي الله عنه ، فأرسل معاوية إلى الحسن يسأله أن يخرج ، فيقاتل الخوارج ، فقال الحسن : سبحان الله ! تركت قتالك - وهولي حلال - لصلاح الأمة والفتهم ، أفراني أقاتل معك ؟ فخطب معاوية أهل الكوفة فقال :

« يا أهل الكوفة ، أنراني ، قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج . وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحججون ، ولكني قاتلتكم لأتأمركم عليكم وعلى رقابكم ، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون ، ألا إن كل مال أودم أصيب في هذه الفتنة فمطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين ، ولا يصلح الناس إلا ثلاث : إخراج العطاء عند محله ، وإقبال<sup>(١)</sup> الجنود لوقتها ، وغزو العدو في داره ، فإنه إن لم تغزؤهم غزؤكم » ثم نزل .  
( شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ٦ )

## ٩ - رد الحسن بن علي على معاوية حين نال منه ومن أبيه

وخطب معاوية بالكوفة حين دخلها ، والحسن والحسين رضي الله عنهما جالسان تحت المنبر ، فذكر علياً عليه السلام ، فقال منه ثم نال من الحسن ، فقام الحسين ايرد عليه ، فأخذه الحسن بيده فأجلسه ، ثم قام فقال :

« أيها الذاكر علياً : أنا الحسن ، وأبي علي ، وأنت معاوية ، وأبوك صخر ، وأمى فاطمة ، وأمك هند ، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدك عتبة بن ربيعة ،

(١) إرجاعهم وردهم .

وجدتني خديجة ، وجدتك قتيلة ، فلعن الله أختلنا ذكراً ، والأمننا حسباً ، وشرنا قديماً  
وحديثاً ، وأقدمنا كفراً ونفاقاً »

فقال طوائف من أهل المسجد آمين . ( شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ١٦ )

## ١٠ - خطبة سليمان بن صرد في استنكار الصالح

وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق ، وانصرف راجعاً إلى الشام ، أتى سليمان  
ابن صرد - وكان غائباً عن الكوفة ، وكان سيد أهل العراق ورأسهم - فدخل على الحسن  
فقال : السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين ، فقال وعليك السلام ، اجلس لله أبوك ، فجلس  
سليمان ، ثم قال :

« أما بعد : فإن تَعَجُّبُنَا لا ينقضي من بيعتك معاوية ومعهك مائة ألف مقاتل من  
أهل العراق ، وكلهم يأخذ العطاء ، مع مثاهم من أبنائهم ومواليهم ، سوى شيعتك من  
أهل البصرة وأهل الحجاز ، ثم لم تأخذ لنفسك بقية في العهد ، ولا حظاً من القضية ،  
فلو كنت إذ فعلت ما فعلت ، وأعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق ، كنت  
كتبت عليك بذلك كتاباً ، وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب ، أن هذا  
الأمر لك من بعده ، كان الأمر علينا أيسر ، ولكنك أعطاك هذا ، فرضيت به من قوله ،  
ثم قال ، وزعم علي رءوس الناس ما قد سمعت : إنى كنت شرطت لقوم شروطاً ،  
ووعدتهم عِدَاتٍ ، ومنيتهم أمانى ، إرادة إطفاء نار الحرب ، ومداراة لهذه الفتنة ،  
إذ جمع الله لنا كلمتنا وأفتنا ، فإن كل ما هنالك تحت قدمي هاتين ، والله ما عني بذلك  
إلا نقض ما بينك وبينه فأعد الحرب جذعة<sup>(١)</sup> ، وأذن لي أشخص إلى الكوفة ،

(١) هي في الأصل خدعة ، وصوابها جذعة : أى فتية .

فأخرج عامله منها ، وأظهر فيها خلعه ، وأنبذ إليه <sup>(۱)</sup> على سواه ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين .

ثم سكت ، فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته ، وكلهم يقول : ابعث سليمان ابن صرد وابعثنا معه ، ثم الحقنا إذا علمت أننا قد أشخصنا عامله ، وأظهرنا خلعه .

( الإمامة والسياسة ۱ : ۱۲۰ )

## ۱۱ - خطبة الحسن يرد على مستنكري الصلح

فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال :

« أما بعد فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا ، ومن تعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا ، وقد غهمت ما ذكرتم ، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا ، والدنيا أعمال وأنصب ، ما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمه ، ولكن رأي غير ما رأيتم ، لكني أشهد الله وإياكم أني لم أريد بما رأيتم إلا حقت دمائكم ، وإصلاح ذات بينكم ، فاتقوا الله ، وارضوا بقضاء الله ، وسلموا لأمر الله ، والزموا بيوتكم ، وكفوا أيديكم ، حتى يستريح برئ أو يستراح من فاجر ، مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سبلي الأمر ، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنه سيظهر <sup>(۲)</sup> ، إن الله لامعقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، وأما قولك يا مذل المؤمنين ، فوالله لأن تذلوا وتعاقوا أحب إلي من أن تعزوا وتقتلوا ، فإن رد الله علينا حقتنا في عافية ، قبلنا وسألنا الله العون على أمره ، وإن صرفه عنا رضىنا وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا ، فليكن كل رجل منكم جليسا <sup>(۳)</sup> من أحلاس بيته ،

(۱) معناه إذا هادنت قوما ، فعلمت منهم النقص للمهد ، فلا توقع بهم سابقا إلى النقص ، حتى تعلمهم

أنك نقصت المهد ، فتكونوا في علم النقص مستوين ، ثم أوقع بهم . (۲) يغب .

(۳) المجلس : بساط البيت ، وفلان جلس من أحلاس البيت : للذي لا يبرح البيت ، وفي الحديث : « في الفتنة

كن جليسا من أحلاس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة ، أو منية قاضية » أي لا تبرح .



ما دام معاوية حياً ، فإن يَهْلِكِ ونحن وأنتم أحياء ، سألنا الله العزيمه على رشدنا ، والمعونة على أمرنا ، وأن لا يَكِلِنَا إلى أنفسنا ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ .

( الإمامة والسياسة ۱ : ۱۲۰ )

## ۱۲ - خطبة له في عهد خلافته

ومن خطبه رضى الله عنه في آياته في بعض مقاماته أنه قال :

« نحن حزب الله المفلحون ، وَعِترَةٌ<sup>(۱)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون .  
وأهل بيته الطاهرون الطيبون ، وأحد الثقلين<sup>(۲)</sup> اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثاني كتاب الله ، فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعول عليه في كل شيء ، لا يُخْطِئُنَا تأويله ، بل نتيقن حقايقه ، فأطيعونا ، فإطاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الأمر مَقْرُونَةٌ<sup>(۳)</sup> : ( فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ) ( وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ) ، وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ، فتكونون كأولياته الذين قال لهم : ( لَا غَائِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ ، فَلَمَّا تَرَاتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ ، وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي

(۱) العترة : رطل الرجل وعشيرته الأذنون . (۲) الثقل : كل شيء نفيس مصون ، وفي الحديث « إن تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » .

(۳) يشير إلى قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) .

أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) فَتَلْقَوْنَ لِلرَّمَاحِ أَزْرًا<sup>(١)</sup> ، وَلِلسُّيُوفِ جَزْرًا<sup>(٢)</sup> ، وَلِلْعُمُدِ<sup>(٣)</sup> حَظًّا ،  
وَالسَّهَامِ غَرَضًا ، ثُمَّ : ( لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ  
فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ) .  
( مروج الذهب ٢ : ٥٣ )

### ١٣ - خطبة أخرى له

ومن خطبه رضي الله عنه :

« اعلموا أن الحلم زين ، والوقار مودة ، والصلة نعمة ، والإكثار صلف<sup>(٤)</sup> ،  
والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، والقلق ورطة ، ومجالسة أهل الدناءة شين ، ومخالطة  
أهل الفسوق ريبة » .  
( صبح الأعشى ١ : ٢١٥ )

---

(١) الأزر: جمع إزار، وهو الملحفة وكل ماواراك وستره: أي فتكونون أجربة للرماح تغيب في أبدانكم  
وتستر ، أو هو الأزر بفتح فسكون وهو الظهر : أي تركيبكم الرماح وتعاونكم ، والمراد تطعنون وتضربون بها  
والأول أوجه . (٢) أي قطعاً . (٣) عمد بفتححتين ، وعمد بضميتين : جمع عمود ، وهي من  
الآلات التي كانت تستعمل في القتال . (٤) الصلف : التكلم بما يكرهه صاحبك والتمدح بما ليس عندك ،  
أو مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً .

## مخاصمة ومهاجاة

بين الحسن بن عليّ ، وبين عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ،  
وعتبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، بحضرة معاوية

قال ابن أبي الحديد : روى الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات قال :

« اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وعتبة بن  
أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وقد كان بلغهم عن الحسن بن عليّ عليه السلام  
قوارص<sup>(١)</sup> ، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا يا أمير المؤمنين : إن الحسن قد أحيا أباه  
وذكره ، وقال فصّدق ، وأمر فأطيع ، وخفقت<sup>(٢)</sup> له النعال ، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو  
أعظم منه ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا . قال معاوية : فما تريدون ؟ قالوا : بعث إليه  
فليحضر لذنبه ونسب أباه ونعيه ونوبخه ، ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك ،  
ولا يستطيع أن يغير علينا شيئاً من ذلك . قال معاوية : إني لا أرى ذلك ولا أفعله ، قالوا :  
عزمنّا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلنّ ، فقال : ويحكم لا تفعلوا ، فوالله ما رأيت قط جالساً  
عندي إلا خفت مقامه وعيبه لي ، قالوا بعث إليه على كل حال . قال : إن بعثت إليه  
لأنصفته منكم ، فقال عمرو بن العاص : أتخشى أن يأتي باطله على حقنا ، أو يرُبي قوله  
على قولنا ؟ قال معاوية : أما إني إن بعثت إليه لأمرته أن يتكلم بأسانه كذبه . قالوا :  
مره بذلك ، قال : أما إذا عصيتهموني وبعثتم إليهم وأبيتم إلا ذلك ، فلا تمرّضوا<sup>(٣)</sup> له

(١) القوارص من الكلام : التي تنفك وتؤلك .

(٢) الخفق : صوت النعل .

(٣) تمرض : ضمف في أمره .

في القول ، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ، ولا يُلصق بهم العارُ ، ولكن  
اقذفوه بحجره ؛ تقولون له إن أباك قتل عثمان ، وَكَرِهَ خلافة الخلفاء من قبله ؛ فبعث إليه  
معاوية ، فجاءه رسوله . فقال : إن أمير المؤمنين يدعوك . قال : من عنده ؟ فسماهم . فقال  
الحسن عليه السلام ما لهم ؟ خَرَّ عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث  
لا يشعرون ، ثم قال : يا جارية ابغيني ثيابي ، اللهم إني أعوذ بك من شرورهم ، وأدرا<sup>(١)</sup>  
بك في نحورهم ، وأستعين بك عليهم ، فاكفنيهم كيف شئت ، وأنى شئت ، بحول منك  
وقوة ، يا أرحم الراحمين ، ثم قام ، فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه ، وأجلسه إلى  
جانبه ، وقد ارتاد<sup>(٢)</sup> القوم ، وخطروا<sup>(٣)</sup> خطر ان الفحول ، بغياً في أنفسهم وعُلواً ،  
ثم قال : يا أبا محمد ، إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني . فقال الحسن عليه السلام : سبحان  
الله ! الدار دارك ، والإذن فيها إليك ؛ والله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم  
إني لأستحي لك من الفُحش ، وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحي لك من الضعف ،  
فأيُّهما تُقرِّ وأَيُّهما تُنكر ؟ أما إني لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبدالمطلب ،  
ومالي أن أكون مستوحشاً منك أو منهم ؟ إن ولى الله وهو يتولى الصالحين ؛ فقال  
معاوية : يا هذا إني كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له ،  
وإن لك منهم النصف<sup>(٤)</sup> ومنى ، وإنما دعوناك لنقرررك أن عثمان قُتِلَ مظلوماً ، وأن أباك  
قتله ، فاستمع منهم ثم أجبتهم ، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكلِّ لسانك ،  
فتكلم عمرو بن العاص :

(١) أدفع . (٢) الارتداد : الذهاب والمجيء . (٣) خطر الرجل في مشيته : رفع يديه  
ووضعها واهتز وتبختر ، وخطر بسيفه ورمحه : رفعه مرة ووضعه أخرى خطرانا ( بالتحريك ) وخطر الفحل  
بذنبه : ضرب به يمينا وشمالا . (٤) الإنصاف والعدل .

## ١٤ - مقال عمرو بن العاص

فحمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علياً عليه السلام ، فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال إنه شتم أبا بكر ، وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مُكْرَهًا ، وشرك في دم عمر ، وقتل عثمان ظلماً ، وادّعى من الخلافة ما ليس له . ثم ذكر الفتنة يعيره بها ، وأضاف إليه مساوى ، وقال : إنكم يا بنى عبد المطلب لم يكن الله يعطيكم الملك ، على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما حرّم الله من الدماء ، وحرصكم على الملك ، وإتيانكم ما لا يحل ؛ ثم إنك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه ، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك ، وتركك أحق قريش ، يُسخر منك ، ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك ؛ وإنما دعوناك لنسبتك وأباك ؛ فأما أبوك فقد تفرد الله به ، وكفانا أمره ، وأما أنت فإنك في أيدينا ، نختار فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا إثمٌ من الله ، ولا عيبٌ من الناس ؛ فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ؟ فإن كنت ترى أننا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا ، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان .

## ١٥ - مقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال :

« يا بنى هاشم : إنكم كنتم أحوال عثمان ، فنعم الوالدُ كان لكم ، فعرف حَقكم ، وكنتم أصهاره ، فنعم الصهرُ كان لكم يُكرمكم ، فكنتم أول من حسده ، فقتله أبوك ظلماً ، لا عذر له ولا حجة ، فكيف ترون الله طلب بدمه ، وأنزلكم منزلتكم ، والله إن بنى أمية خير لبني هاشم من بنى هاشم لبني أمية ، وإن معاوية خير لك من نفسك . »

## ١٦ - مقال عتبة بن أبي سفیان

ثم تكلم عتبة بن أبي سفیان فقال :

« يا حسنُ : كان أبوك شرَّ قریش لقریش ، لِسْفِكِهِ الدِّمَائِهَا ، وَقَطْعِهِ لِأَرْحَامِهَا ، طَوِيلَ السِّيفِ وَاللِّسَانِ ، يَقْتُلُ الْحَيَّ وَيَعْيِبُ الْمَيِّتَ ، وَإِنَّكَ مِمَّنْ قَتَلَ عُمَانَ وَنَحْنُ قَاتِلُوكَ بِهِ . وَأَمَّا رَجَاؤُكَ الْخِلَافَةَ فَلَسْتَ فِي زَنْدِهَا<sup>(١)</sup> قَادِحًا ، وَلَا فِي مِيزَانِهَا رَاجِحًا ، وَإِنَّكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ قَتَلْتُمْ عُمَانَ ، وَإِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ نَقْتُلَكَ وَأَخَاكَ بِهِ ، فَأَمَّا أَبُوكَ فَقَدْ كَفَانَا اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَأَقَادَ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ ، وَأَمَّا أَنْتَ فَوَاللَّهِ مَا عَلَيْنَا لَوْ قَتَلْنَاكَ بِعُمَانَ إِنْمْ وَلَا عُدْوَانَ » .

## ١٧ - مقال المغيرة بن شعبه

ثم تكلم المغيرة بن شعبه ، فشمّ علياً وقال : والله ما أعيبه في قضية يخون ، ولا في حكم يميل ، ولكنه قتل عثمان ، ثم سكتوا .

## ١٨ - رد الحسن بن علي عليهم

فتكلم الحسن بن عليّ عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

« أما بعد يا معاوية ، فما هؤلاء شتموني ، وإلكنك شتمتني ، فحشاً ألفتَهُ ، وسوء رأى عرفتَ به ، وَخَلَقًا سَيِّئًا ثَبَّتَ عَلَيْهِ ، وَبَغِيًّا عَلَيْنَا ، عداوة منك لحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا ، فَلَا قَوْلَنَ فِيكَ وَفِيهِمْ مَا هُوَ دُونَ مَا فِيكُمْ ، أَنْشُدْكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الرَّهْطُ ، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين<sup>(٣)</sup> كاتيهما ، وأنت يا معاوية

(١) الزند : العود الذي يقذف به النار . (٢) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

(٣) كان صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة وهو بمكة ، فلما هاجر إلى المدينة أمر أن يستقبل بيت

المقدس تألفاً لليهود ، فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حول .

جهما كافر ، تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى<sup>(١)</sup> غواية ، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح<sup>(٢)</sup> وبيعة الرضوان<sup>(٣)</sup> ، وأنت يامعاوية بإحداها كافر ، وبالأخرى ناكث ، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً ، وأنت يامعاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم ، تُسِرُّون الكفر وتُظهرون الإسلام ، وتُسْتَمَلون بالأموال ، وأنشدكم الله ألسن تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ؟ ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعك ومع أبيك راية الشرك ، وفي كل ذلك يفتح الله له ، ويُفْلِح<sup>(٤)</sup> حجته ، وينصر دعوته ، ويصدق حديثه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المواطن كلها عنه راض ، وعليك وعلى أبيك ساخط ؛ وأنشدك الله يامعاوية أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : « اللهم العن الرَّاكب والقائد والسائق » أتنسى يامعاوية الشعر الذي كتبه إلى أبيك - لما تمَّ أن يُسَلِّمَ - تنهاه عن ذلك :

بَعْدَ الدِّينِ بِيَدْرِ أَصْبَحُوا مِرْقَا<sup>(٥)</sup>      يَأْصَخْرُ لَا تُسَلِّنَ يَوْمًا فَتَفْضَحْنَا  
وَحَنْظَلِ الخَيْرِ قَدْ أَهْدَى لَنَا الأَرْقَا<sup>(٦)</sup>      خَالِي وَعَمِّي وَعَمُّ الأُمَّمِ ثَالِهُم

(١) اللات : صنم ثقيف بالطائف ، والعزى : أكبر صنم لقريش ، وكان يبطن نخلة .

(٢) روى الطبري في تاريخه - بعد أن أورد خبر فتحه صلى الله عليه وسلم مكة سنة ثمان للهجرة ، وخطبته حين وقف على باب الكعبة - قال : « ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس لهم - فيما بلغنى - على الصفا ، وعمر بن الخطاب تحت رسول الله أسفل من مجلسه يأخذ على الناس ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، وكذلك كانت بيعته لمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس على الإسلام ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعته الرجال بايع النساء ، واجتمع إليه نساء من نساء قريش فيهن هند بنت عتبة أم معاوية . . . إلى آخر القصة - تاريخ الطبري ٣ : ١٢١ - وكان معاوية ممن أسلم بعد الفتح .

(٣) بيعة الرضوان كانت سنة ست هجرية في غزوة الحديبية حين دعا الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين للبيعة على القتال فبايعوه على الموت تحت شجرة هناك سميت بعد بشجرة الرضوان . (٤) ينصر .

(٥) المزق : جمع مزقة بالكسر ، وهي القطعة من الثوب وغيره . (٦) أي لشدة الحزن والأسى .

لَا تَزَكَّيْنِي إِلَىٰ أَمْرِ تُكَلِّفُنَا وَالرَّاقِصَاتِ بِهِ فِي مَكَّةَ الْخَرَقَا<sup>(١)</sup>  
فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ قَوْلِ الْعُدَاةِ «لَقَدْ حَادَّ ابْنُ حَرْبٍ عَنِ الْعُزْمِيِّ إِذَا فَرِقَا»<sup>(٢)</sup>

والله لما أخفيتُ من أمرِك ، أ كبر بما أبديتُ ؛ وأنشدكم الله أيها الرهط أن تعلمون أن علياً حرّم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنزل فيه : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) . وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أ كابر أصحابه إلى بني قريظة ، فنزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث علياً بالرابية ؛ فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ، وفعل في خيرٍ مثلها ، ثم قال : يا معاوية أظنك لا تعلم أني أعلم مادعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ، لما أراد أن يكتب كتاباً إلى بني جذيمة<sup>(٣)</sup> فبعث إليك ونهّمك<sup>(٤)</sup> إلى أن تموت ، وأنتم أيها الرهط .

(١) الخرق محرّكة : ألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور ، والحقق . (٢) فرق : فزع .  
(٣) في الأصل « خزيمة » ، وهو تحريف ، وهم بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، وقد بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا ، فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم - وكان بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف ، والفاكه بن المغيرة عم خالد ، وكانا أقبلتا تاجر من اليمن حتى إذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهما - فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثم دعا علي بن أبي طالب ، فقال : يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم به فودى لهم الدماء ، وما أصيب من الأموال ، حتى إنه ليدي بيلغة الكلب ، ( والميلغة بالكسر : الإناء يبلغ فيه الكلب ) حتى إذا لم يبق شيء من دم أو مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال . قال لهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يود إليكم ؟ قالوا لا ، قال : فإني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال أصبت وأحسن ، ثم استقبل القبلة قائماً شاهراً يديه ، وهو يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد ، ثلاث مرات . (٤) الذي في كتب اللغة : « نهمه : زجره ، وحذفه بالحصى وغيره » ومراده هنا أنه دعا عليه بالنهم وعدم الشيع ، وقد تقدم الكلام عليه .



نشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا يستطيعون ردّها؟ أولها يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو تقيفاً إلى الدين؛ فوقع به، وسبه وسفه، وشتمه وكذّبه وتوعده. وهم أن يبیطش به، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه. والثانية يوم العير<sup>(١)</sup> إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جاثية من الشام. فطردها أبو سفيان وساحل<sup>(٢)</sup> بها، فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها. والثالثة يوم أحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه، وهو ينادى أعلُّ هبل<sup>(٣)</sup> مرارا فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات ولعنه المسلمون. والرابعة يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وابتهل. والخامسة يوم جاء أبو سفيان في قريش، فصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد والمدي معكوفاً أن يبلغ محله<sup>(٤)</sup> ذلك يوم ألد يديّة. فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله أبو سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال ملعونون كلهم وليس فيهم من يؤمن. فقيل يا رسول الله أفما يرجي الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة؟ فقال: لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع. وأما القادة فلا يفلح منهم أحد<sup>(٥)</sup>. والسادسة يوم الجمل الأحمر. والسابعة يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان. فهذا لك يامعاوية.

وأما أنت يا بن العاص، فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً من عهر<sup>(٦)</sup>

(١) العير: الإبل تحمل الميرة: (٢) أتى بها ساحل البحر. (٣) أي اعل وانتصر يا هبل: وهو صنم كان في الكعبة. (٤) والمدي معطوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمدي ما يهدى إلى مكة، ومعكوفاً أي محبوساً وهو حال. أن يبلغ محله أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم. (٥) لا يتعارض مع هذا أن أبا سفيان أفلح بعد وأسلم، إذا التقى فيه بلا، وليس التقى بلن. (٦) فجور: ذكروا أن النابغة أم عمرو بن العاص كانت أمة لرجل من هذرة (بالتحريك) فسبيت: فاشتراها عبد الله بن جدهان التيمي بمكة، فكانت بغيًا، ثم اعتقها، فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب، =

وسيفاح فتحا كم فيك أربعة من قريش . فغلب عليك جزاها . الأهمم حسبا ، وأخبثهم منصبا . ثم قام أبوك فقال : أنا شاني محمد الأبتري<sup>(١)</sup> . فأنزل الله فيه ما أنزل ، وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد . وهجوته وأذيته بمكة ، وكذته كيدك كله . وكنت من أشد الناس له تكذيبا وعداوة . ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجمفر وأصحابه إلى أهل مكة<sup>(٢)</sup> . فلما أخطأك ما رجوت ، ورجعت الله خائبا وأكذبتك واشيا ، جعلت حسدك على صاحبك عمارة بن الوليد ، فوشيت به إلى النجاشي حسدا لما ارتكب من حيلته<sup>(٣)</sup> ، ففضحك الله وفضح صاحبك . فأنت عدو بني هاشم

= وأميه بن خلف الجمحي ، وهشام بن المغيرة المخزومي ، وأبو سفيان بن حرب ، والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد ، فولدت عمرا ، فادعاه كلهم ، فحكمت أمه فيه ، فقالت هو من العاص بن وائل ، وذلك لأن العاص كان ينفق عليها كثيرا ، قالوا : وكان أشبه بأبي سفيان ، وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب في عمرو بن العاص :

أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه بينات الشماثل

ويقال إنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرا وهو على المنبر : من أمه ؟ فسأله فقال : أمي سلمى بنت حرمة تلقب بالنابغة من بني عنزة أصابتها رماح العرب فبيعت بمكاز ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت ، فإن كان جعل لك شيء فخذ . ( ورأي فيما روى من نسب عمرو بن العاص أن الإسلام يجب ما قبله ) .

(١) الشاني المبغض ويسهل : وذلك أن العاص بن وائل سمي النبي صلى الله عليه وسلم أبتري عند موت ابنه القاسم ، فنزل فيه « إِنْ شَأْنِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » أي المنتقطع عن كل خير ، الذي لا يفوز بالذكر الحسن بعد موته ، وأما أنت يا محمد فسيتق حسن ذكرك ، وآثار فضلك إلى يوم القيامة فهو الأبتري لأنك .

(٢) يشير إلى هجرة الحبشة الثانية ، وقد هاجر إليها من المسلمين نحو ثلاثة وثمانين رجلا وثمان عشرة امرأة ، وكان من الرجال جمفر بن أبي طالب ، ولما رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد ، بهدايا إلى النجاشي وبطارقته ، ليسلم المسلمين ، فرجما خائبين ، وأبي النجاشي أن يخفر ذمتهم . (٣) وذلك أن عمرا وعمارة ركبا البحر إلى الحبشة كما قدمنا - وكان عمارة جميلا وسيما تهواه النساء ،

وكان مع عمرو بن العاص امرأته - فلما صاروا في البحر ليالى أصابا من خمر معهما ، فانتشى عمارة فقال لامرأة عمرو قبلي ، فقال لها عمرو قبلي ابن عمك ، فقبلته ، فهويها عمارة ، وجعل يراودها عن نفسها ، =

في الجاهلية والإسلام . ثم إنك تعلم ، وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتا من الشعر . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي . اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة . فعليك إذن من الله مالا يُحصَى من اللعن ، وأما ما ذكرت من أمر عثمان فانت سَعَرْت (٢) عليه الدنيا نارا ، ثم لِحِقْتَ بِفِلَسْطِينَ ، فلما أتاك قتله قلت : « أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها » ثم حبست نفسك إلى معاوية ، وبعث دينك بدنياه ، فلسنا نلومك على بغض ، ولا نعاتبك على ود ، وبالله مانصرت عثمان حيا ولا غضبت له مقتولا ، ويحك يا ابن العاص ! ألس القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي :

تقول ابنتي : أين هذا الرحيل ؟ وما السيرُ مني بمُسْتَنْكَرٍ

= فاستنعت منه ، ثم إن عمرا جلس على منجاف السفينة يقول « منجاف السفينة هوسكانها الذي تعدل به » فدفعه عمارة في البحر ، فلما وقع عمرو سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة ، ووضف عمرو عليه في نفسه ، وعلم أنه كان أراد قتله ومضيا حتى نزل الحبشة ، فلما اطمانا به لم يلبث عمارة أن دب لامرأة النجاشي فأدخلته ، فاختلف إليها ، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمرا بما كان من أمره ، فيقول عمرو : لا أصدقك أنك قدرت على هذا ، إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك ، فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره ، ورأى عمرو من حاله وهيئته ومببته عندها حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك ، قال له إن كنت صادقا فقل لها فلتدهنك بدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره ، فإني أعرفه وأنبي بشيء منه حتى أصدقك ، قال : أفعل ، فألها ذلك فدهنته منه وأعطته شيئا في قارورة ، فقال عمرو أشهد أنك قد صدقت لقد أصبت شيئا ما أصاب أحد من العرب مثله قط ، امرأة الملك ! ماسمعا بمثل هذا ، ثم سكت عنه حتى اطمان ودخل على النجاشي فأعلمه شأن عمارة وقدم إليه الدهن ، فلما أثبت أمره دعا بعمارة ، ودعا نسوة آخر فجردوه من ثيابه ثم أمرهن ينفخن في إحليله ثم خلى سبيله فخرج هاربا .

(١) سحر النار : كنعن أوقدها . وكان عمرو أول خلائة عثمان واليا على مصر - منذ خلافة عمر ابن الخطاب - ثم إن عثمان ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وهو أخو عثمان من الرضاع - خراج مصر ، وولى عمرو بن العاص على الجند فلم يتفقا ، فجمع لعبد الله الخراج والجند وعزل عمرا ، فلما قدم عمرو المدينة جعل يطعن على عثمان ويؤاب عليه ، وخرج عمرو بعدئذ حتى انتهى إلى أرض فلسطين ، فكان يقول : أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها ، والله إن كنت لأتق الراعي فأحرضه عليه ( نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرا فنديت ) .

فقلت : ذرّيني فإني امرؤ أريد النجاشي في جعفر  
لأَكْوِبَهُ عنده كَيْفَةً أُقيم بها نَخْوَةَ الْأَصْعَرِ (١)  
وَشَانِي أَحْمَدَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَقُولُهُمْ فِيهِ بِالْمُنْكَرِ  
وَأَجْرِي إِلَى عُتْبَةَ جَاهِدًا وَلَوْ كَانَ كَالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ (٢)  
وَلَا أَنْتَنِي عَنْ بَنِي هَاشِمٍ وَمَا سَطَعْتُ فِي الْغَيْبِ وَالْمَحْضَرِ  
فَإِنْ قَبَلَ الْعَتَبُ مِنِّي لَهُ وَإِلَّا لَوَبْتُ لَهُ مِشْفَرِي (٣)

فهذا جوابك . هل سمعته ؟

وأما أنت يا وائيد ، فوالله ما ألومك على بغض عليّ ، وقد جلدك ثمانين في الخمر (٤) .  
وقتل أباك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله صَبْرًا (٥) ، وأنت الذي سماه الله الفاسق

(١) الصعر محرّكة : الميل في الخد ، صعر : كفرح فهو أصعر ، وصعر خده تصعيرا : أماله من الكبر . (٢) كان من بين المهاجرين من المسلمين إلى الحبشة عتبة بن غزوان ، وهو من بني نوفل بن عبد مناف ، وعتبة بن مسعود ( وهو أخو عبد الله بن مسعود ) من هذيل من حلفائهم ، وأظنه يعنى عتبة بن غزوان ، وقوله : ولو كان كالذهب الأحمر : أى فى صعوبة الوصول إليه . (٣) المشفر للبعير : كالشفة للإنسان ، وقد يستعمل فى الناس . (٤) وذلك أن عثمان رضى الله عنه بعد أن عزل سعد بن أبى وقاص من إمارة الكوفة ، ولى عليها الوايد بن عقبة - وهو أخوه لأمه - ورووا أنه شرب الخمر بالكوفة وسكر حتى دخل عليه ، وأخذ خاتمه من أصبعه وهو لا يعلم وأنه تكلم فى الصلاة والتفت إلى من يقتدون به فيها وهو سكران وقال لهم : أزيدكم ؟ قالوا لا قد قضينا صلواتنا ، وشهد الشهود عليه بذلك عند عثمان فى وجهه فأدخله بيتا وأراد أن يحده فجعل إذا بعث إليه رجلا من قريش ليضربه ناشده الوليد ألا يقطع رحمه ، فلما رأى على ذلك أخذ السوط ودخل عليه فجلده به .

(٥) القتل صبورا : أن يجلس الرجل ويرى حتى يموت ، وكان عقبة بن أبى معيط شديد الإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الاستهزاء به . صنع مرة وليمة ودعا إليها كبراء قريش وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : والله لا آكل من طعامك حتى تؤمن بالله ، فتشهد ، فبلغ ذلك أبى ابن خلف الجمحى ، وكان صديقا له ، فقال ما شئى بلغنى عنك ؟ قال لا شئ . دخل منزلى رجل شريف ، فأبى أن يأكل طعامى حتى أشهد له ، فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له ، قال أبى : وجهى من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تغطأ عنقه ، وتبزق فى وجهه ، وتلطم عينه ، فلما رأى عقبة رسول الله =

وصي علياً المؤمن ، حيث تفاخرتما ، فقلت له اسكت يا علي ، فانا أشجع منك جناناً ، وأطول منك لساناً . فقال لك علي اسكت يا وليد ، فانا مؤمن وأنت فاسق . فأنزل الله تعالى في موافقة قوله : ( أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ) ثم أنزل فيك علي موافقة قوله أيضا ( إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا <sup>(١)</sup> ) ويحك يا وليد ؟ مهما نسبت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه :

أنزل الله ( والكتاب عزيز ) في علي وفي الوليد قرآنا <sup>(٢)</sup>  
فَتَبَيَّنُوا الوليد إذ ذاك فسقا وعلى مَبُورًا <sup>(٣)</sup> إيماننا <sup>(٤)</sup>  
ليس من كان مؤمناً ( عمرك الله ) كمن كان فاسقا خوآنا  
سوف يدعى الوليد بعد قليل وعلى إلى الحساب عيانا  
فعلى يُجزي بذاك جنانا ووليد يجزي بذاك هوانا  
رب جد لعقبة بن أبان لابس في بلادنا تَبَانًا <sup>(٥)</sup>

= صلى الله عليه وسلم فعل به ذلك ، فأنزل الله فيه ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ) وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يصل في حجر الكعبة فأقبل عقبة فوضع ثوبه في عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن الرسول ، وقال : ( اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ) فلما كانت غزوة بدر كان عقبة من أسراها وقد قتله عليه الصلاة والسلام وهو راجع .

(١) وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام كان قد بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق لأخذ الصدقات - وكان بينه وبينهم ترة في الجاهلية - فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة ، فهم بقتالهم ، فأتوه منكرين ما قاله عنهم ، فنزلت الآية : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ) . (٢) مهمل من « قرآنا » . (٣) فتبوا : مهمل من « فتبوا » .

(٤) أبان : هو والد أبيه عقبة ، فهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس ، والتبان : سراويل صغير مقدار شبريستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين .

وما أنت وقريش ا ، إنما أنت عِجْج من أهل صَفُورِيَّة<sup>(١)</sup> ، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد وأسن ممن تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبه ، فوالله ما أنت بِحَصِيفِ<sup>(٢)</sup> فأجيبك ، ولا عاقلٍ فأحاورك وأعاتبك ، وما عندك خيرٌ يرجى ، ولا شرٌّ يُتَّقَى ، وما عقلك وعقل أمّتك إلا سواء ، وما يضر علياً لو سببته على رهوس الأشهاد ؟ وأما وعيدك إياي بالقتل ، فهلا قتلت اللّحيانى إذ وجدته على فراشك ؟ أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك :

يا للرجال وحادث الأزمان      ولِسَبَّةِ تُخْزِي أَبَا سُفْيَانَ<sup>(٣)</sup>

نَدَبْتُ عُتْبَةَ خانة في عَرْسِهِ      جِنْسَ لَثِيمِ الأَصْلِ من لِحْيَانِ<sup>(٤)</sup>

وبعد هذا ما أربأ بنفسى عن ذكره لفحشه ، فكيف يخاف أحدٌ سيفك ؟ ولم تقتل فاضحك . وكيف ألومك على بغض عليّ ، وقد قتل خالك الوليدَ مبارزةً يوم بدر ، وشرك حمزة في قتل جدك عتبة ، وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد .

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه ، وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة : « استمسكى فإني طائرة عنك » فقالت النخلة : وهل علمت بك واقعةً عليّ ، فأعلم بك طائرةً عنى ؟ والله ما نشعر بعداوتك إيانا ، ولا اغتمنا إذ علمنا بها ولا يشق علينا كلامك ، وإن حد الله في الزنا لثابت عليك ولقد درأ عمر عنك حقاً ، الله سائله عنه . ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله : هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال : لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا ، اعلمه بأنك زان . وأما

(١) صفورية : بلد بالأردن ( بضم الهمزة والذال وتشديد النون ) ، والعلج : الرجل من كفار المعجم .  
وذلك أن جده ذكوان كان يلقب بالصفورى . ذكر جماعة من النسابين أن ذكوان هذا كان . ولى لأمية بن عبد شمس فتبناه وكناه أبا عمرو ، فبنوه موال وإيسوا من بنى أمية لصلبه (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٤) .  
(٢) حصيف : ككرم استحکم عقاه فهو حصيف . (٣) السبة : العار . (٤) عرس الرجل : امرأته : وبنو لحيان : حى من هذيل ، وهو لحيان بن هذيل بن مدركة .

نحركم علينا بالإمارة ، فإن الله تعالى يقول : ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا <sup>(١)</sup> مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَنَدَمْنَاَهَا تَدْمِيرًا ) .

ثم قام الحسن فنفض ثوبه فانصرف ؛ فتعلق عمرو بن العاص بثوبه وقال : يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله في وقذفه أمي بالزنا ، وأنا مطالب له بحمد القذف .

فقال معاوية : خل عنه ، لا جزاك الله خيرا ، فتركه ، فقال معاوية : قد أنبأتكم أنه من لا تطاق عارضته ، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتموني ، والله ما قام حتى أظلم على البيت ، قوموا عني ؟ فلقد فضحككم الله وأخزاكم بترككم الحزم ، وعدولكم عن رأي الناصح المشفق ، والله المستعان . ( شرح ابن أبي الحديد م ٢ ص ١٠١ )

## ١٩ - رثاء محمد بن الحنفية لأخيه الحسن

لما مات الحسن بن علي رضي الله عنهما ، أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية <sup>(٢)</sup> وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، ثم وقف محمد على قبره ، وقد اغرورت عيناه ، وقال :

« رحمك الله أبا محمد فأئن عزت حياتك لقد هدت وفانك ، ولنعم الروح روح تضمته بدنك ، ولنعم الجسد جسد تضمته كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمته لحدك ، وكيف لا تكون كذلك ، وأنت سليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء <sup>(٣)</sup> ؛ وخلف

(١) أي كثرتنا ، أمره : كنعصره ، وآمره : كثره ، ( وفي قراءة : أمرنا ) أو المعنى أمرناهم بالطاعة ففسقوا وعصوا ، وقد يكون من الإمارة أي جعلناهم أمراء . (٢) هو محمد بن علي بن أبي طالب والحنفية أمه ، وهي امرأة من بني حنيفة بن لجم وتسمى خولة بنت جعفر ، وتوفى سنة ٨١ ، وقيل سنة ٨٣ ، وقيل سنة ٧٢ ، وقيل سنة ٧٣ . (٣) الكساء : هو كساء آل محمد صلى الله عليه وسلم الذي يضافون إليه ، فيقال : « آل الكساء » وهم النبي عليه الصلاة والسلام ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين رضي الله عنهم ، قال ديك الجن :

والحمسة الغر أصحاب الكساء معا خير البرية من عجم ومن عرب

أهل التقوى ، وجدك النبي المصطفى ، وأبوك علي المرتضى ، وأمك فاطمة الزهراء ،

= وقال أبو عثمان الخالدي :

أعاذل إن كساء التقي كسانه حبي لأهل الكساء

ومن قصة هذا الكساء ما روت الرواة من أن وفدا من نصارى نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فكان ماجرى بينهم وبينه أن قالوا : يا محمد لم تعيب عيسى وتسميه عبدا ؟ فقال : أجل عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ، قالوا : فأرنا مثله ، يحيى الموقى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ، وبايعنا على أنه ابن الله ونحن نبايعك على أنك رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن يكون لله ولد أو شريك ، فزالوا يحاجونه ويلاحونه حتى أنزل الله : ( فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ) أي في عيسى ( مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ نُمْ نَبْتَهُمْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ) فقال لهم : إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم - والمباهلة الملاعبة - فقالوا يا أبا القاسم : بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك ، فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم « وهو أحد رؤسائهم . قال ياقوت في معجمه : ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد نجران وفيهم السيد واسمه وهب ، والعاقب واسمه عبد المسيح ، والأسقف وهو أبو حارثة ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مباہلتهم فامتنعوا . . الخ » يا عبد المسيح ماترى ؟ فقال « والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ، واقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم « أي عيسى » والله ما باهل قوم نبيا قط ، فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لكان الاستئصال ، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود « والمرط بالكسر كساء من صوف أو خز » وقد احتضن الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلى رضى الله عنه خلفها ، وهو يقول « إذا دعوت فأمنوا » فقال أسقف نجران : « يامعشر النصارى إنى لارى وجوها أو سأوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله لها ، فلا تباهلوا قهلكوا ، ولا يبق على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة » ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نترك على دينك » فقال عليه الصلاة والسلام : « فإذا أبيتم المباہلة فأسلموا ، بكن لكم مال المسلمين وعليتكم ما هل المسلمين » فأبوا ، فقال : فإني أنا جزم القتال ، فقالوا : مالنا بحرب العرب طاقة ، ولكن نصالحك على أن لاتنزونا ولا تردنا عن ديننا ، على أن تؤدى إليك في كل عام أنى حلة ، ألفا في صفر وألفا في رجب ، وثلاثين درهما عادية من حديد ، فصالحهم على ذلك ، وقال : « والذي نفسى بيده ، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعتوا لمسخوا قرده وخنزير ، ولا ضطرم عليهم الوادى نارا ، ولا تأصل الله نجران وأهله ، حتى الطير على رهوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ، وروى =



وعمك جعفر<sup>(١)</sup> الطيار في جنة المأوى ، وغذتك أ كُف الحق ، ورُبيت في حجرِ  
الإسلام ، ورضعت ثدي الإيمان ، فطبت حيا وميتا ، فلئن كانت الأنفس غير طيبة  
لفراقك ، إنها غير شاكرة أن قد خير لك<sup>(٢)</sup> ، وإناك وأخاك لسيدا شباب أهل الجنة ،  
فعليك أبا محمد منا السلام .

(زهر الآداب ١ : ٦٩ ، ومروج الذهب ٢ : ٥١ ، والعهدة الفريدة ٢ : ٧)

= أنه عليه الصلاة والسلام لما خرج في المرط الأسود جاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله : ثم فاطمة ،  
ثم علي رضي الله عنهم ، ثم قال : ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا ) فمن ذلك الوقت سمي الخمسة أصحاب الكساء ( انظر كتاب ثمار القلوب في  
المضاف والمنسوب للثعالبي ص ٤٨٣ وتفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب ٢ : ٦٩٩ ) .

(١) هو جعفر بن أبي طالب ، وقد استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة ، وكان يقول حين أخذ  
الراية من زيد بن حارثة الذي استشهد قبله في هذه الغزوة :

ياحبذا الجنة واقتراها طيبة وباردا شرابها

ولقب بالطيار لما روى عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت الجنة  
البارحة ، فرأيت جعفرا يطير مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم » - راجع الروض الأنف شرح السيرة  
النبوية لابن هشام ٢ : ٢٥٨ - . (٢) خار الله لك في الأمر . : جعل لك فيه الخير .

( ٣ - جمهرة خطب العرب - ثان )

# مقتل الحسين بن علي

رضي الله عنه

تأييه عن بيعة يزيد وخروجه إلى مكة

لما ولى الخلافة يزيد بن معاوية ( في هلال رجب سنة ٥٦٠ ) كتب إلى أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يأخذ الحسين ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة<sup>(١)</sup> ، فبعث الوليد إلى الحسين رضي الله عنه ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة ، فقال الحسين : « إن مثلي لا يعطى بيعة سرّاً ، ولا أراك تجزى بها مني سرّاً ، دون أن تُظهرها على رءوس الناس علانيةً ، فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس ، فكان أمراً واحداً » فقال له الوليد - وكان يحب العافية - « فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس » .

فلما كان من الغد بعث الرجال إلى الحسين عند المساء ، فقال : « أَصْبِحُوا ثُمَّ تَرُونِ وَتَرَى » فكفوا عنه تلك الليلة ولم يُلبِحُوا عليه ، فخرج الحسين من تحت ليلته ( ليومين بقيام من رجب سنة ٥٦٠ ) ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجُلُّ أهل بيته إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له :

(١) الرخصة : التسهيل .

## ٢٠ - نصيحة محمد بن الحنفية للحسين رضى الله عنهما

« يا أخى : أنت أحبُّ الناسِ إلىّ ، وأعزُّهم علىّ ، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحقُّ بها منك ، تنحّ بِتَبَعَتِكَ<sup>(١)</sup> عن يزيد بن معاوية ، وعن الأمصار ما استطعت ، ثم ابعث رُسُلَكَ إلى الناس فادعهم إلى نفسك ، فإن بايعوا لك حَمَدَتَ اللهُ على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم يَنْقُصِ اللهُ بِذلك دينك ولا عقلك ، ولا يُذْهِبُ بِهٍ مروءتك ولا فضلك ، إني أخاف أن تدخلَ مصرًا من هذه الأمصار ، وتأتى جماعة من الناس ، فيختلفوا بينهم ، فمنهم طائفة معك ، وأخرى عليك ، فيقتتلوا ، فتكون لأوّل الأسيئة ، فإذا خيرُ هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأمّاً أضيّعها دَمًا ، وأذلّها أهلاً . »

قال له الحسين : « فإني ذاهب يا أخى » . قال : « فانزل مكة ، فإن اطمانت بك الدار فسبيلٌ ذلك ، وإن نبت<sup>(٢)</sup> بك لحقت بالرمال ، وشعف<sup>(٣)</sup> الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد ، حتى تنظر إلام يصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأى ، فإنك أضوب ما يكون رأياً ، وأحزمه عملاً ، حتى تستقبل الأمور استقبالا ، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكّلَ منها حين تستدبرها استدباراً . »

قال : « يا أخى قد نصحت فأشفقت ، فأرجو أن يكون رأيك سديداً مؤثماً . »  
وسار إلى مكة ، فأتاه أهل الكوفة ورسولهم ، إنا قد حبسنا أنفسنا عليك ،  
ولسنا نحضر الجمعة مع الوالى فأقدم علينا<sup>(٤)</sup> — وكان النعمان بن بشير الأنصارى  
على الكوفة —

(١) تبعة جمع تابع . (٢) ضاقت . (٣) الشعف : جمع شعفة محرّكة ، وهى رأس الجبل .  
(٤) اجتمعت الشيعة بالكوفة فى منزل سليمان بن سرد ، فذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله عليه ، فقال سليمان : « إن معاوية قد هلك ، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعتهم ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإن كنتم تملكون أنكم ناصره ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه و إن خفتم الوهل (بالتحريك) =

## بعثه مسلم بن عقيل إلى الكوفة

فبعث الحسين إلى ابن عمه مسلم بن عقيل ، فقال له :

« سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلىّ ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم ، فخرج مسلم إلى الكوفة ، ونزل دار المختار بن أبي عبيد ، وأقبلت الشيعة تختلف إليه ، فقرأ عليهم كتاب الحسين فأخذوا يبكون .

= الضعف والفرع والفضل) فلا تغزوا الرجل من نفسه» قالوا « لا ، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه » قال :  
فاكتبوا إليه ، فكتبوا إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، حسين بن علي من سليمان بن سرد ، والمسيب بن نجبة ، ورفاعة  
ابن شداد ، وحبیب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة ، سلام عليك ، فإننا نحمد إليك  
الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فالحمد لله الذي قسم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى ( وثب ) على هذه الأمة  
فابتزها أمرها ، وغصبها فيئها ، وتآمر عليها بغير رضا منها ، ثم قتل خيارها ، واستبق شرارها ، وجعل مال  
الله دولة بين جبارتها وأغنيائها ، فبعدا له كما بعدت ثمود ، إنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك  
على الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة ، لسنا نجتمع معه في جمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد  
بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه ، حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام ورحمة الله عليك » وكتبوا إليه  
أيضا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، حسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد : فحيلا ( أي  
أقبل ) فإن الناس ينتظرونك ، ولا رأى لهم في غيرك ، فالعجل العجل والسلام عليك » وكتبوا : « أما بعد :  
فقد اخضر الجناب ، وأينعت الثمار ، وطمت الجمام ، ( الجمام : بالكسر جمع جم بالفتح ، وهو معظم الماء  
وطمى الماء : علا ، وطم : غمر ) فإذا شئت فاقدم على جندك مجند ، والسلام عليك » فكتب إليهم :  
« بسم الله الرحمن الرحيم ، من حسين بن علي إلى الملائمة المؤمنين والمسلمين ، أما بعد : فإن هانئا وسعيدا  
( وهما هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله ) قدما على بكتبتكم ، وكانا آخر من قدم على من رسلكم ، وقد فهمت  
كل الذي اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جللكم إنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى  
والحق ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم ،  
فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملتكم وذوى الفضل والحجبا منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرأت  
في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله ، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق  
والحاسب نفسه على ذات الله والسلام » .

## ۲۱ - خطبة عابس بن أبي شبيب الشاكري

فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أما بعد ، فإنني لا أخبرك عن الناس ، ولا أعلم ما في أنفسهم ، وما أغرؤك منهم ،  
والله أحَدُّكَ عما أنا موطنٌ نفسي عليه ، والله لأجيبَنَّكُمْ إذا دعوتُمْ ، ولأقاتِلَنَّ معكم  
عدوَّكُمْ ، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله ، لا أريد بذلك إلا ما عند الله .  
فقام حبيب بن مُظَاهِرِ الْفَقْعَسِيِّ فقال :

« رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بِوَأَجِزٍ من قولك » ثم قال : « وأنا والله الذي  
لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه » وقال غيرها مثل قولها .  
فبلغ ذلك النعمان بن بشير ، فخرج فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

## ۲۲ - خطبة النعمان بن بشير

« أما بعد ، فاتقوا الله عبادَ الله ، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيهما بهلاكُ  
الرجال ، وتسفكُ الدماء ، وتغصبُ الأموال - وكان حايماً ناسكاً يحب العافية - قال :  
إني لا أقاتل من لم يقاتلني ، ولا أئيبُ على من لا يئيبُ عليَّ ، ولا أشاتمكم ، ولا أتحرَّشُ  
بكم ، ولا آخذ بالقرينة<sup>(۱)</sup> ولا الظنَّةَ ولا التَّهْمَةَ ، ولكنكم ، إن أبديتُمْ صَفْحَتَكُمْ<sup>(۲)</sup> لي  
وَنَسَكْتُمْ بِيَعْتَكُمْ ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما تلبت  
قائمُهُ في يدي ولو لم يكن لي منكم ناصر ، أما إني أرجو أن يكونَ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ  
منكم أكثرَ من يُرْذِيهِ الْبَاطِلُ » .

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية ، فقال :

(۱) القرينة : التهمة ، وقرنه بالشئ : اتهمه . (۲) أي جاهرتموني بالعداوة .

« إنه لا يُصْلِح ما ترى إلا الغشم<sup>(۱)</sup> ، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأى المُستضعفين » فقال : « أن أكون من المُستضعفين في طاعة الله أحبُّ إلىَّ من أن أكون من الأَعزِّين في معصية الله » ثم نزل .

وكتب عبد الله بن مسلم وغيره إلى يزيد أن يبعث إلى الكوفة رجلاً قويا غير النعمان ، فبعث إلى عبيد الله بن زياد - وكان على البصرة - وضمَّ إليه الكوفة ، فسار إليها ، فلما نزل القصر نودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخرج إليهم .

### ۲۳ - خطبة عبيد الله بن زياد

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين ( أصلحه الله ) ولأني مصرمك وتغرَّك<sup>(۲)</sup> ، وأمرني بإنصاف مظلومك ، وإعطاء محرومك ، وبالإحسان إلى سامعك ومطيعك ، وبالشدَّة على مُريبك وعاصيك ، وأنا مُتَّبِعٌ فيكم أمره ، وَمُنْفَذٌ فيكم عهده ، فأنا لحسنكم ومطيعكم كالوالد الأبرَّ ، وَسَوَاطِي وسيفي على من ترك أمرى ، وخالف عهدي ، فليبق امرؤ على نفسه ، الصدق يُبْذَى عنك لا الوعيد . »

ثم نزل فأخذ العرفاء<sup>(۳)</sup> والناس أخذاً شديداً ، وبلغ ذلك مسلم بن عقيل ، فخرج من دار المختار ، حتى انتهى إلى دار هاني بن عروة المرادي لا يُدْأ به ، وَتَمَى خبره إلى ابن زياد ، فبعث إلى هاني فجاءه ، فأمره أن يأتيه بمسلم ، فقال : لا والله لا أُجِئُكَ به أبداً أنا أُجِئُكَ بضيفي تقتله ! وطال بينهما اللجاج في ذلك ، فضربه ابن زياد بالقضيب ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخرقه ، حتى كسر أنفه ، وَسَيَّلَ الدماء على ثيابه ، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ، حتى كسر القضيب ، ثم أمر بحبسه .

(۱) الغشم : الظلم ، والمراد الشدة . (۲) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان .

(۳) جمع عريف ، وهو رئيس القوم سمى لأنه عرف بذلك أو النقيب وهو دون الرئيس .

## ٢٤ - خطبة أخرى له

ولما ضرب عبيد الله هانثاً وحبسه ، خَشِيَ أَنْ يَثِيبَ النَّاسَ بِهِ ، فَخَرَجَ فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ وَشُرَطُهُ وَحَشَمُهُ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :  
« أَمَا بَعْدَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : فَاعْتَصِمُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ أُمَّتِكُمْ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا ، وَلَا تَفَرُّوا ، فَتَهْلِكُوا وَتَذَابُوا وَتُقْتَلُوا ، وَتُنَجَّفُوا وَنُحْرَمُوا ، إِنْ أَخَاكَ مِنْ صَدَقِكَ ، وَقَدْ أَعَذَرَ مِنْ أَنْذَرٍ » .

وبلغ مسلم بن عقيل خبر ضرب هانث وحبسه ، فأمر أن ينادى في أصحابه وكان قد بايعه من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، وأقبل نحو القصر ، فتحرز فيه ابن زياد وغلق الأبواب ، وبعث إلى الأشراف فجمعهم إليه ، ثم قال : « أشرُّ فُؤَا عَلَى النَّاسِ ، فَتَمُّوا أَهْلَ الطَّاعَةِ الزِّيَادَةَ وَالْكَرَامَةَ ، وَخَوَّفُوا أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ الْحُرْمَانَ وَالْعُقُوبَةَ ، وَأَعْلَمُوهُمْ فُصُولَ<sup>(١)</sup> الْجُنُودِ مِنَ الشَّامِ إِلَيْهِمْ » .

## ٢٥ - خطبة كثير بن شهاب

فتكلم كثير بن شهاب أول الناس فقال :  
« أَيُّهَا النَّاسُ : احْتَقُوا بِأَهَالِيكُمْ ، وَلَا تَعَجَّلُوا الشَّرَّ ، وَلَا تُعَرِّضُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْقَتْلِ ، فَإِنَّ هَذِهِ جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدٍ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ الْأَمِيرَ عَهْدًا لَنْ تَمْتَمَ<sup>(٢)</sup> عَلَى حَرْبِهِ ، وَلَمْ تَنْصَرَفُوا مِنْ عَشِيَّتِكُمْ أَنْ يَحْرِمَ ذُرِّيَّتِكُمُ الْعَطَاءَ ، وَيَفَرِّقَ مُقَاتِلَتَكُمْ فِي مَغَازِي أَهْلِ الشَّامِ عَلَى غَيْرِ طَمَعٍ ، وَأَنْ يَأْخُذَ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ ، وَالشَّاهِدَ بِالْغَائِبِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ فِيكُمْ بَقِيَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا أَذَاتُهَا وَبَالَ مَا جَرَّتْ<sup>(٣)</sup> أَيْدِيهَا » .

(١) فصل من البلد فصولاً : خرج منه . (٢) يقال : تمت على الأمر ، أى استمرت عليه .

(٣) جر جريرة : اجترم جريمة .

وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا ، فلما سمع الناس مقاتلهم أخذوا يتفرقون  
وينصرفون عن ابن عقيل ، حتى أمسى وما معه إلا ثلاثون نفساً ، فخرج متوجهاً نحو  
أبواب كِنْدَةَ ، فبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه  
إنسان ، فمضى على وجهه في أزقة الكوفة ، حتى انتهى إلى باب عجوز فألها أن تؤويه  
فأوته في دارها .

### ٢٦ - خطبة عبيد الله بن زياد

ولما انقضت جموع ابن عقيل ، خرج عبيد الله بن زياد إلى المسجد ، وأمر فنودي  
« أَلَا بَرَّئَتِ الدِّمَةُ مِنْ رَجُلٍ صَلَّى الْعَتَمَةَ <sup>(١)</sup> إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ » ، فلم يكن إلا ساعة حتى  
امتلاً من الناس ، فصلى بهم ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن ابن عقيل السفية الجاهل ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق ،  
فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره ، ومن جاء به فله ديبته ، اتقوا الله عباد الله ،  
والزموا طاعتكم وبيعتمكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً .

يا حُصَيْنَ بْنَ نَمِيرٍ <sup>(٢)</sup> ، ثَكَلْتِكَ <sup>(٣)</sup> أُمِّكَ إِنْ صَاحَ <sup>(٤)</sup> بِأَبِ سِكَّةٍ مِنْ سَكِّكَ  
الكوفة ، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به ، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة ،  
فابعث مرابدة على أفواه السكك ، وأصبح غداً وأستبر الدور <sup>(٥)</sup> ، وجس خلالها ،  
حتى تأنيدي بهذا الرجل ، ثم نزل .

وأصبح ابن تلك العجوز التي آوت مسلماناً ، فدل على مكانه ، فبعث ابن زياد محمد  
ابن الأشعث في ستين أو سبعين رجلاً فأتى به ، وأمر به ، فأصعد إلى أعلى القصر ، وضرب

(١) العتمة : وقت صلاة العشاء . (٢) وكان كل شرط ابن زياد . (٣) ثكله : فقده .

(٤) صاحه يصوحه فانصاح : أى شقه فانشق ، والمراد : فتح باب سكة وهرب .

(٥) سبر الجرح وغيره واستبره : امتحن غوره .



عنقه ، فهوى رأسه إلى الأرض ، وأتبع جسده رأسه ، ثم أمر بهانى بن عروة ، فأخرج  
إلى السوق ، فضربت عنقه .

وكان مسلم حيث تحول إلى دار هانى ، كتب إلى الحسين : « إني قد بايعني من  
أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلهم معك  
ليس لهم في آل معاوية رأى ولا هوى » .

فسار الحسين من مكة ( في ٨ من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ ) متوجهاً إلى الكوفة ،  
وهو لا يعلم بحال مسلم .

# خروج الحسين إلى الكوفة

٢٧ - نصيحة ابن عباس له

ولما أجمع الحسين بن علي رضي الله عنه المسير إلى الكوفة ، أتاه عبد الله ابن عباس ، فقال : « يابن عم إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لي ما أنت صانع ؟ » قال : « إني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى » ، فقال له ابن عباس : « فإني أعيذك بالله من ذلك ، أخبرني - رحمك الله - أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم ، وضبطوا بلادهم ، ونفوا عدوهم ؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسير إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم ، وأميرهم عليهم ، قاهر لهم ، وعماله تجبي بلادهم ، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال ، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ، وأن يستدنقروا إليك ، فيكونوا أشد الناس عليك » فقال له حسين : « وإني أستخير الله وأنظر ما يكون » .

فخرج ابن عباس من عنده ، وأتاه ابن الزبير ، فحدثه ساعة ثم قال :

« ما أدري ما تر كذا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ، ونحن أبناء المهاجرين ، وولاة هذا الأمر دونهم ، خبرني ما تريد أن تصنع ؟ » فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة : ولقد كتب إلى شيعتي بها وأشراف أهاها ، وأستخير الله » فقال له ابن الزبير : « أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدت بها » ثم إنه خشي أن يتهمه فقال : « أما إنك لو أقت بالحجاز ، ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خواف عليك إن شاء الله » ثم قام فخرج من عنده . فقال الحسين : « ها ، إن هذا ليس شيء ، يؤناه من الدنيا أحب إليه من أن

أخرج من الحجاز إلى العراق ، وقد علم أنه ليس له من الأمر معى شيء ، وأن الناس لم يعدلوه<sup>(١)</sup> بي ، فوَدَّ أنى خرجت منها لتَخْلُوَ له .

فلما كان من العشيِّ أو من الغد ، أنى الحسينَ عبدُ الله بن العباس . فقال :

« يا بن عم ، إني أتصَبَّرُ ولا أصبر ، إني أتخوفُ عليك في هذه الوجه الهلاك والاستئصال ، إن أهل العراق قومٌ غُدُرٌ<sup>(٢)</sup> ، فلا تَقْرَبَنَّهُمْ ، أقم بهذا البلد ، فإنك سيد أهل الحجاز ، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا ، فاكتب إليهم فليَنفُوا عدوهم ، ثم اقدم عليهم ، فإن أبيتَ إلا أن تخرج ، فسيرَ إلى اليمن ، فإن بها حصونًا وشِعَابًا<sup>(٣)</sup> وهى أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس فى عزلة ، فتكتب إلى الناس وترسل ، وتبثُّ دُعَاكَ ، فإنى أرجو أن يأتىك عند ذلك الذى تحبُّ فى عافية .

فقال له الحسين : « يا بن عم ، إني والله لأعلم أنك ناصح مُشفق ولكنى قد أزمعت وأجمعت<sup>(٤)</sup> على المسير » فقال له ابن عباس : « فإن كنت سائرا ، فلا تَسِرْ بنسائك وصبيتك ، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتلَ عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه » ثم قال ابن عباس : « لقد أقررت عينَ ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز ، والخروج منها ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك<sup>(٥)</sup> ، والله الذى لا إله إلا هو ، لو أعلم أنك إذا أخذتُ بشعرك وناصرتك حتى يجتمع علىَّ وعلىك الناس أطعنى ، أفعلتُ ذلك » ثم خرج ابن عباس من عنده ، فمرَّ بعبد الله بن الزبير . فقال : قررت عينك يا بن الزبير ، ثم قال :

(١) أى لم يسوره . (٢) جمع غدور كصبور .

(٣) الشعب بالكسر : الطريق فى الجبل ، وما انفرج بين جبلين .

(٤) يقال : أجمعت السفر ، وأجمعت عليه ، وأزمعت السفر وعليه عزمته وثبت عليه هـى .

(٥) أى مع وجودك .

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَاكَ الْجَوْفِ بِيضِي وَاصْفِرِي  
وَنَقْرِي مَا شِدَّتِ أَنْ تُنْقَرِي<sup>(١)</sup>

هذا حسين يخرج إلى العراق ، و عليك بالحجاز .

## ٢٨ - نصيحة أبي بكر بن عبد الرحمن المخزومي له

ودخل أبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام<sup>(٢)</sup> على الحسين رضي الله

عنه . فقال :

« يا ابن عمِّ ، إن الرِّحِمَ يُظَاثِرُنِي<sup>(٣)</sup> عليك . ولا أدري كيف أنا في النصيحة لك ،

فقال : يا أبا بكر ، ما أنت بمن يُسْتَفْشُ فقال أبو بكر :

« كان أبوك أشدَّ بأساً ، والناس له أرْجى ، ومنه أَسْمَعُ ، وعليه أجمع ، فسار إلى

معاوية ، والناس مجتمعون عليه - إلا أهل الشام - وهو أعزُّ منه ، فخذلوه وتناقلوا عنه

حرصاً على الدنيا وضناً بها ، فجرَّعوه الغيظ وخالفوه ، حتى صار إلى ما صار إليه من كرامة

الله ورضوانه ، ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا ، وقد شهدت ذلك كله ورأيتهُ . ثم

(١) القبرة واحد القبر : ضرب من الطير ، ويقال القنبراء : بضم القاف والباء ، والجمع قنابر .

قال صاحب القاموس : ولا تقل قبيرة ( كقنفذة ) أو هي لغية ، وقال صاحب اللسان والصحاح : « والعامية

تقول : القنبرة وقد جاء ذلك في الرجز » وروى شاهداً عليه أنشده أبو عبيدة . والمعمر : المنزل الكثير الماء

والكلاء ، وهو مثل . وأول من قاهه طرفه بن العبد ، وذلك أنه كان مع عمه في سفر وهو صبي ، فنزلوا على

ماء ، فذهب طرفه بفخاخ له ، فنصبه للقنابر وبقي عامة يومه فلم يصد شيئاً ، ثم حمل فخه ورجع إلى عمه ،

وتحملوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن ماثرهن من الحب ، فقال ذلك ، يضرب في الحاجة يتمكن

منها صاحبها .

(٢) هو أبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي .

(٣) الرحم : القرابة ، ويظاثرني : يعطفني . يقال : ظاثرني فلان على أمر كذا ، وظاثرني وظاهرنى :

أي عطفني .

أنت تريد أن تسير إلى الذين عدوا على أبيك وأخيك ، تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ، ومن هو أعدُّ منك وأقوى ، والناس منه أخوف ، وله أرجى ، فلو بلغهم مسيرك إليهم لاستطفوا الناس بالأموال ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من أنت أحبُّ إليه ممن ينصره ، فاذا ذكر الله في نفسك .

فقال الحسين : « جزاك الله خيرا يا بن عم ، فقد أجهدك رأيك ، ومهما يقض الله يكن » فقال : « وعند الله نحمدس أبا عبد الله » .

### ٢٩ — خطبة عبيد الله بن زياد

ولما نمت إلى عبيد الله بن زياد خبر الكتاب الذي كتبه الحسين رضى الله عنه إلى أشرف البصرة يستنصرهم سعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فوالله ما تُقرن بي الصعبة ، ولا يقمق لي بالشنان<sup>(١)</sup> ، وإني لنـكـل<sup>(٢)</sup> لمن عاداني ، وسُمُّ لمن حاربني ، أنصف القارة<sup>(٣)</sup> من رامها .

يا أهل البصرة: إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة، وأنا غاد إليها الغداة؛ وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أي سفيان ، وإياكم والخلاف والإرجاف ، فوالذي لا إله غيره إن بلغني عن رجل منكم خلاف ، لأقتلنه وعريفه وولايه ، ولأخذن الأذنى بالأقصى حتى تستمعوا لي ، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق .

أنا ابن زياد ، أشبهته من بين من وطى الحصى ، ولم ينزعني شبه خال ولا ابن عم .

( تاريخ الطبرى ٦ : ٢٠٠ )

(١) القمعة : تحريك الشيء اليأس الصلب مع صوت ، والشنان : جمع شن بالفتح ، وهو القرية البالية ، وإذا قمق بالشنان للابل نفرت . وهو مثل يضرب لمن لا يروعه مالا حقيقة له .

(٢) يقال إنه لنكل شره : أى ينكل به أعداؤه . (٣) القارة : قبيلة ، وهم قوم رماة .

### ٣٠ خطبة للحسين رضى الله عنه

ولما بلغ عبيد الله بن زياد أمير الكوفة إقبال الحسين بعث الحصين بن نمير التميمي، فأمره أن ينزل القادسية، وأن يضع المسالِح<sup>(١)</sup>، وقدّم الحرّ بن يزيد التميمي بين يديه، في ألف فارس من القادسية، فيستقبل حسينا، وكان الحسين قد سبقه إلى ذى حُسم ونزل به، فسار إليه الحرّ حتى وقف هو وخيله مُقابله في حر الظّهيرة، وحضرت صلاة الظهر؛ فخرج الحسين، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس: إنها معذرةٌ إلى الله عز وجل وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدِمَت عَلَيَّ رُسُلُكُمْ أَنْ أَقْدَمَ عَلَيْنَا، فإنه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم، فإن تعطوني ما أطمئنُّ إليه من عهدكم ومواثيقكم أقدم مضرّكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم» فسكتوا عنه، ثم أقيمت الصلاة. فقال الحسين للحر: أتريد أن تصلى بأصحابك؟ قال: لا بل تصلى أنت، ونصلى بصلاتك، فصلى بهم الحسين.

### ٣١ -- خطبة أخرى له

فلما كان وقت العصر، أمر الحسين أن يتهيأوا للرحيل، ثم إنه خرج فأمر مناديه فنادى بالمصر، وصلى ثم سلم، وانصرف إلى القوم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد: أيها الناس فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله، يكن أرضى الله،

(١) المسالِح: جمع مسلحة بالفتح، وهى القوم ذور السلاح.

ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم، وقدمت به على رسلكم انصرفت عنكم .

فقال له الحر : إنا والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر ؟ فأخرج له الحسين خرّجين مملوئين صحفًا ، فنشرها بين أيديهم ، ثم سار الحسين في أصحابه والحرّ يسايره .

### ٣٢ - خطبة أخرى له

وقام الحسين رضي الله عنه بذي حُسم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
« إنه قد نزل من الأمر ما قد ترّون ، وإن الدنيا قد تغيّرت وتنكرت ، وأدبر معروفيها ، واستمرت<sup>(١)</sup> جدًّا ، فلم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترّون أن الحق لا يعملُ به ، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققًا ، فأني لا أرى الموت إلا شهادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا برّ ما<sup>(٢)</sup> » .

### ٣٣ - خطبة زهير بن القين البجلي

فقام زهير بن القين البجلي ، فقال لأصحابه : تكلمون أم أنكم ؟ قالوا : لا ، بل تكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) في كتب اللغة : « مر الشيء يمر بضم الميم وفتحها مرارة وأمر » ولم أر فيها بناء « استمر » ولا مانع منه على أن الهمزة والسين والتاء للضرورة : أي صارت مرة ، ونظيره استحجر الطين ، واستحصن المهر ( صار حصانًا ) واستعرب القوم . وفي الأمثال : « إن البغاث بأرضنا يستنسر » « كان عنزا فاستتيس » « قد استنوق الجمل » . (٢) البرم : السامة والفجر ، برم به كفرح .

« قد سمعنا (هداك الله) يا ابن رسول الله مقاتلك ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية ،  
وكننا فيها مُخَلَّدِينَ ، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك ، لآثرنا الخروج معك على الإقامة  
فيها » فدعا له الحسين ، ثم قال له خيراً .

### ٣٤ - خطبة للحسين أيضاً

وخطب الحسين أصحابه وأصحاب الأحرار بالبيضة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
« أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطاناً جائراً  
مُستَحِلاً لِحُرْمِ اللَّهِ ، ناكثاً لعهده ، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يُغَيِّرْ عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن  
يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ » ألا وإن هؤلاء قد لزمو طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا  
الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا  
أحق من غير ، وقد أتتني كتبكم ، وقدِمْتُ عَلَى رَسَلِكُمْ بِيَعْتِكُمْ أَنْكُمْ لَا تُسَلِمُونِي <sup>(١)</sup>  
وَلَا تُخَذِلُونِي ، فَإِنْ تَمَمْتُمْ عَلَى بِيَعْتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ ، وَأَنَا الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَابْنَ فَاطِمَةَ  
بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ ، وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِيكُمْ ، فَلَكُمْ فِيَّ  
أَسْوَأَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ ، وَخَلَعْتُمْ بِيَعْتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ، فَلَعَمْرِي مَا هِيَ أَلَيْسَ  
بُنُكْرٍ <sup>(٢)</sup> ؛ لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنَ عَمِّي مُسَلِّمًا ، وَالْمَغْرُورَ مِنْ اغْتِرَابِكُمْ ، فَحَفْظَكُمْ  
أَخْطَأْتُمْ ، وَنَصَبْتُمْ ضِيَعَتَكُمْ ، وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ  
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

(١) أسلمه : خذاه .

(٢) النكر بضم وبضمين : المنكر .



### ٣٥ - خطبته ليلة قتله

وسير إليه ابن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف ، فعدل الحسين إلى كربة بلاء ، وكانت بينهما مقابلات غير مجدية<sup>(١)</sup> . فنهض عمر إليه عشية الخميس ( ٩ من المحرم سنة ٦١ هـ ) فجمع الحسين أصحابه عند قرب المساء فقال :

« أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء ، وأحمدُه على السراء والضراء ، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتمنا بالنبوة ، وعلمتمنا القرآن ، وفقمتمنا في الدين ، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ، ولم تجعلنا من المشركين .

أما بعد : فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيتٍ أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عنى جميعاً خيراً إلا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً . إلا وإني قد رأيت لكم ، فانطلقوا جميعاً في حل ، ليس عليكم من ذمام ، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم ، حتى يفرج الله ، فإن القوم إنما يطلبونني ، ولو قد أصابوني لهموا عن طلب غيري . »

(١) التقى عمر بن سعد والحسين مراراً ثلاثاً أو أربعاً ، وكتب عمر بعدها إلى عبيد الله بن زياد : « أما بعد : فإن الله قد أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وأصلح أمر هذه الأمة ، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى ، أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئنا ، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفي هذا لكم رضا وللأمة صلاح » فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه نعم قد قبلت ، ولكن شمر بن ذي الجوشن ثناه عن القبول ، فكتب إلى عمر بن سعد كتاباً يقول فيه : « أما بعد ، فإني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ، ولا لتطاوله ، ولا لتمنيه السلامة والبقاء ، ولا لتقعد له عندي شافعاً ، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلما ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، فإنهم لذلك مستحقون ، فإن قتل حسين فأوط الحيل صدره وظهره فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم . »

( ٤ - جمهرة خطب العرب - ثان )

### ٣٦ - رد أهل بيته عليه

فقال له أهل بيته: « لِمَ نَفَعَلُ؟ إِنَّبَقَى بَعْدَكَ؟ لَا أَرَانَا اللَّهُ ذَلِكَ أَبَدًا » فقال الحسين: « يَا بَنِي عَقِيلِ حَسْبِكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِسَلْمٍ ، اذْهَبُوا قَدْ أَذِنَتْ لَكُمْ » قالوا: « فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ يَقُولُونَ إِنَّا تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَبَنِي عَمُومَتِنَا خَيْرَ الْأَعْمَامِ ، وَلَمْ نَرْمِ مَعَهُمْ بِسَهْمٍ ، وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُمْ بِرُمْحٍ ، وَلَمْ نَضْرِبْ مَعَهُمْ بِسَيْفٍ ، وَلَا نَدْرِي مَا صَنَعُوا ، لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ ، وَلَا كُنْ تَفْدِيكَ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلَانَا ، وَنَقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرِدَ مَوْرِدَكَ ، فَتُبْحِثَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ » .

### ٣٧ رد أصحابه

وقام إليه مسلم بن عَوْسَجَةَ الْأَسَدِي فَقَالَ :  
« أَنَحْنُ نُخَلِّي عَنْكَ وَمَا نَعُذِرُ إِلَى اللَّهِ فِي آدَاءِ حَقِّكَ؟ أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى أَكْبِيرَ فِي صَدُورِهِمْ رِجْحِي ، وَأَضْرِبَهُمْ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَلَا أَفَارِقُكَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ سِلَاحٌ أَقَاتِلُهُمْ بِهِ ، لَقَذَفْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ دُونَكَ حَتَّى أُوتِ مَعَكَ » .  
وقال سعد بن عبد الله الْحَنْفِيُّ : « وَاللَّهِ لَا نُخَلِّيكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّا قَدْ حَفِظْنَا غَيْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكَ ، وَاللَّهُ لَوْ عَلِمَتْ أَنِي أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُحْرَقُ حَيًّا ، ثُمَّ أُذَرَّ ، يُفَعَّلُ ذَلِكَ بِي سَبْعِينَ مَرَّةً ، مَا فَارَقْتُكَ حَتَّى أَلْقَى رِجَامِي دُونَكَ ، فَكَيْفَ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هِيَ قِتْلَةٌ وَاحِدَةٌ ، ثُمَّ هِيَ الْكِرَامَةُ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا » .  
وقال زهير بن القين : « وَاللَّهُ لَوْ دِدْتُ أُنِي قُتِلْتُ ، ثُمَّ نُشِرْتُ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ قُتِلْتُ حَتَّى أَقْتُلَ كَذَا أَلْفَ قِتْلَةٍ ، وَأَنْ اللَّهُ يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَعَنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ » .

(١) حِيَّتْ بَدَلَتْ مَوْتِي .

وتكلم جماعة أصحابه بكلام يُشبه بعضه بعضاً في وجه واحد ، فقالوا : « والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء ، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا ، فإذا نحن قُتلنا كنا وفينا ، وقضينا ما علينا » .

### ٣٨ - خطبته غداة يوم قتله

وخطب الحسين غداة اليوم الذي استشهد فيه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
« يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فإن الدنيا لو بقيت على أحد ، أو بقي عليها أحد ، لكانت الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، وأرضى بالقضاء ، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجددوها بالبر ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر ، والمنزل تلعة<sup>(١)</sup> ، والدار قلعة<sup>(٢)</sup> ، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

### ٣٩ - دَعَاؤُهُ وَقَدْ صَبَّحَتْهُ الْخَيْلُ

ولما صبَّحته الخيل رفع يديه فقال :

« اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لي في كل أمرٍ نزل بي ثقةً وعدةً ، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحياة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، أنزاته بك ، وشكوته إليك ، رغبةً مني إليك عن سواك ، ففرجتَه وكشفتَه ، فأنت وليُّ كلِّ نعمة ، وصاحبُ كلِّ حسنة ، ومنتهى كلِّ رغبة » .

(١) التلعة : مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض ، والنزول بالتلعة مخوف ، لأن من نزلها فهو على خطر إن جاء السيل جرفه . (٢) الدنيا دار قلعة : أي انقلاع ، وهو على قلعة أي رحلة ، ومنزلنا منزل قلعة أي ليس بمستوطن ، أو لا تملكه أو لا ندرى متى نتحول عنه .

## ۴۰ - خطبته وقد دنا منه القوم

ولما دنا منه القوم دعا براجلته فركبها ، ثم نادى بأعلى صوته :

« أيها الناس : اسمعوا قولي ، ولا تُعجلوني حتى أعظكم ، بما لحق لكم علي ،  
وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم ، فإن قبيلتم عذري ، وصدقتم قولي ، وأعطيتموني  
النصف ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وإن لم تقبلوا مني العذر ، ولم  
تعطوا النصف من أنفسكم . فأجمعوا أمركم وشرّكاءكم ، ثم لا يكن أمركم  
عليكم غمّة ، ثم أفضوا إلي ولا تنظرون - إن وائي الله الذي نزل الكتاب  
وهو يتولّى الصالحين » .

فلما سمع أخواته كلامه هذا صحن وبكين وبكى بناته ، فارتفعت أصواتهن ، فأرسل  
إليهن أخاه العباس بن علي وعلياً ابنيه ، وقال لهما : أسيكتاهن ، فلعمرى لبيكثرن  
بكاؤهن

## ۴۱ - خطبة أخرى

فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه ، وذكر الله بما هو أهله ، وصلى على محمد صلى الله عليه  
وعلى ملائكته وأنبيائه ، ثم قال :

« أما بعد : فانسبوني فانظروا من أنا ؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، فانظروا  
هل يحل لكم قتلي ، وانتهاك حرمتي ؟ ألسنتُ ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وسلم وابن  
وصيه ، وابن عمي ، وأول المؤمنين بالله ، والمصدق لرسوله بما جاء به من عند الله ؟  
أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجفاحين عمي ؟  
أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولأخي :

هذان سيذا شباب أهل الجنة ؟ فإن صدقتموني بما أقول - وهو الحق - والله ما تعمّدت كذباً مذعلت أن الله يمقت عليه أهله ، وَيَضُرُّ بِهِ مِنْ اخْتِلاقِهِ ، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم . سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، أو أبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي ، أو زيد بن أرقم ، أو أنس بن مالك ، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ولأخي ، أفما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي ؟ » .

ثم قال : « فإن كنتم في شك من هذا القول ، أفنشكون أثراً<sup>(١)</sup> ما أنى ابن بنت نبيكم ؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ، ولا من غيركم ، أنا ابن بنت نبيكم خاصة ، أخبروني أتطلبونني بقتيل منكم قتلته ، أو مال لكم استهلكته ؟ أو بقصاص من جراحة ؟ »

فأخذوا لا يكلمونه ، فنادى يا شبت بن ربيعي ، ويا حجار بن أبحر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلي أن قد أيفعت الثمار ، واخضر الجناب ، وطمت الجمام ، وإنما تقدم على جندك مجند ، فأقبل ؟ قالوا لم نفعل ، فقال : سبحان الله بلى ، والله لقد فعلتم ، ثم قال : « أيها الناس : إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمنى من الأرض » . فقال له قيس بن الأشعث : أولاً تنزل على حكم بني عمك ؟ فإنهم لن يرؤوك إلا ماتحِبُّ ، ولن يصل إليك منهم مكروه . فقال له الحسين : « أنت أخو أخيك ، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفر إقرار العبيد ، عباد الله ، إني عذتُ برَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرُجُونِ ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ » ، فأقبلوا يزحفون نحوه .

(١) أثراً منصوب على نزع الخافض ، أي أفنشكون في أثر ، وما زائدة ، وأنى ابن بنت نبيكم

يدل من أثراً .

## ٤٢ - خطبة زهير بن القين

فلما زحفوا قبّله خرج إليهم زهير بن القين على فرس له ذنوب<sup>(١)</sup> شاك<sup>(٢)</sup>

في السلاح فقال :

« يا أهل الكوفة ، نذاري لكم من عذاب الله نذاري ، إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد ، وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منا أهل ، فإذا وقع السيف انقطعت العِصمة<sup>(٣)</sup> ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصرهم ، وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء ، عُمرَ سلطانهما كله ، لَيْسْمُلَانِ أَعْيُنِكُمْ<sup>(٤)</sup> ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم وَيُمَثِّلَانِ بِكُمْ ، ويرفمانكم على جذوع النخل ، ويقتلان أمثالكم وقراءكم ؛ أمثال حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ<sup>(٥)</sup> وأصحابه ، وهاني بن عروة وأشباهاه . »

(١) الذنوب : الفرس الوافر الذنب . (٢) يقال رجل شاك السلاح وشاك في السلاح ( بتشديد الكاف فيهما ) وهو اللابس السلاح التام ، من شك في السلاح أي دخل ، شك فيه ( كرد ) شكاً أي لبسه تاماً فلم يدع منه شيئاً ، ويقال : رجل شائك السلاح ، وشاكي السلاح ، وشاك في السلاح ( كراض ) وهو ذر الشوكة والحد في سلاحه ، والشائك : من شك الرجل يشاك شوكا ( كنام نوما ) أي ظهرت شوكة وحدته - والشوكة : حدة السلاح - والشاكي مقلوب من شائك ، ويقال أيضا رجل شاك السلاح ( بضم الكاف ) فإن أردت معنى فاعل قلت شك ( كراض ) وإن أردت معنى فعل ( كفرح ) قلت شك ( بضم الكاف ) وهو مثل جرف هار ( كراض ) وهار ( كنار ) كما يقال رجل مال ونال ( بالضم ) من المال والنوال وإنما هو مائل ونائل . (٣) العِصمة : القلادة ، أي تفرقت وحدتنا ، وانفرط عقد جماعتنا .

(٤) سمل عينه : فقأها بجديدة محماة .

(٥) هو حجر بن عدى بن جبلة الكندي من كبار الشيعة بالكوفة ، وذلك أن زياد بن أبيه لما جمعت له الكوفة والبصرة بلغه أن حجرا يجتمع إليه الشيعة ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، فكتب إلى معاوية في أمره فكتب إليه معاوية أن شده في الحديد ثم أحمله إلى ، فشده في الحديد وحمل إلى معاوية ، وأشهد عليه شهردا =

فسبّوه وأثنوا على عبید الله بن زیاد ، ودعّوا له ، وقالوا : والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبید الله سلماً .

فقال لهم : « عباد الله ، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سُمَيَّة ، فإن لم تنصروهم ، فأعيدكم بالله أن تقتلوهم ، فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، فلعمرى إن يزيداً ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين » .

فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال : « اسكت ، أسكت الله نأمتك <sup>(١)</sup> ، أبرمتنا بكثرة كلامك » فقال له زهير : « يا ابن البوّال على عقبيه ، ما إياك أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكّم من كتاب الله آيتين ، فأبشّر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم » فقال له شمر : « إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة » قال : « أفبالموت تخوّفنى ؟ فوالله للموت معه أحبُّ إلى من الخلد معكم » .

ثم أقبل على الناس رافعاً صوته فقال : « عباد الله ، لا يفرّ منكم من دينكم هذا الجلف الجاني وأشباهه ، فوالله لا تنال شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم قومًا هراقوا دماء ذريته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم ، وذبّ عن حريمهم » .

فناداه رجل فقال له : « إن أبا عبد الله يقول : « أفبيل ، فلعمرى إن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه ، وأبغ في الدعاء ، لقد نصحت لهؤلاء ، وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ » .

---

= أنه خلع العاطة ، وفارق الجماعة : ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعو إلى نكث البيعة وخلع معاوية ، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ، وحمل معه كبار أصحابه ، فكانوا أربعة عشر رجلاً ، فلما قدموا على معاوية شفع في بعضهم فخلّى سبيلهم ، وقال رسول معاوية للباقيين إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من على واللعن له ، فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، فأبرهوا من هذا الرجل نخل سبيلكم ، فأبوا وقالوا بل نتولاه وننبرأ من تبرأ منه ، فقتلوا وقتل حجر وستة معه ، وكان ذلك سنة ٥١ هـ . (١) النامة : الصوت .

### ٤٣ - خطبة الحر بن يزيد

ولما زحف عمر بن سعد قال له الحر بن يزيد : « أصلحك الله : مقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : « إي والله قتالا أيسرُهُ أن تسقط الرؤوس ، وتطيح الأيدي » قال : « أما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا ؟ » قال عمر : « أما والله لو كان الأمر إلى لفعت ، ولكن أميرك قد أبى ذلك » .

ثم ضرب الحر فرسه ، ولحق بالحسين عليه السلام وانحاز إليه ، واستقدم أمام أصحابه ثم قال :

« أيها القوم : ألا تقبلون من حسين خصلةً من هذه الخصال التي عرض عليكم ، فيعافيك الله من حربته وقتاله ؟ قالوا : هذا الأمير عمر بن سعد فكلمه ، فكلمه بمثل ما كلمه به من قبل ، وبمثل ما كلم به أصحابه » فقال عمر : « قد حصت لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت » .

فقال : « يا أهل الكوفة : لا تُمِّمُكم الهبلَ وَالْعَبْرَ<sup>(١)</sup> إذ دعوتموه ، حتى إذا أتاكم أصلتموه<sup>(٢)</sup> ، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، أمسكتكم بِنَفْسِهِ ، وأخذتم بكظمه<sup>(٣)</sup> ، وأحطتم به من كل جانب . فمنعتموه التوجهَ في بلاد الله العريضة ، حتى يأمن ويأمن أهل بيته ، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ، ولا يدفع ضرا ، وحلأتموه<sup>(٤)</sup> ونساءه<sup>(٥)</sup> وأصيببته<sup>(٥)</sup> وأصحابه عن ماء الفرات الجاري ،

(١) الهبل : الشكل ، هبلت أمه : كفرح ثكلت وفقدته ، والعبير والعبير (كسبب وقفل) سخنة في العين

تبيكها ، عبرت العين كفرح جرى دمعها ، يقال لأمه الهبل ، ولأمه العبر ، والعبير : دعاء عليه .

(٢) خذلتموه . (٣) الكظم : مخرج النفس . (٤) حلاؤه عن الماء تحليثا وتحلته : طرده ومنعه .

(٥) مصفر صبغة على غير قياس .



الذى يشربه اليهودى والمجوسى والنصرانى ، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه ، وهام  
قد صرعهم العطش ، بئسما خلفتم محمدا فى ذريته ، لأسقام الله يوم الظما إن لم تتوبوا ،  
وتنزعوا عما أنتم عليه ، من يومكم هذا ، فى ساعةكم هذه .

ثم نشب القتال بين الفريقين ، واستمات أصحاب الحسين فى القتال حتى فنوا ، وقتل  
الحسين رضوان الله عليه . قتله سينان بن أنس ( وكان قتله بالطف<sup>(٦)</sup> يوم عاشوراء  
سنة ٦١ هـ ) وأمر ابن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين ، فوطئوه بخيلهم ، ثم حمل  
النساء ورأسه إلى يزيد بن معاوية بدمشق .

( تاريخ الطبرى ٦ : ١٨٨ إلى ٢٧٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٨٦ ، وزهر الآداب ١ : ٧١ ) .

(٦) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية ، وقال عبد الله بن الأحمر من قصيدة :

فأضحى « حسين » لرماح دريثة      وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا  
فيا ليتنى إذ ذاك كنت شهادته      فصاربت عنه الشانين الأعاديا  
سقى الله قبرا ضمن المجد والنقى      بغربية الطف الغمام الغواديا

# طلب التوابين بدم الحسين

رضى الله عنه

وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة ، واتعدوا الاجتماع بالنخيلة للمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وذلك أنهم بعد مقتله تلاقوا بالتلاوم والتندم ، ورأوا أنهم قد أخطئوا خطأ كبيراً بدعائهم إياه إلى النصره وتركهم إجابته ، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه ، ورأوا أنه لا يُغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله أو القتل فيه وتابوا مما فرط منهم في ذلك « فسموا التوابين » وفزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رءوس الشيعة : إلى سليمان بن صرد الخزاعي ، وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلى المسيب بن نجبة الفزاري ، وإلى عبدالله بن سعد ابن نفيل الأزدي ، وإلى عبد الله بن وال التيمي ، وإلى رفاعه بن شداد البجلي ، ثم إن هؤلاء النفر اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد ، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ورجوهم ، فبدأ المسيب بن نجبة بالكلام فتكلم :

## ٤٤ - خطبة المسيب بن نجبة الفزاري

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد فإننا قد ابتلينا بطول العمر ، والتعرض لأنواع الفتن ، فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غدا : ( أولم نعوذكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ) فإن أمير المؤمنين قال : « العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة » وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، وقد كنا مغرمين بنزكية أنفسنا ، وتقر يظ شيعتنا ، حتى

بلا الله أختيارنا ، فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه ، وقدمت علينا رسله ، وأعذر إلينا يسألنا نصره عوداً وبدءاً ، وعلانية وسراً ، فبخلنا عنه بأنفسنا ، حتى قتل إلى جانبنا ، لأنحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بالسنتنا ، ولا قويناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النصره إلى عشائرننا ؛ فما عذرنا إلى ربنا ، وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله ، لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه ، أو تقتلوا في طلب ذلك ؛ فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك ؛ وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن ، أيها القوم ولوا عليكم رجلا منكم ، فإنه لا بد لكم من أمير تفرعون إليه ، ورأية تحفون بها ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم .

فبدر<sup>(١)</sup> القوم رفاة بن شداد بعد المسيب الكلام .

### ٤٥ - خطبة رفاة بن شداد

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :  
 « أما بعد : فإن الله قد هداك لأصوب القول ، ودعوت إلى أرشد الأمور ، بدأت بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فسموع منك ، مستجاب لك ، مقبول قولك : قلت ولوا أمركم رجلا منكم تفرعون إليه ، وتحفون برأيه ، وذلك رأى ، قد رأينا مثل الذى رأيت ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرصيا ، وفينا متفصحا ، وفي جماعتنا محبا ، وإن رأيت ( ورأى أصحابنا ذلك ) ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذا السابقة والقدم سايمان بن صرد ، المحمود فى بأسه ودينه ، والوثوق بحزمه ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . »

(١) سجل واستبق .

ثم تكلم عبد الله بن والي ، وعبد الله بن سعد ، فحمدآ ربهما وأثنيا عليه ، وتكلموا  
بنحو من كلام رفاعة بن شداد ، فذكر المسيب بن نجبة بفضله ، وذكر سليمان  
ابن سرد بسابقتهم ورضاهما بتوليتهما ، فقال المسيب بن نجبة : « أصبتم ووفقتم ، وأنا أرى  
مثل الذي رأيتم ، فولوا أمركم سليمان بن سرد » .

### ٤٦ - خطبة سليمان بن سرد

قال حميد بن مسلم : والله إني لشاهد بهذا اليوم يوم وآوا سليمان بن سرد<sup>(١)</sup> وأنا  
يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجوههم في داره ، قال : فتكلم سليمان  
فشدد ، وما زال يردد ذلك القول في كل جمعة حتى حفظته ، بدأ فقال :  
« أثنى على الله خيراً ، وأحمد آلاءه وبلاءه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً  
رسول الله ، أما بعد : فإني والله لخائف ألا يكون آخرنا إلى هذا الدهر ( الذي نكبت  
فيه المعيشة ، وعظمت فيه الرزية ، وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة ) لما هو  
خير ، إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ، ونتمنيهم النصر ، ونحتمهم على القدوم ؛  
فلما قدموا ونيدنا وعجزنا وأذهنا وتربصنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولدينا  
ولد نبينا وسلالته وعصارتة وبضعة<sup>(٢)</sup> من لحمه ودمه ، إذ جعل يستصرخ ويبسأل  
النصف<sup>(٣)</sup> فلا يعطاه ، انخذه الفاسقون غرضاً للنبل ، ودربة<sup>(٤)</sup> للرماح ، حتى أقصدوه<sup>(٥)</sup>  
وعدوا عليه فسلبوه ، ألا انهضوا فقد سخط ربكم ، ولا ترجعوا إلى الحلائل<sup>(٦)</sup> والأبناء  
حتى يرضى الله ، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله أو تبيروا<sup>(٧)</sup> ، إلا لاتبأوا

(١) وقد سمي أمير التوابين . (٢) البضعة بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم .

(٣) الإنصاف . (٤) مهمل عن دريثة ، والدريثة : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

(٥) أقصد السهم : أصاب فقتل مكانه ، وأقصد فلانا : طعنه فلم يخطئه .

(٦) جمع حلمة : وهي الزوجة . (٧) بار يبور بوارا : هلك . وأباره أهلكه ، أي تهلكتوا أنفسكم .

الموت ، فوالله ما هابه امرؤ قطُّ إلا ذلّ ، كونوا كالأولى من بنى إسرائيل إذ قال لهم نبيهم « إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم » فما فعل القوم ؟ جنّوا على الركب والله ، ومدّوا الأعناق ، ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعيتم إلى مثل ما دعى القوم إليه ؟ اشحذوا السيوف ، وركبوا الأسنة « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل <sup>(١)</sup> » حتى تدعوا وتسندنفرُوا .

#### ٤٧ - خطبة خالد بن سعد بن نفيل

فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال : « أما أنا فوالله لو أعلم أن قتلى نفسي يُخرجنى من ذنبي ، ويرضى عني ربي لقاتلها ، ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونهينا عنه ، فأشهد الله ومن حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أمليكه سوى سلاحى الذى أقاتل به عدوى صدقة على المسلمين أقوىهم به على قتال القاسطين <sup>(٢)</sup> . »

وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكنانى ، فقال : « وأنا أشهدكم على مثل ذلك » فقال سليمان بن صرد : « حسبكم ، من أراد من هذا شيئاً فليأت بماله عبد الله بن وال التيمى تيم بكر بن وائل ، فإذا اجتمع عنده كل ما تريدون إخراجه من أموالكم ، جهزنا به ذرى الخلة <sup>(٣)</sup> والمسكنة من أشياعكم . »

(١) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول ، أو مصدر سمي به كالمربطة ، أو جمع ربيط  
نفيل بمعنى مفعول . (٢) الجائرين ، قسط كجلس قسوطاً : جار وعدل عن الحق .  
(٣) الخلة : الحاجة والفقر ، وفى المثل : « الخلة تدعو إلى السلة » بفتح السين أى إلى الاستلال والسرقة .

## ٤٨ - خطبة سعد بن حذيفة بن اليمان

وكتب سليمان بن سرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمداين كتاباً يستنهض فيه همم إخوانه هنالك ، ويدعوهم أن يجتهدوا ويستعدوا ، وضرب لهم غرة ربيع الآخر سنة ٦٥ أجلاً يلقونه فيه ، والنخيلة موطناً يوافونه إليه ، فبعث سعد إلى من كان بالمداين من الشيعة ، فقرأ عليهم كتاب سليمان بن سرد ، ثم إنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإنكم قد كنتم مجتمعين مُزْمَعِينَ على نصر الحسين ، وقتالِ عدوه ، فلم يَفْجَأْكم أولُ من قتله ، والله مُثِيبُكم على حُسن النية ، وما أجمعتم عليه من النصر أحسنَ المَثُوبَةِ ، وقد بعث إليكم إخوانكم يستنجدونكم ويستمدونكم ، ويدعونكم إلى الحق وإلى ما ترجون لكم به عند الله أفضلَ الأجر والحظ ، فماذا ترون ؟ وماذا تقولون ؟ » .

فقال القوم بأجمعهم : « نجيبهم ونقاتل معهم ، ورأينا في ذلك مثل رأيهم » .

## ٤٩ - خطبة عبد الله بن الحنظل الطائي

فقام عبد الله بن الحنظل الطائي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فإننا قد أجبنا إخواننا إلى مادَعُونَا إليه ، وقد رأينا مثل الذي قد رأوا ، فسَرَّحْنِي إليهم في الخيل » .

فقال له : « رويدا لاتعجل ، استعدوا للعدو ، وأعدوا له الحرب ، ثم نسير ونسيرون » وكتب سعد إلى ابن سرد بإجابة دعوته ، وأنهم في انتظار أمره .

## ٥٠ - خطبة عبيد الله بن عبد الله المري

وحدث رجل من مُزينة قال : « ما رأيت من هذه الأمة أحداً كان أبغ من عبيد الله بن عبد الله المرّي في منطق ولا عِظة ، وكان من دُعاة أهل مصر زمان سليمان ابن سرد ، وكان إذا اجتمعت إليه جماعة من الناس فوعظهم ، بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول :

أما بعد : فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته ، وخصه بالفضل كله ، وأعزكم باتباعه ، وأكرمكم بالإيمان به ، فحقن به دماءكم المسفوكة ، وآمن به سبلكم المخوفة : « وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا<sup>(١)</sup> حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » فهل خلق ربكم في الأولين والآخريين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبيها ؟ وهل ذرية أحد من النبيين والرسالين أو غيرهم أعظم حقاً على هذه الأمة من ذرية رسولها ؟ لا والله ما كان ولا يكون ، الله أنتم ! ألم ترؤا ويبلغكم ما أُجْتَرِم<sup>(٢)</sup> إلى ابن بنت نبيكم ؟ أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمة ، واستضعافهم وخذتته ، ورمىهم<sup>(٣)</sup> إياه بالدم ، وتجرأ رهموه على الأرض ؟ لم يراقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم ! اتخذوه للنبل غرضاً ، وغادروه للضباع جزراً<sup>(٤)</sup> ، فله عينا من رأى مثله ! والله حسين بن علي ! ماذا غادروا به ؟ ذا صدق وصبر ، وذا أمانة ونجدة وحزم ، ابن أول المسلمين إسلاماً ، وابن بنت رسول رب العالمين ، قلتُ حمانته ، وكثرتُ عداته<sup>(٥)</sup> حوله ، فقتله عدوه وخذله وليه ، فويل للقاتل ، وملامة للخاذل ، إن الله لم يجعل لقاتله حجةً ، ولا لخاذله معذرةً ، إلا أن يُنصح لله في التوبة ، فيجاهد القاتلين ، وينابذ القاسطين ، فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويُقبل العثرة

(١) الشفا : حرف كل شيء . (٢) ارتكب واقترف . (٣) رمه : اطحه بالدم .

(٤) قطعاً . (٥) العداة : جمع عاد ، وهو العدو .

إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته ، وإلى جهاد المُجَلِّين  
والمارقين ، فَإِنْ قُتِلْنَا فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ، وَإِنْ ظَهَرْنَا رَدَدْنَا هَذَا الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِ  
بَيْتِ نَبِيِّنَا .

قال : « وكان يعيد هذا الكلام علينا في كل يوم حتى حفظه عامتنا » .

\* \* \*

وكان الشيعة بالكوفة منذ قتل الحسين رضى الله عنه ( سنة ٦١ هـ ) يَجِدُونَ في جمع  
آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس في السر من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدمه  
حتى كثر تبعمهم ، وكان الناس إلى أتباعهم بعد هلاك يزيد بن معاوية ( في ١٤ ربيع الأول  
سنة ٦٤ هـ ) أسرع منهم قبل ذلك .

وقدم المختار بن أنى عبید النقفى الكوفة في النصف من رمضان سنة ٦٤ ، وقد  
اجتمعت رؤوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن سرد ، فليس يعدلونه به ، فكان  
المختار إذا دعاهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين ، قالت له الشيعة : « هذا سليمان  
ابن سرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه » فأخذ يقول للشيعة : « إني قد  
جئتكم من قبيل المهدي محمد بن على ( ابن الحنفية ) مؤمناً مأموناً ، مُنْتَجِباً<sup>(١)</sup>  
ووزيراً » فزال بهم حتى انشعبت إليه طائفة تُعْظَمُهُ وتُجِيبُهُ وتُنْتَظِرُ أمره ، وَعُظْمُ  
الشيعة مع سليمان بن سرد .

وقدم عبد الله بن يزيد الأنصارى من قبيل عبد الله بن الزبير أميراً على الكوفة على  
حربها وثغرها ، وقدم معه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبید الله التيمي أميراً على خراجها  
( وذلك بعد مقدّم المختار بثمانية أيام ) وكان سليمان بن سرد وأصحابه يريدون أن يذبوا  
بالكوفة ، ونمى إلى عبد الله بن يزيد اعتزام الشيعة الخروج ، فخرج حتى صعد المنبر ثم  
قام في الناس .

(١) المتجب : المختار .



## ٥١ - خطبة عبد الله بن يزيد الأنصاري

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فقد بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو ؟ فقيل لي زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن عليّ ، فرحم الله هؤلاء القوم ، قد والله دُلِّتُ على أماكنهم ، وأمرت بأخذهم ، وقيل ابدأهم قبل أن يبدؤوك ، فأبيت ذلك ، فقلت إن قاتلوني قاتلتهم ، وإن تركوني لم أطلبهم ، وعلاّم يقاتلونني ؟ فوالله ما أنا قتلت حسيناً ولا أنا من قاتله ، واقد أصبْتُ بمقتله رحمة الله عليه ، فإن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ، لِيَسِيرُوا إلى من قاتل الحسين فقد أقبل إليهم ، وأنا لهم على قاتله ظهير<sup>(١)</sup> ، هذا ابن زياد قاتلُ الحسين وقاتلُ خياركم وأمائلكم ، قد توجه إليكم عهدُ العاهد به<sup>(٢)</sup> على مسيرة ليلةٍ من جسر منبج<sup>(٣)</sup> ، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، فيقتل بعضكم بعضاً ، ويسفك بعضكم دماء بعض ، فيأقاكم ذلك العدو غداً وقد رَقَقْتُمْ<sup>(٤)</sup> ، وتلك والله أمنيةٌ عدوكم ، وإنه قد أقبل إليكم أعدى خلقِ الله لكم ، مَنْ وُلِيَ عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يُقْلِعَان عن قتل أهل العفاف والدين ، هو الذي قتلكم ، ومن قبله أتيتم ، والذي

(١) معين . (٢) وذلك أن عبدة الله بن زياد لما هاجت الفتنة بالبصرة بعد وفاة معاوية الثاني (سنة ٦٤ هـ) لحق بالشام ، وكان مروان بن الحكم قد أراد أن يبايع ابن الزبير لما رأى من إطباق الناس على مبايعته وإجابته له ، وبلغ ابن زياد ذلك ، فقال له : استحيت لك عما تريد ، أنت كبير قریش وسيدها تصنع ماتصنعه ! وشد من عزمته حتى نهض في طلب الخلافة وتمت له فبويع بها ، فلما استوثقت له الشام بالطاعة بعث جيشاً إلى العراق عليه ابن زياد ، وجعل له حين وجهه إلى العراق ماغلب عليه ، وأمره أن ينهب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً . (٣) بين حلب والفرات . (٤) ضعفتم .

قتل من تشأرون بدمه قد جاءكم ، فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم ، واجعلوها به ولا تجعلوها بأنفسكم ، إني لم آلكم نصحا<sup>(١)</sup> ، جمع الله لنا كلمتنا ، وأصلح لنا أمتنا .

## ٥٢ - خطبة إبراهيم بن محمد بن طلحة<sup>(٢)</sup>

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة :

« أيها الناس : لا يفرّزكم من السيف والغشم<sup>(٣)</sup> مقالة هذا المداهن الموادع ؛ والله لئن خرج علينا خارج لقتلناه ، ولئن استيقننا أن قوما يريدون الخروج علينا ، لناخذن الوالد بولده ، والمولود بوالده ، ولناخذن الحميم<sup>(٤)</sup> بالحميم ، والعريف<sup>(٥)</sup> بما في عرافته ، حتى يدينوا للحق ، ويذأوا للطاعة . »

## ٥٣ - رد المسيب بن نجبة

فوثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ، ثم قال :

« يا بن النا كمين<sup>(٦)</sup> : أنت تهددنا بسيفك وغشمك ؟ أنت والله أذل من ذلك ، إنا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك<sup>(٧)</sup> وجدك ، والله إني لأرجو أن لا يخرجك الله من بين ظهراني أهل المصر حتى يثلثوا بك جدك وأباك ، وأما أنت أيها الأمير ، فقد

(١) أي لم أفصر في نصحتكم . (٢) مات سنة عشر ومائة عن أربع وسبعين سنة ، وكان يسمى أسد قريش .

(٣) الظلم ، والمراد هنا القوة والأخذ بالشدة . (٤) حميمك : قريبك الذي تهتم لأمره .

(٥) العريف : رئيس القوم ، سمي لأنه عرف بذلك ، أو للنقيب ، وهو دون الرئيس ، عرف

ككرم وضرب عرافة صار عريفا . (٦) يشير إلى ما كان من جده طلحة بن عبيد الله إذ بايع الإمام

علياً ثم فكث بيعته ، وقد اعتذر عن ذلك بأنه بايع والسيف على عنقه . (٧) قتل محمد بن طلحة يوم

الجمل مع أبيه ومر به على ، فقال هذا رجل قتله بره بأبيه وطاعته .

قلت قولا سديدا ، إني والله لأظن من يريد هذا الأمر<sup>(١)</sup> ، مستنصحا لك ،  
وقابلا قولك .

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : « إني والله ليقْتَنان وقد أذهنَ ثم أعلن » .

### ٥٤ - رد عبد الله بن وال التيمي

فقام إليه عبد الله بن وال التيمي ، فقال :

« ما اعتراضك يا أخا بني تميم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا؟ فوالله ما أنت علينا بأمير ،  
ولا لك علينا سلطان ! إنما أنت أمير الجزية ، فأقبل على خراجك ، فلعمر الله لئن كنت  
مفسدا ، ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدك الناكثان ، فكانت بهما اليَدان<sup>(٢)</sup>  
وكانت عليهما دائرة السوء » .

ثم أقبل المسيب بن نجبة ، وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا :

« أما رأيك أيها الأمير فوالله إنا نرجو أن تكون به عند العامة محمودا ، وأن تكون  
عند الذي عنيت واعتريت مقبولا » .

ثم نزل عبد الله بن يزيد ودخل .

فلما استهلّ هلال ربيع الآخر سنة ٦٥ شَخَصَ سليمان بن صرد في وجوه أصحابه ،  
وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمسكر بالنخيلة ، وأقام بها ثلاثا يبعث  
ثقاته من أصحابه إلى من تخلف عنه يذكرهم الله وما أعطوه من أنفسهم ، فقام إليه المسيب  
ابن نجبة ، فقال : « رحمك الله إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته

(١) أي الطلب بدم الحسين رضي الله عنه . (٢) تقول العرب : كانت به اليدان ، أي فعل الله به مايقوله لي ، ومرقوم من الحوارج بقوم من أصحاب علي وهم يدعون عليهم ، فقالوا : بكم اليدان أي حاق بكم ما تدعون به وتبسطون أيديكم .

النية ، فلا تنتظرن أحدا ، واكش<sup>(١)</sup> في أمرك « قال : « فإنك والله لنعيمًا رأيت » فقام سليمان بن سرد في الناس متوكئًا على قوس له عريمة فقال :

### ٥٥ - خطبة سليمان بن سرد

« أيها الناس : من كان إنما أخرجته إرادة وجه الله وثواب الآخرة ، فذلك منا ونحن منه ، فرحة الله عليه حيا وميتًا . ومن كان إنما يريد الدنيا وحزنها<sup>(٢)</sup> ، فوالله ما نأتى فيئنا نستفيئته ، ولا غنيمة نغنمها ، ما خلا رضوان الله رب العالمين ، وما معنا من ذهب ولا فضة ، ولا خز ولا حرير ، وما هو إلا سيوفنا في عواتقنا ، ورماحنا في أكفنا ، وزاد قدر البلغة<sup>(٣)</sup> إلى لقاء عدونا ، فمن كان غير هذا ينوى فلا يصحبنا » .

### ٥٦ - خطبة صخير بن حذيفة بن هلال

فقام صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني فقال :

« آتاك الله رشداً ، ولقائك حجتك ، والله الذي لا إله غيره مالنا خير في حجة من الدنيا همتته ونيته . أيها الناس : إنما أخرجتنا التوبة من ذنوبنا والطلب بدم ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ليس معنا دينار ولا درهم ، إنما نقدم على حد السيوف وأطراف الرماح »

فتنادى الناس من كل جانب : « إنا لانطلب الدنيا وليس لها خرجنا » .

### ٥٧ - ما أشار به عبد الله بن سعد

وكان الرأي بادي الأمر أن يسيروا إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له عبد الله بن سعد ، وعنده رؤوس أصحابه جلوس حوله :

(١) أسرع ، كش ككرم كاشة فهو كش (كشهم) وكيش ، أى سريع .

(٢) أى كسبها ومتاعها . (٣) ما يبلغ به .

« إني قد رأيت رأياً ، إن يكن صواباً فالله وفق ، وإن يكن ليس بصواب فمن قبلي ، فإني ما آلوكم ونفسي نصحاً ، خطأً كان أم صواباً ، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين وقبلة الحسين كلهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، ورءوس الأرباع<sup>(١)</sup> وأشرف القبائل ، فأني نذهب هاهنا وندع الأقتال والأوتار<sup>(٢)</sup> ؟ » .

فقال سليمان بن سرد : فماذا ترون ؟ فقالوا : « والله لقد جاء برأى ، وإن ما ذكر لكما ذكر ، والله ما نلتقي من قتلة الحسين - إن نحن مضينا نحو الشام - غير ابن زياد ، وما طلبتنا إلا هاهنا بالمصر » .

## ٥٨ - رأى ابن سرد

فقال سليمان بن سرد : « لكن أنا ما أرى ذلك لكم ، إن الذي قتل صاحبكم ، ومبى الجنود إليه ، وقال لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكى ، هذا الفاسق ابن الفاسق ، ابن مرّجانة ، عبيد الله بن زياد ، فسيروا إلى عدوكم على اسم الله ، فإن يظهركم الله عليه ، رجونا أن يكون من بعده أهون شوكة منه ، ورجونا أن يدين لكم من وراءكم من أهل مصركم في عافية ، فتنظرون إلى كل من شريك في دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا<sup>(٣)</sup> ، وإن تئسّتمْ دُوا فإنما قاتلمْ الحُجَّابِينَ ، وما عند الله خيرٌ للأبرار والصدّيقين ، إني لأحب أن تجعلوا حدكم وشوكتكم بأول المحلّين القاسطين ، والله

(١) كانت الكوفة مقسمة أربعة أقسام لكل ربع رئيس : ربع تميم وهدان ، وربع ربيعة وكندة ، وربع مذحج وأسد ، وربع أهل المدينة ، ( وتقسيم المدينة أرباعاً لا يزال إلى اليوم في بعض بلاد القطر المصري ، وقد كانت مدينة القاهرة قبل اليوم مقسمة ثمانية أقسام كل قسم ثمن ، وصحفته العامة فقالوا « تمن » ، وأطلق عليه بالتركية قره قول ( كراكون ) ويحسن أن يستعمل له كلمة مخفر « ككتب »

(٢) الأقتال : جمع قتل بالكسر ، وهو العدو والمقاتل ، والأوتار : جمع وتر ، الجناية والثأر ، أى وندع

أعادنا وذوى ثاراتنا . (٣) غشمه : كضرب ظلمه .

لو قاتلتم غداً أهل مصركم ، ما عدِمَ رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه ،  
أو رجلاً لم يكن يريد قتله ، فاستخبروا الله وسيروا « فتهياً الناس للشخص .

وبلغ عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن سرد وأصحابه  
فراياً أن يأتياهم ، فخرجا إليهم في جماعة من أصحابهما ، فلما انتهيا إلى ابن سرد دخلا عليه .

### ٥٩ - خطبة عبد الله بن يزيد

حمد الله عبدُ الله بن يزيد ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن المسلم أخو المسلم ، لا يخنونه ولا يَغُشُّهُ ، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا ، وأحبُّ أهل  
مصر خلقه الله إلينا ، فلا تَفْجَعُونَا بأنفسكم ، ولا تستبدوا علينا برأيكم ، ولا تنقصوا عددنا  
بخرؤجكم من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى نقيسّر ونهيباً ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف  
بلدنا ، خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم » .

وتكلم إبراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام .

### ٦٠ - خطبة سليمان بن سرد

حمد الله سليمان بن سرد وأثنى عليه ، ثم قال لهما :

« إني قد علمت أنكما قد محضتما<sup>(١)</sup> في النصيحة ، واجتهدتما في المشورة ، فنحن بالله  
وله ، وقد خرجنا لأمر ، ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد ، والتسديد لأصوبه ، ولا ترانا  
إلا شاخصين ، إن شاء الله ذلك » .

فقال عبد الله بن يزيد : « فأقيموا حتى نعبئ معكم جيشاً كثيفاً فتلقوا عدوكم

(١) محضه الود ومحضه : أخلصه .

بِكَتْفٍ<sup>(١)</sup> ، وَجَمَعَ وَحَدَّ « فقال له سليمان : « تنصرفون ونرى فيما بيننا ، وسيأتيكم إن شاء الله رأي » .

وانصرف عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد إلى الكوفة ، وأجمع القوم على الشخوص ، واستقبال ابن زياد .

## ٦١ - خطبة أخرى له

ثم إن سليمان بن صرد قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أما بعد أيها الناس ، فإن الله قد علم ما تفنون ، وما خرجتم تطالبون ، وإن للدنيا تجاراً ، وللآخرة تجاراً ؛ فأما تاجر الآخرة فساع إلى ما مقنصب<sup>(٢)</sup> بتطالابها ، لا يشتري بها ثمناً ، لا برى إلا قائماً وقاعداً ، وراكعاً وساجداً ، لا يطالب ذهباً ولا فضة ، ولا ديناً ولا لذة ؛ وأما تاجر الدنيا ، فكيب عليها ، راتع فيها ، لا يبتغي بها بدلاً ، فعليكم (يرحمكم الله) في وجهكم هذا بطول الصلاة في جوف الليل ، وبذكر الله كثيراً على كل حال ، وتقرّبوا إلى الله جل ذكره بكل خير قد رزتم عليه ، حتى تلقوا هذا العدو ، والمجلى القاسط فتجاهدوه ، فإنكم لن تتوسلوا إلى ربكم بشيء هو أعظم عنده ثواباً من الجهاد والصلاة ، فإن الجهاد سنام العمل ، جعلنا الله وإياكم من العباد الصالحين المجاهدين الصابرين على الأواء<sup>(٣)</sup> وإنا مُدْجُون<sup>(٤)</sup> الليلة من منزلنا هذا إن شاء الله فأذبلوا »

فأدلى عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة ، وما زال يسير حتى انتهى إلى عين الورد<sup>(٥)</sup> فنزل في غر بيها .

(١) الكتف : الجماعة . (٢) أى قد نصب نفسه طالبا لها ، نصب الشيء : رفعه فانتصب وتنصب .

(٣) الشدة . (٤) أدلىج : سار من أول الليل ، فإن سار من آخره فادلىج بالتشديد .

(٥) هى رأس العين : بلد فى وسط الجزيرة .

## ٦٢ - خطبة أخرى

وأقبل أهل الشام في عساكرهم ، حتى كانوا منها على مسيرة يوم وليلة . قال عبد الله ابن غزيرة ، فقام فينا سليمان فحمد الله فأطال ، وأثنى عليه فأطنب ، ثم ذكر السماء والأرض ، والجبال والبحار وما فيهن من الآيات ، وذكر آلاء الله ونعمه ، وذكر الدنيا فزهد فيها ، وذكر الآخرة فرغب فيها ، فذكر من هذا ما لم أحصيه ، ولم أقدر على حفظه ، ثم قال :

« أما بعد فقد أتاكم الله بعدوكم الذي بدأ بتم في المسير إليه آناه<sup>(١)</sup> الليل والنهار ، تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح ، ولقاء الله مُعذرين ، فقد جاءوكم بل جثموم أنتم في دارهم وحيزهم ، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يوليهم امرؤ دبره إلا منحرفاً<sup>(٢)</sup> إقتالاً أو مُحَيِّزاً<sup>(٣)</sup> إلى فئة ، لا تقتلوا مُدْبِرًا ، ولا تُجْهِزُوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم<sup>(٤)</sup> إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه ، أو يكون من قتل إخواننا بالطف رحمة الله عليهم ، فإن هذه كانت مسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة . »

ودارت رحى الحرب بينهم وبين جيوش عبید الله بن زياد واستشهد في المعركة سليمان بن سرد ، بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة ، وقتل أيضاً من رهوس أصحابه : المسيب بن نجبة ، وعبد الله بن سعد بن نفيل ، وعبد الله بن وال ، فلما رأى من بقي

(١) آناه الليل : ساعاته واحدها إني (كإني) أو إني (كحمل) أو إني كذلك .

(٢) أي منعطفاً يربد الكر بعد الفر وتغير العادو ، فإنه من مكابد الحرب .

(٣) أي منحازاً إلى جماعة على القرب ليستنجد بهم .

(٤) ملتصكم .



من التوايين أن لا طاقة لهم بمن يزايرهم من أهل الشام انحازوا عنهم وارتحلوا ، وعليهم  
رفاعة بن شداد البجلي .

( وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ٦٥ هـ )<sup>(١)</sup> .

### ٦٣ - خطبة عبد الملك بن مروان

وأني عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أما بعد : فإن الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق مُلقِح<sup>(٢)</sup> فتنه ، ورأس  
ضلالة ، سليمان بن مُرد ، ألا وإن السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريـف<sup>(٣)</sup> ،  
ألا وقد قتل من رؤوسهم رأسين عظيمين ضالين مُضايين : عبد الله بن سعد أخا الأزد ،  
وعبد الله بن وائل أخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دفاعٌ ولا امتناع » .  
( تاريخ الطبري ٧ : ٤٧ - ٨٣ ، ومروج الذهب ٢ : ١١٠ )

(١) وقال المسعودي في مروج الذهب : « وقيل إن وقعة الورد كانت في سنة ٦٦ هـ » .

(٢) أصله : من ألقح النخلة ، وألقح الفحل الناقة ، والريح الشجر . (٣) تركت للسيوف رأسه  
خذاريـف : أي قطعاً كل قطعة كالخذروف ، والخذروف : كمصفور شيء يدوره الصبي بخيط في يديه فيسمع  
له دوى ( النحلة ) .

# طلب المختار بن أبي عبيد الثقفي

بدم الحسين رضى الله عنه

٦٤ - خطبته حين قدم الكوفة

وقدم المختار بن أبي عبيد الثقفي<sup>(١)</sup> الكوفة في النصف من رمضان سنة ٦٤ هـ ،  
فأتاه بعض الشيعة ليلاً ، فسأهـم عن أمر الناس ، وعن حال الشيعة ، فقالوا له : إن الشيعة  
قد اجتمعت لسليمان بن صرد الخزاعي ، وإنه إن يلبث إلا يسيراً حتى يخرج .  
فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، وقد قدمنا في الجزء الأول أن أول ما عمل به عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه حين ولي الخلافة أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني لقتال أهل فارس ، وجعل يندبهم  
ثلاثة أيام ، فلا ينتدب أحد إلى فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فنذب الناس ، فكان أول منتدب أبو عبيد  
ابن مسعود والد المختار ، ولم يكن المختار في تشييعه لآل على بالمخلص ، وكانت الشيعة تنقم عليه ما كان منه  
في أمر الحسن بن علي رضي الله عنه يوم طعن في مظلم ساباط وحمل إلى المدائن - وكان عم المختار ، وهو سعد  
ابن مسعود عاملاً على المدائن - فقال له المختار : هل لك في الغنى والشرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : توثق  
الحسن وتستأمن به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك لعنة الله ، أثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فأوثقه ! بنس الرجل أنت ، ولما قدم مسلم بن عقيل الكوفة من قبل الحسين رضي الله تعالى عنه نزل دار  
المختار فبايعه المختار فيمن بايعه من أهل الكوفة ، وناصحه ودعا إليه ، ثم ظفر ابن زياد بمسلم وقتله ، وأمر  
بالمختار فسجن ، وبعث المختار إلى عبد الله بن عمر بالمدينة ، يسأله أن يشفع له عند يزيد بن معاوية - وكانت  
صفية أخت المختار تحت عبد الله بن عمر - فكتب ابن عمر إلى يزيد يسأله أن يخلى سبيله ، فشفعه فيه ، وخلي  
ابن زياد سبيله وأخرجه من الكوفة ، فقدم الحجاز وبايع ابن الزبير ، وقال : مع حين حاصر مكة جيش  
يزيد - وكان تحت إمرة الحسين بن نمير السكوني - وأقام مع ابن الزبير بعد مهلك يزيد حتى قدم الكوفة  
في منتصف رمضان سنة ٦٤ .

« أما بعد : فإن المهدي بن الوصي ، محمد بن علي ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً ،  
وَمُنْتَجِباً وأميراً ، وأمرني بقتال الملحدين ، والطلب بدماء أهل بيته ، والدفع  
عن الضعفاء . »

وأقبل يبعث إلى الشيعة ، فيقول لهم : « إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر ،  
وَمَعْدِنِ الفضل ، ووصي الوصي ، والإمام المهدي ، بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ،  
وَقَتْلُ الأعداء ، وتمام النعماء . إن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه ، إنما هو عَشْمَةٌ (١)  
من العشم ، وَحِفْشٌ (٢) بآل ، ليس بذي تجربة للأمور ، ولا له علم بالحروب ، إنما  
يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، إني إنما أعمل على مثال قد مثل لي ، وأمر  
قد بين لي ، فيه عزٌ وليكم ، وقاتلٌ عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا مني قولي ،  
وأطيعوا أمري ، ثم أبشروا وتباشروا ، فإنني لكم بكل ما تأملون خيرٌ زعيم . »

فما زال بهذا القول ونحوه ، حتى استمال طائفة من الشيعة ، وعظمتهم يومئذ مع  
سليمان بن صرد ، فلما خرج ابن صرد نحو الجزيرة ، خاف عبد الله بن يزيد الأنصاري  
- أمير الكوفة من قبل ابن الزبير - أن يثب المختار عليه ، فزجه في السجن .

(تاريخ الطبري ٧ : ٦٤)

## ٦٥ - ما كان يردده على زائريه في سجنه

وكان يردد على زائريه في سجنه هذا القول :

« أما وَرَبُّ البحار ، والدخيل والأشجار ، وَالْمَهَامَةُ (٣) والقِفَار ، والملائكة الأبرار ،

(١) العشمة : الشيخ الفاني للذكر والأنثى أو المتقارب الخط والمنحنى الظهر ، وكان عمر بن صرد حين  
قتل ٩٣ سنة . (٢) الحفش : الشيء البالي ، والجوالق العظيم البالي ، وما كان من أسقاط الآنية كالقوارير  
وغيرها ، وأحفاش البيت : رذال متاعه .

(٣) المهامة : جمع مهمه كجعفر ، وهو البلد المقفر ، والمفازة البعيدة .

والمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، لِأَقْتَانٍ كُلِّ جَبَّارٍ ، بِكُلِّ لَدْنٍ خَطَّارٍ<sup>(١)</sup> ، وَمُهَنْدٍ بَبَّارٍ<sup>(٢)</sup> ،  
فِي جَمْعٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، لِيَسُوا بِمَيْلٍ أُنْغَمَارٍ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا بِعُزْلِ<sup>(٤)</sup> أَشْرَارٍ ، حَتَّى إِذَا أَقْتُ  
عَمُودَ الدِّينِ ، وَرَأَبْتُ شَعْبَ<sup>(٥)</sup> صَدْعِ الْمَسْلَمِينَ ، وَشَفَّيْتُ غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَأَدْرَكْتُ بَثَّارَ النَّبِيِّينَ ، لَمْ يَكْبُرْ عَلَيَّ زَوَالُ الدُّنْيَا ، وَلَمْ أَحْفَلِ بِالمَوْتِ إِذَا آتَى .

ثم خلى عبد الله بن يزيد سبيله ، بشفاعة عبد الله بن عمر فيه ، واختلفت إليه  
الشيعة بعد خروجه من السجن ، واجتمعت عليه ، واتفق رأيها على الرضا به ، ولم يزل  
أصحابه يكثرون ، وأمره يقوى ويشتد ، حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة  
وولى عليها عبد الله بن مطيع العدوي . ( تاريخ الطبري ٧ : ٦٥ )

## ٦٦ - خطبة عبد الله بن مطيع العدوي حين قدم الكوفة

وقَدِمَ عبد الله بن مطيع العدوي الكوفة ( لخمس بقين من رمضان سنة ٦٥ ) فصعد  
المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أما بعد : فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مِصْرِكُمْ وَتُغُورِكُمْ ،  
وَأَمَرَنِي بِجَبَابَةِ فَيْئِكُمْ ، وَأَنْ لَا أُجِئَ فَضْلَ<sup>(٦)</sup> فَيْئِكُمْ عِنْدَكُمْ إِلَّا بِرِضَا مِنْكُمْ ، وَوَصِيئَةَ  
عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا عِنْدَ وَفَاتِهِ<sup>(٧)</sup> ، وَبِسِيرَةِ عُمَانَ بْنِ عِفَانَ الَّتِي سَارَ بِهَا  
فِي الْمَسْلَمِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَخْتَلَفُوا ، وَخَذُوا عَلَى أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ ، وَإِلَّا تَفْعَلُوا

(١) الريح اللدن : اللين ؛ وذلك صفة جودة فيه لأن اللدن لا يقصف ، وقد لدن ككرم لدانة ولدونة ،  
والرمح الخطار : أى المهتز ، خطر كضرب خطرانا . (٢) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند ،  
والبتار : القطاع . (٣) ميل : جمع أميل ، وهو الجبان ، ومن يميل على السرج فى جانب ، ومن  
لا ترس معه أولا سيف أو لارمح ، والأغمار : جمع غمر ( مثلث ويحرك ) من لم يجرب الأمور .  
(٤) العزل : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه . (٥) الشعب : الصدع أى الشق ، ومن  
معانيه الإفساد ، وهو المراد هنا ، ورأب الصدع : أصلحه . (٦) الفضل : الزيادة .  
(٧) انظر وصيته للخليفة من بعده . ج ١ : ص ٢٦٣ .

فَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَلُومُونِي ، فَوَاللَّهِ لَأُوقِعَنَّ بِالسَّقِيمِ الْعَاصِي ، وَلَأُقِيمَنَّ دَرَأًا<sup>(١)</sup>  
الْأَصْعَرَ<sup>(٢)</sup> الْمُرْتَاب .

## ٦٧ - رد السائب بن مالك الأشعري عليه

فقام إليه السائب بن مالك الأشعري - وهو من رموس أصحاب المختار -

فقال :

« أما أمرُ ابن الزبير إياك ألاّ تحملَ فضلَ فيئنا عنا إلا برضانا ، فإننا نُشهدك  
أنا لانرضى أن تحملَ فضلَ فيئنا عنا ، وأن لا يُقسَمَ إلا فينا ، وأن لا يُسارَ فينا إلا بسيرة  
على بن أبي طالب ، التي سار بها في بلادنا هذه ، حتى هلك رحمةُ الله عليه ، ولا حاجة  
لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا ، فإنها إنما كانت أثرَةً وَهَوَى ، ولا في سيرة  
عمر بن الخطاب في فيئنا ، وإن كانت أهونَ السيرتين علينا ضرًا ، وقد كان لا يألو  
الناسَ خيرًا » .

فقال يزيد بن أنس الأسدي : صدق السائب بن مالك وَبَرًّا ، رأينا مثلُ رأيه ،  
وَقَوْلُنَا مثلُ قوله ، فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وَهَوَيْتُمُوهَا ،  
ثم نزل . فقال يزيد بن أنس : ذهبتَ بفضلها يا سائب ، لا يَعدَمُك المسلمون !

( تاريخ الطبري ٧ : ٩٥ )

(١) الدرا : الميل والموج في القناة ونحوها . (٢) الصعر محرّكة : ميل في العنق وانقلاب  
في الوجه إلى أحد الشقين ، صعر كفرح فهو أصعر ، وربما كان الإنسان أصعر خلقة ، وصعر خده بالتشديد :  
أماله من الناس إعراضًا وتكبرًا .

## ٦٨ - خطبة عبد الرحمن بن شريح

وبعث المختار إلى أصحابه ، فأخذ يجمعهم في الدور حوله ، وأراد أن يثب بالكوفة في المحرم ، فجاء رجل منهم يقال له عبد الرحمن بن شريح ، فلقى جماعة من إخوانه ، واجتمعوا في منزل أحدهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ، ولا ندرى أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؟ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به ، وبما دعانا إليه ، فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ، وإن نهانا عنه اجتنبناه ، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا . »

فقالوا له : أرشدك الله ، فقد أصبت ووفقت ، اخرج بنا إذا شئت ، فأجمع رأيهم على أن يخرجوا إليه ، فلما قدموا عليه بدأ عبد الرحمن بن شريح ، فتكلم :

( تاريخ الطبري ٧ : ٩٦ )

## ٦٩ - خطبة أخرى له

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة ، وشرّفكم بالنبوة ، وعظّم حقكم على هذه الأمة ، فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي ، مخسوس النصيب ، قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه ، عظمت مصيبة ! ما قد خصكم بها ، فقد عمّ بها المسلمون ، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد ، يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والطلب بدماء أهل البيت ، والدفع عن الضعفاء فبايعناه على ذلك ، ثم إذا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه ، ونَدَبنا له ، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه . »

ثم تكلموا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبهم وهو يسمع حتى إذا فرغوا .

( تاريخ الطبري ٧ : ٩٦ )

### ٧٠ - خطبة محمد بن الحنفية

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل ، فإن الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، فله الحمد ، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين ، فإن ذلك كان في الذكر الحكيم<sup>(١)</sup> ، وهي ملحمة<sup>(٢)</sup> كتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولاً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ، فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

فخرجوا من عنده ، وهم يقولون : قد أذن لنا ، قد قال : « لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه » ولو كره لقال : « لاتفعلوا » .

( تاريخ الطبري ٧ : ٩٧ )

### ٧١ - خطبة المختار

وبلغ المختار مخرجهم فشق ذلك عليه ، وخشى أن ياتوه بأمر يُخذل الشيعة عنه ، فكان يقول :

« إن نفيراً منكم ارتابوا ، وتحيرُوا وخابوا ، فإن هم أصابوا ، أقبِلوا وأنابوا ، وإن هم

(١) يريد أنه سبق به قضاء الله تعالى . (٢) الملحمة : الواقعة العظيمة القتل .

كَبَرُوا وَهَابُوا ، واعترضوا وانجابوا<sup>(١)</sup> ، فقد ثَبَرُوا<sup>(٢)</sup> وَحَابُوا<sup>(٣)</sup> ، وأقبل القوم فدخلوا  
على المختار ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ قد فُتِنتم وارتبتم ، فقالوا له : قد أمرنا بنصرتك ،  
فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحق ! اجمعوا إلى الشيعة ، فجمع له منهم من كان منه قريباً  
فقال :

« يا معشر الشيعة : إن نقرأ منكم أحبوا أن يعلموا مِصْدَاقَ مَا جِئْتُ بِهِ ، فَرَحَلُوا  
إلى إمام الهدى ، والنجيب المرتضى ، ابن خيرٍ من طَشَى<sup>(٤)</sup> ومشى ، حاشا النبي الْمُجْتَبَى<sup>(٥)</sup>  
فسألوه عما قَدِمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ ، فنبأهم أني وزيره وظهره ، ورسوله وخليله ، وأمركم بانباغي  
وطاهتي فيما دعوتكم إليه ، من قتال المُجَلِّين ، والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين » .  
( تاريخ الطبري ٧ : ٩٧ )

## ٧٢ - خطبة عبد الرحمن بن شريح

فقام عبد الرحمن بن شريح فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : يا معشر الشيعة فإننا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ، ولجميع  
إخواننا عامة ، فقدِمنا على المهدي بن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعما دعانا إليه  
المختار منها ، فأمرنا بمظاهرتة وموازرتة ، وإجابته إلى ما دعانا إليه ، فأقبلنا طيبة أنفسنا

(١) انجابت السحابة : انكشفت ، والمعنى : وإن هم انسلخوا منا وانشقوا علينا .

(٢) ثبر ، كقعد ثبوراً : هلك . (٣) حاب : أثم ، والحبوب بالفتح والضم : الإثم ، وفي الأصل

خابوا ، وأرى أن تكون بالحاء لتقدم كلمة خابوا في أول قوله .

(٤) هكذا في الأصل ، ولم أجد كلمة « طشى » في كتب اللغة ، وفي لسان العرب « تطشى المريض برى »

وليست مناسبة هنا ، وأرى أن العبارة « ابن خير من مشى وطشى » بتأخير طشى ، وأنه إتباع للفعل قبله

اتقوته وتوكيده ، وهو كثير في كلام العرب ، كقولهم : حسن بسن ، وعفريت نفریت ، وعطشان نطشان

وشحیح ببحیح ، وكثير بشير ، وحيك الله وبياك - وإن قيل إن الإتياع لا يكاد يكون بالواو - اقرأ باب

الإتياع في الزهر للسيوطي ( ١ : ٢٤٤ ) وفي الأمال ( ٢ : ٢١١ ) . (٥) المختار .



منشحة صدرنا ، قد أذهب الله منها الشك وَالغِلَّ وَالرَّيْبَ ، واستقامت لنا بصيرتنا  
في قتالنا عدونا ، فليباغ ذلك شاهدكم غائبكم ، واستعدوا وتأهبوا ، ثم جلس .

وقاموا رجلاً فرجلاً فتكلموا بنحو من كلامه ، فاستجمعت له الشيعة وحديث<sup>(١)</sup> عليه .

( تاريخ الطبري ٧ : ٩٧ )

### ٧٣ - خطبة المختار في دار إبراهيم بن الأشتر

ومضى المختار في بضعة عشر رجلاً من وجوه أصحابه إلى دار إبراهيم بن الأشتر<sup>(٢)</sup>  
يدعوه أن ينصره ، فاستأذن عليه فأذن له ، وأتى لأصحابه وسائده فجلسوا عليها ،  
وجلس المختار معه على فراشه ، فقال المختار :

« الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وصلى الله على محمد والسلام عليه ، أما بعد :  
فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين الوصي ، وهو خير أهل الأرض  
اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم ، بعد أنبياء الله ورسوله ، وهو يسألك أن  
تنصرنا وتوازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك ،  
وسيفنى الله المهدي محمداً وأولياؤه عنك<sup>(٣)</sup> » فبايعه إبراهيم .

(١) عطف . (٢) وكان أصحاب المختار قد دعوه أن ينضم إلى زميرتهم فقال : إني قد أجبتمكم  
إلى مادعوتكموني إليه على أن تولوني الأمر ، فقاوا هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي ، وهو الرسول والمأمور  
بالقتال وقد أمرنا بطاعته ، فسكت عنهم ابن الأشتر ، وانصرفوا إلى المختار فأخبروه بما رد عليهم .

(٣) ثم دفع إليه الكتاب ففرض خاتمه وقرأه ، فإذا هو « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد المهدي إلى  
إبراهيم بن مالك الأشتر ، سلام عليك ، فإن أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنني قد بعثت  
إليكم بوزيري ، وأميني ، ونجيبتي الذي ارتضيته لنفسى ، وقد أمرته بقتال عدوي ، والطلب بدماء أهل بيتي ،  
فانهض معي بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرته وأجبت دعوتي ، وساعدت وزيري كانت لك  
عندي بذلك فضيلة ، ولك بذلك أعة الخيل ، وكل جيش غاز ، وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين  
الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام ، على الوفاء بذلك على عهد الله ، فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل ، =

( ٦ - جمهرة خطب العرب - ثان )

وجعل المختار وأصحابه يديرون أمورهم حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ٦٦ ، فثاروا بالكوفة ، ونشب القتال بينهم وبين جند ابن مطيع . (تاريخ الطبري ٧ : ٩٨)

### ٧٤ - خطبة يزيد بن أنس الأسدي

ولما حملت خيل ابن مطيع على أصحاب المختار خطبهم يزيد بن أنس الأسدي محرّضاً، فقال :  
« يا معشر الشيعة : قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم ، وتُسَمِّل أعينكم ، وترفمون على جذوع النخل ، في حُبِّ أهل بيت نبيكم ، وأنتم مقبمون في بيوتكم وطاعة عذرهم ، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهرُوا عليكم اليوم ؟ إذن والله لا يدعون منكم عيناً تطرف<sup>(١)</sup> ، وليقتلنكم صبراً<sup>(٢)</sup> ، وآتروُنَّ منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموتُ خيرٌ منه ، والله لا ينجيكم منه إلا الصدق والصبر والطمع الصائب في أعينهم ، والضرب الدَّراك على هامهم ، فتيسرُوا للشدة ، وتهيئوا للحملة ، فإذا حركت رابتي مرتين فاحلوا » . (تاريخ الطبري ٧ : ١٠٤)

### ٧٥ - خطبة عبد الله بن مطيع

وحمل أصحاب المختار على جند ابن مطيع فكشفوهم وهزموهم ، فخرج ابن مطيع فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

---

الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقبله أبداً ، والسلام عليك « فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب ، قال : قد كتب إلى ابن الحنفية وقد كتبت إليه قبل اليوم ، فما كان يكتب إلي إلا بإسمة واسم أبيه ، قال له المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى ؟ فشهد من معه بأنه كتاب ابن الحنفية إليه ، فقال إبراهيم : ابسط يدك أبايعك فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم .  
(١) طرف البصر (كضرب) تحرك ، وطرف بصره (كضرب أيضاً) أطبق أحد جفنيه على الآخر .  
(٢) قتل صبراً : هو أن يحبس ويرى حتى يموت .

« أيها الناس : إن من أعجب العجب عَجَزَكم عن عصبه منكم ، قليلٍ عددها ،  
خبِيثٍ دينها ، ضالَّةٍ مُضِلَّةٍ ، اخرجوا إليهم ، فامنعوا منهم حرِّمكم ، وقاتلوهم عن مصركم ،  
وامنعوا منهم فيثكم ، وإلا ليشاركنكم في فيثكم من لا حق له فيه ، والله لقد بلغني  
أن فيهم خمسمائة رجل من محرِّريكم عليهم أمير منهم ، وإنما ذهب عزكم وسلطانكم ،  
وتغيَّر دينكم حين يكثرون » . ثم نزل . ( تاريخ الطبري ٧ : ١٠٦ )

### ٧٦ - تحريض ابن الأشتر أصحابه

واستنفر ابن مطيع الناس لقتال المختار وصدده ، وأقبل إبراهيم بن الأشتر في أصحابه  
فقال لهم :

« قَرَّبوا خيولكم بعضها إلى بعض ، ثم امشوا إليهم مُضِلِّين <sup>(١)</sup> السيوف ،  
ولأيهولنكم أن يقال : جاءكم شَبَثُ بن رَبِيعٍ ، وآلُ عَتَيْبَةَ بن النَّهَّاسِ ، وآلُ الْأَشْعَثِ ،  
وآلُ يَزِيدِ بن الْحَارِثِ ، وآلُ فُلانٍ - فسمي بيوتاتٍ من بيوتات أهل الكوفة - ثم قال :  
إن هؤلاء لو قد وجدوا بهم حر السيوف قد انصفقوا <sup>(٢)</sup> عن ابن مطيع انصفاق المِعْرَى  
عن الذئب » ثم قال لأصحابه شُدُّوا عليهم ، فِدَا لَكُمْ عَمِي وَخَالِي .

فما لبثهم أن هزهم ، فركب بعضهم بعضاً ، ومضى بأصحابه في آثارهم حتى دخلوا  
السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً . ( تاريخ الطبري ٧ : ١٠٧ )

### ٧٧ - خطبة ابن مطيع وهو محصور

فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه ، أشار عليه شَبَثُ بن رَبِيعٍ أن يخرج  
من القصر لا يشعر به أحد ، حتى ينزل منزلاً بالكوفة عند من يستنصحه ، ويثق به ،  
ولا يُعْلَمُ بمكانه إلى أن يخرج فيلاحق بصاحبه ( ابن الزبير ) .

(١) أصلت السيوف : جرده من غده . (٢) انصفق : انصرف .

وفي مساء اليوم الثالث دعا ابن مطيع أصحابه فذكر الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال :

« أما بعد : فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم ، وقد علمت إنما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأخسأؤكم ، ماعدا الرجل أو الرجلين ، وأن أشرافكم ، وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين ، وأنا مبلغ ذلك صاحبي ، ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوه ، حتى كان الله الغالب على أمره ، وقد كان من رأيكم وما أشرتكم به هلى ما قد علمتم ، وقد رأيت أن أخرج الساعة » .

فقال له شديت : « جزاك الله من أمير خيراً ، فقد والله عفتت عن أموالنا ، وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لصاحبك ، وقضيت الذى عليك ، والله ما كنا لنفارقك أبداً ، إلا ونحن منك فى إذن » فقال : جزاك الله خيراً ، ثم خرج ، وخلقى القصر ، وفتح أصحابه الباب ، فقالوا : يا ابن الأشر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ، فخرجوا فبايعوا المختار .

( تاريخ الطبرى ٧ : ١٠٨ )

## ٧٨ - خطبة المختار بعد هرب ابن مطيع

وجاء المختار حتى دخل القصر فبات به ، وأصبح أشراف الناس فى المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال :

« الحمد لله الذى وعد وليه النصر ، وعدوه الخسر ، وجهله فيه إلى آخر الدهر ، وعداً مفعولاً ، وقضاء مقضياً ، وقد خاب من افترى ، أيها الناس : إنه رُفعت لنا راية ، ومُدّت لنا غاية ، فقبل لنا فى الراية أن ارفعوها ولا تَضَمُّوها ، وفى الغاية أن أجرُوا إليها ولا تعدُّوها ، فسمعنا دعوة الداعى ، ومقالة الواعى ، فكم من ناعٍ وناعيةٍ ، لِقَتلى

في الواعية<sup>(١)</sup> وبعثاً لمن طغى ، وأدبر وعصى ، وكذب وتولى ، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى ، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً<sup>(٢)</sup> ، والأرض فجأجا<sup>(٣)</sup> سُبلاً ، ما بايعتم بعد بيعة طي بن أبي طالب وآل عليّ أهدى منها .

ثم نزل ، ودخل عليه أشرف الناس ، فبسط يده وابتدره الناس فبايعوه ، وجعل يقول : تبايعونني على كتاب الله وسنة نبيه ، والطاب بدماء أهل البيت ، وجهاد المحجّين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتال من قاتلنا ، وسلم من سلمنا ، والوفاء ببيعتنا ، لا نُقياكم ولا نستقيلكم ، فإذا قال الرجل نعم : بايعه .

ثم وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتلة الحسين رضي الله عنه والمشايخين طي قتله ، فقتل من قدر عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم فلم يقدر عليه ، وكان ممن قتلهم عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه ، وبعث برأسيهما إلى محمد بن الحنفية .

( تاريخ الطبري ٧ : ١٠٨ )

## ٧٩ - خطبة المختار وقد استنصره ابن الحنفية

ولما كتب محمد بن الحنفية رضي الله عنه إلى المختار يعلمه بما ناله هو ومن معه من ابن الزبير من سجنهم وتوعدهم بالقتل والتحريق بالنار إن لم يبايعوا له<sup>(٤)</sup> نادى المختار في الناس ، وقرأ عليهم الكتاب وقال :

(١) الواعية : الصراخ على الميت ونعيه ( ولا فعل له ) والمعنى : كم من ناع وناعية لأناس قتلوا بسبب نعيم وصراخهم على من قتل من الحسين وأصحابه ، فهو يستثيرهم لطلب الثأر من أعدائهم الذين لم يكفهم ما اقترفوه من قتل الحسين وشيعته ، بل ضموا إلى جرمهم أن قتلوا من نعى هؤلاء الشهداء وبكاهم .

(٢) الكفة بالكسر ويضم : حباله الصائد ، وكل مستدر . (٣) الفجأجا : جمع فج ، وهو الطريق الواضح الواسع . (٤) وذلك أن محمد بن الحنفية كان قد أبى أن يبايع ابن الزبير إذ كره البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة - وكان ابن الزبير يبغيضه ويحسده على أيده وقوته - فحبسه مع أربعة عشر رجلاً من

« هذا كتاب مَهْدِيٌّ كُمْ ، وصريح<sup>(١)</sup> أهل بيت نبيكم ، وقد تُرِكُوا مَحْظُورًا<sup>(٢)</sup> عليهم كما يُحْظَرُ على الغنم ، ينتظرون القتل والتحريق بالنار ، في آناء الليل وتارات<sup>(٣)</sup> النهار ، واست أبا إسحاق إن لم أنصرم نصرًا مُؤَزَّرًا<sup>(٤)</sup> ، وإن لم أسرِّب إليهم الخيل في إثر الخيل ، كالسَّيْلِ يَتَلَوهُ السَّيْلِ ، حتى يَحْلَ بِابْنِ الكَاهِلِيَّةِ<sup>(٥)</sup> الويلُ » .

( تاريخ للطبري ٧ : ١٣٦ )

بني هاشم في سجن عارم وقال : لتبايعن أو لأحرقنكم ، وأعطى الله عهدا إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ماتوعدهم به ، وضرب لهم في ذلك أجلا . فكتب ابن الحنفية إلى المختار مستصرخا ، فوجه إليه جماعة من أصحابه ، وكانوا يسرون الليل ويكنون النهار ، حتى انتهوا إلى مكة ، وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم ، وكان قد بقي من الأجل يومان . فكسروا سجن عارم واستخرجوا منه ابن الحنفية ومن معه ، وقالوا له : خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لا أستحل القتال في حرم الله ، وخرج هو وأصحابه إلى شعب علي .

(١) الصريح : الخالص من كل شيء . (٢) حظر الشيء وعليه ( كقتل ) منعه وحجر ، ويقال لما حظر به على الغنم وغيرها لينمها ويحفظها حظيرة . (٣) جمع تارة ، وهي هنا الحين . (٤) نصر مؤزر : أي بالغ شديد من التأزير وهو التقوية .

(٥) ابن الكاهلية ، هو عبد الله بن الزبير ، والكاهلية أم أبي جده ، فهو عبد الله بن الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، والكاهلية أم خويلد بن أسد ، واسمها زهرة بنت عمرو ابن خنثر بن ربيعة بن هلال من بني كاهل بن أسد بن خزيمه ، وروى أن عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي الأسدي - من بني أسد بن خزيمه - أتى ابن الزبير فقال له : « نفدت نفقتي ، ونقبت راحلتي ( نقب الحف كفرح : رق ) قال : أحضرها فأحضرها ، فقال : أقبل بها أدبر بها ففعل ، فقال : « أرقمها بسبت ، واخصفها بهلب ، وأنجد بها يبرد خفها ، وسر البردين تصح » ( والسبت كحمل كل جلد مدبوغ . والهلب كقفل : الشعر أو ماغلظ منه أو شعر الذئب أو شعر الخنزير الذي يخرز به ، والبردان بفتح الباء وسكون الراء ، والأبردان : الغداة والعشي ) فقال ابن فضالة : إني أتيتك مستحملا ، ولم آتتك مستوصفا ، فلعن الله ناقة حملتني إليك ( مستحملا أي طالبا أن تحملي على ناقة أخرى تعطينها ) قال ابن الزبير : « إن وراكبها » ( وإن هنا حرف جواب بمعنى نعم كأنه لإقرار بما قال ، ومثله قول ابن قيس الرقيات :

ويقلن شيب قد علا لك وقد كبرت فقلت إنه )

فانصرف عنه ابن فضالة ، وقال فيه شعرا منه قوله :

## ٨٠ - خطبته وقد شيع ابن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد<sup>(١)</sup>

وخرج يشيع<sup>(٢)</sup> إبراهيم بن الأشتر حين شخّص لقتال عبيد الله بن زياد<sup>(٣)</sup> فقال للناس:

أقول لغلّتى شدوا ركابي أجاوز بطن مكة في سواد  
فالي حين أقطع ذات عرق إلى ابن السكاهلية من معاد

فقال ابن الزبير لما بلغه هذا الشعر : « علم أنها شر أمهاتى فغيرنى بها وهى خير عماتى » - انظر الأغاني « ١ : ٨ » وشرح ابن أبي الحديد « م ٤ : ص ٤٩٥ » ومجمع الأمثال للميداني ( ١ : ٧٥ ) وفيه « فلما بلغ الشعر ابن الزبير قال : لو علم لى أما الأم من عمته لبنى بها » وبهذه المناسبة نقول : إن ابن الزبير كان شديد البخل وكان ذلك من أعظم أسباب إخفاقه وانفضاض الناس من حوله ، رووا أنه كان يطعم جنده تمرًا ويأمرهم بالحرب فإذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال لهم : أكلتم تمرى ، وعصيتم أمرى ، فقال بعضهم : ألم تر عبد الله والله غالب على أمره يبنى الخلافة بالتمر

وكسر بعض جنده خمسة أرماع في صدور أصحاب الحجاج ، وكلما كسر رحما أعطاه رحما ، فشق عليه ذلك ، وقال : خمسة أرماع ! لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا . وجاءه أعرابي سائل فرده ، فقال له : لقد أحرقت الرمضاء قديمى ، فقال : بل عليهما يبردا ، ( ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧ ) وقدم عليه معن بن أوس بمكة ، فأنزله دار الضيفان - وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان - فأقام يومه لم يطعم شيئا ، حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس هرم هزيل ، فقال : كلوا من هذا وهم نيف وسبعون رجلا ، ففضب معن وخرج من عنده ، فأتى ابن عباس فقراه وحمله وكساه ، ثم أتى عبد الله بن جعفر فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثا حتى رحل ، فقال معن فى ذلك :

رمانا أبو بكر ( وقد طال يومنا ) بتيس من الشاء الحجازى أعفر  
وقال : اطعموا منه « ونحن ثلاثة وسبعون إنسانا » فبالؤم مخبر !  
فقلنا له : لا تقربا ، فأمانا جفان ابن عباس العلا وابن جعفر  
وكن آمانا وارفق بتيسك إنه له أعنز ينزو عليها ، وأبشر

« الأغاني ج ١٠ : ص ١٥٧ » .

وقال عبد الملك بن مروان : « ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر منى ، وإن ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ، ولو سكن لبخله لا يصلح أن يكون سائنا » « تاريخ الطبرى ج ٨ : ص ٥٨ » .

(١) قدمنا لك أن مروان بن الحكم لما تمت له البيعة بعث إلى العراق جيشا عليه عبيد الله بن زياد ، وعلمت ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين الوردية من أرض الجزيرة ثم التقى به ابن الأشتر على شاطئ نهر خازر من أرض الموصل . (٢) وقد خرج يشيعه ماشيا ، فقال له إبراهيم : اركب يا أبا إسحاق ، فقال : إني أحب أن تغبر قدمائى فى فصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيعه فرسخين .

(٣) وكان قد دفع إلى قوم من خاصته حماما بيضا ضخاما ، وقال : إن رأيتم الأمر لنا فدعوها ، وإن =

« إن استقمتم فبنيصر الله ، وإن حصتم حيصة<sup>(۱)</sup> فإني أجد في مُحْكَم الكتاب ،  
وفي اليقين والصواب ، أن الله مؤيدٌكم بملائكة غضابٍ ، تأتي في صور الحمام دُورين<sup>(۲)</sup>  
السحاب . »  
(الكامل لمبرد ۲ : ۱۶۹ )

## ۸۱ - خطبته وقد سار إليه مصعب بن الزبير

ولما بلغ المختار مسير مُصعب بن الزبير إليه من البصرة<sup>(۳)</sup> ، قام في أصحابه فحمد الله  
وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، يَا أَهْلَ الدِّينِ ، وَأَعْوَانَ الْحَقِّ ، وَأَنْصَارَ الضَّعِيفِ ، وَشِيعَةَ  
الرَّسُولِ ، وَآلَ الرَّسُولِ ، إِنْ فَرَّارَكُمْ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْكُمْ أَتَوْا أَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْفَاسِقِينَ  
فَاسْتَغْوَوْهُمْ عَلَيْكُمْ ، إِيْمَ صَح<sup>(۴)</sup> الْحَقِّ ، وَيَنْتَعِشِ الْبَاطِلُ ، وَيُقْتَلُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ  
لَوْ تَهْلِكُونَ مَا عُبِدَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِالْفَرَمِيِّ<sup>(۵)</sup> عَلَى اللَّهِ ، وَاللَّعْنَ لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ ،

= رأيتُ الأمر علينا فأرسلوها ، فلما التقوا كانت على أصحاب إبراهيم الدائرة في أول النهار ، فأرسل أصحاب  
المختار الطير ، فمصايح الناس : الملائكة ! فتراجعوا واقتتل الناس حتى اختلط القلام ، وأسرع القتل في  
أصحاب ابن زياد ثم انكشفوا ، ووضع السيف فيهم حتى أفنوا ، وقال ابن الأثير : لقد ضربت رجلا على  
شاطئ هذا النهر ، فرجع إلى سبقي فوجدت منه رائحة المسك ، ورأيت إقداما وجرأة فصرعت ، فذهبت يده  
قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب : فانظروه فالتسموه فإذا هو عبيد الله بن زياد ، وكان مقتله سنة ۶۷ هـ .

(۱) حاصن يحيص حيصا : عدل وهرب . (۲) مصغر دون : أي قريبا منه .

(۳) وكان أخوه عبد الله بن الزبير بعثه عليها ( سنة ۶۷ هـ ) بعد عزل القباع منها ( والقباع كشجاع  
هو الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ) فقدم على مصعب  
شيث بن ربيع ، وجاءه أشرف الناس من أهل الكوفة ، وأخبروه بما اجتمعوا له وبما أصيبوا به ، ووثوب  
عبيدهم ومواليهم ، وشكوا إليه وسألوه النصر لهم ، والسير إلى المختار معهم .

(۴) مصح كنع : ذهب وانقطع ، والثوب أخلق ، والنبات ولي لون زهره : والظل قصر .

(۵) فرى الكذب كرمى : اختلقه كافتراه .



أنتدبوا<sup>(١)</sup> مع أحر بن شميظ : فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتل عاد<sup>(٢)</sup>  
وإرم .

وتزاحف الجندان ، وامهزم أصحاب المختار ، وقتل ( في رمضان سنة ٦٧ )<sup>(٣)</sup> .

( تاريخ الطبري ٧ : ١٤٨ )

(١) انتدب إليه : أسرع . (٢) أي أبدتموهم كما باد هؤلاء .

(٣) قال أبو العباس المبرد في الكامل ( ٢ : ١٦٧ ) وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ، ثم صار زبيريا ، ثم صار رافضيا في ظاهره ، وكان يدعى أنه يلهم ضربا من السجاعة لأمر تكون ثم يحتال فيوقعها ، فيقول للناس : هذا من عند الله عز وجل ، فن ذلك قوله ذات يوم : « لَعَنُوا أَنْ مَنْ السماء نار دَهْمَاء ، فلتحرقن دار أسماء » فذكر ذلك لأسماء بن خارجة ، فقال : أو قد سجع أبو إسحق ؟ هو والله محرق داري ، فتركة والدار وهرب من الكوفة ، وقال في بعض سجمه : « أما والذي شرع الأديان ، وجنب الأوثان ، وكره العصيان ، لأفتلن أزد عمان ، وجل قيس عيلان ، وتبما أولياء الشيطان ، حاشا النجيب ظبيان » فكان ظبيان النجيب يقول : « لم ازل في عمر المختار أنقلب آنا » .

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد ( ٢ : ٢٦٥ ) : « ثم إن المختار لما قتل ابن مرجانة ، وعمر ابن سعد جعل يتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم أجمعين ، فلما أفناهم دانت له العراق ، ولم يكن صادق النية ، ولا صحيح المذهب ، وإنما أراد أن يستأصل الناس ، فلما أدرك بغيته أظهر للناس قبح نيته ، فادعى أن جبريل ينزل عليه ، ويأتيه بالوحي من الله ، وكتب إلى أهل البصرة « بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رسلي ، وقد كذبت الأنبياء من قبلي ، ولست بخير من كثير منهم » فلما انتشر ذلك عنه كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير ( يعني مصعبا ) وهو بالبصرة فخرج إليه ، وبرز إليه المختار فأسلمه إبراهيم بن الأشتر ووجوه أهل الكوفة ، فقتله مصعب وقتل أصحابه » .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل ( ١ : ١٥٣ ) : « ومن مذهب المختار أنه يجوز البدء على الله تعالى ، والبدء له معان ، البدء في العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، والبدء في الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبدء في الأمر وهو أن يأمر بشئ ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ، وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبدء ، لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال ، إما بوحي يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ( ابن الحنفية ) ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله =

## ٨٢ - خطبة محمد بن الحنفية

يرد على عبد الله بن الزبير وقد تنقص الإمام

خطب ابن الزبير فقال من الإمام عليّ كرم الله وجهه ، فباغ ذلك ابنه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه ، فأقبل حتى وضع له كرسى قدّامة ، فعلاه وقال :

« يا معشر قريش ، شأنت الوجوه <sup>(١)</sup> ، أَيْبُنْتَقِصْ عَلِيَّ وَأَنْتُمْ حُضُورٌ؟ إِنْ عَلِيًّا كَانَ سَهْمًا صَادِقًا ، أَحَدٌ مَرَامِي اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، يَقْتُلُهُمْ لِكُفْرِهِمْ ، وَيَهْوُوهُمْ <sup>(٢)</sup> مَا كَلِمَهُمْ ، فَتَقُلْ عَلَيْهِمْ ، فَرَمَوْهُ بِصِرْفَةِ الْأَبَاطِيلِ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنَّا مَعِشْرٌ لَهُ عَلَى نَهْجِ <sup>(٤)</sup> مِنْ أَمْرِهِ بَنُو الْحُسَيْنِ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَإِنْ تَكُنْ لَنَا الْأَيَّامُ دَوْلَةً نَنْتَرُ عِظَامَهُمْ ، وَنَحْسِرُ <sup>(٦)</sup>

دايلا على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال قد بدا نربكم ، وقد تبرأ ابن الحنفية منه حين وصل إليه أنه قد لبس على الناس بأنه من دعائه ورجاله ، وتبرأ من الضلالات التي ابتدعتها من التأويلات الفاسدة ، والمخاريق الموهبة ، فن مخاريقه أنه كان عنده كرسى قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل ، فكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ، ويقول : قاتلوا ولستم الظفر والنصرة ، وهذا الكرسى محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل وفيه السكينة والبقية ، والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم أخذنا من قوله تعالى : « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُدْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ويقال إنه اشتراه بدرهمين من نجار - انظر قصته في تاريخ الطبري ( ٧ : ١٤٠ ) .

(١) شاه وجهه : قبح . (٢) هوعه ما أكل : قياه إياه . (٣) مؤنث صرف ، والصرف : الخالص من كل شيء ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والأباطيل : جمع أبطولة بضم الهمزة أو إبطالة بكسرها أو هو جمع باطل على غير قياس . (٤) النهج : الطريق الواضح . (٥) الحسبة : الاحتساب ( طلب الأجر ) في الأعمال الصالحات ، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر ، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثواب المرجو بها . (٦) حصره كحصر وضرب : كشفه .

عن أجسادهم ، والأبدان يومئذ بالية : وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .  
 فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال : « عذرت بنى الفواطم يتسكلمون ، فما بال  
 بنى الحنفية ؟ » فقال محمد : « يا بن أم رومان<sup>(۱)</sup> ، ومالي لا أتكلم ؟ أليست فاطمة  
 بنت محمد حليّة<sup>(۲)</sup> أبي وأمّ إخوتي ؟ أليست فاطمة<sup>(۳)</sup> بنت أسد بن هاشم جدّتي ؟  
 أليست فاطمة<sup>(۴)</sup> بنت عمرو بن عائذ جده أبي ؟ أما والله لولا خديجة بنت خويلد<sup>(۵)</sup>  
 ما تركت في بنى أسد عظماً إلا هشمة ، وإن نالتني فيه المصائب صبرت . »

( مروج الذهب ۲ : ۱۰۲ )

### ۸۳ - عبد الله بن عباس ومعاوية

ودخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش ، فلما سلم وجلس ،  
 قال له معاوية : « إني أريد أن أسألك عن مسائل » قال : « سل عما بدالك » قال :  
 « ما تقول في أبي بكر ؟ » قال : « رحم الله أبا بكر ، كان والله للقرآن تالياً ، وعن  
 المنكر ناهياً ، وبذنبه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وعن الشبهات زاجراً ، وبالمعروف آمراً ،  
 وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً<sup>(۶)</sup> ، وسادهم زهداً وعفافاً ،  
 فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه » قال معاوية : « إيهآ<sup>(۷)</sup> يا بن عباس ، فما تقول  
 في عمر بن الخطاب ؟ » قال : « رحم الله أبا حفص عمر ، كان والله حليف الإسلام ،

- (۱) أم رومان بنت عامر هي زوج أبي بكر رضى الله عنه وأم السيدة عائشة . (۲) زوجته .  
 (۳) هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم الإمام على كرم الله وجهه ، وقد أسلمت بعد عشر  
 من المسلمين فكانت الحادى عشر ، وهي أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء .  
 (۴) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم أم أبي طالب ، وهي أم عبد الله والد سيدنا محمد  
 صلى الله عليه وسلم . (۵) هي زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعمّة الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .  
 (۶) أي رضا بالكفاف ، والكفاف من الرزق : ما كف عن الناس وأغنى . (۷) أمر بالسكوت  
 أي حسبك .

وماوى الأيتام ، ومنتهى الإحسان ، ومحلّ الإيمان ، وَكَهْفٌ<sup>(۱)</sup> الضعفاء ، وَمَعْقِلُ  
 الحنفاء<sup>(۲)</sup> ، قام بحق الله عز وجل صابراً مُخْتَدِباً<sup>(۳)</sup> ، حتى أوضح الدين ، وفتح البلاد  
 وَأَمَّنَ العبادَ ، فأعقب الله على من يَنْتَقِصُهُ اللعنة إلى يوم الدين . قال : « فما تقول  
 فى عثمان ؟ » قال : « رحم الله أبا عمرو كان والله أكرم الجعدة<sup>(۴)</sup> ، وأفضل البرّة ،  
 هَجَّاداً<sup>(۵)</sup> بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، نهأضاً عند كل مكرمة ، سَبَاقاً  
 إلى كل منحة ، حَمِيماً أَيْباً وَفِيّاً ، صاحب جيش العسرة<sup>(۶)</sup> ، وَخَنَّ<sup>(۷)</sup> رسول الله  
 صلى الله عليه وآله ، فأعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين ، إلى يوم الدين » قال :  
 « فما تقول فى على ؟ » قال : « رضى الله عن أبى الحسن ، كان والله علم الهدى ، وَكَهْفٌ  
 التُّقى ، وَتَحْمِيلُ الْحِجَابِ<sup>(۸)</sup> ، وَبِحْرٍ للندى ، وَطَوْدُ النُّهَى<sup>(۹)</sup> ، وَكَهْفُ العلاء ، لِلْوَرَى داعياً  
 إلى المَحَبَّةِ<sup>(۱۰)</sup> ، متمسكاً بالعرورة الوثقى ، خير من آمن واتقى ، وأفضل من تقمّص  
 وارتدى ، وَأَبْرٌ من انتعل وَسَمَى<sup>(۱۱)</sup> ، وأفصح من تنفّس وقرا ، وَأَكْثَرُ من شهد  
 النَّجْوَى - سوى الأنبياء والنبي المصطفى - صاحب القبلتين ، فهل يوازيه أحد ؟  
 وأبو السَّبْطَيْنِ<sup>(۱۲)</sup> فهل يقارنه بشر ، وزوج خير النّسوان<sup>(۱۳)</sup> ، فهل يفوقه قاطن بلد ؟  
 لِلْأَسُودِ قَتَّالٌ ، وفى الحروب خَتَّالٌ<sup>(۱۴)</sup> ، لم تر عيني مثله ولن ترى ، فعلى من انتقصه

(۱) الكهف : الملجأ ، وكذا المعقل . (۲) جمع حنيف ، وهو الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه .  
 (۳) احتسب بكذا أجرا عند الله : اعتده ينوى به وجه الله . (۴) الكرام ، يقال للكرم :  
 جمع بفتح فسكون ، فأما إذا قيل فلان جمع اليدى أو جمع الأنازل فهو البخيل ، وربما لم يذكروا معه اليد .  
 (۵) الهجاء والمجود : بفتح الهاء ، والمتجدد : المصل بالليل . (۶) تقدم شرحه فى خطبة ذى  
 الكلاع الحميرى . راجع الجزء الأول ص ۳۴۰ . (۷) أى صهره وقد تزوج السيدة رقية والسيدة  
 أم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . (۸) المحمل فى الأصل : شقان على اللبىر يحمل فيهما  
 العديلان ، والحجا : العقل والفتنة . (۹) الطود : الجبل ، والنهى العقل . (۱۰) الطريق الواضح .  
 (۱۱) فى الأصل « واسما » وهو تحريف . (۱۲) الحسن والحسين رضى الله عنهما ، وهما سبطا رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ، ( والسبط ولد الولد ) . (۱۳) السيدة فاطمة رضى الله عنها .  
 (۱۴) خداع ، من الختل : وهو الخداع ، والمراد أنه ذو بصير بالحروب .

لعنة الله والعباد ، إلى يوم التَّناد (١) » قال : « إِيهًا يابن عباس ، لقد أ كثر في ابن عمك » قال : « فما تقول في أبيك العباس ؟ » قال : « رحم الله العباسَ أبا الفضل ، كان صِنُو (٢) نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وَقُرَّةَ عين صفي الله ، سيد الأعمام ، له أخلاق آباءه الأجراد ، وأحلام أجداده الأجداد ، تباعدت الأسباب في فضيلته ، صاحب البيت والسقاية والمشاعر (٣) والتلاوة ، ولم لا يكون كذلك ، وقد ساسه أكرم من دب (٤) » فقال معاوية : « يابن عباس ، أنا أعلم أنك كَلَمَانِي (٥) أهل بيتك » قال : « ولم لا أكون كذلك ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم فقِّههُ في الدين ، وَعَلِّمهُ التَّوْبِيلَ . »

ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام : « يا معاوية ، إن الله جل ثناؤه ، وتقدَّست أسماؤه ، خصَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال : ( رُحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ) ، قاموا بمعالم الدين ، وناصروا الاجتهاد للمسلمين ، حتى تهذبت طرقه ، وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء (٦) الله ، واستقرَّ دينه ، ووضحت أعلامه ، وأذل الله بهم الشرك ، وأزال رُوحه ، ومحا دطامه ، وصارت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية ، والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء أجمعاء ، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعدُ فيها ، فقطع عليه معاوية الكلام ، وقال : إيها ابن عباس ، حديثًا في غير هذا .

( مروج الذهب ٢ : ٨٤ )

(١) يوم القيامة . (٢) الأصل فيه أنه إذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحدة منهن صنو والاثنان صنوان والجمع صنوان برفع النون . (٣) شعار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ، والشعيرة والشعارة بالفتح ، والشعر : موضعها ، والشعر الحرام بالمزدلفة . (٤) في الأصل : « من دب » أي مشى والمعنى عليه صحيح ، واسكني أرجح أنه « من أدب » لقوله « وقد ساسه » . (٥) رجل كلماني بسكون اللام وفتحها وكلماني بكسرتين مشدد اللام ، وبكسرتين مشدد الميم وتكلام وتكلامه بكسر فسكون وتشدد لامهما : جيد الكلام فصيح . (٦) الآلاء : النعم جمع إلى ( بفتح أوله وكسره ) وألو ( بفتح أوله ) وإلى ( بفتح ثانيه وفتح أوله أو كسره ) .

## عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية ، وفيهم عبد الله بن عباس ، وكان جريئاً على معاوية حَقَّاراً له<sup>(١)</sup> ، فبلغه عنه بعض ما غمّه ، فقال معاوية :

### ٨٤ - مقال معاوية

رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صَفِيَّينِ<sup>(٢)</sup> دون الناس ، فحَفِظْتُ المِيتَ في الحى ، والحى في المِيتِ ، استعملك على يابن عباس على البصرة ، واستعمل عُبَيْدُ الله أَخاك على اليمن ، واستعمل أَخاك<sup>(٣)</sup> على المدينة ، فلما كان من الأمر ما كان ، هَنَأْتِكُمْ<sup>(٤)</sup> ما في أيديكم ، ولم أ كَشِفْتِكُمْ عما وَعَت غرائركم<sup>(٥)</sup> ، وقلت آخذ اليوم وأعطى غداً مثله ، وعلمت أن بدء اللوم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم وقيأتكم ما أكلتم ، لا يزال يبلغنى عنكم ما تبرك له الإبل ، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم ، خذتم عثمان بالمدينة ، وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحرار بتمونى بصِفِّينِ ، ولعمري لَبَنُو تَيْمِ وَعَدِي<sup>(٦)</sup> أعظم ذنوباً منا إليكم ، إذ صرفوا عنكم هذا الأمر ، وسنوا فيكم هذه السنّة ، فحتى متى أُغْضِيَ الجفون على القذَى<sup>(٧)</sup> ، وأسحب الذبول على الأذى ، وأقول لعل الله وعسى ! ما تقول يابن عباس ؟

(١) أى كثير التحقير له . (٢) الصنى : الحبيب المصافى . (٣) لما جاء عليا الخبر عن طلحة والزبير وعائشة أمر على المدينة تمام بن العباس ، وبعث إلى مكة قثم بن العباس ( قثم كعمر ) وخرج إليهم . (٤) هنأه كنع وضرب : أطمعه وأعطاه . (٥) جمع غرارة بالكسر وهى الجوالق ( الشوال ) . (٦) يعنى ببني تيم أبا بكر الصديق ( وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ) ويعنى ببني عدى عمر ابن الخطاب ( وهو من عدى بن كعب بن لؤى ) . (٧) القذى : ما يقع فى العين والشراب .

## ٨٥ - مقال ابن عباس

فتكلم ابن عباس فقال :

رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفارضين<sup>(١)</sup> ، لم يكن لأبي من مال إلا ما فضلَ لأبيك ، وكان أبوك كذلك لأبي ، ولكن من هنا أباك بإخاء أبي أكثر من هنا أبي بإخاء أبيك ، نصر أبي أباك في الجاهلية ، وحقنَ دمه في الإسلام<sup>(٢)</sup> ، وأما استعمال عليّ إيانا فلنفسه دون هواه ، وقد استعملت أنت رجلا لهُواك لانفسك ، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل ، وبسر بن أرطاة على اليمن فخان ، وحبيب بن صرة على الحجاز فرُدَّ ، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فخصب ، ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسبها ، وأما خذانا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه ، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل ، فعلى خروجهم مما دخلوا فيه ، وأما حربنا إياك بصفين ، فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وإما إغراؤك إيانا بتيم وعدى فلو أردناها ما غلبونا عليها « وسكت . (العقد الفريد ٢ : ١١٠ )

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

## ٨٦ - مقال معاوية لابن عباس

أقبل معاوية يوما على ابن عباس ، فقال :

« لو وليتمونا ما أتيتم إلينا ما أتينا إليكم من الترحيب والتقريب وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على القليل ، وصبري على ما صبرت عليه منكم ، إني لا أريد أمراً إلا أظمأتم

(١) للتفارض : الاشتراك في كل شيء والمساواة .  
(٢) يشير إلى ما كان من العباس إذ شفع عند النبي عليه الصلاة والسلام في أبي سفيان يوم فتح مكة .

صَدْرَهُ<sup>(١)</sup> ، ولا آتى معروفًا إلا صَغَرْتُمْ خَطَرَهُ<sup>(٢)</sup> ، وأَعْطَيْكُمْ العَطِيَّةَ فِيهَا قِضَاءَ حَقُوقِكُمْ ، فتأخذونها متكاهنين عليها ، تقولون قد نقصَ الحَقَّ دون الأمل ، فأى أمل بعد ألف ألف أعطيتها الرجل منكم ، ثم أكون أمرًا بإعطائها منه بأخذها؟ والله لئن اتخذت لكم فى مالى ، وذَلَلتْ لكم فى عرضى ، أرى اتخذاعى كرما ، وذلى حلامًا ، ولو وليتمونا رضينا منكم بالانتصاف ، ولا نسألکم أسوالکم لعلنا بحالکم وحالنا ، ويكون أبغضها إلينا أَحَبَّهَا إِلَيْكُمْ أَنْ نَعْفِيَكُمْ .

### ٨٧ - مقال ابن عباس

فقال ابن عباس :

« لو وَلِينَا أَحْسَنًا المُواسَاةَ ، وامْتَنَنَّا بالأَثَرَةِ<sup>(٣)</sup> ، ثم لم نَفْشِمِ<sup>(٤)</sup> الحى ، ولم نَشْتَمِ المیت<sup>(٥)</sup> ، فلست بأجودَ منا أکفًا ، ولا أكرمَ أنفسًا ، ولا أصونَ لأعراض المروءة ، ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطى فى الحق منكم فى الباطل ، وأعطى على التقوى منكم على الهوى ، والقسم بالسوية والعدل فى الرعية يأتیان على المنى والأمل ، ما أرضاكم منا بالكفاف ، فلورضيتم منا لم نرض بأنفسنا به لكم ، والكفافُ رضا من لاحق له ، فلا تُبَخِّلُونَا<sup>(٦)</sup> حتى تسألونا ، ولا تَلْفِظُونَا حتى تذوقونا . »

(العقد الفريد ٢ : ١١١)

(١) يقال ورد الماء ليستقى ثم صدر عنه : أى رجع صدرًا « بسكون الدال » وصدورا والاسم منه الصدر « بفتح الحين » أى أصدرتم ورددتم واردة ظمان لاريان ، يريد أنهم دائبون على مخالفته فى كل أمر ، برون ضد رايه . (٢) قدره وشأنه . (٣) استأثر على أصحابه : اختار لنفسه أشياء حسنة والاسم الأثرة ، والمعنى وامتننا أى وتفضلنا وأنعمنا بما نستأثر به . (٤) فشمة غشما : ظلمه . (٥) يمرض به فى سبه عليا على المنابر . (٦) لا ترمونا بالبخل ( بخله بالتشديد : رماه بالبخل ، وأبخله : وجده بخيلا ) .



## عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

### ٨٨ - مقال معاوية لبني هاشم

اجتمع بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم فقال :

« يا بني هاشم : والله إن خيري لكم لمنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ، فلا يَقْطَع خيري عنكم علةٌ ، ولا يُوْصِدُ<sup>(١)</sup> بابي دونكم مسألةً ، ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا ، إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي مني ، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلم أعطانا دون حقنا ، وقصّر بنا عن قدرنا ، فصرتُ كالملسوب ، والملسوب لا حمد له ، وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسعاف سائلكم . »

### ٨٩ - مقال ابن عباس

فأقبل عليه ابن عباس فقال :

« والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ، ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ، ولئن قطعت عنا خيرك ، لله أوسع منك ، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفّن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما رجع من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقان : حق في الغنيمة وحق في الفداء . فالغنيمة : ما غلبنا عليه . والفداء : ما اجتبيناه ، ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر ، يحمله خفٌ ولا حافر ، أ كفاك أم أزيدك ؟ قال : كفاني فإنك لا تُعزُّ<sup>(٢)</sup> ، ولا تُشجُّ<sup>(٣)</sup> . » (المقد الفريد ٢ : ١١١)

(١) أي ولا يفلق وفي الأصل « ولا يوجد » وهو تحريف .

(٢) لا تعز أي لا تغلب ، عزه يعزه ( كنصره ) عزا ( بالفتح ) غلبه وفي الأصل « لا تعز » وهو مصحف .

(٣) شج رأسه : جرحه ، والمراد لا تغلب ولا تهزم .

## عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

٩٠ - مقال معاوية

وقال يوماً معاوية وعنده ابن عباس : « إذا جاءت بنو هاشم <sup>(١)</sup> بقديها وحديثها ، وجاءت بنو أمية <sup>(٢)</sup> بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد <sup>(٣)</sup> بن عبد العزى بوافدها ودياتها ، وبنو عبد الدار <sup>(٤)</sup> بحجابتها ولواثها ، وبنو مخزوم <sup>(٥)</sup> بأموالها وأفعالها ، وبنو تيم <sup>(٦)</sup> بصديقتها وجوادها ، وبنو عدى <sup>(٧)</sup> بفاروقها ومتفكرها ، وبنو سهم <sup>(٨)</sup> بأرائها ودهائها وبنو جمع <sup>(٩)</sup> بشرفها وأنوفها <sup>(١٠)</sup> ، وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقريعتها <sup>(١١)</sup> ، فمن ذا يُجمل مضمارها ، ويجرى إلى غايتها ، ماتقول يا ابن عباس ؟ » .

- (١) بنو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة الخ . (٢) بنو أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف . (٣) بنو أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب . (٤) بنو عبد الدار بن قصي ، والحجابه : سدانة البيت الشريف ؛ أى تولى مفاتيحه وخدمته ، واللواء راية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر إذا توجهوا إلى محاربة عدو فيجتمعون تحته ويقاثلون عندها ، وكان قصي بن كلاب قد ولى البيت الحرام وأمر مكة والحكم بها ، وابتنى دارا بها وهى دار الندوة : وكانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها ، وقد ولد له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد ، فلما كبر قصي ورق ، قال لابنه عبد الدار - وهو أكبر ولده ، وكان فيما يزعمون ضعيفا ، وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه ، وذهب كل مذهب وعبد للعزى ، وعبد - « أما والله لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك ، لا يدخل رجل منهم للكعبة حتى تكون أنت تفتحها ، ولا يعقد لقريش لواء الحرب إلا أنت بيدك ، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمورها إلا فى دارك ، فأعطاه داره دار الندوة ، وأعطاه الحجابه واللواء والندوة والسقاية والرفادة ، ( وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصي به ، فيصنع طعاما للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد من يحضر الموسم ) . (٥) بنو مخزوم بن يقظة ( بالتحريك ) بن مرة بن كعب بن لؤى . (٦) بنو تيم بن مرة بن كعب بن لؤى . (٧) بنو عدى بن كعب بن لؤى . (٨) بنو سهم ابن هصيص ( كزبير ) بن كعب بن لؤى ، ومنهم عمرو بن العاص السهمى . (٩) بنو جمع بن هصيص ابن كعب . (١٠) جمع أنف : وهو السيد . (١١) القريع : المقارع .

## ٩١ - مقال ابن عباس

قال : « أقول ليس حتى يَفْخَرُونَ بأمرٍ إلا وإلى جنبهم من يشرّكهم إلا قُرَيْشًا ، فإنهم يَفخَرُونَ بالنبوة التي لا يشارَ كون فيها ، ولا يُساوَوْنَ بها ، ولا يُدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به ، إن بنا فُتِح الأمر وبنا يُخْتَم ، ولك مُلْكٌ مُعْجَلٌ ، ولنا ملكٌ مُؤَجَّلٌ ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا ، فليس بعد ملكنا ملك ، لأننا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين » .

( العقد الفريد ٢ : ١١٢ )

## ٩٢ - عبد الله بن عباس ومعاوية أيضاً

لما بلغ معاوية نفي الحسن بن علي رضي الله عنه أظهر الفرح والسرور ، حتى سجد وسجد من كان معه ، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس ، وكان بالشام يومئذ ، فدخل على معاوية ، فلما جلس قال معاوية : يا بن عباس هلاك الحسن بن علي ، ولم يظهر حزناً ؛ فقال ابن عباس :

« نعم هلك ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ترجيعاً مُكْرَرًا ، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته ، أما والله ما سدَّ جسدُه حفرتك ، ولا زاد نقصان أجله في عمرك ، ولقد مات وهو خير منك ، ولئن أُصِيبْنَا به لقد أُصِيبْنَا بمن كان خيراً منه ، جدُّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخير الله مصيبتَه ، وخاف علينا من بعده أحسن الخلافة .

فقال له معاوية : كم كانت سنه ؟ قال : مولده أشهر من أن تُعرَفَ سنه ا قال : أحسبه ترك أولادا صغاراً ؟ قال : كلنا كان صغيراً فكبير . ولئن اختار الله لأبي محمد

ما عنده وقبضه إلى رحمة ، لقد أبقى الله أبا عبد الله ( يعني الحسين ) ، وفي مثله الخلف الصالح ، ثم شهق وبكى ، وبكى من حضر في المجلس ، وبكى معاوية .

( الإمامة والعيادة ١ : ١٢٧ ، ومروج الذهب ٢ : ٥٢ والبيان والتبيين ٣ : ٢٢١ )

### ٩٣ - عبد الله بن عباس وعتبة بن أبي سفيان

قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس : « ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك مكان أبي موسى يوم الحكمين ؟ » قال : « منعهُ والله من ذلك حاجز القدر ، وقصر المدة ، ومحنة الابتلاء ، أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت له في مدارج نفسه ، ناقضاً لما أبرم ، ومبرماً لما نقض ، أسف<sup>(١)</sup> إذا طار ، وأطير إذا أسف ، ولكن مضى قدر ، وبقي أسف ومع يومنا غد ، والآخرة خير لأمر المؤمنين من الأولى . »

( إعجاز القرآن ١٢٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٥ ، وأمال المرتضى ١ : ٢٠٧ ) .

(١) أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه .

## مخاصمة

بين عبد الله بن عباس وبين معاوية وأصحابه

قال ابن أبي الحديد : « روى المدائني قال : وفد عبد الله بن عباس على معاوية مرة ، فقال معاوية لابنه يزيد . ولزيد بن سميّة . وعُتْبَةَ بن أبي سفيان . ومرّوان بن الحكم . وعمرو بن العاص . والمغيرة بن شعبة . وسعيد بن العاص . وعبد الرحمن بن أم الحكم : إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس . وما كان شجر<sup>(١)</sup> بيننا وبينه وبين ابن عمه ، ولقد كان نصّبه للتحكيم فدُفِعَ عنه<sup>(٢)</sup> ، فخرّ كوه على الكلام لئبلىح حقيقة صفته ، ونقّفَ على كنه معرفته ، ونعرف ما صرف عنا من شبا<sup>(٣)</sup> حدّه . ووورى عنا من دهاء رأيه ، فربما وُصِفَ المرء بغير ما هو فيه . وأعطى من النعت والاسم ما لا يستحقّه . ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس . فلما دخل واستقر به المجلس . ابتداء ابن أبي سفيان فقال : يا بن عباس ما منع عليا أن يوجّه بك حكما ؟

### ٩٤ - جواب ابن عباس

فقال : « أما والله لو فعل لقرن عمرًا بصعْبَةٍ من الإبل ، يوجع كتفيه مرأسها<sup>(٤)</sup> ولأذهلت عقله ، وأجرضته<sup>(٥)</sup> بريقه ، وقدحْتُ في سويداء قلبه ، فلم يُبرم أمرًا ،

(١) شجر بينهم الأمر : تنازعا فيه . (٢) لما رأى على إصرار من قبلوا التحكيم من قومه وتشبّهم بقبوله أشار عليهم أن يختاروا ابن عباس أو الأشتر النخعي حكما من قبلهم فأبوا إلا أبا موسى الأشعري . (٣) الشبا : جمع شباة ، وهي حد كل شيء . (٤) أى علاجها وقيادتها . (٥) جرض بريقه كفرح ابتلعه بالجهد على هم ، وأجرضه بريقه : أغصه .

ولم ينفض تراباً إلا كنت منه بمرأى ومسمع ، فإن نكثته أرمت<sup>(۱)</sup> قواه ، وإن أرمه فصمت<sup>(۲)</sup> عراه ، بغرب<sup>(۳)</sup> مقول لا يفلق حده ، وأصالة رأي كمتاح<sup>(۴)</sup> الأجل لاوزر منه ، أضدع<sup>(۵)</sup> به أديمه ، وأفل<sup>(۶)</sup> به شبا حده ، وأشحد به عزائم المعتز<sup>(۷)</sup> ، وأزيح به شبه الشاكين .

## ۹۵ - مقال عمرو بن العاص

فقال عمرو بن العاص : « هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم<sup>(۷)</sup> أول الشر ، وأقول آخر الخير ، وفي حسمه قطع مادته ، فبادرته بالحملة ، وانتهز منه الفرصة ، واردع بالتفكيك به غيره ، وشرد به من خلفه . »

## ۹۶ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس : « يابن النابغة ، ضلّ والله عقلك ، وسفه حلمك ، ونطق الشيطان على لسانك ، هـلاً توليت ذلك بنفسك يوم صيفين حين دُعيت نزال<sup>(۸)</sup> وتكافح الأبطال ، وكثرت الجراح ، وتقصفت الرماح ، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصاولاً ، فأنكفأ نحوك بالسيف حاملاً ، فلما رأيت الكواثر<sup>(۹)</sup> من الموت ، أعددت حيلة السلامة

(۱) أرم الحبل : فنتله شديدا . (۲) حلت . (۳) الغرب : حد كل شيء ، والمقول : اللسان .  
(۴) من إضافة الصفة للموصوف أي كالأجل المتاح : أي المقدر . والنوزر : الملجأ . (۵) أشق ، والأديم : الجلد ، وهو كناية عن غلبته إياه وانتصاره عليه . (۶) في الأصل « المتقيز » وقد بحث في كتب اللغة عن مادة « قيز » فلم أجد هذه المادة ، فقلبت الكلمة على الأوجه التي يظن أنها معرفة عنها ، ورجح لدى أنها معرفة عن « المعتز » من اعتز : أي تنحى وانفرد ، يريد الذين تنحوا عن الفتنة والنزاع بين علي ومعاوية وكانوا محايدين . (۷) ظهور ( مصدر نجم ) . (۸) نزال : اسم فعل بمعنى انزل . أي حين قال الأبطال بعضهم لبعض نزال . (۹) جمع كوثر ، وهو الكثير من كل شيء والنهر .

قبل لقائه ، والانكفاء عنه بعد إجابة دعائه ، فمُنحتَه رجاء النجاة عورتك ، وكشفت له خوفَ بأسه سَوءتكَ ، حذراً أن يصطلمك<sup>(١)</sup> بسطوته ، أو يلبثهمك بحملته ، ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته ، وحسنت له التعرض لمكافحته ، رجاء أن تكنتني مثنوته ، وتعدّم صورته ، فلم غلّ صدرك ، وما انحنت عليه من النفاق أضلّك ، وعرف مقرّ سهمك في غرضك ، فاكفّف غرّب لسانك ، واقمّع عَوْرَاء<sup>(٢)</sup> لفظك ، فإنك بين أسد خادر<sup>(٣)</sup> ، وبحرٍ زاخر ، إن تبرزت للأسد افترسك ، وإن عُمت في البحر قَمَسَكَ<sup>(٤)</sup> .

### ٩٧ - مقال مروان بن الحكم<sup>(٥)</sup>

فقال مروان بن الحكم : « يا بن عباس إنك لتَصْرِف<sup>(٦)</sup> بنا بك ، وتُورِي نارك ، كأنك ترجو الغلبة ، وتؤمّل العاقبة ، ولولا حلم أمير المؤمنين عنكم ، لتناولكم بأقصر أنامله ، فأوردكم منهملاً بعيداً صدره<sup>(٧)</sup> ، ولعمري لئن سطا بكم لياخذن بعض حقه منكم ، وائن عفا عن جرائمكم لقد فيما مانسب إلى ذلك » .

(١) اصطلمه : استأصله . (٢) العوراء : الكلعة أو الفعلة القبيحة . (٣) الحدر : أجمة الأسد ومنه قيل أسد خادر . (٤) غمسك وأغرقك . (٥) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولد بمكة سنة اثنتين للهجرة ، واستعمله معاوية على المدينة ومكة والطائف ، وولى الخلافة بعد موت معاوية الثاني سنة ٦٤ هـ ومات بالشام في ٣ رمضان سنة ٦٥ ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . (٦) صرفت البكرة تصرف كضرب صريفا : صوتت عند الاستقاء ، وهو أيضا صرير الباب وناب البعير . (٧) الصدر : الرجوع .

## ۹۸ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس : « وإنك لتقول ذلك يا عدو الله ، وطريد رسول الله <sup>(۱)</sup> صلى الله عليه وسلم ، والمباح دمه <sup>(۲)</sup> ، والداخل بين عثمان ورعيته بما حاهم على قطع أوداجه <sup>(۳)</sup> ، وركوب أثباجه <sup>(۴)</sup> ، أما والله لو طلب معاوية ثاره لأخذك به ، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره ، وأما قولك لى : إنك لتصرف بنابك ، وتورى نارك ، فسل معاوية

(۱) يريد « وياطريد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبيك » أو « ويا بن طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم » فإن المحقق أن طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبوه الحكم بن أبي العاص ، وذلك أنه قدم المدينة بعد الفتح - وكان قد أسلم يوم الفتح - فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وقال : « لاتساكني في بلد أبدا » أوقيمته فيه ، قيل : كان يتسمع سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويطلع عليه من باب بيته ، وإنه هو الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفقأ عينه بمدري في يده لما اطلع عليه من الباب ، وقيل كان يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته وبعض حركاته - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيته - فالتفت يوما فرآه وهو يتخلج في مشيته ، فقال « كن كذلك » فلم يزل يرتدش في مشيته من يومئذ ، وطرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنه وأبعده حتى صار مشهورا بأنه طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يزل منفيا حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده إلى المدينة ، فقال : « ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم » وكذلك عمر ، فلما ولي عثمان الخلافة - والحكم عمه - رده ، وقال : « كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده » وقد توفى في خلافة عثمان . أما مروان فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة والسلام ، لأنه خرج إلى الطائف طفلا لا يعقل لما نفي النبي أباه - وقد ولد بمكة سنة اثنتين للهجرة - وقيل إنه ولد بالطائف إبان نفي أبيه بها . (۲) أى في فتنه عثمان ، وذلك أن الثوار يعد أن هدا الإمام على ثأرتهم خرجوا عن المدينة ، ولسكنهم في أثناء رجوعهم ضبطوا غلام عثمان ، ومعه كتاب إلى عامل مصر يأمره فيه بقتلهم ، فمادوا إلى المدينة ثانية وكانوا يعتقدون أن مروان هو الذي كتب ذلك الكتاب ، وقد سألوا عثمان أن يسلم إليهم مروان فأبى أن يسلمه وخشى عليه القتل . (۳) جمع ودج (محركة) وهو هرق الأخدع الذي يقطعه الذابح ، فلا يبقى معه حياة . (۴) جمع ثبيج (محركة) وهو ما بين السكاهل إلى الظاهر .



وعمرًا يخبرك ليلة الحرير<sup>(١)</sup> كيف ثباتنا للمثلات<sup>(٢)</sup> ، واستخفافنا بالمعضلات ، وصدق  
جِلادنا عند المصاولة ، وصبرنا على اللأواء<sup>(٣)</sup> ، ومصاحفتنا بجباهنا السيوف  
المرهفة<sup>(٤)</sup> ، ومباشرتنا بنحورنا حدَّ الأسنَّة ، هل خننا<sup>(٥)</sup> عن كرائم تلك المواقف ؟  
أم لم نبذل مهجنا<sup>(٦)</sup> للمتالف ؟ وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود ، ولا يوم مشهود ،  
ولا أثر معدود ، وإنيهما شهدا ما لو شهدت لأقلتك ، فاربِع على ظلمك<sup>(٧)</sup> ، ولا تتعرض  
لما ليس لك ، فإنك كالمغروز في صفد<sup>(٨)</sup> ، لا يهبط برجل ، ولا يرقأ<sup>(٩)</sup> اليد .

### ٩٩ - مقال زياد

فقال زياد : « يا بن عباس : إني لأعلم ، ما منع حسنًا وحسينًا من الوفود معك على  
أمير المؤمنين إلا ماسوت لها أنفسهما ، وغرهما به من هو عند البأساء يُسليهما<sup>(١٠)</sup> ، وإيم الله  
لو وليتهما لأدأبا<sup>(١١)</sup> في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما ، ولقل بمكانهما كبثهما » .

### ١٠٠ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس : « إذن والله يقصُر دونهما بأعك ، ويضيق بهما ذراعك ،  
ولو رُمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقا صبرا<sup>(١٢)</sup> على البلاء ، لا يخيمون عن اللقاء ،

- 
- (١) هي ليلة العاشر من صفر سنة ٣٧ ، وفيها حمل جيش عليّ على جيش معاوية في وقعة صفين  
حمة صيفة ، واقتتلوا تلك الليلة كلها حتى الصباح ، وأوشك جيش عليّ أن تكون له الغلبة .  
(٢) جمع مثلة (كفرقة) من مثلت بالقتيل : إذا نكلت به . (٣) اللأواء : الشدة .  
(٤) المرفقة . (٥) خام عنه يخيم : جبن ونكص . (٦) جمع مهجة ، وهي الدم أو الروح .  
(٧) ربيع كنع : وقف وانتظر وتحبس ، وظلع ظلما كنع : غمز في مشيه ، واربِع على ظلمك أي أنك ضعيف  
فانته عمالا تطبيقه واسكت على ما فيك من عيب . (٨) الصفد : القيد ، وفي الأصل « كالمغروز في صفده »  
وأراه « كالمقرون في صفده » . (٩) أي يصمد ويعلو : رقا في الدرجة صمد : يقال رقات ورقيت  
(كرضيت) وترك الهمة أكثر . (١٠) أسلمه : خذله . (١١) أجهدا وأتعبا .  
(١٢) أي ذات صدق وصبر على البلاء أو هو « صدقا صبرا » بضمين جمع صدوق وصبور .

فَلَمَرَ كُوكَ بِكَلَاكِلِهِمْ<sup>(١)</sup> وَوَطِئُوكَ بِمَنَاسِمِهِمْ<sup>(٢)</sup> وَأَوْجَرُوكَ<sup>(٣)</sup> مَشَقَّ رِمَاحِهِمْ ، وَشِفَارَ<sup>(٤)</sup> سِيوفِهِمْ ، وَوَحَزَّ أَسِنَّتَهُمْ ، حَتَّى تَشْهَدَ بِسُوءِ مَا أَتَيْتَ ، وَتَتَّبِعِينَ ضِيَاعَ الْحَزْمِ فِيمَا جَنِبْتَ ، فَحَذَارِ حَذَارٍ مِنْ سُوءِ النِّيَّةِ ، فَإِنَّهَا تَرُدُّ الْأُمْنِيَّةَ ، وَتَكُونُ سَبَبًا لِفَسَادِ هَذَيْنِ الْحَيِّينَ بَعْدَ صَلَاحِهِمَا ، وَسَعِيًّا فِي اخْتِلَافِهِمَا بَعْدَ ائْتِلَافِهِمَا ، حَيْثُ لَا يَضُرُّهَا إِبْسَاسُكَ<sup>(٥)</sup> ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُمَا إِبْنَسَاكَ .

## ١٠١ - مقال عبد الرحمن بن أم الحكم

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ :  
« اللَّهُ دَرُّ ابْنِ مُلْجَمٍ<sup>(٦)</sup> ، فَقَدْ بَلَغَ الْأَمَلَ ، وَأَمَّنَ الْوَجِلَ ، وَأَحَدًا الشَّفْرَةَ ، وَالْأَنْ الْمُهْرَةَ ، وَأَدْرَكَ الثَّارَ ، وَتَنَّى الْعَارَ ، وَفَازَ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَا ، وَرَقِيَ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى . »

## ١٠٢ - جواب ابن عباس

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :  
« أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كَرَعَ<sup>(٧)</sup> كَأْسَ حَتْفِهِ بِيَدِهِ ، وَعَجَّلَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ بَرُوحَهُ وَلَوْ أَبَدَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَفْحَتَهُ ، لَخَالَطَهُ الْفَحْلُ الْقَطِيمُ<sup>(٨)</sup> ، وَالسَّيْفُ الْخَلِيمُ ، وَلَا لَعَفَهُ صَابَا<sup>(٩)</sup> ، وَسَقَاهُ سِمَامًا<sup>(١٠)</sup> ، وَأَلْحَقَهُ بِالْوَلِيدِ وَعُتْبَةَ وَحَنْظَلَةَ<sup>(١١)</sup> ، فَكَلِمَهُمْ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ شَكِيمَةً<sup>(١٢)</sup> ،

(١) جمع كلشكل وهو الصدر . (٢) جمع منم (كجلس) وهو خف البعير .

(٣) أوجره الرمح : طعنه به في فيه ، والمشق : سرعة في الطعن والضرب أو هو بمعنى مفعول ، قضيب

مشوق : أى طويل دقيق . (٤) جمع شفرة : وهى حد السيف . (٥) الإبساس : التلطف بالناقة

وقت حلبها ، بأن يقال لها بس بس (بفتح فسكون) تسكينها لها . (٦) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى

أمنه الله قاتل الإمام على . (٧) كرع فى الماء : تناوله بفيه من موضعه . (٨) قطم الفحل كفرح

فهو قطم : اشتبهى الضراب . (٩) عصارة شجر مر . (١٠) جمع سم مثلث السبن .

(١١) الوليد بن عتبة : نخال معاوية ، وعتبة بن ربيعة : جده لأمه ، وحنظلة بن أبى سفيان أخوه ،

وقد قتلهم على يوم بدر . (١٢) الشكيمة : الأنفة ، وهو شديد الشكيمة : أى أنف أبى لا ينقاد .

وأَمْضَى عَزِيمَةً ، فَفَرَّى بِالسَّيْفِ هَامَهُمْ<sup>(١)</sup> ، وَرَمَلَهُمْ<sup>(٢)</sup> بِدِمَائِهِمْ ، وَقَرَّى الذُّنَابَ  
أَشْلَاهُمْ<sup>(٣)</sup> ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحِبَّائِهِمْ ، أَوْلَئِكَ حَصَبُ<sup>(٤)</sup> جَهَنَّمَ هُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، فَهَلْ  
تُحْسِئُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا<sup>(٥)</sup> ؟ وَلَا غُرُوقَ إِنْ خُتِلَ ، وَلَا وَصْمَةَ إِنْ قُتِلَ ،  
فَإِنَّا لَكَمَا قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

فَإِنَّا لِلْحَمِّ السَّيْفِ غَيْرَ مُكْرَمٍ وَنُلْحِمُهُ طَوْرًا وَلَيْسَ بَدَى نُسْكَرٍ<sup>(٦)</sup>  
يُنْفَكُ عَلَيْنَا وَاتْرِينَ فَيْشْتَنَفِي بِنَا إِنْ أَصْبْنَا أَوْ نُغَيِّرُ عَلَى وَتِرٍ<sup>(٧)</sup>

### ١٠٣ - مقال المغيرة بن شعبة

فقال المغيرة بن شعبة :

« أما والله لقد أشرتُ على عليّ بالنصيحة ، فأثر رأيه ، ومضى على غلوائه<sup>(٨)</sup> ،  
فكانت العاقبة عليه لاله ، وإني لأحسب أن خلفه يقتدون بمنهجه . »

### ١٠٤ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« كان والله أمير المؤمنين عليه السلام أعلم بوجوه الرأي ، ومعاقد الحزم ، وتصريف  
الأمر ، من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه ، وعنف عليه ، قال سبحانه وتعالى :

(١) هام : جمع هامة ، وهي الرأس . (٢) رمل الثوب : لطخه بالدم ، ويجوز أن يكون وزملهم  
أي لفهم بدمائهم (على المجاز) . (٣) أشلاه : جمع شلو ، وهو العضو ، وقرى الضيف قرى  
(بالكسر) : أضافه . (٤) الحطب ، وما يرمى به في النار . (٥) الصوت الخق .

(٦) اللحم : أطمعه اللحم . (٧) الوتر : الثار ، وقد وتره يتره . (٨) الغلواء : الغلوة ،  
وذلك أن المغيرة جاء عليا بعد مقتل عثمان ، وقال له : إن النصح رخيص وأنت بقية الناس وأنا لك ناصح ،  
وأنا أشير عليك أن ترد عمال عثمان عامك هذا ، فاكتب إليهم باثباتهم على أعمالهم ، فإذا بايعوا لك ، واطمأن =

« لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ (١) اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ » ولقد وقفت على ذكر مبین وآية متلوّة ، قوله تعالى : « وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا » . وهل كان يسوع له أن يُحَكِّمَ في دماء المسلمين ، وفيء المؤمنين ، من ليس بمأمون عنده ، ولا موثوق به في نفسه ؟ هيئات هيئات ، هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يُظهر إلا للتقيّة (٢) ، ولات حين تقيّة ، مع وضوح الحق ، وثبوت الجنان ، وكثرة الأنصار ، يمضي كالسيف المصّات (٣) في أمر الله ، مؤثراً لاطاعة ربه والتقوى ، على آراء أهل الدنيا .

## ١٠٥ - مقال يزيد بن معاوية

فقال يزيد بن معاوية :

« يا بن عباس ، إنك لتنطق بلسان طاق (٤) ، ينبيء عن مكنون قلب حرق (٥) ، فاطور على ما أنت عليه كشحاً (٦) ، فقد محاضوه حقناً ظلمة باطلكم » .

= أمرك عزلت من أحببت ، وأقررت من أحببت ، فقال له : والله لا أداهن في ديني ، ولا أعطى الرياء في أمري ، قال : فإن أبيت فإزع من شئت وأترك معاوية فإن له جراءة وهو في أهل الشام مسموع منه ، ولك حجة في إثباته فقد كان عمر ولاء الشام كلها ، فقال له : لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً . ( وقد كان ابن عباس يرى إثبات معاوية حتى يبائع ، وقال لعلي : فإن بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله ، فقال علي : لا والله لا أعطيه إلا السيف ) . (١) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه . (٢) التقيّة : المحافظة على

الذفس أو العرض أو المال من شر الأعداء إذا كانت العداوة بسبب الدين . (٣) المسلول .

(٤) لسان طلق : ( يسكون اللام وكسرهما ) ذلق . (٥) الحرق : المحروق وفي الحديث « الحرق

شهيد » وفي رواية « الحريق » أي الذي يقع في حرق النار (بفتحيتين) فيلتهب ، والحرق محرّكة : النار ولهبها ،

وفي الحديث « الحرق والفرق والشرق شهادة » وحرّق شعره كفرح : تقطع ونسل . (٦) الكشح : ما بين

الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وطوى كشحه على الأمر أضمره وستره .

## ۱۰۶ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« مهلا يزيدُ ، فوالله ما صفت القلوب لكم ، منذ تكدرت بالعداوة عليكم ، ولا دنت بالحجة إليكم ، مذ نأت بالبغضاء عنكم ، ولا رضيت اليوم منكم ، ما سخطت بالأمس من أفعالكم ، وإن تدل<sup>(۱)</sup> الأيامُ نستقصِ ما شددَ عنا ، ونسترجع ما ابتز<sup>(۲)</sup> منا ، كيلاً بكيل ، ووزناً بوزن ، وإن تكن الأخرى ، فكفى بالله ولياً لنا ، ووكيلاً على المعتدين علينا . »

## ۱۰۷ - مقال معاوية

فقال معاوية :

« إن في نفسي منكم لحزازاتٍ يابني هاشم ، وإني لخليق أن أدرك فيكم النار ، وأنفي العار ، فإن دماءنا قبلكم ، وظلامتنا فيكم . »

## ۱۰۸ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« والله إن رمت ذلك يامعاوية كتثيرن عليك أسداً مُخْدِرَةً<sup>(۳)</sup> ، وأفاعى مُطْرِقَةً ، لَا يَفْشُوها<sup>(۴)</sup> كثرة السلاح ، وَلَا تَعْضُها نكايه الجراح ، يضعون أسيافهم على عواتقهم ،

(۱) أداله الله من عدوه : نصره عليه . (۲) ماسلب . (۳) أخدر الأسد : لزم الأجمة ،

وأخدر للعرين الأسد : ستره فهو مخدر ( بكسر الهمزة وفتحها ) . (۴) فشا الغضب كنع : سكنه وكسره ، والقدر سكن غليانها .

يَضْرِبُونَ قُدُمًا قُدُمًا مِنْ نَاوَاهُمْ<sup>(۱)</sup> ، يَهْوُونَ عَلَيْهِمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ ، وَعُوَاءَ الذَّنَابِ ، لَا يُفَاتُونَ بَوْتِرٍ ، وَلَا يُسْبِقُونَ إِلَى كَرِيمِ ذَكَرٍ ، قَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، وَسَمَّتْ بِهِمْ إِلَى الْعُلِيَاءِ هَمَمُهُمْ ، كَمَا قَالَتِ الْأَزْدِيَّةُ :

قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْهَيْبَاجَ فَلَا ضَرْبَ يَنْهِنُهُمْ وَلَا زَجْرَ<sup>(۲)</sup>  
وَكَأَنَّهُمْ آسَادُ غَيْنَةٍ قَدْ غَرَّتْ وَبَلَّ مُتُونَهَا الْقَطْرَ<sup>(۳)</sup>

فَلَتَكُونَنَّ مِنْهُمْ بِحَيْثُ أَعَدَدْتَ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ لِلْهَرَبِ فَرَسَكَ ، وَكَانَ أَكْبَرُ هَمِّكَ سَلَامَةَ حُشَاشَةٍ<sup>(۴)</sup> نَفْسِكَ ، وَلَوْلَا طَعَامٌ<sup>(۵)</sup> مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَقَوَّكَ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَبَذَلُوا دُونَكَ مَهْجَهُمْ ، حَتَّى إِذَا ذَاقُوا وَخَزَ الشَّفَّارَ ، وَأَيَقَنُوا بِحُلُولِ الدَّمَارِ ، رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ مُسْتَجِيرِينَ بِهَا ، وَعَائِدِينَ بِعَصَمَتِهَا ، لَكُنْتَ شِلْوًا مَطْرُوحًا بِالْعَرَاءِ<sup>(۶)</sup> ، تَسْفِيْ عَلَيْكَ رِيَاحُهَا<sup>(۷)</sup> ، وَيَعْتَوِرُكَ ذَنَابُهَا ، وَمَا أَقُولُ هَذَا أُرِيدُ صَرْفَكَ عَنْ عَزِيْمَتِكَ ، وَلَا إِزَالَتِكَ عَنْ مَعْقُودِ نَيْبَتِكَ ، لَكِنَّ الرَّحِمَ الَّتِي تَعَطَّفَ عَلَيْكَ ، وَالْأَوَاصِرَ<sup>(۸)</sup> الَّتِي تَوْجِبُ صَرْفَ النَّصِيحَةِ إِلَيْكَ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : « اللَّهُ دَرَكُ يَابْنِ عَبَّاسٍ ، مَا تَكْشِفُ الْأَيَّامُ مِنْكَ إِلَّا عَنْ سَيْفِ صَقِيلٍ ، وَرَأَى أَصِيلٍ ! وَبِاللَّهِ لَوْ لَمْ يَلِدْ هَاشِمٌ غَيْرَكَ ، لَمَّا نَقَصَ عَدَدَهُمْ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِكَ سِوَاكَ لَكَانَ اللَّهُ قَدْ كَثَّرَهُمْ ! ثُمَّ نَهَضَ فَقَامَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَانصَرَفَ . »

( شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۱۰۵ )

(۱) القدم : الشجاع والمضى أمام أمام ، وناوَاهُمْ : عاداهم . (۲) نهبه عن الأمر : كفه وزجره .  
(۳) الغينة : بالكسر الأجمة ، والغينة بالفتح : الأشجار الملتفة في الجبال وفي السهل بلا ماء ، فإذا كانت بماء فهي غيضة ، وغرث : كفرح جاع فهو غرثان . (۴) الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .  
(۵) الطعام : أوغاد الناس . (۶) العراء : الفضاء لا يستتر فيه بشيء . (۷) سفت الريح : التراب تسفيه : ذرته ، أو حملته .  
(۸) في الأصل « والأوامر » وهو تحريف .

## عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص

قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب ، فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبنى أمية ، وتناول بنى هاشم ، وذكّر مشأهده بصيفين ، واجتمعت قریش فأقبل عبد الله ابن عباس على عمرو فقال :

### ١٠٩ - مقال ابن عباس

« يا عمرو إنك بعث دينك من معاوية ، وأعطيته ما بيدك ، ومَنَّاك ما بيد غيره ، فكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك ، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته ، وكلُّ راضٍ بما أخذ وأعطى<sup>(١)</sup> ، فلما صارت مصر في يدك كدَّرها عليك بالعزل والتنغيص<sup>(٢)</sup> ، حتى لو كانت نفسك في يدك ألقيتها إليه ، وذكرت يومك مع أبي موسى ،

(١) وذلك أن عمرا لما لحق بمعاوية بعد أن بلغه مقتل عثمان سأله معاوية أن يتبعه ، قال عمرو فاكتب لي مصر وكورها طعمة فكتب له ، وقال عمرو في ذلك :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع  
فإن تعطى مصرا فأربح صفقة أخذت بها شيئا يضر وينفع

ثم إنه بعث سنة ٣٨ في جيش لغزو مصر، وكان عليها محمد بن أبي بكر من قبل الإمام علي فهزمه وقتله ، وصارت مصر في حوزة معاوية فولاه عليها أميراً . (٢) روى ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير ( ج ٤ : ص ٥ ) قال :

« لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر طعمة مصر اعمرو ما عاش ، ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وبتدبيره وعنايه وسعيه فيه ، وظن أن معاوية سيزيده الشام مع مصر ، فلم يفعل معاوية ، فتنكر عمرو لمعاوية فاختلفا وتغالفا ، وتميز الناس ، وظنوا أنه لا يجتمع أمرهما ، فدخل بينهما معاوية بن حديج وأصلح أمرهما ، =

فلا أراك فخرت إلا بالقدر ، ولا مننت إلا بالفجور والنش ، وذكرت مشاهدك بصيفين ،  
فوالله ما ثقت علينا يومئذ وطأتك ، ولا نكثنا<sup>(۱)</sup> فيها حربك ، ولقد كشفت فيها  
عورتك ، وإن كنت فيها لطوبل اللسان ، قصير السنن ، آخر الخيل إذا أقبلت ، وأولها  
إذا أدبرت ، لك يدان : يد لا تبسطها إلى خير ، وأخرى لا تقبضها عن شر ، ولسان غرور  
ووجهان : وجه موحش ، ووجه مؤنس ، ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحري أن  
يطول حزنه على ما باع واشترى ، لك بيان وفيك خطل ، ولك رأى وفيك نكد ، ولك  
قدر وفيك حسد ، وأصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك .

### ۱۱۰ - رد ابن العاص

فأجابه عمرو بن العاص : والله ما في قريش أثقل على مسألة ، ولا أمرٌ جواباً منك ،  
ولو استطعتُ ألا أجيبك لفعلت ، غير أني لم أبع ديني من معاوية ، ولكن بعث الله  
نفسى ، ولم أنس نصيبي من الدنيا ، وأما ما أخذت من معاوية وأعطيته فإنه لا تعلم العوان  
الخمرة<sup>(۲)</sup> . وأما ما أتى إلى معاوية في مصر فإن ذلك لم يغيرنى له ، وأما خفة وطأنى  
عليكم بصيفين ، فلما استنقلم حياتى واستبطأتم وفاتى . وأما الجبن فقد علمت قريش أنى  
أول من يبارز ، وآخر من ينازل . وأما طول لسانى ، فإنى كما قال هشام بن الوليد لعثمان  
ابن عفان رضى الله عنه :

= وكتب بينهما كتابا ، وشرط فيه شروطا لمعاوية ، وعمرو خاصة ، وللناس عليه ، وأن لعمرو ولاية مصر  
سبع سنين ، وعلى أن على عمرو السمع والطاعة لمعاوية ، وتوثاقا وتعهدا على ذلك ، وأشهدا عليهما به شهودا ،  
ثم مضى عمرو بن العاص على مصر واليا عليها ، وذلك في آخر سنة تسع وثلاثين ، فوالله ما مكث بها إلا سنتين  
أو ثلاثا حتى مات . (۱) فكى العدو نكبة: قتل وجرح . (۲) فى المثل « إن العوان لا تعلم الخمرة »  
والعوان من النساء التى كان لها زوج ، والخمرة اسم من الاختار ، واختمرت المرأة ، لبست الحمار بكسر الحاء  
(الطرحة) يضرب للرجل المجرب .



لسانى طويل فاحترس من شذاته عليك ، وسيفى من لسانى أطول<sup>(١)</sup>  
وأما وجهى ولسانى ، فإنى ألقى كل ذى قدر بقدره ، وأرمى كل نابح بحجره ،  
فمن عرف قدره كفانى نفسه ، ومن جهل قدره كفيته نفسه ، ولعمري ما لأحد من  
قريش مثل قدرك ما خلا معاوية ، فما ينفعنى ذلك عندك ، وأنشأ عمرو يقول :

بنى هاشمٍ مالى أراكم كأنكم      بى اليوم جهالٌ ؟ وليس بكم جهل  
ألم تعلموا أنى جسور على الوغى      سريعٌ إلى الداعى إذا كثر القتل  
وأول من يدعو « نزالٍ » طبيعةٌ      جبلتُ عليها ، والطباع هو الجبل<sup>(٢)</sup>  
وأنى فصلتُ الأمر بعد اشتباهه      بدومة إذ أعيأ على الحكم الفصل<sup>(٣)</sup>  
وأنى لا أعيأ بأمر أريده      وأنى إذا عجت بكاركم فحل<sup>(٤)</sup>

(العقد الفريد ٢ : ١١٢ ، وشرح بن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦ والبيان والتبيين ٢ : ١٥٩)

## ١١١ - عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص أيضاً

حج عمرو بن العاص فمرّ بعبد الله بن عباس ، فحسده مكانه وما رأى من هيبة  
الناس له ، وموقعه من قلوبهم ، فقال له يابن عباس : « مالك إذا رأيتنى وليتني  
القصرة<sup>(٥)</sup> ، وكان بين عينيك دبرة<sup>(٦)</sup> ، وإذا كنت فى ملاء من الناس كنت

(١) الشذاة : الحدة ، والشذا والشذا بالدال والذال : حد كل شىء . (٢) أى نازلون أى الأقران ،  
والطباع : الطبيعة والسجية جبل عليها الإنسان ، والجبل : مصدر جبل . (٣) هى دومة الجندل التى اجتمع  
فيها الحكمان عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري . (٤) البكار : جمع بكرة ( بالفتح ) وهى الناقة  
الفتية ، وعجت : أى صاحت ورفعت صوتها . (٥) القصرة : أصل العنق فى مركبه فى السكاهل ، ويقال  
لعنق الإنسان كله قصره ، والمعنى وليتني عنقك إمرأى عنى . (٦) الدبرة : بسكون الباء وفتحها الهزيمة  
فى القتال : وهو اسم من الإديبار والمراد بها هنا الإفضاء وعدم الإقبال .

الهُوَاهَاةُ<sup>(۱)</sup> الْهُمَزَةَ ؟ فقال ابن عباس : « لأنك من اللثام الفَجْرَةِ ، وقريش الكرام  
الْبَرَّة ، لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتمون حقا علموه ، وهم أعظم الناس أحلاما ،  
وأرفع الناس أعلاما . دخلت في قريش ولست منها ، فأنت الساقط بين فراشين ،  
لا في بني هاشم رَحْلُكَ ، ولا في بني عبد شمس راحاتك ، فأنت الأثيم الزَّئِيمُ<sup>(۲)</sup> الضالُّ  
المُضِلُّ ، حملك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطو بحلمه ، وتسمو بكرمه » فقال عمرو :  
أما والله إني لسرور بك ، فهل ينفعني عندك ؟ قال ابن عباس : حيث مال الحق ملنا ،  
وحيث سلك قَصْدُنَا .

(العقد للفريد ۲ : ۱۱۲)

## ۱۱۲ - عمرو بن العاص و ابن عباس

قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس :

« إن هذا الأمر الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر  
منا ومنكم ما ترى ، وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبورا ، واسنا نقول : آيت الحرب  
عادت ، ولكننا نقول : آيتها لم تكن كانت ، فانظر فيما بقي بغير ما مضى ، فإنك رأس  
هذا الأمر بعد علي ، وإنما هو أمير مطاع ، وأمور مطيع ، ومشاوَر مأمون ، وأنت هو .»  
(البيان والتبيين ۲ : ۱۵۸)

## ۱۱۳ - مفاخرة عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس

تزوج عبد الله بن الزبير أم عمرو بنت منظور بن زبَّان الفزَّارية ، فلما دخل بها قال  
لها تلك الليلة : أتدريين من معك في حجَلَتِكَ<sup>(۳)</sup> ؟ قالت : نعم ، عبد الله بن الزبير بن

(۱) قال صاحب اللسان : وفي حديث عمرو بن العاص : « كنت الهوَاهَاةُ الْهُمَزَةُ » الهوَاهَاةُ : الأحمق ،  
وقال أيضا : « رجل هوَاهُ وهوَاهَاة وهوَاهَاة بفتح الأول ضعيف الفؤاد جبان ، ورجل هوَاهَاة بضم الأول  
جبان أيضا . (۲) الزنيم : المستلحق في قوم ليس منهم والدعي . (۳) الحجلة : كالثياب ، وموضع يزين  
بالثياب والستور للعروس .

العوام بن خوَيْلد بن أسد بن عبد العزْمِي . قال : ليس غير هذا ؟ قالت : فما الذي تريد ؟ قال : معك من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين من الرأس . قالت : أما والله لو أن بعض بني عبد مناف حضرَكَ ، لقال لك خِلاف قولك ، فغضب وقال : الطعام والشراب على حرامٍ حتى أُحضرَكَ الهاشميين وغيرهم من بني عبد مناف ، فلا يستطيعون لذلك إنكاراً ، قالت : إن أطعْتَنِي لم تفعل ، وأنت أعلم وشأنك ، فخرج إلى المسجد فرأى حَلَقَةً فيها قوم من قريش ، منهم : عبد الله بن العباس ، وعبد الله ابن الحُصَيْن بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، فقال لهم ابن الزبير : أُحِبُّ أن تنطلقوا معي إلى منزلي ، فقام القوم بأجمعهم ، حتى وقفوا على باب بيته ، فقال ابن الزبير : يا هذه اطرَحِي عليك سِتْرَكَ ، فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فَتَغَدَى (۱) القوم ، فلما فرغوا قال لهم : إنما جمعْتكم لحديثٍ رُدَّتْهُ عليّ صاحبةُ الستر ، وزعمتُ أنه لو كان بعض بني عبد مناف حضرني لما أقرُّ لي بما قلت ، وقد حضرتم جميعاً ، وأنت يا بن عباس ماتقول ؟ إني أخبرتها أن معها في خِدْرِهَا مَنْ أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين من الرأس ، فردَّت عليّ مقالتي .

فقال ابن عباس : أراك قصدت قصدي ، فإن شئت أن أقول قلت ، وإن شئت أن أكف كفت . قال : بل قل وما عسى أن تقول ؟ أأست تعلم أن أبي الزبير حواري (۲) رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين (۳) ؟

(۱) تغدى : أكل أول النهار ، والغداء : الطعام الذي يؤكل أول النهار ضد العشاء ، (وسمى السحور فداء ، لأنه للصائم بمنزلة الغداء للمفطر) . (۲) الحواري : الناصر أو ناصر الأنبياء . قال عليه الصلاة والسلام : « الزبير بن العوام ابن عمي ، وحواري من أمي » . (۳) كان يقال لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ذات النطاقين ، قيل : لأنها كانت تطارق نطقاً على نطق (طارق بين ثوبين : طابق) وقيل : إنه كان لها نطاقان تلبس أحدهما ، وتحمل في الآخر الزاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار . قال الأزهري : وهذا أصح القولين ، وقيل : إنها شقت نطقها نصفين ، فاستعملت أحدهما وجعلت الآخر شداداً لزيدهما . وجاء في المقدم الفرید (ج ۲ ص ۲۷۰) أن الحجاج لما حصر ابن الزبير =

وَأَنْ عَمَّتِي خَدِيجَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ؟ وَأَنْ صَفِيَّةَ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَدَّتِي <sup>(۱)</sup> ؟ وَأَنْ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ خَالَتِي ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ لِهَذَا إِنْكَارًا ؟

قال ابن عباس : لا ، ولقد ذكرتَ شرفاً شريفاً ، وفخراً فاخراً ، غير أنك تفاخر من يفخره فخرتَ ، وبفضله سموت . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك لم تذكر فخراً إلا برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنا أولى بالفخر به منك . قال ابن الزبير : لو شئتُ لفخرتُ عليك بما كان قبل النبوة . قال ابن عباس : قد أنصف القارة من راماها <sup>(۲)</sup> ، أشدتكم الله أيها الحاضرون ، أعبدُ المطلب أشرفُ أم خويلد في قريش ؟ قالوا : عبد المطلب . قال : أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد؟ قالوا : بل هاشم . قال : أفعبد مناف أشرف أم عبد العزى ؟ قالوا : عبد مناف ، فقال ابن عباس :

تَنَافَرُنِي يَا بَنَ الزَّبِيرِ ! وَقَدْ قَضَى عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ لِقَوْلِ هَازِلٍ

= بمكة ناداه ويك يا بن ذات النطاقين ، اقبل الأمان ، وادخل في طاعة أمير المؤمنين ، فدخل على أمه أسماء ، فقال لها : سمعت رحمة الله ما يقول القوم ، وما يدعونني إليه من الأمان؟ قالت : سمعتم لعنهم الله ! فاجعلهم ! وأعجب منهم إذ يعيرونك بذات النطاقين ، ولو علموا ذلك لسكان ذلك أعظم فخر عندهم ، قال : وما ذلك يا أمه ؟ قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره مع أبي بكر ( وروى عن عائشة رضي الله عنها أنه خرج معه مهاجرين كما جاء في لسان العرب ) فهيات لها سفرة ، فطلبها شيئاً بربطانها به فاجدها ، فقطعت من متزري لذلك ما احتاجا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن لك به نطاقين في الجنة ، وفي القاموس المحيط : لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأخرى عصاما لقربته . (۱) هي جدته لأبيه .

(۲) القارة : قبيلة ، وهم قوم رماة . ويزعمون أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى ، فقال القارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت المرامة ، فقال القارى : قد أنصفتني ، وأنشأ يقول :

قد أنصف القارة من راماها      إنا إذا مائة نلقاها  
نرد أولاهم      على أخراها

تم انتزع له بسهم ، فشك به فزاده .

ولو غيرنا يا بن الزبير فخرته <sup>(۱)</sup> ولكنما ساميت شمس الأصائل  
قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل في قوله : « ما افترتك فرقتان إلا  
كنت في خيرهما » فقد فارقناك من بعد قصي <sup>(۲)</sup> بن كلاب ، أفنحن في فرقة الخير أم لا ؟  
إن قلت نعم خصمت ، وإن قلت لا كفرت ، فضحك بعض القوم ، فقال ابن الزبير :  
أما والله لولا تحرمك <sup>(۳)</sup> بطعامنا يا بن عباس لأعرتك <sup>(۴)</sup> جبينك قبل أن تقوم من  
مجلسك . قال ابن عباس : ولِمَ أباطل ؟ فالباطل لا يغلب الحق ، أم بحق ؟ فالحق  
لا يخشى من الباطل .

فقلت المرأة من وراء الستر : إني والله لقد نهيتك عن هذا المجلس فأبي إلا ما ترّون ،  
فقال ابن عباس : مه أيتها المرأة ، أفنعي ببعثك ، فما أعظم الخطر ، وما أكرم الخبر ،  
فأخذ القوم بيد ابن عباس وكان قد عمي ، فقالوا : انهض أيها الرجل فقد أفحمتك غير  
مرة ، فهض وقال :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا لغفا <sup>(۵)</sup>

فقال ابن الزبير : يا صاحب القطا أقبل هلي ، فما كنت لتدعني حتى أقول :  
وأيّم الله لقد عرف الأقوام أني سابق غير مسبوق ، وابن حواريّ وصدّيق ، متبجّج <sup>(۶)</sup>  
في الشرف الأنيق ، خير من طليق <sup>(۷)</sup> وابن طليق ، فقال ابن عباس : رُسِفت

(۱) الأصائل : جمع أصيل ، وهو العشي « ما بعد صلاة العصر إلى الغروب » . (۲) كان من أولاده  
عبد العزيز بن قصي (ومن سلالة ابن الزبير) وعبد مناف بن قصي (ومن سلالة بنو هاشم) . (۳) تحرم منه  
بحرمة : تمنع وتحسى بلمة . (۴) أي الذكرت لك من المساوي ما يمرق له جبينك ويندى خجلا .

(۵) غفا وأغف : نام نومة خفيفة . (۶) من تبجج به : إذا افتخروا وتعظم ، وأرجح أنه « متبجج »  
من تبجج : أي تمكن في المقام والحلول . (۷) يعرض بأبيه العباس بن عبد المطلب ، وكان خرج مع  
المشركين في غزوة بدر الكبرى ووقع أسيرا ، وقد أطلقه عليه الصلاة والسلام بعد أن أخذ منه الفدية « ويروى  
أنه لما طلب منه الفداء قال : علام يؤخذ مني للفداء ، وكنت مسلما ؟ ولكن القوم استكروهوني ، فقال له صلى الله  
عليه وسلم : الله أعلم بما تقول إن يك حقا ، فإن الله يجزيك ، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا » .

بِجُرَّتِكَ<sup>(۱)</sup> فلم تُبْقُ شيئاً ، هذا الكلام مردود ، من امرئ حَسُودٍ ، فإن كنت سابقاً فإلى من سبقت ؟ وإن كنت فاخراً فبمن فخرت ، وإن كنت أدركت هذا الفخر بأمرتك دون أسرتنا ، فالفخر لك علينا . وإن كنت إنما أدركته بأمرتنا فالفخر لنا عليك ، وَالكَشْكُ<sup>(۲)</sup> في فك ويديك ، وأما ما ذكرت من الطليق ، فوالله لقد ابتلي فصبراً ، وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ فَشَكَرَ ، وإن كان والله لوفياً كريماً ، غيرَ نَاقِضٍ بَيْعَةً بعد توكيدها ، ولا مُسْلِمٍ كَتِيبَةً بعد التأمُرِ عليها<sup>(۳)</sup> ، فقال ابن الزبير : أتعيّر الزبير بالجبين ؟ والله إنك لتعلم منه خِلافَ ذلك ، قال ابن عباس : والله إنى لا أعلم إلا أنه فرّ وما كره ، وحارب فما صبر ، وباع فما تمّم ، وقطع الرّحِمَ ، وأنكر الفضل ، ورام ما ليس له بأهل<sup>(۴)</sup> :

وأدرك منها بعض ما كان يرتجى وقصر عن جرّي الكرام وبلداً

وما كان إلا كالمجبن أمامه عتاق ، فجراه العتاق فأجهداً<sup>(۵)</sup>

فقال ابن الزبير : لم يبق يا بني هاشم غير المشامة والمضاربة ، فقال عبد الله بن الحصين

(۱) الجرة بالضم والفتح : عصا تربط إلى حباله ، تغيب في التراب للظبي بصطادها ، فيها وتر ، فإذا دخلت يده في الحباله انمقدت الأوتار في يده ، فإذا وثب ليفلت فديده ، ضرب بتلك العصا يده الأخرى ورجله فكسرها ، ورسغ البعير : شد رسغ يديه بخيط . والمعنى وقمت في حبالتك ، وعاد ما فخرت به حجة عليك لا لك ، وفي الأصل « رسعت » بالعين ، ولا يستقيم المعنى بذلك ( يقال : رسع الصبي كنع : شد في يده أو رجله خرزاً للدفع العين ، ورسعت أعضاؤه : فسدت واسترخت ) وربما كان الأصل « رصعت بجرتك » من رصعه بالرمح إذا طعنه طعناً شديداً غيب السنان كله فيه ، أى طعنت بسهمك وارتدت إليك حجتك ، ومعناه كالأول . (۲) الكشك ( بفتح الكافين وكسرهما ) : التراب وفتات الحجارة . (۳) يعرض بالزبير وقد بايع الإمام ثم نكث بيعته ، وخرج لقتاله مع أصحاب الجمل ثم اعتزلهم . (۴) أى رام الخلافة ، وقد قال للإمام حين حاوره قبل نشوب وقعة الجمل : « لا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا » . (۵) فرس هجين : إذا لم يكن عتيقاً ، وفرس عتيق : أى كريم والجمع عتاق ، وفي الأصل « عتاق » بالنون ، وهو تصحيف .

ابن الحرث : أقناه عنك يا ابن الزبير ، وتأبى إلا منازعته ؟ والله لو نازعته من ساعتك إلى انقضاء عمرك ، ما كنت إلا كالسَّغْبِ (١) الظَّمَانِ ، يفتح فاء يستزيد من الرِّيحِ ، فلا يَشْبَعُ من سَغْبِ (٢) ، ولا يَرْوَى مِنْ عَطَشِ ، فقل إن شئت أو فدع ، وانصرف القوم .  
( شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ٥٠١ )

## ابن عباس وابن الزبير في مجلس مروان بن الحكم

وكان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم - وهو يومئذ أمير المدينة - سرير آخر أصغر من سيرره ، فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل ، وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك ، فأذن مروان يوماً للناس ، وإذا سرير آخر قد أُحْدِثَ تَجَاهَ (٣) سرير مروان ، فأقبل ابن عباس فجلس على سيرره ، وجاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المُحْدَثِ ، وسكت مروان والقوم ، فإذا يد ابن الزبير تتحرك ، فعلم أنه يريد أن ينطق ، ثم نطق فقال :

## ١١٤ - مقال ابن الزبير

« إن ناساً يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطاً وفلانة ومُغَالَبَةً ، ألا إن شئت أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا ، يزعمون أنه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم ، والله ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ أثبت إيماناً ، ولا أعظم سابقاً من أبي بكر ، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله ، فأين هم حين عقَدَ أبو بكر لعمر فلم يكن إلا ما قال ، ثم ألقى عمر حظهم في حظوظ ، وجدّم في جدود ، فقسمت تلك الحظوظ ،

(١) الجائع . (٢) جوع . (٣) تجاهه ووجاهه مثلين : تلقاء وجهه .

فأخبر الله ستمهم ، وأدحض جدّهم ، ووَلِيّ الأمر عليهم من كان أحقّ به <sup>(١)</sup> منهم ، فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجاً من القرية ، فأصابوا منه غيرة <sup>(٢)</sup> فقتلوه ، ثم قتلهم الله به كل قتيلاً ، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب .

### ١١٥ - مقال ابن عباس

فقال ابن عباس : « على رسلك <sup>(٣)</sup> أيها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة ، أما والله ما نالا ولا نال أحد منهما شيئاً ، إلا وصاحبنا خيرٌ ممن نالا ، وما أنكرنا تقدم من تقدم إعيب عيبناه عليه ، ولو تقدم صاحبنا لكان أهلاً وفوق الأهل ، ولولا أنك إنما تذكر حظّ غيرك ، وشرف امرئ سواك لكلمتك ، ولكن ما أنت وما لاحظ لك فيه ؟ اقتصر على حظك ، ودع تبنياً لتيم ، وعدياً لعدى <sup>(٤)</sup> وأميّة لأمية ، ولو كلمني تينى أو عدوى أو أموى ، لكلمته وأخبرته خبرَ حاضر عن حاضر ، لا خبرَ غائب عن غائب ، ولكن ما أنت وما ليس عليك ، فإن يكن في أسد بن عبد العزى شيء فهو لك ، أما والله لنحن أقرب بك عهداً ، وأبيض بك يداً ، وأوفر عندك نعمة ، ممن أمسيتَ تظن أنك تصل به علينا ، وما أخلق ثوبُ صفيّة بعدد ، والله المستعان على ما تصفون . »  
( شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ٤٩٠ )

### ١١٦ - خطبة عبد الله بن عباس

يردّ على عبد الله بن الزبير وقد عاب بنى هاشم

لما كاشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم ، وأظهر بغضهم وعابهم ، وهم بما هم به في أمرهم ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبه ، لا يوم الجمعة ولا غيرها ،

(١) يشير إلى اختيار عمر رضى الله عنه أصحاب الشورى الستة ، وفيهم الإمام على كرم الله وجهه ، وما كان من مبايعة عثمان رضى الله عنه بالخلافة . (٢) غفلة . (٣) الرسل : الرفق والنزدة . (٤) تيم رهط أبي بكر الصديق ، وعدى رهط عمر الفاروق .



عاتبه على ذلك قوم من خاصته ، وتشاءوا بذلك منه ، وخافوا عاقبته ، فقال : « والله ما تركت ذلك علانيةً إلا وأنا أقوله سرا وأكثير منه ، لكنى رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره ، أشراً أبوا<sup>(۱)</sup> وانحرت ألوانهم ، وطالت رقابهم ، والله ما كنت لآتى لهم سروراً وأنا أقدر عليه ، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ، ثم أضرمها عليهم نارا ، فإنى لا أقتل منهم إلا آثماً كفاراً سحاراً ، لا أنمام الله ، ولا بارك عليهم ا بيت سوء لا أول لهم ولا آخر ، والله ما ترك نبي الله فيهم خيراً ، استفرغ<sup>(۲)</sup> نبي الله صدقهم ، فهم أكذب الناس ، فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال : « وفكك الله يا أمير المؤمنين ! أنا أول من أعانك في أمرهم » . فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي فقال : والله ما قلت صواباً ، ولا هممت برشد ، أرهط رسول الله صلى الله عليه وآله تعيب ، وإياهم تقتل ، والعرب حولك ؟ والله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ، ما سوغه الله لك ، والله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره ، فقال : اجلس أبا صفوان فليست بناموس<sup>(۳)</sup> ، فبلغ الخبر عبد الله بن العباس ، فخرج مغضباً ومعه ابنه ، حتى أتى المسجد ، فقصد قصد المنبر .

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

« أيها الناس : إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا آخر ! فيأعجبا كل العجب ، لافترائه وتكذيبه<sup>(۴)</sup> ! والله إن أول من أخذ الإيلاف<sup>(۵)</sup>

(۱) اشرب إليه : مد عنقه لينظر أو ارتفع . (۲) في الأصل « استفرغ » وهو تحريف . يقال استفرغ فلان مجهوده : إذا لم يبق من جهده وطاقته شيئاً ، والمراد أنه حوى ما فيهم من صدق فلم يبق لهم منه شيء ، فهم أكذب الناس ( كذا ! ) . (۳) الناموس : الحاذق ، وهو أيضا صاحب السر المطلع على باطن أمرك . (۴) تكذب : تكلف الكذب . (۵) روى أبو علي القالي في أماليه قال :

« كانت قريش تجاراً ، وكانت تجارتهم لاتعدو مكة ، إنما تقدم عليهم الأعاجم بالساع ، فيشترونها منهم ، ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب ، فكانوا =

وَحَمَى عِيْرَاتٍ<sup>(١)</sup> قَرِيْشٍ هَاشِمٍ ، وَإِنْ أَوْلَ مِنْ سَتَى بِمَكَّةَ عَذْبًا ، وَجَعَلَ بَابَ الْكَعْبَةِ

= كذلك ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام ، فنزل بقيصر ، فكان يذبح كل يوم شاة ، ويصنع جَمَمَةً ثَرِيْدًا ، ويجمع من حوله فيأكلون ، وكان هاشم من أجمل الناس وأتمهم ، فذكر ذلك لقيصر ، فقيل له : ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم — وإنما كانت العجم تصب المرق في الصِّحَاف ثم تأتدم بالخبز — فدعا به قيصر ، فلما رآه وكلمه أعجيب به ، فكان يبعث إليه في كل يوم ، فيدخل عليه ويحدثه ، فلما رأى نفسه تمكن عنده ، قال له : « أيها الملك إن قومي تجار العرب ، فإن رأيت أن تكتب لي كتابا تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرون من آدم الحجاز وثيابه فتباع عندهم فهو أرخص عليكم » فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم ، فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مر بحى من العرب بطريق الشام أخذ من أشرفهم إيلافا — والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، إنما هو أمان الطريق — وعلى أن قريشا تحمل إليهم بضائع ، فيكفونهم حُمَّلَانِها ، ويؤدون إليهم رءوس أموالهم وربحهم ، فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام حتى قدم مكة ، فأتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة ، وخرج هاشم معهم يوزهم ؛ يوزهم لإيلافهم الذي أخذ لهم من العرب ، حتى أوردتهم الشام ، وأحلهم قراها ، ومات في ذلك السفر بَعْرَةَ ، وخرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن ، فأخذ من ملوكهم عهدا لمن تجر إليهم من قريش ، وأخذ الإيلاف كفعل هاشم ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف ، وكان يسمى الفَيْضُ ، وهلك برَدْمَانَ من اليمن ، وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى الحبشة فأخذ إيلافاً كفعل هاشم والمطلب ، وهلك عبد شمس بمكة فقبره بالحجَّون ، وخرج نوفل بن عبد مناف ، وكان أصغر ولد أبيه ، فأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش ، وإيلافاً ممن مر به من العرب ، ثم قدم مكة ورجع إلى العراق فمات بسَلْمَانَ ، واتسعت قريش في التجارة في الجاهلية وكثرت أموالها ، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش منة في الجاهلية والإسلام » — ذيل الأمالي ص ٢٠٤ .

(١) العير بالكسر الإبل تحمل الميرة : بلا واحد من لفظها ، أو كل ما امتير عليه إبلا كانت أو حميرا أو

بغلا وجمه كعنيات ويسكن .

ذَهَابًا ، لَعَبْدُ الْمَطْلَبِ<sup>(۱)</sup> والله لقد نشأت ناشتتنا مع ناشئة قريش ، وَإِنْ كُنَّا لَقَالَتَهُمْ<sup>(۲)</sup> إذا قالوا ، وخطباءهم إذا خطبوا ، وما عدُّ مجدُّ كجدِّ أولنا ، ولا كان في قريش مجدُّ لغيرنا ، لأنها في كفر ماجقٍ ، ودين فاسقٍ ، وَضِلَّةٌ وَضَلَالَةٌ<sup>(۳)</sup> في عَشَوَاءَ<sup>(۴)</sup> عَمِيَاءَ ، حتى اختار الله تعالى لها نورًا ، وبعث لها سراجًا ، فانتجبه<sup>(۵)</sup> طيبًا من طيبين ، لا يُسَبُّ بِمَسَبَّةٍ ، ولا يُبَغَى عليه غائلةٌ ، فكان أحدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا ، ثم إنَّ أسبقَ السابقين إليه ، منَّا وابنُ عمنا<sup>(۶)</sup> ، ثم تلاه في السَّبِقِ أَهْلُنَا وَلِحْمَتُنَا<sup>(۷)</sup> واحدًا بعد واحدٍ ، ثم إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَهُ أكرمهم أدبًا ، وأشرفهم حسبًا ، وأقربهم منه رَحِمًا .

واعجبًا كلَّ العجب لابن الزبير! يعيب بنى هاشم ، وإنما شرف هو وأبوه وجدُّه بمصاهرتهم ، أما والله إنه لمصلوب قريش ، ومتى كان العوام بن خويلد يطعم في صفة بنت عبد المطلب ؟ قيل للبغل : من أبوك يا بغل ؟ فقال : خالي الفرس . ثم نزل .

( شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ص ۴۸۹ )

## ۱۱۷ - خطبة ابن الزبير يتنقص ابن عباس

وخطب ابن الزبير بمكة على المنبر ، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر ، فقال : « إنَّ هَاهُنَا رَجُلًا قَدْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ كَمَا أَعْمَى بَصَرَهُ ، يَزْعُمُ أَنَّ مُتَعَةَ النِّسَاءِ حَلَالٌ مِنْ »

(۱) قال الطبري : « وعبد المطلب هو الذي كشف عن زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدفونًا ، وذلك غزالان من ذهب كانت جرهم دفنتهما فيما ذكر حين أخرجت من مكة وأسياف قلعية « ومرج القلعة محرقة : موضع بالبادية إليه تنسب السيوف » وأدراع ، فجعل الأسياف بابا للكعبة ، وضرب في الباب الغزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حليته فيما قيل الكعبة « تاريخ الطبري ۲ : ۱۷۹ »

(۲) القالة جمع قائل . (۳) الضلة والضلالة : ضد الهدى . (۴) أى في جهالة وفتنة عشواء ، من العشى ( كعصا ) وهو سوء البصر بالليل والنهار ، وقيل ذهب البصر . عشى يعشى ( كفرح ) فهو أعشى وهى عشواء ( والعشواء أيضا الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تحبب بيدها كل شيء ، لأنها ترفع رأسها فلا تتعهد مواقع أخفافها ) . (۵) انتجبه : اختاره . (۶) يعنى الإمام عليا كرم الله وجهه .

(۷) اللحمة : القرابة .

الله ورسوله ، وَبُفِّي فِي الْقَمَلَةِ وَالنَّمْلَةِ ، وقد احتمل بيت مال البصرة<sup>(۱)</sup> بالأمس ،  
وترك المسلمين بها يرتضخون<sup>(۲)</sup> النوى ، وكيف أُوْمُهُ فِي ذَلِكَ : وقد قاتل أم المؤمنين  
وَحَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ وَقَاهُ بِيَدِهِ<sup>(۳)</sup> .

(۱) ذكر بعض المؤرخين أن ابن عباس كان من أحب الناس إلى عمر ، وكان يقدمه على أكابر الصحابة  
ولم يستعمله قط ، فقال له يوما : كدت أستعملك ، ولكن أخشى أن تستحل النوى على التأويل ، فلما صار  
الأمر إلى علي استعمله على البصرة ، فاستحل النوى على تأويل قوله تعالى « وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ  
شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ » ، واستحله لقربته من رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، قالوا : ومر ابن عباس على أبي الأسود الدؤلي فقال : لو كنت من البهائم لكنت جملا ، ولو كنت  
راعيا ما بلغت من المرعى ولا أحسنت مهنته في المشي ، فكتب أبو الأسود إلى علي كتابا يقول فيه : « إن ابن عمك  
قد أكل ماتحت يديه بغير علمك ، فلم يسعني كتابك ذلك ، فانظر رحمك الله فيما هنالك » فكتب علي إلى ابن عباس  
« أن ارفع إلى حسابك » فرد عليه ابن عباس : « إن كل الذي بلغك باطل » . فكتب إليه علي : « إنه لا يسعني  
تركك ، حتى تعلمني ما أخذت من الجزية ، من أين أخذته ، وما وضعت منها ، أين وضعت » فلما رأى أن  
عليا غير مقلع عنه كتب إليه « ابعث إلى عمك من أحببت ، فإني ظاعن عنه » ورحل عن البصرة ، وقد حمل  
ما كان في بيت مالها حتى قدم الحجاز فنزل مكة ، وتبودلت الكتب بين علي وبينه ثانية ، وكانت خاتمتها  
أن كتب إليه ابن عباس : « والله لئن لم تدعني من أساطيرك لأحملنه إلى معاوية يقاتلك به » فكف عنه علي ،  
- انظر العقد الفريد ج ۲ : ص ۲۴۲ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۸۱ ، ونهج البلاغة ج ۲ : ۴۶ - .

وقال آخرون : إن ابن عباس ما فارق عليا ولا باينه ، ولم يزل أميرا على البصرة إلى أن قتل على وبعد  
مقتل على حتى صالح الحسن معاوية ، ثم خرج حينئذ إلى مكة ، وليس هذا موضع بحث تلك المسألة - انظر كلمة  
عنها في شرح ابن أبي الحديد ج ۱۶ ص ۶۴ ، وأمال السيد المرتضى ج ۱ ص ۱۲۳ . (۲) رضح النوى  
( كنع وضرب ) كمره ، وفي لسان العرب : « فظلوا يرتضخون أي يكسرون الخبز فيأكلونه ويتناولونه »  
ولم أجد في كتب اللغة « يرتضخ » بهذا المعنى ، وإنما الذي جاء « وهو يرتضخ لسكنة عجمية إذا نشأ معهم ثم  
صار إلى العرب ، فهو ينزع إلى العجم في الفاظه ولو اجتهد » وقول ابن الزبير كناية عن شدة القحط والفاقة .  
(۳) كان طلحة بن عبيد الله ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحامى عنه في وقعة أحد وقد  
انهزم المسلمون ، ووقاه بيده من سيوف المشركين ، وقد رمى بسهم في يده فبيست ، وقال عليه الصلاة  
والسلام يومئذ « اليوم أوجب طلحة الجنة » .

## ۱۱۸ - رد ابن عباس عليه

فقال ابن عباس لقائده سعيد بن جبير مولى بنى أسد بن خزيمه - وكان ابن عباس قد كف بصره - استقبل بي وجه ابن الزبير وارفع من صدرى ، فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير وأقام قامته ، فحسرت عن ذراعيه ، ثم قال : « يا ابن الزبير :

قد أنصف القارة من رامها إنا إذا ما فئنة نلقاها  
نرد أولها طلى أخراها حتى تصير حرضا دعوها<sup>(۱)</sup>

يا ابن الزبير : أما العمى ، فإن الله تعالى يقول : « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » ، وأما فتياى فى القملة والنملة ، فإن فيها حكمين لا تعلمهما أنت ولا أصحابك . وأما حلى المال ، فإنه كان مالا جبيناه ، فأعطينا كل ذى حق حقه ، وبقيت بقية هي دون حقتنا فى كتاب الله ، فأخذناها بحقنا ، وأما المتعة فسأل أمك أسماء إذ نزلت عن بردى عوسجة ، وأما قتالنا أم المؤمنين ، فبنا سميت أم المؤمنين ، لا بك ولا بأبيك ، فانطلق أبوك وخالك<sup>(۲)</sup> إلى حجاب مده الله عليها ، فهتكاه عنها ، ثم اتخذناها فتنة يقاتلان دونها ، وصانا حلائلها فى بيوتها ، فما أنصفا الله ولا محمدا من أنفسهما أن أبرزا زوجة نبيه وصانا حلائلها ، وأما قتالنا إياكم ، فإننا لقيناكم زحفا ، فإن كنا كفارا فقد كفرتم بفراركم منا ، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا ، وإيم الله لولا مكان صفة فيكم ، ومكان خديجة فينا ، لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظما إلا كسرته .

(۱) المرض : الفساد فى المذهب والعقل والبدن . (۲) يعنى طلحة وهو ابن عم جده أبى بكر الصديق ، فهو طلحة بن عبید الله بن عثمان بن عبید الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى ، وأبو بكر هو عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب . . الخ ، وإنما جعله خاله باعتبار القرابة النسوية .

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سأها عن بُرْدَى عَوْسَجَةَ ، فقالت : ألم أنك عن ابن عباس ، وعن بنى هاشم ؟ فإنهم كُعم (۱) الجواب إذا بُدِّهوا (۲) ، فقال : بلى وعصيتك ، فقالت : يا بُنى احذر هذا الأعمى الذى ما أطاقتة الإنس والجن ، واعلم أن عنده فضائح قریش ومخازيها بأسرِّها ، فإياك وإياه آخر الدهر .

ورواية صاحب العقد : « أن ابن عباس قال لعكرمة : أقم وجهى نحوه يا عكرمة ،

ثم قال :

إن يأخذ الله من عيني نورها ففى فؤادى وعقلى منها نور

وأما قولك يا ابن الزبير : إني قاتلت أم المؤمنين ، فانت أخرجتها وأبوك وخالك ، وبنا سميت أم المؤمنين ، فكنا لها خير بنين ، فتجاوز الله عنها ، وقاتلت أنت وأبوك علياً ، فإن كان على مؤمناً فقد ضلَّتم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان كافراً فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة فإنى سمعت على بن أبى طالب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فأفتيت بها ، ثم سمعته ينهى عنها فنهيت عنها (۳) .

(۱) كعم البعير كنع : شد فاه لثلا يعض أو يأكل ، والسكمام ككتاب : ما يجعل على فاه ، والجمع كعم ككتب . والمعنى أنهم ذرو أجوبة مسكتة مخرسة تلجم أفواه مناظرهم .  
 (۲) بدده بأمر كنعته : استقبله به أو بدأه به . (۳) جاء فى المصباح المنير : « المتعة اسم النمتع ، ومنه متعة الحج ، ومتعة النكاح ، ومتعة الطلاق ، ونكاح المتعة هو المؤقت فى العقد ، وقال فى الباب : كان الرجل يشارط المرأة شرطاً على شيء إلى أجل معلوم ، ويعطيها ذلك فيستحل بذلك فرجها ، ثم يخلى سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ، وقيل فى قوله تعالى « فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ » المراد نكاح المتعة ، والجمهور على تحريم نكاح المتعة ، وقالوا معنى قوله : « فاستمتعتم » فأنكحتم على الشريطة التى فى قوله تعالى : « أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ » أى عاقدين النكاح ، واستمتعتم بكذا وتمتعتم : انتفعت ، ومنه تمتع بالعمرة إلى الحج : إذا أحرم بالعمرة فى أشهر الحج وبعد تمامها يحرم بالحج فإنه بالفراغ من أعمالها يحل له ما كان حرم عليه ، فن ثم يسمى متمتعاً . هـ . =

وأول مجمر<sup>(١)</sup> سَطَعَ في المتعةِ مجمر آل الزبير<sup>(٢)</sup> .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ٤٨٩ ، والمعقد الفريد ٢ : ٢٦٩ - ١١٣ ، ومروج الذهب ٢ : ١٠٣)

١١٩ - عبد الله بن جعفر (المتوفى سنة ٨٠ هـ) وعمرو بن العاص

قال ابن أبي الحديد : روى المدائني قال :

« بينا معاوية يوماً جالساً وعنده عمرو بن العاصِ إذ قال الآذن : قد جاء عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب . فقال عمرو : والله لأسوأته اليوم ، فقال معاوية : لا تفعل يا أبا عبد الله ، فإنك لا تنتصف منه ، ولعلك أن تُظهر لنا من منقَبته<sup>(٣)</sup> ما هو خفي عنا ، ومالا نحب أن نعلمه منه ، وغشيبهم عبد الله بن جعفر ، فأدناه معاوية وقرَّبه ، فقال عمرو إلى بعض جلساء معاوية ، فقال من هليّ عليه السلام جهاراً غير سائرٍ له وثلبه<sup>(٤)</sup> ثلباً<sup>(٥)</sup> قبيحاً ، فامتقع<sup>(٥)</sup> لون عبد الله ، واعتراه أفكَل<sup>(٦)</sup> ، حتى أُرعدت خصائله<sup>(٧)</sup> ثم نزل من السرير كالفنيق<sup>(٨)</sup> ، فقال عمرو : مه يا أبا جعفر ، فقال له عبد الله : مه لا أم لك ، ثم قال :

أظن الحلمَ دلّ على قومي وقد يتجهل الرجل الحليم

= وجاء في التفسير : « وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت : لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أباحها ، ثم أصبح يقول : « يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ، ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة » وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمى بها ، إذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتعها بما تعلى ، وجوزها ابن عباس رضي الله عنهما ثم رجع عنه .

(١) المجرم : العود ، واستجرم بالمجرم : تبخر بالعود . (٢) قال المسعودي في مروج الذهب :

« وقد تنازع الناس في ذلك ، فمنهم من رأى أنه عنى متعة النساء ، ومنهم من رأى أنه أراد متعة الحج ، لأن الزبير تزوج أسماء بكراً في الإسلام ، وزوجه أبو بكر معلناً ، فكيف تكون متعة النساء ؟ » .

(٣) المنقبة : المفخرة . (٤) ثلبه : عابه . (٥) تغير لونه . (٦) الأفكل : الرعدة .

(٧) جمع خصيلة : وهي لحم الفخذين والعضدين والذراعين ، أو كل عصبية فيها لحم غليظ .

(٨) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكراته على أهله ولا يركب .

ثم حَسَرَ عن ذراعيه ، وقال :

« يا معاوية حَتَّامٌ تَجْرَعُ غِيظَكَ ، وإلى كم الصبر على مكروه قولك ، وسي أدبك ،  
وذميم أخلاقك ، هَبِلَتِكَ الهَبُولُ (١) ، أما يزجرك ذِمَامُ (٢) المجالسة عن القَذَعِ (٣) لجلبسك  
إذا لم تكن لك حُرْمَةٌ من دينك تنهاك عما لا يجوز لك ، والله لو عطفتك أو اصيرُ (٤)  
الأرحام ، أو حاميت على سهمتك من الإسلام ، ما أُرْعَيْتَ بنى الإمامِ المُنْتَكِ (٥) ، والعبيدِ  
السُّكِّ (٦) أعراضَ قومك ، وما يجهل موضعَ الصَّفْوَةِ (٧) إلا أهلُ الجفوة ، وإنك لتعرف  
وشائج (٨) قریش ، وصفوة غرائزها ، فلا يدعُونَكَ تصويب مافرط من خطئك في سفك  
دماء المسلمين ، ومحاربة أمير المؤمنين ، إلى التماذي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه ،  
فاقصِدْ لمنهج الحق فقد طال عمهك (٩) عن سبيل الرشد ، وخبطك في دَيْجُور (١٠) ظلمة  
الغى ، فإن أبيت أن لاتتابعنا في قبح اختيارك لنفسك ، فأعفينا عن سوء القالة (١١) فينا ،  
إذا ضمنا وإياك الندي (١٢) ، وشأنك وما تريد إذا خلوت ، والله حسيبك ، فوالله لولا  
ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك ، ثم قال : إن كلفتني ما لم أطق ، ساءك ما ستر مني  
من خلق » .

(١) هبلته أمه : ثكلته ، والهبول : المرأة لا يعيش لها ولد . (٢) الذمام : الحرمة . (٣) قذعه وأقذعه :  
رماده بالفحش وسوء القول . (٤) جمع آصرة ، وهي القرابة وحبل صغير يشد به أسفل الحباء . (٥) المنتك : جمع  
متكاه ( كحمره ) وهي البنزراء والمفضاة والتي لاتمسك البول . (٦) السك جمع أسك من السكك ( محركة ) ،  
وهو صفر الأذن وإزوقها بالرأس ، أو صفر فوف الأذن وضيق الصباخ . (٧) أي صفوة القوم وسادتهم .  
(٨) في الأصل « وشائك » وقد بحثت في مادة « وشك » فوجدت فيها « والوشيك السريع والقريب »  
وامرأة وشيك : أي سريعة « فلو جعلنا وشائك جمع وشيكة « أو وشيك على التأنيث » لم يستقم معنى العبارة ،  
وأراه محرفا عن « وشائج » بالجمع . جمع وشيجة ، وهي عرق الشجرة ، فعنى وشائج قریش أصولها وعروقها  
« والعرق أصل كل شيء » أي وإنك يا معاوية لتعرف أصول قریش للكريمة الزاكية التي تأتي الضيم ولا تحمل  
الثلب والإهانة « والوشيج أيضا شجر الرماح » ونظير هذا للتعبير قول الفرزدق « مشتقة من رسول الله  
نبيه » - والنبع : شجر تتخذ منه القسي والسهام . (٩) العمه محركة : التردد في الضلال .  
(١٠) الديجور : الضلام . (١١) القول في الخير ، والقال والقيل والقالة في الشر . (١٢) النادی .



فقال معاوية : يا أبا جعفر نغیر الخطأ ، أقسمت عليك لتتجلسن<sup>١</sup> ، لعن الله من أخرج  
خَبَّ صدرك من وِجَارِهِ<sup>(۱)</sup> ، محمول لك ما قلت ، ولك عندنا ما أملت ، فلو لم يكن  
مَحْتَدِك<sup>(۲)</sup> ومنصيبك لكان خُلُقك وَخُلُقك شافعين لك إلینا ، وأنت ابن ذی الجناحین  
وسید بنی هاشم ، فقال عبد الله : كلا بل سید بنی هاشم حسن وحسین لا یفازعهما  
فی ذلك أحد ، فقال : أبا جعفر أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كائنة  
ما كانت ، ولو ذهبت بجميع ما أملك ، فقال : أما فی هذا فی المجلس فلا ، ثم انصرف ،  
فأتبعه معاوية بصره فقال : والله لكان رسول الله صلى الله عليه وآله مشیه وخلقه وخلقه ،  
وإنه لمن مَشْكاته<sup>(۳)</sup> ، لو ددت أنه أخى بنفیس ما أملك .

ثم التفت إلى عمرو فقال : أبا عبد الله ما تراه منعه من الكلام معك ؟ قال : ما لا  
خفاء به عنك . قال : أظنك تقول : إنه هاب جوابك ؟ لا والله ولا سکنه ازدراك واستحقرك  
ولم یرك للكلام أهلا ، أما رأيت إقباله علیّ دونك ، ذاهباً بنفسه عنك ؟ فقال عمرو :  
فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه ؟ قال معاوية : أرغب إليك أبا عبد الله ، فلات حين  
جواب فيما یرى اليوم ؛ ونهض معاوية وتفرق الناس .

( شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۱۰۴ )

## ۱۲۰ - الحسن بن علیّ وعمرو بن العاص

وَوَفَدَ الحسن بن علیّ رضی الله عنه علی معاوية ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية :  
یا أمیر المؤمنین إن الحسن رجل أفه<sup>(۴)</sup> ، فلو حملته علی المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه  
عابوه وسقط من عیونهم ففعل ، فصید علی المنبر وتكلم فأحسن ، ثم قال : أيها الناس لو

(۱) جحره . (۲) أصلك . (۳) المشكاة : الكوة التي ليست بنافذة .

(۴) أفه : وصف من الفهاة ، وهي العی ، وفعله فهو كفرح ، وقياس الوصف منه أفه علی أفعل لأنه

یدل علی خلقه « عیب » كمور وعمی وعرج ، والسكن الذي فی كتب اللغة : فه كعذب وفهيه وفهغه .

( ۹ - جمهرة خطب العرب - ثان )

طلبتم ابنا لنبيكم ما بين جابر من إلى جابلق<sup>(۱)</sup> لم تجدوه غيري وغير أخى : (وإن أذرى  
 آمله فتنه لكم ومتاع إلى حين) فساء ذلك عمرا ، وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له :  
 أبا محمد ، هل تنعت الرطب<sup>(۲)</sup> ؟ فقال : « أجل تلقحه الشمال ، وتخرجه الجنوب ،  
 وينضجه برود الليل ، بحرّ النهار<sup>(۳)</sup> » قال : أبا محمد ، هل تنعت الخراة<sup>(۴)</sup> ؟ قال :  
 « نعم ، تبعد المشى في الأرض الصحصح<sup>(۵)</sup> ، حتى تتوارى من القوم ، ولا تستقبل  
 القبلة ، ولا تستدبرها ، ولا تستنجد بالروثة ، ولا العظم ، ولا تبلى في الماء الراكد »  
 وأخذ في كلامه .

(العقد الفريد ۲ : ۱۱۵ ، وعيون الأخبار م ۲ : ۱۷۲ ، ومعجم البلدان ۳ : ۲۲)

## ۱۲۱ — الحسن بن علي و مروان بن الحكم

بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسنُ بالباب ، فقال  
 معاوية : إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه ، فقال له مروان بن الحكم : ائذن له ، فإني أسأله  
 ما ليس عنده فيه جواب ، قال معاوية : لا تفعل ، فإنهم قوم قد ألهموا الكلام وأذن له ،  
 فلما دخل وجلس ، قال له مروان : أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ، ويقال إن ذلك  
 من الخرق<sup>(۶)</sup> ، فقال الحسن : ليس كما بانك ، ولكننا ممشر بنى هاشم ، أفواهنّا عذبة

(۱) جابر من : مدينة بأقصى المشرق ، وجابلق : مدينة بأقصى المغرب ، وضبطها ياقوت في معجمه  
 بسكون اللام ، وفي القاموس ولسان العرب بفتحها ، قال ياقوت : « وفي رواية : جابلص » وضبطها  
 صاحب اللسان بفتح اللام . وفي القاموس بفتح اللام أو سكونها : بلد بالمغرب ليس وراءه أنسى ، وفي العقد  
 الفريد : « لو طلبتم أبناء أبيكم ما بين لابتيها » ولا بتا المدينة : حرتان تكتنفانها . (۲) يسأله هذا  
 وما بعده تعجيزا له . (۳) وفي العقد : « وتنضجه الشمس ، ويصفغه القمر » . (۴) خرى كسمع  
 خراة بفتح الخاء وكسرهما : سلاح . (۵) الصحصح : ما استوى من الأرض . وفي العقد الفريد  
 « للصحیح » وهو تحريف . (۶) الخرق كسبب : الحمق ، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور  
 والاسم الخرق كقفل .

شِفَاهُهَا ، فَتَسَاوُنَا يُقْبَلُنَ عَلَيْنَا بِأَنْفُسِهِنَّ وَقَبَلِهِنَّ ، وَأَنْتُمْ مَعَشَرَ بَنِي أُمَيَّةَ فِيكُمْ بَخْرٌ<sup>(١)</sup> شَدِيدٌ ، فَتَسَاوُرْكُمْ يَصْرِفُنْ أَفْوَاهَهُنَّ وَأَنْفُسَهُنَّ عَنْكُمْ إِلَى أَصْدَانِكُمْ ، فَإِنَّمَا يَشِيبُ مِنْكُمْ مَوْضِعُ الْعِدَارِ<sup>(٢)</sup> مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . قَالَ سُرَوَانُ : إِنْ فِيكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ خَصَلَةٌ سَوْءٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : الْغُلْمَةُ<sup>(٣)</sup> . قَالَ : أَجَلٌ ، نَزَعْتَ الْغُلْمَةَ مِنْ نِسَائِنَا ، وَوَضَعْتَ فِي رِجَالِنَا وَنَزَعْتَ الْغُلْمَةَ مِنْ رِجَالِكُمْ ، وَوَضَعْتَ فِي نِسَائِكُمْ ، فَمَا قَامَ لِأُمَوِيَّةٍ إِلَّا هَاشِمِيٌّ ؛ فَغَضِبَ مَعَاوِيَةُ وَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَخْبَرْتُكُمْ ، فَأَبَيْتُمْ حَتَّى سَمِعْتُمْ مَا أَظْلَمَ عَلَيْكُمْ بَيْتَكُمْ ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكُمْ مَجْلِسَكُمْ » (العقد الفريد ٢ : ١١٥)

## ١٢٢ - عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَاوِيَةُ

وَكَانَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَعَاوِيَةَ مُغَاضِبًا لِأَخِيهِ الْإِمَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ<sup>(٤)</sup> ، فَأَكْرَمَهُ مَعَاوِيَةُ ، وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ ، وَقَضَى حَوَائِجَهُ ، وَقَضَى عَنْهُ دِينَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : « وَاللَّهِ إِنْ عَلِيًّا غَيْرُ حَافِظٍ لَكَ ، قَطَعَ قَرَابَتَكَ ، وَمَا وَصَلَكَ ، وَلَا اصْطَنَعَكَ » قَالَ لَهُ عَقِيلٌ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَجْزَلَ الْعَطِيَّةَ وَأَعْظَمَهَا ، وَوَصَلَ الْقَرَابَةَ وَحَفِظَهَا ، وَحَسُنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ إِذْ سَاءَ بِهِ ظَنُّكَ ، وَحَفِظَ أَمَانَتَهُ ، وَأَصْلَحَ رَعِيَّتَهُ ، إِذْ خُنِمَ وَأَفْسَدَتْكُمْ وَجُرْتُمْ ، فَا كَفَفَ لِأَبَائِكَ فَإِنَّهُ عَمَّا تَقُولُ بِمَعْرُورٍ » .

وَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا : « أبا يزيد ، أَنَا لَكَ خَيْرٌ مِنْ أَخِيكَ عَلِيٌّ » قَالَ « صَدَقْتَ ، إِنْ

(١) البخر : التثنية في الفم وغيره . (٢) العذار : جانب اللحية .

(٣) الغلطة : شدة الشهوة كالشبق بالتحريك . (٤) وكان قد قدم عليه بالكوفة ، فسأله أن يتقضى عنه دينه ، قال : وكم دينك ؟ قال : أربعون ألفاً ، قال : ما هي عندي ، ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فإنه أربعة آلاف فأدفعه إليك ، قال : بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعتائك ؟ قال : أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها ؟ قال : فإني آت معاوية ، فأذن له فقدم عليه « انظر أسد الغابة ٣ : ٤٢٣ والفخرى ص ٧٦ » اقرأ أيضا كلمة في هذا الصدد في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ٨٢ وفي ترجمة علي ابن أبي طالب للمؤلف ص ٨٣ .

أخى آثرَ دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير لي من أخى ،  
وأخى خير لنفسه منك<sup>(۱)</sup> .

وقال له مرة : « أنت معنا يا أبا يزيد » قال : « ويوم بدر قد كنت معكم ا » .  
وقال له يوما : إن علياً قد قطعك ووصلتُك ، ولا يُرضيني منك إلا أن تلغنه على  
على المنبر . قال : أفعلُ ، فأصعد فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس  
إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعنَ عليَ بنَ أبي طالب فلعنوه ، فعليه لعنةُ اللهِ  
والملائكةِ والناسِ أجمعين » ثم نزل ، فقال له معاوية : إنك لم تبين - أبا يزيد - من  
لعنتَ بني وبينه . قال : والله لا زيدتُ حرفاً ولا نقصتُ آخر ، والكلام إلى  
نيةِ المتكلم .

ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه على سريرته ، ثم قال له :  
« أنتم معشرَ بني هاشم تُصابون في أبصاركم » قال : « وأنتم معشرَ بني أمية تصابون  
في بصائركم » .

وقال له يوماً : ما أبينَ الشَّبَقَ في رجالكم يا بني هاشم ا قال : لكنه في نساءكم  
أبينُ يا بني أمية .

وقال معاوية يوماً : « يا أهل الشام ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه : (تَبَّتْ  
يَدَا أَبِي لَهَبٍ<sup>(۲)</sup> وَتَبَّ ) ؟ قالوا : نعم ، قال : فإن أبا لهب عمه ، فقال عقيل : فهل سمعتم  
قول الله عز وجل : (وَأْمُرْ أَتَهُ حَمَّالَةَ الْخَطَبِ<sup>(۳)</sup>) قالوا : نعم ، قال : فإنها عمته ، ثم

(۱) وفي البيان والتبيين أن معاوية قال : هذا أبو يزيد ، اولا انه علم أني خير له من أخيه لما أقام  
عندنا وتركه ، فقال له عقيل : « أخى خير لي في ديني ، وأنت خير لي في دنياي » . (۲) هو أبو لهب  
ابن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان شديد الإيذاء له ، يرمى القدر على بابه .  
(۳) هي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ، وقيل لها حمالة الخطب ، لأنها كانت تحمل  
الشوك والسعدان وتلقيه في طريق النبي عليه الصلاة والسلام إيذاء له وكانت جارته ، أو هو النخعة إذ كانت  
تسمى عليه بالنائم وتوقد بذلك نار الخصومة ، أو حطب جهنم ، فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداته ، وتحمل  
زوجها على إيذائه .

قال « يا معاوية ، إذا دخات النار ، فاعدل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمى أبا لب ، مفترشا  
عمتك حمالة الخطب ، فانظر أيهما خير ؟ »

وقال له معاوية يوما : والله إن فيكم لخصلة ما تعجبني يا بني هاشم . قال : وما هي ؟  
قال : لين فيكم . قال : لين ماذا ؟ قال : هو ذاك . قال إيانا تعبير يا معاوية ؟ أجل والله  
إن فينا لئينا من غير ضعف ، وعزا من غير جبروت ، وأما أنتم يا بني أمية ، فإن لينكم  
غدر ، وعزكم كفر . قال معاوية : ما كل هذا أردنا يا أبا يزيد .

وقال معاوية لعقيل : لم جفوتنا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

إني امرؤ مني التكرم شيمة إذا صاحبي يوما على الهون أضيرا

ثم قال « وايم الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا مهديتك مهادها ، وأظلتك  
بحدافير<sup>(۱)</sup> أهلها ، ومدت عليك أطناب سلطانها ، ما ذاك بالذي يزيدك مني رغبة ،  
ولا تخشعا لرغبة » قال معاوية : « لقد نعتها أبا يزيد نعمتا هس لها قابي ، وإني لأرجو أن  
أن يكون الله تبارك وتعالى مارداني برداء ملكها ، وحباني بفضيلة عيشها ، إلا لكرامة  
ادخرها لي ، وقد كان داود خليفة ، وسليمان ملكا ، وإنا هو المثل يمتدى عليه ،  
والأمور أشباه ، وايم الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريما ، وإينا حبيبا ،  
وما أصبحت أضير لك إساءة . »

( العقد الفريد ۲ : ۱۱۰ - ۱۱۹ ، البيان والتبيين ۲ : ۱۷۴ )

(۱) الحدافير : جمع حذفور أو حذفار ( كعصفور وقرطاس ) وهو الجانب .

## ۱۲۳ - خطبة السيدة أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة

بعد مقتل الحسين عليهم السلام

لما قُتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ، وأدخِلَ النُّسوة من كَرْبَلَاءَ إلى الكوفة جعلت نساؤها يلتدمن<sup>(۱)</sup> ، ويهتكن الجيوبَ عليه ، فرفع عليّ بن الحسين عليهما السلام رأسه ، وقال بصوت ضئيل - وقد نَحَلَ<sup>(۲)</sup> من المرض - يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا ، فمن قتلنا غيركم ؟ وأومات أم كلثوم بنت عليّ عليهما السلام إلى الناس أن اسكتوا ، فلما سكنت الأنفاس ، وهَدَّأتِ الأجراس<sup>(۳)</sup> ، قالت .

« أبدأ بحمد الله ، والصلاة والسلام على أبيه<sup>(۴)</sup> ، أما بعد : يا أهل الكوفة يا أهل الخثر<sup>(۵)</sup> والخذل ، لا ، فلا رَقَاتٍ<sup>(۶)</sup> العبرة ، ولا هَدَّأتِ الرنّة<sup>(۷)</sup> ، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزها من بعد قوّة أنكاثا<sup>(۸)</sup> ، تتخذون أيمانكم دخلاً<sup>(۹)</sup> بينكم ، ألا وهل فيكم إلا الصلّف<sup>(۱۰)</sup> والشنّف<sup>(۱۱)</sup> ، وملق<sup>(۱۲)</sup> الإمام ، وغمز الأعداء ، وهل أنتم

- (۱) لدمت المرأة ( كضرب ) ، والتدمت : لطمت وضربت صدرها في النياحة ، ويهتكن : يمزقن ، والجيوب جمع جيب : وهو طوق القميص . (۲) كنع وعلم ونصر وكرم . (۳) الأجراس جمع جرس كشمس : وهو الصوت . (۴) تربد جدّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية : « والصلاة على جدى سيد المرسلين » . (۵) الغدر والحديعة ، أو أفبح الغدر . (۶) رقا الدمع : جنف وسكن ، والعبرة : الدمعة قبل أن تفيض . (۷) الرنة : الصوت . (۸) أنكاثا : جمع نكت كحمل ، وهو مانقض ليغزل ثانية - حال من غزها ، أو مفعول ثان لنقضت لأنه بمعنى صيرت - وقيل هي ربطة بنت سعد بن تيم القرشية ، وكانت خرقاء تغزل طول يومها ثم تنقضه . (۹) الدخل : ما يدخل في الشيء وليس منه ، وما داخل من فساد في عقل أو جسم ، والغدر والمكر والحديعة . (۱۰) الصلّف : التمدح بما ليس عندك ، أو مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا . (۱۱) الشنّف : النظر بمؤخر العين ، أو النظر إلى الشيء كالمعترض عليه ، أو كالمتعجب منه ، أو كالسكاره له ، وشنف له كفرح فرحا : أبغضه وتنكره . (۱۲) ملق الجارية : مجامعتها ، أو هو ملق بالتحريك ، والملق : التلق .

إلا كَمَرْتَعَى عَلَى دِمْنَةٍ (۱) ، وَكَفِضَةَ عَلَى مَلْحُودَةٍ (۲) ، أَلَا سَاءَ مَا قَدَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ ، أَتَبْكُونَ ؟ إِي وَاللَّهُ فَايْكُوا ، وَإِنَّمَا وَاللَّهُ أُخْرِيَاءَ (۳) بِالْبُكَاءِ ، فَايْكُوا كَثِيرًا ، وَاضْحِكُوا قَلِيلًا ، فَلَقَدْ فَرَّزْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا (۴) وَلَنْ تُرْحَضُوهَا (۵) بِغَسَلٍ بَعْدَهَا أَبَدًا ، وَأَنْتِ تُرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النَّبِوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرَّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَّانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَفَارِ حُجَّتِكُمْ ، وَمِذْرَةَ (۶) حُجَّتِكُمْ ، وَمُفْرَخِ (۷) نَازِلَتِكُمْ ، فَتَعَسَّأَ وَنُكَّسَا (۸) ، لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ ، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ (۹) ، وَبُؤْتُمْ (۱۰) بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ الدَّلَّةُ وَالْمَسَكِنَةُ . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (۱۱) ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (۱۲) ؛ أَتَدْرُونَ أَيَّ كَيْدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ فَرَيْتُمْ ، وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ ، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ ؟ لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَوْهَاءَ خُرْقَاءَ (۱۳) ، شَرُّهَا طِلَاعُ (۱۴) الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ؛ أَلَمْ جِئْتُمْ أَنْ قَطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ؛ فَلَا سَتِّخَفْنَكُمْ الْمَهْلُ ، فَإِنَّهُ لَا تَحْفِزُهُ الْمُبَادِرَةُ (۱۵) ، وَلَا يُخَافُ عَلَيْهِ فَوْتُ النَّارِ ، كَلَّا ، إِنْ رَبُّكَ لَنَا بِإِيمَانٍ صَادِقٍ (۱۶) » ثُمَّ

- (۱) الدمنة : آثار الدار بعد الرحيل عنها من البعر والرماد وغيرها ، أخذت هذا القول من قول جدها عليه الصلاة والسلام : « إياكم وخضراء الدمن » وهي المرأة الحسناء في منبت السوء .
- (۲) ملحودة : مدفونة في لحدها ، تريد أنهم لا ينتفع بهم . (۳) جديرون .
- (۴) الشنار : أقبح العيب . (۵) رحضه كنعه وأرحضه : غسله . (۶) دره عن القوم كنع : إذا تكلم عنه ودفع فهو مدره . (۷) أي مذهب ومزيل ، يقال : « أفرخ روعك » - على الأمر وبضم الراء من روعك - أي اسكن وأمن ، والروع : القلب . (۸) التعس : الهلاك ، ونكسه نكسا : قلبه على رأسه ، والنكس بالضم عود المرض بعد النقه ، ويقال : تعس له ونكسا ، بضم النون وقد يفتح ازدواجاً . (۹) البيعة . (۱۰) رجعتهم . (۱۱) أي فظيحا منكرا . (۱۲) يتشققن ، وتخر : تسقط ، هدا : أي تهد هدا . (۱۳) بها أي بفعلتكم هذه ، وخرقاء من الخرق : وهو الأيخن الرجل العمل والتصرف في الأمور . (۱۴) طلاع الشيء : ملأه . (۱۵) أي لا تدفعه إلى العقوبة المبادرة إلى الذنب ، والضمير لله تعالى . (۱۶) المرصاد : الطريق والمكان يرصد فيه العدو ، ورصده : رقبه ، أي يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء .

ولت عنهم ، فظلّ الناس حيارى ، وقد ردّوا أيديهم إلى أفواههم . وقال شيخ كبير من  
بنى جُمَيْفِيٍّ - وقد اخضَلَّت (١) لحيمته من دموع عينيه .

كُؤُلُهُمْ خَيْرُ السُّكُولِ وَنَسْلُهُمْ إِذَا عُدَّ ، نَسْلٌ لَا يَبُورُ وَلَا يَخْزِي

( بلاغات النساء ص ٢٧ )

## ١٣٤ - خطبة السيدة زينب بنت عليّ عليهما السلام

بين يدي يزيد

ولما وجه عبّيد الله بن زياد آل الحسين عليه السلام إلى يزيد بدمشق ، ومثّلوا بين  
يديه أمر برأس الحسين فأبرز في طست ، فجعل يفتك ثناياه بقضيب في يده ، وهو  
يقول من أبيات (٢) :

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جَزَعِ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ (٣)

لأهلوا وأستهلوا فرحاً ثم قالوا : يا يزيدُ لا تشل (٤)

فجزيتهم ببدرٍ مثلها وأقمنا مئيلَ بدرٍ فامتدل (٥)

فقالَت زينب بنت عليّ عليهما السلام : صدق الله ورسوله يا يزيد ! ( ثم كان  
عاقبة الذين أساءوا الشؤمى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ) أظننت  
يا يزيدُ أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساك كما يساق

(١) ابتلت . (٢) تمثل يزيد بهذه الأبيات وهو لعبد الله بن الزبير ، قالها في غزوة أحد ، وهو  
يومئذ مشرك ، وكان يهجو المسلمين ، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ، ثم أسلم بعد فتح مكة .  
(٣) كانت الغلبة يوم بدر للمسلمين ويوم أحد للمشركين ، والأسل : الرماح والنبل ، والخزرج : قبيلة  
من الأنصار . (٤) كل من رفع صوته فقد أهل لإهلالاً واستهلالاً ، وشلت يده تشل كتعب يتعب ،  
وأشلت وشلت مبنيين للمجهول : يبست وهي جملة دعائية ، يقال في الدعاء : « لا تشل يدك ولا تكلل » -  
والبيت من قول يزيد - . (٥) لاتنس ما قدمناه لك من أن علياً كرم الله وجهه كان قد وتر آل أبي سفيان  
ببدر ، فقتل حنظلة بن أبي سفيان أخا معاوية ، والوليد بن عتبة خاله ، وهبة بن ربيعة جده لأمه .



الأسارى ، أن بناهوانا على الله ، وبك عليه كرامة ؟ وأن هذا لعظيم خطرِكَ ؟  
 فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفيك<sup>(١)</sup> ، جذلان فرحاً ، حين رأيت الدنيا مستوسقةً  
 لك ، والأمور متسقةً<sup>(٢)</sup> عليك ، وقد أمهلت ونفست<sup>(٣)</sup> ، وهو قول الله تبارك وتعالى :  
 (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّيْهِمْ (٤) لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمِلِّيْ لَهُمْ  
 لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ) أمن العدل ، يابن الطلقاء تخديرك<sup>(٥)</sup> نساءك وإماءك  
 وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هتكت ستورهن ، وأصحات<sup>(٦)</sup>  
 صوتهن ، مكثبات تخدي<sup>(٧)</sup> بن الأباعر ، ويخدو<sup>(٨)</sup> بهن الأعدى ، من بلد إلى  
 بلد ، لا يرآقبن ولا يؤوين ، يتشوفهن<sup>(٩)</sup> القريب والبعيد ، لبس معهن ولي<sup>(١٠)</sup> من  
 رجالهن . وكيف يستبظاً في بغضتنا من نظر إلينا بالشنف<sup>(١١)</sup> والشنان ، والإحن  
 والأضغان ؟ أتقول « ليت أشيأى بيدر شهدوا » غير متأثم ولا مستعظم ؟ وأنت تنكت  
 ثياباً أبى عبد الله بمخصرتك<sup>(١٢)</sup> ، ولم لاتكون كذلك وقد نكأت<sup>(١٣)</sup> القرحة ،  
 واستأصلت الشافة<sup>(١٤)</sup> ، بإهراقك دماء ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونجوم

- (١) أى جانبك ، وهو كناية عن إعجابه بنفسه . (٢) من استوسقت الإبل : أى اجتمعت ،  
 ومتسقة : منتظمة . (٣) أى فصح لك فى أمرك ، من نفس الله كربته : فرجها . (٤) نمهل .  
 (٥) صوتهن فى خدورهن . (٦) أبجحته ، صعل صوته كفرح : بح .  
 (٧) خدى البعير والفرس كجرى : أسرع وزج بقوائمه ، أو هو ضرب من سيرهما .  
 (٨) يسوق . (٩) يتناول وينظر إليهن ويشرف عليهن . (١٠) قريب أو نصير .  
 (١١) سبق تفسيره ، وفى الأصل « بالشنق » وهو تحريف ( والشنق : أن تكف البعير بزمامه حتى  
 تلتزق ذفراه بقادمة الرجل ، والذفرى بكسر الذا : العظم الشاخص خلف الأذن ) ، والشنان : الكراهية ،  
 والإحن : الأحقاد . (١٢) المخصرة : ما يأخذه الملك يشير به إذا خاطب . (١٣) نكأ القرحة  
 كنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت ، كناية عن نبشه عما كاد ينسى من العداوة بين بنى هاشم وبنى أمية .  
 (١٤) الشافة : قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب ، واستأصل الله شافته : أذهب كما تذهب  
 تلك القرحة .

الأرض من آل عبد المطلب ، وَاتَّردَنَ عَلَى اللَّهِ وَشَيْكَاً (۱) مَوْرِدَهُمْ ، وَلتودَنَّ أَنْكَ عَمِيَّتٍ وَبَكِيَّتٍ وَأَنْكَ لَمْ تَقُلْ : « فَاسْتَهْلُوا وَأَهْلُوا فَرِحَا » اللَّهُمَّ خذْ بِحَقِّنَا ، وَانْتَقِمْ لَنَا مِنْ ظَلَمَنَا . وَاللَّهُ مَا فَرَيْتَ إِلَّا فِي جِلْدِكَ . وَلَا حَزَزْتَ إِلَّا فِي لِحْمِكَ ، وَاسْتَرَدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَغْمِكَ (۲) . وَعَيْتَرْتُهُ وَأُحْمَتُهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ (۳) يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ مَلُومِينَ مِنَ الشَّعَثِ (۴) . وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ) وَسَيَعْلَمُ مِنْ بَوَاكٍ (۵) وَبَكْنِكَ مِنْ رِقَابِ الْمُؤْمِنِينَ - إِذَا كَانَ الْحَكَمَ اللَّهُ ، وَالْخِصَمَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَوَارْحُكَ شَاهِدَةٌ عَلَيْكَ فَبَيْتُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا - أَيْكُمْ شَرًّا مَكَانًا وَأَضْعَفُ جَنْدًا ، مَعَ أَنِّي وَاللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَابْنَ عَدُوِّهِ ، أَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ ، وَأَسْتَعْظِمُ تَقْرِيْعَكَ (۶) ، غَيْرَ أَنَّ الْعَيُونَ عَابِرِي وَالصُّدُورَ حَرِّي (۷) ، وَمَا يَجْزِي ذَلِكَ أَوْ يُغْنِي عَنَّا ؛ وَقَدْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَحَزَبُ الشَّيْطَانِ (۸) يَقْرَبُنَا إِلَى حَزْبِ السَّفَهَاءِ (۹) ، لِيُعْطُوهُمْ أَمْوَالَ اللَّهِ عَلَى انْتِهَاكَ مُحَارَمِ اللَّهِ ، فَهَذِهِ الْأَيْدِي تَنْطِفُ (۱۰) مِنْ دِمَائِنَا ، وَهَذِهِ الْأَفْوَاهُ تَتَحَابَّبُ (۱۱) مِنْ لِحُومِنَا ، وَتِلْكَ الْجُمُثُ الزُّوَاكِي يَعْتَامُهَا عَسَلَانُ الْفَلَوَاتِ (۱۲) ، فَلَمَّا أَخَذْتُنَا مَغْنَمًا لَتَتَّخِذَنَّ مَغْرَمًا ، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، تَسْتَصْرِخُ (۱۳) : يَا بَنَ صَرْجَانَةَ ، وَ يَسْتَصْرِخُ بِكَ ، وَتَتَعَاوَى وَأَتْبَاعُكَ

(۱) سريعا . (۲) الرغم : الذل . (۳) العترة : رهنط الرجل وعشيرته الأذنون ، واللحمة : القرابة ، والقدس : الطهر ، - أي في الجنة - . (۴) التفرق . (۵) أي أحلك في كرسى الخلافة وهو معاوية . (۶) التقريع : التأنيب . (۷) عين عبري : جرت عبرتها ، والصدور حري : شديدة الحرارة ، كناية عن شدة الحزن . (۸) تريد عبيد الله بن زياد ورجاله . (۹) أي إلى يزيد وشيعته . (۱۰) نطف الماء كنصر وضرب : سال ، ونطف كفرح ، وعنى : تلتخ بعيب . (۱۱) تحلب العرق : سال وتحلب بدنه عرقا : سال عرقه . (۱۲) الزواكي : جمع زاكية من زكا إذا صلح وتنعم ، واعتام : أخذ العيمة بالكسر وهي خيار المال ، وعسل الذئب عدلانا بكجري جريانا : أعنق وأسرع ، والعاصل : الذئب وجمعه كركع وفوارس ، والمراد هنا معنى الجمع لا المصدر : أي ذؤبان الفلوات ، ولم أجد في كتب اللغة لعاصل جمعا غير هذين ، إلا أن يراد بالمصدر الوصف . (۱۳) تستغيث .

عند الميزان ؛ وقد وجدت أفضلَ زادٍ زودك معاويةُ فتلك ذريةُ محمد صلى الله عليه وسلم ،  
فوالله ما اتقيت<sup>(۱)</sup> غير الله ، ولا شكواى إلا إلى الله ، فكِدْ كيدك ، واسعَ سعيتك ،  
وناصبَ جهْدك<sup>(۲)</sup> . فوالله لا يُرْحَضُ عنك عارٌ ما أتيتَ إلينا أبداً ، والحمد لله الذى ختم  
بالسعادة والمغفرة اسادات شجَّان الجنان ، فأوجبَ لهم الجنة . أسأل الله أن يرفع لهم  
الدرجاتِ ، وأن يوجب لهم المزيد من فضله ، فإنه ولىُّ قديرٌ .

( بلاغات النساء ص ۲۵ )

## ۱۲۵ - رثاء الحسين لأخيه الحسن عليهما السلام

وقال الحسين بن علىّ عند قبر أخيه الحسن عليهما السلام :  
« رَحِمَكَ اللهُ أبا محمد ، إن كنت لتناصرُ الحقَّ مَظَانَّةً<sup>(۳)</sup> ، وتؤثرُ اللهُ عند  
تَدَاخُضِ<sup>(۴)</sup> الباطلِ فى مَوَاطِنِ التَّقِيَّةِ بِحُسْنِ الروية ، وتَسْتَشِفُّ<sup>(۵)</sup> جليلَ مَعَاظِمِ الدنيا  
بعينِ لها حاقِرَةٌ ، وتُفِيضُ عليها يدا طاهرةَ الأطراف ، نَقِيَّةَ الأَسِرَّةِ<sup>(۶)</sup> ، وتردَعُ بِادِرَةِ  
غَرَبِ أعدائك بأيسر المئونة عليك . ولا غَرَوَ وأنت ابنُ سُلالةِ النبوة ، ورضيعُ إِبْرانِ  
الحِكْمَةِ . فَإِلَى رَوْحِ وَرَيْحَانِ وَجَنَّةِ نَعِيمٍ . أعظمَ اللهُ لنا ولكم الأجر عليه ، ووهب  
لنا ولكم السَّلوةَ وَحُسْنَ الأَسَى<sup>(۷)</sup> عنه » ( عيون الأخبار م ۲ : ص ۳۱۴ )

(۱) أى لا أخاف إلا الله . (۲) ناصبه العداوة : أظهرها له .  
(۳) فى الأصل « لتباصر » بالياء وأراه بالنون ، وقوله « مظانه » أى فى مظانه ، أو هو بدل .  
(۴) هى تفاعل من الدخض ، دحض برجله كنع : فحص بها ، ودحضت رجله : زلقت ، والمعنى :  
عند تطاحن الباطل ومغالبة بعضه بعضا . (۵) استشفه : نظر ماوراءه . (۶) الأسرة جمع سرار  
ككتاب : الخطوط التى تبدو فى ظاهر اليد والجهة . (۷) الأسى بضم المهملة وكسرها جمع أسوة بالضم  
والكسر أيضا : ما يتعزى به .

## ١٢٦ - عبد الله بن هاشم بن عتبة وعمرو بن العاص

في مجاس معاوية

روى المسعودي في مروج الذهب قال :

« لما قُتِلَ عليّ - كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، كان في نفس معاوية من يوم صَفِينِ كَلَى هاشمِ ابنِ عُتْبَةَ بنِ أُمِّي وَقَاصِ المِرِّقالِ وولَدِهِ عبدِ اللهِ بنِ هاشمِ إِحْسَنٌ ؛ فلما استعمل معاوية زياداً على العراق ، كتب إليه : « أما بعد : فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشدَّ يده إلى عنقه ، ثم ابعث به إلى » فحمله زياد من البصرة مُقَيِّدًا مَغْلُولًا إلى دِمَشْقِ ، وقد كان زياد طَرَقَهُ بالليل في منزله بالبصرة ، فدخل إلى معاوية ، وعنده عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمر بن العاص : هل تعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا الذي يقول أبوه يوم صَفِينِ (١) :

إِنِّي شَرَيْتُ النَفْسَ لَمَّا اعْتَلَا (٢) وَأَكْثَرَ اللُّؤْمَ وَمَا أَقْلَا (٣)

أَعورُ يَبْنِي أَهْلَهُ مَحَلًّا (٤) قَدْ عَالَجَ الحَيَاةَ حَتَّى سَلَا (٥)

لَا بَدَّ أَنْ يَفْلَ أَوْ يُفَلَّا (٦) يَتَلَّهُمْ بَنِي الكَعُوبِ تَلًّا (٧)

لاخير عندي في كريم وتلى

(١) وذلك أن عمار بن ياسر جاء إلى هاشم بن عتبة (وكان هاشم أعور فقنت عينه يوم اليرموك بالشام) فقال : يا هاشم ، أعورا وجبنا ! لاخير في أعور لا يغشى البأس ، اركب يا هاشم ، فركب ومضى معه وهو يرتجز : إني شريت النفس . . الخ وعمار يقول : تقدم يا هاشم ، الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت تحت أطراف الأسل ، وقد فتحت أبواب السماء ، وتزينت الحور العين ، اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه .

(٢) شريت النفس : أي بعثتها في سبيل الله ، واعتله : تجنى عليه ( أي ادعى ذنبا لم يفعله ) ، وفاضله ضمير عمار بن ياسر ، فعنى لما اعتل أي لما رماني عمار بالجبن .

(٣) يبني أهله محلا : أي يبني محل أهله أي يطلب مصير أهله الذين استشهدوا في سبيل الله فسكنوا جنات الخلد ، فهو يبني لقاءهم والاجتماع بهم هنالك .

(٤) يفل : يهزم ويغلب ، وتله صرعه ، أو ألقاه على عنقه وخده ( وفي الأصل : أسلمهم بنى الكعوب سلا وهو تحريف ، إذ رواية الطبري ، وابن الأثير يتلهم بالتاء ، أو هو صحيح على معنى : أسل أرواحهم وانزعها ) ، وذو الكعوب : الرمح ، وكعوب الرمح : النواشر في أطراف الأنايب .

فقال عمرو متمثلاً :

وقد يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ النَّثْرِى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ<sup>(۱)</sup>  
 « دونك يا أمير المؤمنين الضبُّ الضبُّ<sup>(۲)</sup> ، فاشخبُ أوداجَه<sup>(۳)</sup> على أسباجِه<sup>(۴)</sup> ،  
 ولا تردّه إلى أهل العراق ، فإنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدرٍ وشقاق ، وحزبُ  
 إبليسَ ليومِ هيجانِه ، وإن له هوى سؤديه<sup>(۵)</sup> ، ورأيًا سيّطغيه<sup>(۶)</sup> ، وبطانةً ستقويه ،  
 « وَجَزَاهُ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ مِثْلَهَا » .

(۱) الدمن : جمع دمنة ، وهى ما اسود من آثار النار بالبر والرماد وغيرها ، وهذا البيت  
 لزفر بن الحارث السكلابي من قصيدة قالها ، وقد قتل ابنه يوم وقعة مرج راهط ، التي نشبت بعد  
 موت معاوية الثاني بين مروان بن الحكم وبين من خالف على الأموية ودعا إلى الزبيرية من الضحاك بن قيس  
 الفهري وأتباعه ، ومنهم زفر السكلابي ، وقد دارت عليهم الدائرة ، وقتل الضحاك « انظر تاريخ الطبري ،  
 ومروج الذهب ، والعقد الفريد » . (۲) الضب : حيوان برى يشبه الورل ، وهو يتلون ألوانا بحر  
 الشمس كما تتلون الحرياء ، وقد ضرب به المثل فقالوا : « أخدع من ضب » ، وذلك أنهم كانوا يصيدونه ،  
 فيأتى الحارث ( حرش الضب واحترشه : صاده ) ويحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها  
 فيأخذها ، ولكن الضب شديد الحذر فإنه يعمد بلذبه باب جحره ليضرب به حية أو شيئا آخر إن جاءه ،  
 فيجىء المحترش ، فإن كان الضب مجربا أخرج ذنبه إلى نصف الجحر ، فإن دخل عليه شيء ضربه وإلا بقى في  
 جحره ، فهذا هو خدعه - يعنون به شدة حذره - وقيل إن معناه أن جحره قلما يخلو من عقرب ، لما بينها  
 من الألفة والاستعانة بها على المحترش ، فإذا أدخل المحترش يديه لدغته وأنشدوا :

وأخدع من ضب إذا جاء حارث أعد له عند الذنابة عقربا

ويقولون : « فلان خب ضب » ( والخب بالفتح وبكسر المخادع ) فيشبهون الحقده السكامن في قلبه  
 الذى يسرى ضرره ، بخدع الضب في جحره ( ومن أمثالهم فيه أيضا ) « أعق من ضب » - يريدون الأنثى ،  
 وصقوتها أنها تأكل أولادها ، وذلك أن الضبة إذا باضت حرست بيضها من كل ما قدرت عليه من ورل وحية  
 وغير ذلك ، فإذا نعت أولادها ، وخرجت من البيض ، ظنتها شيئا يريد بيضها ، فوثبت عليها فقتلها ،  
 فلا ينجو منها إلا الشريد - وقالوا : « أعقد من ذنب الضب » ذكروا أن فيه إحدى وعشرين عقدة  
 - « وأجبن من ضب » ، « وأبلد من ضب » ، « وأحيا من ضب » - أى أطول عمرا .

(۳) الأوداج جمع ودج بالتحريك : عرق في العنق ، وشخبت أوداج القتل دما من بابي قتل ونفع :  
 جرت ، وشخب اللبن وكل مائع : در وسال ، وشخبته أنا يتعدى ولا يتعدى . (۴) الأسباج جمع

سبجة « كفرصة » وسبجة القميص : لبنته - بنيقته . (۵) أى وإن له ميلا إلى آل على سبيلك .

(۶) طغى : جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر وأسرف في المعاصى والظلم .

فقال عبد الله : « يا عمرو إن أُقْتَلَ فرجلٌ أسلمه<sup>(١)</sup> قومُه ، وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك إذ تحميد عن القتال ، ونحن ندعوك إلى النزال ، وأنت تلوذ بِشَمَالِ النَّطَافِ<sup>(٢)</sup> ، وعقائِقِ الرَّصَافِ<sup>(٣)</sup> ، كالأمّة السوّداء ، والنعجة القوّداء<sup>(٤)</sup> لا تدفع يَدَ لَامِسٍ .

فقال عمرو : « أما والله لقد وقعت في لهاذِم<sup>(٥)</sup> شدقم الأقران ذى لبِدٍ ، ولا أحسبك مُنْقَلِبًا من محالِب أمير المؤمنين .

فقال عبد الله : « أما والله يا بن العاص ، إنك لبَطِرٌ في الرّخاء ، جبان عند اللّقاء ، غَشُومٌ<sup>(٦)</sup> إذا وليت ، هَيَّابٌ إذا لقيت ، تَهْدِرُ<sup>(٧)</sup> كما يهدِر العود المنكوس ، المقيد بين بحرى الشول ، لا يستعجل في المدة ، ولا يُرَنِّجِي في الشدة ، أفلا كان هذا منك ، إذ غمرك أقوام لم يعنفوا صفاراً ، ولم يُزَقُوا كباراً . لهم أيدٍ شِدَادٌ ، وألسنةٌ حِدَادٌ ،

(١) خذله . (٢) النطاف جمع نطفة ( كفرصة ) وهى الماء الصافى ، قل أو كثر ، وفى الحديث « قطعنا إليهم هذه النطفة » أى البحر وماءه ، وفى حديث على : « وليمهلها عند النطاف والأعشاب » يعنى الإبل والماشية . يريد أنها إذا وردت على المياه والعشب يدهها لترد وترعى . (٣) الرصفه بالتحريك الحجارة التى يرصف بعضها إلى بعض فى مسيل فيجتمع فيها ماء المطر ، والعقائِق : الغدران . يقال لكل مسيل شقه ماء السيل فأنهره ووسعه عقيق ، والجمع أعقة وعقائِق ، وقيل العقائِق هى الرمال الحمر . (٤) مؤنث الأقود : وهو الذاول المنقاد . (٥) جمع لهدم كجعفر : وهو القاطع من الأسنه ، والشدقم : الأسد ، والواسع الشدق ، وشدقم للأقران أى أسد مبتلع للأقران ، واللبد جمع لبد بالسكر ، ولبدة الأسد : ماتلد من شعره على منكبيه ، وكنيته « ذو لبدة » ويكنى أيضا أبا الأبطال ، وأبا شبل ، وأبا العباس ، وأبا الحارث ، وأبا حفص ، وأبا الزعفران . (٦) ظلوم ، غشمه كضربه غشما ظلمه .

(٧) هدر البعير وهدر بالتشديد : صوت ، وفى المثل « كالمهدر فى العنة » والعنة بضم العين وتشديد النون : الحظيرة . يضرب لمن يصيح ويحلب ولا ينفذ قواه ولا فعله ، كالبعير يحبس فى الحظيرة ممنوعاً من الضراب وهو يهدر ، والعود : المسن من الإبل ، والمنكوس : الذى عاوده المرض بعد النقه ، والشول جمع شائلة ، وهى من الإبل ما أنى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها .

يَدْعَمُونَ الْعَوْجَ<sup>(١)</sup> ، وَيُذْهِبُونَ الْحَرَجَ<sup>(٢)</sup> ، يُكْثِرُونَ الْقَلِيلَ ، وَيَشْفُونَ الْغَلِيلَ ،  
وَيُعْزُونَ الدَّلِيلَ ؟

فقال عمرو : « أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق<sup>(٣)</sup> أحشأؤه ، وتبقي<sup>(٤)</sup> أمعاؤه  
وتضطرب أصلاؤه<sup>(٥)</sup> ، كأنما انطبق عليه ضمد<sup>(٦)</sup> . »

فقال عبد الله : « يا عمرو ، إنا قد بلونناك ومقاتلك ، فوجدنا لسانك كذوباً غادراً ،  
حلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجنيد لا يسأمونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام ،  
لجَحَظَ<sup>(٧)</sup> إليه عَقْلُكَ ، ولتَلْجَجَ لسانُكَ ، ولاضطرب فَنَحْدَاكَ اضطراب القعود<sup>(٨)</sup> الذي  
أثقله حمله . »

فقال معاوية : « إيهيأ<sup>(٩)</sup> عنكما ، وأسر بإطلاق عبد الله ، فقال عمرو لمعاوية :

أمرتك أمراً حازماً فمصيبتني	وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه (يامعاوية) الذي	أعان علياً يوم حز الغلاصم <sup>(١٠)</sup>
فلم يثنني حتى جرت من دماننا	بصفين أمثال البحور الخضارم <sup>(١١)</sup>
وهذا ابنه ، والمرء يشبه سنخه	ويوشك أن تقرع به سن نادم <sup>(١٢)</sup>

(١) العوج : بالفتح ، في كل ما كان منتصباً مثل الإنسان والعصا والعود وشبهه ، والعوج :  
بالكسر ، ما كان في بساط أو أرض أو معاش أو دين ، وقيل بالفتح مصدر وبالكسر اسم منه ، ودعمه  
(كنفه) مال فأقامه . (٢) حرج صدره كفرح حرجا : ضاق . (٣) تضطرب .

(٤) تخرج ، بق النبت بقوقا : طلع . (٥) جمع صلا بالفتح : وهو وسط الظهر من الإنسان ومن  
كل ذي أربع ، وقيل هو ما انحدر من الوركين . (٦) ضمد جرحه : شده بالضمد والضامة (بالكسر)  
أي العصابة ، والجمع ضمد ككتب . (٧) من جحظت العين جحوظا : إذا برزت مقلتها ، والمراد  
اضطرب عقلك وشرد ولم يسلس لك قياد التفكير . (٨) القعود من الإبل : الذي يقتعده الراعي في كل حاجة .

(٩) أمر بالسكوت . (١٠) الغلاصم : جمع غلصمة بفتح الغين والصاد ، وهي رأس الخلقوم  
- الموضع الثاني في الحلق - أو أصل اللسان . (١١) الخضارم جمع خضرم بكسر الخاء والراء : البحر  
العظيم . وإثبات الياء في ينثنى مع الجازم لغة أو للضرورة أو إشباع والحرف الأصل محذوف للجازم .

(١٢) قرع فلان سنه : حرقه ندما (حرق نابه - كنصر وضرب - سحقه حتى سمع له صريف)  
وسكن الفعل للضرورة ، والسنخ : الأصل من كل ثوب ، (وي الأصل شيخه وهو تصحيف) .

فقال عبد الله بحبيبه :

مُعَاوِيَ : إِنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ ضَعِيفَةٌ صَدْرٍ غَشَّهَا غَيْرُ نَائِمٍ  
 يَرَى لَكَ قَتْلِي ( يَا بَنَ هِنْدِ ) وَإِنَّمَا يَرَى مَا يَرَى عَمْرٌ وَمُلُوكُ الْأَعَاجِمِ  
 عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ إِذَا مُنِعَتْ مِنْهُ عَهْدُ الْمُسَالِمِ  
 وَقَدْ كَانَ مِنَّا يَوْمَ صِفِّينَ نَعْرَةٌ عَلَيْكَ جِنَاهَا هَاشِمٌ وَابْنُ هَاشِمٍ (١)  
 قَضَى مَا انْقَضَى مِنْهَا ، وَإِسِ الَّذِي مَضَى وَلَا مَا جَرَى إِلَّا كَأَضْغَاثِ حَالِمٍ (٢)  
 فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَعَفُّ عَنِ ذِي قَرَابَةٍ وَإِنْ تَرَ قَتْلِي تَسْتَجِلُّ مَحَارِمِي (٣)

فقال معاوية :

أَرَى الْعَفْوَ عَنْ عَلِيًّا قَرِيشَ وَسَيْلَةً إِلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيبِ الْقُمَاطِرِ (٤)  
 وَلَسْتُ أَرَى قَتْلَ الْعُدَاةِ ابْنِ هَاشِمٍ بِإِدْرَاكِ تَارِي فِي لُؤَيٍّ وَعَامِرِ (٥)  
 بَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ بَعْدَ مَا بَانَ جُرْمُهُ وَزَاتٌ بِهِ إِحْدَى الْجُدُودِ الْعَوَائِرِ  
 فَكَانَ أَبُوهُ يَوْمَ صِفِّينَ جَمْرَةَ عَلَيْنَا فَأَرَدْتَهُ رِمَاحُ نَهَابِرِ (٦)

(١) نعر القوم كنع : هاجوا واجتمعوا في الحرب ، ونعر الرجل خاف ، وفي الأصل « نقرة » وهو

تصحييف . (٢) قضى : مات وذهب ، وأضغاث حالم : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها .

(٣) كان عبد الله بن هاشم من أقرباء معاوية ، إذ هو ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن وهيب

ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، فهو يجتمع مع معاوية في جده كلاب . (٤) يوم عصيب :

شديد ، ويوم قاطر وقطارير : شديد أيضا . (٥) العداة جمع عاد : وهو العدو ، ولؤي هو الجد التاسع لمعاوية

وهو عبد الله بن هاشم ( والجد الثامن للنبي عليه الصلاة والسلام ) وعامر : هو عامر بن لؤي .

(٦) النهابر : المهالك جمع نهيرة بضم النون والباء وكذا النهابر جمع نهيرة .



## ١٢٧ — عبد الله بن هاشم في مجلس معاوية

وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية ، فقال معاوية :  
« مَنْ يُخْبِرُنِي عَنِ الْجُودِ وَالنَّجْدَةِ وَالْمُرُوءَةِ ؟ » فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ،  
أما الجود : فابتذالُ المال ، والعطيّةُ قبل السؤال : وأما النجدة : فالجراءة على الإقدام ،  
والصبر عند ازورار الأقدام<sup>(١)</sup> . وأما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح للحال ،  
والمحاماة عن الجار .  
( مروج الذهب ٢ : ٥٧ )

## قيس بن سعد بن عبادة ومعاوية

ودخل قيس بن سعد بن عبادة بعد وفاة عليّ ووقوع الصلح ، في جماعة من الأنصار  
على معاوية ، فقال لهم معاوية :

## ١٢٨ — مقال معاوية

« يا معشر الأنصار ، بِمَ تَطْلُبُونَ مَا قَبِلِي ؟ فَوَاللَّهِ لَأَقْدُ كُنْتُمْ قَلِيلًا مَعِيَ ، كَثِيرًا  
مَعَ عَلِيٍّ ، وَلَقَدْ قَلَّتُمْ حَدِّي يَوْمَ صِفِّينَ ، حَتَّى رَأَيْتَ الْمَنَابِيَا تَلْظِي<sup>(٢)</sup> فِي أُسْنَتِكُمْ ،  
وَهَجَوْتُمُونِي فِي أَسْلَافِي بِأَشَدِّ مِنْ وَقْعِ الْأَسِنَّةِ ، حَتَّى إِذَا أَقَامَ اللَّهُ مِنَّا مَا حَاوَلْتُمْ مَيْلَهُ ،  
قَلْتُمْ ارْزِعْ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup> صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَيْهَاتَ يَا أَبِي الْحَقِيرِ الْغَدْرَةَ . »

(١) أي عند انحرافها وتزلزلها . (٢) تلتظي : أي تلتهب . (٣) وقد وصى عليه الصلاة  
والسلام بأن يحسن إلى محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم .

( ١٠ - جبهة خطب العرب - ثان )

١٢٩ - رد قيس بن سعد

فقال قيس : « نطلب ما قبلك بالإسلام الكافي به الله ، لا بما نمتُ به إليك من الأحزاب . وأما عداوتنا لك فلو شئت كفتها عنك . وأما هجاؤنا إياك فقول يزول باطله ، ويثبت حقه . وأما استقامة الأمر فعلى كرهه كان منا . وأما فلنا حدك يوم صفين فإننا كنا مع رجل نرى طائفة لله طاعة ، وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ، فمن آمن به رعاها بعده . وأما قولك يا أبا الحقير الفدرة ، فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية . »

فقال معاوية يومه : « ارفعوا حواججكم »

( مروج الذهب ٢ : ٦٣ ، والعقد الفريد ٢ : ١٢١ )

١٣٠ - معاوية وصعصعة بن صوحان وعبد الله بن الكواء

روى المسعودى فى مروج الذهب قال :

حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدى ، وعبد الله بن الكواء الأيشى كرى ورجالاً من أصحاب على ، مع رجال من قريش ، فدخل عليهم معاوية يوماً ، فقال : « نشدتكم بالله إلا ما قلم حقاً وصدقا ، أى الخلفاء رأيتمونى ؟ فقال ابن الكواء : « لولا أنك عزمت علينا ما قلنا ، لأنك جبار عنيد ، لا تراقب الله فى قتل الأخيار ، ولكننا نقول : إنك - ما علمنا - واسع الدنيا ضيق الآخرة<sup>(١)</sup> ، قريب الثرى بعيد المرعى<sup>(٢)</sup> ، تجعل الظلمات نوراً ، والنور ظلمات . » فقال معاوية : « إن الله أكرم هذا الأمر

(١) أى إنك ذو حظ وافر فى الدنيا وليس لك من ثواب الآخرة من نصيب .

(٢) قريب الثرى : قريب الحلول فى الثرى : أى قريب الأجل ، وبعيد المرعى : كناية عن أنه بعيد

الأمل . والمعنى أنك واسع الآمال بعيد مرعى الأمانى ، مع يقينك أن الارتحال عن هذه الدار وشيك .

بأهل الشام ، الذابئين عن بيضته ، التاركين لمحارمه ، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق ،  
المنتهكين لمحارم الله ، والمُجَلِّين ما حرّم الله ، والمُحَرِّمِينَ ما أحل الله . فقال عبد الله  
ابن الكواء : « يابن أبي سفيان ، إن لكل كلام جوابا ، ونحن نخاف جبروتك ، فإن  
كنت تطلق السنتنا ذببنا عن أهل العراق ، بالسنة حِداد ، لا يأخذها في الله لومة لائم  
وإلا فإننا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه » . قال : « والله لا يُطَلَقُ  
لك لسان » .

ثم تكلم صعصعة فقال : « تكلمت يابن أبي سفيان فأبْلَغْتَ ، ولم تُقَصِّرْ عما  
أردت ، وليس الأمر على ما ذكرت ، أئى يكون الخليفة من مَلَكِ النَّاسِ قَهْرًا ،  
ودانهم <sup>(١)</sup> كِبْرًا ، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرًا ؟ أما والله مالك في يوم بدر  
مَضْرَبٌ ولا مَرْمِي <sup>(٢)</sup> ، وما كنت فيه إلا كما قال القائل : « لَأَحْيَى وَلَا سِيرِي » ،  
ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير <sup>(٣)</sup> ممن أُجْلِبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وإنما أنت طليق ابن طليق <sup>(٤)</sup> ، أطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأئى  
تصلح الخلافة لطلق ؟ » ، فقال معاوية : « لولا أنى أرجع إلى قول أبي طالب  
حيث يقول :

(١) دانه : ملكه وأذله واستعبده . (٢) أى مالك ضرب ولا رمى . (٣) العير : الإبل تحمل  
الميرة ، والمراد بها هنا عبر قريش التي كان يقودها أبو سفيان بن حرب - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قد نجح انصرافها من الشام - فلما دنا أبو سفيان من المدينة ، وعرف أن عيون رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ترصده ساحل بعيره ( أى بها الساحل ) وترك بدرا يسارا ، وقد كان بعث إلى قريش حين فصل من الشام  
يخبرهم بما يخافه من محمد ، فأقبلت قريش من مكة ، فأرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ( أى  
حصنها ) وبأمرهم بالرجوع ، فأبت قريش أن ترجع ، ورجعت بنو زهرة وعدلوا إلى الساحل منصرفين إلى  
مكة فصادفهم أبو سفيان فقال : يابنى زهرة لاني العير ولا في النفير ( فذهبت مثلا ) قالوا أنت أرسلت إلى  
قريش أن ترجع ، ومضت قريش إلى بدر فقاتلهم النبي وأظفره الله بهم ، والنفير : القوم يستنفرون للحرب  
وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنقلون العير ، وكان رئيسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس جد معاوية لأمه .  
(٤) الطلقاء : هم الذين عفا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة ، فقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء .

قَابَلْتُ جَهْلَهُمْ حِلْمًا وَمَغْفِرَةً وَالْعَفْوُ عَنْ قَدْرَةٍ ضَرْبٌ مِنَ الْكَرَمِ -  
لَقَتَلْتُمْ « (مروج الذهب ٢ : ٧٨)

### ١٣١ - صعصعة بن صوحان ومعاوية

ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية ، فقال له :

« يا بن صوحان ، أنت ذو معرفة بالعرب وبجبالها ، فأخبرني عن أهل البصرة ، وإياك والحل على قوم لقوم » قال : « البصرة واسطة<sup>(١)</sup> العرب ، وَمُنْتَهَى الشرف والسُّودَد ، وهم أهل الخِطَط<sup>(٢)</sup> في أول الدهر وآخره ، وقد دارت بهم سرّوات<sup>(٣)</sup> العرب كدوران الرّحى على قُطْبِهَا » ، قال : فأخبرني عن أهل الكوفة ، قال : « قُبَّةُ الْإِسْلَام ، وَذِرْوَةُ الْكَلَام ، وَمَصَانُ ذَوِي الْأَعْلَام - إلا أن بها أجلافاً<sup>(٤)</sup> تَمْنَعُ ذَوِي الْأَمْرِ الطّاعَةَ ، وتخرجهم عن الجماعة - وتلك أخلاق ذوى الهيبة والقناعة » . قال : فأخبرني عن أهل الحجاز ، قال : « أسرعُ الناس إلى فتنة ، وأضعفهم عنها ، وأقلهم غناء<sup>(٥)</sup> فيها ، غير أن لهم ثباتاً في الدين ، وَتَمَسُّكَ بِعُرْوَةِ الْيَقِينِ ، يتبعون الأئمة الأبرار ، وَيَخْلَعُونَ الْفَسَقَةَ الْفُجَّارَ » فقال معاوية : من البررة والفسقة ؟ فقال : « يا بن أبي سفيان ، تَرَكَ الْخِدَاعَ ، مَنْ كَشَفَ الْقِنَاعَ ، على أصحابه من الأئمة الأبرار ، وأنت وأصحابك من أولئك » ثم أحب معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه ، بعد أن بان فيه الغضب ، فقال : أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر<sup>(٦)</sup> ، قال :

(١) هو على التشبيه بواسطة العقدة : وهي الجوهرة الفاخرة التي تجعل وسطه . (٢) الخطط جمع خطة بالكسر : وهي الأرض تنزل من غير أن ينزلها نازل قبل ذلك ، ومنه خطط الكوفة والبصرة . وقد خطها لنفسه واختطها : وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها . (٣) السرو بالفتح : المروءة في شرف ، سرو فهو مري وجمعه أسرياء وسرواء كفضلاء والسراة بالفتح اسم جمع وجمعه سروات . (٤) جمع جلف بالكسر : وهو الرجل الجاني . (٥) غناء : كفاية . (٦) ذكروا أن نزار ابن معد لما حضرته الوفاة جمع بنيه : مضر وإبادة ، وربيعة ، وأنمارا ، فقال : يا بني ، هذه القبة الحمراء =

« أُسْدٌ مُضَرٌّ بَسْلَاءَ بَيْنِ غَيْلَيْنِ <sup>(١)</sup> ، إِذَا أُرْسِلْتُمْ أَفْتَرَسَتْ ، وَإِذَا تَرَكْتُمْهَا احْتَرَسَتْ » .  
 فقال معاوية: « هنالك يابن صوحان ، العز الرأسي ، فهل في قومك مثل هذا ؟ قال :  
 هذا لأهله دونك يابن أبي سفيان ، ومن أحب قومًا حُشِرَ معهم » قال : فأخبرني عن ديار ربيعة ،  
 وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الْجَهْلُ ، وَسَابِقَةُ الْحِمِيَّةِ بِالْتَعَصُّبِ لِقَوْمِكَ <sup>(٢)</sup> ، قال : « والله ما أنا عنهم براض ،  
 ولكني أقول فيهم وعليهم ، هم والله أعلام الليل ، وأذئاب في الدين والميل ، لن تُغْلَبَ  
 رايتهما إِذَا رُشِّحَتْ ، خَوَارِجُ الدِّينِ ، بَرَاذِخُ اليَقِينِ ، مَنْ نَصَرُوهُ فَلَجَّ <sup>(٣)</sup> ، وَمَنْ خَذَلُوهُ  
 زَجَّ <sup>(٤)</sup> » . قال : فأخبرني عن مضر ، قال : « كِنَانَةُ <sup>(٥)</sup> العَرَبِ ، وَمَعْدِنُ العِزِّ وَالْحَسَبِ ،  
 يَقْذِفُ البَحْرَ بِهَا آذِيَةً <sup>(٦)</sup> ، وَالْبَرْزَ رَدِيَةً » ثم أمسك معاوية ، فقال له صعصعة : سَلْ  
 يامعاوية ، وَإِلَّا أَخْبَرْتُكَ بِمَا تَحِيدُ عَنْهُ ، قال : وما ذاك يابن صوحان ؟ قال : « أهل  
 الشَّامِ » قال : « فأخبرني عنهم » ، قال : « أَطْوَعُ النَّاسَ لِخَلْقِ ، وَأَعْصَامُ لِلْخَالِقِ ، عُصَاةُ  
 الجِبَّارِ ، وَخَلْفَةُ <sup>(٧)</sup> الأَشْرَارِ ، فَعَلَيْهِمُ الدَّمَارُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » . فقال معاوية : « والله

= - وكانت من آدم - لمضر - وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم - وكانت شمطاء  
 - لإياد ، وهذه البدرة ( بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار ) والمجلس  
 لأنمار يجلس فيه ، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون ، فأتوا الأفعى الجرهمي ، ومنزله بنجران ، فتشاجروا  
 في ميراثه ، فاختصموا إلى الأفعى الجرهمي ، وهو حكم العرب ، فقصوا عليه قصتهم ، وأخبروه بما أوصى  
 به أبوهم فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر ، فذهب بالدنانير والإبل الحمر ، فسمى مضر الحمراء  
 لذلك ، وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود ، فله كل شيء أسود ، فصارت لربيعة الخيل  
 الأدهم ، فتقيل ربيعة الفرس ، وما أشبه الخادم للشمطاء فهو لإياد ، فصار له الماشية للبلق من الحبلق والنقد  
 ( الحبلق : بفتح الحاء والباء وتشديد اللام : غنم صفار لا تكبر ، أو قصار المعز ودماها ، والنقد كسبب :  
 جنس من الغنم قبيح الشكل ) فسمى إياد الشمطاء ، وقضى لأنمار بالدراهم وبما فضل : فسمى أنمار الفضل  
 فصدروا من عنده على ذلك . - مجمع الامثال ١ : ١٠ . (١) بسلاء جمع باسل : وهو الأسد والشجاع  
 والغيل بالكسر ويفتح : الشجر الكثير الملتف والأجمة . (٢) وكان صعصعة من بني عبد القيس  
 ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . (٣) فلج على خصمه : ظفر وفاز . (٤) زلق وزل .  
 (٥) الكنانة في الأصل : جعبة السهام . (٦) الآذى : الموج . (٧) الخلفة في الأصل :  
 ماعلق خلف الراكب ، والمراد بها هنا أتباع .

يا بن صوحان ، إنك لحامل مُدَّتِك منذ أزمان (١) « إلا أن حلم ابن أبي سفيان يردُّ عنك .  
فقال صعصعة : « بل أمر الله وقدرته ، إن أمر الله كان قَدَرًا مقدورًا » .

( مروج الذهب ٢ : ٧٨ )

## ١٣٢ - صعصعة بن صوحان وعبد الله بن عباس

وروى المسعودي في مروج الذهب أيضاً ، قال :

« عن مصقلة بن هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي قال : سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابنُ  
عباس : ما السُّودَدُ (٢) فيكم ؟ فقال : إطعامُ الطعام ، ولينُ الكلام ، وبَذْلُ النُّوَالِ ،  
وكفُّ المرءِ نفسه عن السؤال ، والتودُّدُ للصغير والكبير ، وأن يكون الناس عندك  
مَرَعًا (٣) . قال : فما المَرُوءَةُ ؟ قال : « أخوان اجتمعوا ، فإن لَقِيَا قَهْرًا ، (وإن كان) (٤)  
حارِسُهُما قليل ، وصاحبُهُما جليل ، محتاجان (٥) إلى صيانة ، مع نزاهةٍ وديانةٍ » . قال : فهل  
تحفظُ في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول مُرَّةَ بنِ ذَهْلِ بنِ شَيْبَانَ حيث يقول :  
إِنَّ السِّيَادَةَ وَالْمَرْوَةَ عُلُقًا      حَيْثُ السَّمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ (٦)  
وَإِذَا تَقَابَلَ مُجْرِبَانِ لِنَايَةِ      عَثَرَ الْهَجِينِ وَأَسْلَمَتَهُ الْأَرْجُلُ (٧)  
وَيَجِي الصَّرِيحُ مَعَ الْعِتَاقِ مَعُودًا      قَرَبَ الْجِيَادِ فَلَمْ يَجِئْهُ الْأَفْكَالُ (٨)

(١) كناية عن مجاهرته بالعداوة . (٢) السُّودَدُ بفتح الدال غير مهموز ، والسُّودَدُ بضم الدال  
مهموزا والسيادة والسودد . (٣) شرعاً بسكون الراء وفتحها أي سواء . (٤) أي أنهما قوتان  
عظيمتان لصاحبهما ، تقهران مايلقاه من الشدائد والصعاب . وقوله « وإن كان » أي وإن كان مالقياه عظيماً ،  
ولعله زيادة من خطأ النساخ أو الطباع . (٥) في الأصل « لحاجان » وهو تحريف .  
(٦) السماء كان الأعزل والرامي : نجمان نيران ، وسمى أعزل لأنه لا شيء بين يديه من السكواكب  
كالأعزل الذي لا سلاح معه كما كان مع الرامح . (٧) فرس هجين : إذا لم يكن عتيقاً كريماً ، وأسلمته : خذلته .  
(٨) لم يجئه الأفكل : أي لم تصبه الرعدة « ويلاحظ أن في هذا الشعر عيباً من عيوب القافية وهو الإقواء ،  
لأن حركة الروي في البيت الأول كسر ، وفي الثاني والثالث ضم ، وقد وقع في شعر النابغة الذبياني ، وحسان  
ابن ثابت ، وبشر بن أبي خازم . . . » .

فی آیات . فقال له ابن عباس : لو أن رجلاً ضرب آباطاً<sup>(۱)</sup> إبله ، مُنْزَرَفًا وَمُغْرَبًا  
 نَفَاذَةً هذه الآيات ما عَنَّفَتْهُ ، إنا منك يا ابن صوحان لَمْ لِي عِلْمٍ وَحِلْمٍ وَاسْتِنْبَاطٍ مَا قَدَّ عَفَا<sup>(۲)</sup>  
 من أخبار العرب ، فمن الحليم فيكم ؟ قال : « مَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَسُمِّيَ إِلَيْهِ بِحَقِّ  
 أَوْ بَاطِلٍ فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَوَجَدَ قَاتِلَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ ، فَصَفَحَ وَلَمْ يَقْتُلْ ، ذَلِكَ الْحَلِيمُ يَا بَنَ  
 عَبَّاسِ » . قال : فهل تجد ذلك فيكم كثيراً ؟ قال : « وَلَا قَلِيلًا ، وَإِنَّمَا وَصَفْتَ لَكَ أَقْوَامًا  
 لَا تَجِدُهُمْ إِلَّا خَاشِعِينَ رَاهِبِينَ ، لِلَّهِ مُرِيدِينَ ، يُنِيلُونَ وَلَا يَنْالُونَ ، فَأَمَّا الْآخِرُونَ فَأِنَّهُمْ  
 سَبَقَ جَهْلُهُمْ حِلْمَهُمْ ، وَلَا يَبَالِي أَحَدُهُمْ ( إِذَا ظَفَرَ بِبُغْيَتِهِ ) حِينَ الْحَفِيظَةِ<sup>(۳)</sup> مَنْ كَانَ ،  
 بَعْدَ أَنْ يُدْرِكَ زَعْمَهُ ، وَيَقْضَى بُغْيَتُهُ ، وَلَوْ وَتَرَءَهُ أَبُوهُ لَقَتَلَ أَبَاهُ ، أَوْ أَخُوهُ لَقَتَلَ أَخَاهُ ،  
 أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قَوْلِ رَيَّانَ بْنِ عَمْرِ بْنِ رَيَّانَ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرًا أَبَاهُ قَتَلَهُ مَالِكُ بْنُ كَوْمَةَ ،  
 فَأَقَامَ رَيَّانُ زَمَانًا ثُمَّ غَزَا مَالِكًا ، فَأَتَاهُ فِي مَائَتِي فَارِسٍ صَبَاحًا ، وَهُوَ فِي أَرْبَعِينَ بَيْتًا ،  
 فَحَقَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ وَقَتَلَ عَمَّهُ فِيمَنْ قَتَلَ ، — وَيُقَالُ بَلْ كَانَ أَخَاهُ — وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ جَاوَرَهُمْ ،  
 فَعَقِلَ لِرَيَّانَ فِي ذَلِكَ : قَتَلْتُ صَاحِبَنَا ، فَقَالَ :

فَلَوْ أُمَّيْ ثَقِفْتُ بِحَيْثُ كَانُوا      لَبَلَّ ثِيَابَهَا عَاقُ صَبِيْبٍ<sup>(۴)</sup>  
 وَلَوْ كَانَتْ أُمِّيَّةُ أُخْتُ عَمْرٍو      بِهَذَا الْمَاءِ ، ظَلَّهَا نَحِيْبُ  
 شَهَرَتْ السِّيفَ فِي الْأَذْنَيْنِ مِئِي      وَلَمْ تَعْطِفِ أَوْاصِرَنَا قُلُوبُ<sup>(۵)</sup>

فقال ابن عباس : فمن الفارس فيكم ؟ حَدُّ لِي حَدًّا أَسْمَعُهُ مِنْكَ ، فَإِنَّكَ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ  
 بِمَوَاضِعِهَا يَا بَنَ صَوْحَانَ ، قَالَ : « الْفَارِسُ مَنْ قَصُرَ أَجَلُهُ فِي نَفْسِهِ ، وَضَغَمَ<sup>(۶)</sup> عَلَى أَمَلِهِ  
 بِضِرْسِهِ ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ أُمِّيَّةِ ، ذَلِكَ الْفَارِسُ إِذَا وَقَدَّتْ<sup>(۷)</sup> الْحَرْبُ ،

(۱) آباط جمع إبط كحمل وإبل : باطن المنكب . (۲) درس واحى . (۳) الحمية والغضب .

(۴) ثقفه كسمعه : صادفه ، والعلق : الدم ، أو الشديد الحمرة ، وصبيب : أى مصبوب .

(۵) أواصر جمع أصرة : وهى القرابة ، وحبل صغير يشر به أسفل الحياء . (۶) ضغمه كنع : عضه .

(۷) وقدت النار ( كوقد ) توقدت .

واشتدت بالأَنْفَسِ الْكَرُوبِ ، وَتَدَاعَوْا لِلنِّزَالِ ، وَتَزَاحَفُوا لِلْقِتَالِ ، وَتَخَالَسُوا الْمُهَاجِ (۱) ،  
 وَاقْتَحَمُوا بِالسُّيُوفِ اللَّجَجِ ، قَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنَ صُوحَانَ ، إِنَّكَ أَسَلِيلُ أَقْوَامِ  
 كِرَامٍ ، خُطْبَاءُ فَصَحَاءُ ، مَا وَرِثْتَ هَذَا عَنِ كَلَالَةَ (۲) ، زِدْنِي ، قَالَ : « نَعَمْ ، الْفَارِسُ  
 كَثِيرُ الْحَذَرِ ، مُدِيرُ النَّظَرِ ، يَلْتَفِتُ بِقَلْبِهِ ، وَلَا يَدِيرُ خَرَزَاتِ صُلْبِهِ (۳) » . قَالَ : أَحْسَنْتَ  
 وَاللَّهِ يَا بَنَ صُوحَانَ الْوَصْفَ ، فَهَلْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ شَعْرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، لَزْهَيْرِ بْنِ  
 جَبَّابِ الْكَأْبِيِّ (۴) يَرِثِي ابْنَهُ عَمْرًا حَيْثُ يَقُولُ :

فَارِسٌ تُكَلَّلُ الصَّحَابَةُ مِنْهُ      بِجُسَامٍ يَمُرُّ مَرَّةَ الْحَرِيقِ (۵)  
 لَا تَرَاهُ لَدَى الْوَعْيِ فِي تَجَالٍ      يُغْفِلُ الصَّرْبَ لَا ، وَلَا فِي مَضِيْقِ  
 مَنْ يَرَاهُ يَخَلُّهُ فِي الْحَرْبِ يَوْمًا      أَنَّهُ أَخْرَقَ مُضَلُّ الطَّرِيقِ (۶)

فِي أَبِيَات ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَأَيْنَ أَخْوَاكَ مِنْكَ يَا بَنَ صُوحَانَ ؟ صِفْهُمَا لِأَعْرِفَ  
 وَرِثَتِكُمْ ، قَالَ : أَمَا زَيْدٌ فَكَمَا قَالَ أَخُو غَنِي (۷) :

(۱) المهج جمع مهجة : وهى الروح ، وتخالسوها تبادلوا اختلاسها واستلابها .  
 (۲) تقول العرب : لم يرثه كلاله أى لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق ، قال الفرزدق :  
 ورثتم فناة الملك غير كلاله      عن ابني مناف عبد شمس وهاتم  
 والكلالة : ما لم يكن من النسب لحماً ، وبنو العم الأبعاد ، وحكى عن أمراءى أنه قال : ما لي كثير ويرثني  
 كلاله متراخ نسبهم ، وكل وارث ليس بوالد للميت ولا ولد له فهو كلاله موروثه . (۳) أى فقرات  
 ظهره . (۴) شاعر جاهلي ، وهو أحد المعمرين . (۵) كلاله : حفظه وحرسه .  
 (۶) الأخرق : الأحمق ، أما قوله في أول البيت « من يراه » فهو مثل : « ألم يأتيك والأنبياء تنسى »  
 ومثل : « كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً » . . . الخ ، وقد قال النحويون في ذلك إن إثبات حرف العلة مع  
 الجازم لغة ، وقيل ضرورة ، وقيل هو حرف إشباع ، والحرف الأصلي محذوف للجازم . وعندى أنه ربما  
 كان الأصل « من رآه » وعليه فلا محذور ، مع استقامة وزن البيت . (۷) هو كعب بن سعد الغنوي  
 (شاعر جاهلي) والأبيات المذكورة من قصيدة له يرثي بها أخاه أبا المغوار وأولها :

نقول سايحي ما لجمك شاحبا      كأنك يجميك الطعام طيب

( انظرها في الأمل ۲ : ۱۵۰ ، والمعقد الفريد ۲ : ۱۹ ) .



فَتَى لَا يُبَدِّلِي أَنْ يَكُونَ بُوْجُهَهُ (إذا نالَ خَلَاتِ الْكِرَامِ) شُحُوبٌ (۱)  
 إذا ما تَرَاءَاهُ الرَّجَالُ نَحَفَّظُوا فلم ينطقوا العوراء وهو قريب (۲)  
 حَلِيفُ النَّدَى ، يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ قَرِيبًا ، وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ (۳)  
 يَبِيْتُ النَّدَى (يَأُمُّ عَمْرٍو) ضَجِيْعَهُ إذا لم يكن في المنقيات حلوب (۴)  
 كَأَنَّ بِيُوْتِ الْحَىِّ (مالم يكن بها) بَسَابِسُ مَا يُبْلَغُ بِهِ غَرِيبٌ (۵)

في أبيات ، كان والله يا بن عباس ، عظيم المروءة (۶) ، شريف الأخوة ، جليل  
 الخطر ، بعيد الأثر ، كعيش (۷) المروءة ، أليف الندوة (۸) ، سائم جوانح الصدر ، قليل  
 وسوس الدهر ، ذا كرام الله طرفي النهار وزلفاً (۹) من الليل ، الجوع والشبع عنده  
 سيان ، لا ينافس في الدنيا ، وأقل أصحابه من ينافس فيها ، يطيل السكرت ، ويحفظ الكلام ،  
 وإن نطق نطق بعقام (۱۰) يهزب منه الدعار (۱۱) الأشرار ، ويألفه الأحرار الأخيار .  
 قال ابن عباس : « ما ظنك برجل من أهل الجنة ، رحم الله زيدا ، فأين كان عبد الله  
 منه ؟ » ، قال : كان عبد الله سيداً شجاعاً ، مؤلفاً (۱۲) مطاعاً ، خيرة وساع (۱۳) ، وشرة

- (۱) خللات جمع خلة بالفتح : وهي الخصلة ، وشحب لونه كجمع ونصر وكرم وعنى شحوبا : تغير من هزال أو جوع أو سفر . (۲) العوراء : الكلمة التبيحة . (۳) الندى : الجود .  
 (۴) المنقيات : ذوات النقي (بالسكر) وهو الشحم ، نائمة منقية أي سميحة .  
 (۵) بسابس جمع بسبس كجعفر : وهو القفر الخالي (وفي الأصل بسانس وهو تصحيف) .  
 (۶) مسهل عن المروءة . (۷) يقال رجل كعيش الإزار : أي مشمر جاد ، ورجل كعيش : عزوم  
 ماض سريع في أموره . (۸) الندوة والنادى والمنتدى والندى : مجلس القوم ومتحدثهم ، وفي الأصل  
 « البدرة » وأراه مصحفاً ، أو هو قملة من البدو وهو الظهور ، أي ذو مناهر حسن يؤلف ولا يمج .  
 (۹) جمع زلفة بالضم : وهي الطائفة من الليل . (۱۰) داء عقام : لا يبرأ ، أي نطق بقوارص من  
 الكلم جارحة مؤلمة لادواء لها . (۱۱) جمع داعر وصف من الدعارة بفتح الدال وكسرهما : وهي الخبث  
 والفسق . (۱۲) ألفته وآلفته : أنست به فهو مألوف ومؤلف . (۱۳) على التشبيه بالفرس  
 الوساع : وهو الجواد الواسع الخطو والذرع ، والدفاع : السيل العظيم ، والشئ العظيم يدفع به . مثله  
 « وفرس دفاع كشداد . إذا تدافع جريه » .

عُفَاع ، قَلْبِي النَّحِيْزَةَ <sup>(١)</sup> ، أَحْوَذِي <sup>(٢)</sup> الْغَرِيْزَةَ ، لَا يُنْهِنِيْمُ <sup>(٣)</sup> مِنْهِنِيْمُ عَمَا أَرَادَهُ ،  
وَلَا يَرْكَبُ مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا عِتَادَهُ <sup>(٤)</sup> ، سِمَامُ عِدَا <sup>(٥)</sup> ، وَبَاذِلُ قَرِي <sup>(٦)</sup> ، صَعْبُ الْمَقَادَةِ ،  
جَزَلُ الرَّفَادَةِ <sup>(٧)</sup> ، أَخُو إِخْوَانَ ، وَفَتَى فِتْيَانَ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ الْبُرْجُمِيُّ عَامِرُ بْنُ سَنَانَ :  
سِمَامُ عِدَا ، بِالزَّبِيلِ يَقْتُلُ مَنْ رَمَى      وَبِالسَّيْفِ وَالرَّمْحِ الرَّذِيْبِيَّ يَشْعَبُ <sup>(٨)</sup>  
مَهِيْبٌ مُفِيْدٌ لِلنَّوَالِ مُعَوِّدٌ      بِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ مُجْرَبٌ  
فِي أَبِيَات ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَنْتَ يَا بَنَ صُوحَانَ بَاقِرٌ <sup>(٩)</sup> عِلْمُ الْعَرَبِ .

( مروج الذهب ٢ : ٨٠ )

### ١٣٣ - صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ

وَوَقَفَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ عَلَى صَعْصَعَةَ ، فَأَسَمَهُ كَلَامًا ( مِنْهُ ) :

« بَسَطْتَ لِسَانَكَ يَا بَنَ صُوحَانَ عَلَى النَّاسِ قَتْمِيْبُوكَ ، أَمَا لَنْ شِئْتُ لَأَكُوْنَنَّ لَكَ  
إِصَاقًا <sup>(١٠)</sup> ، فَلَا تَنْطِقْ إِلَّا جَدَدْتُ <sup>(١١)</sup> لِسَانَكَ بِأَذْرَبٍ <sup>(١٢)</sup> مِنْ ظُبَّةِ السَّيْفِ ، بَعْضُ قَوِيٍّ ،  
وَلِسَانٌ عَلِيٌّ ، ثُمَّ لَا يَكُوْنُ لَكَ فِي ذَلِكَ حَلٌّ وَلَا تَرْحَالُ » فَقَالَ صَعْصَعَةُ : « لَوْ أَجِدُ

(١) القلب : محض كل شيء ، والنحيزة : الطبيعة ، أي خالص الطبيعة صانها . (٢) الأحوذى :  
النفيف الحاذق ، والمشمير للأمر القاهر لها لا يشذ عليه شيء . (٣) نهيمه : كفه وزجره .  
(٤) العتاد : العدة . (٥) سمام جمع سم مثلث السين ، والعدا بالكسر والضم اسم جمع عدو أي  
هولاء عداء سم قاتل . (٦) قرى الضيف ( كرى ) قرى : أضافه ، والقرى أيضا : ما قرى به الضيف .  
(٧) رفته ( كضربه ) أعطاه ووصله ، والرفادة في الأصل خرج كانت تخرجه قريش في كل موسم من  
أموالها فيصنع به طعام للحاج ، والمراد بها هنا العطية . (٨) الرديني نسبة إلى ردينة امرأة سمير ،  
وكانا يقومان الرماح بنخط هجر ، ويشعب : أي يمزق ويصدع . (٩) أصل البقر : أنفتح والشق  
والتوسعة ، وكان يقال لمحمد بن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم محمد الباقر ؛ لأنه بقر العلم وعرف  
أصله واستنبط فرعه . (١٠) الإصاق : ما ياصق به . والمعنى لا يكون لك ملاصقا ملازما .  
(١١) جد الشيء من باب رد : قطعه . (١٢) أذرب : أحد ، من ذرب كفرح صار حديدا ماضيا ،  
والظبة : حد السيف .

غَرَضًا<sup>(۱)</sup> منك لرميت ، بل أرى شَبَعًا ، ولا إخال مِثَالًا إلا كَسْرَابٍ<sup>(۲)</sup> بَقِيَعَةٍ ،  
يَحْسَبُهُ الظَّامَانُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، أَمْالُو كُنْتَ كَفْئًا لرميتُ  
حَصَائِكَ<sup>(۳)</sup> بأذرب من ذَلِقِ<sup>(۴)</sup> السنانِ ، ولرَشَقَتِكَ بنبالٍ ، تردُّعِكَ عن النَّضَالِ ،  
وَنَخَطَمَتِكَ بِخِطَامِ<sup>(۵)</sup> ، يَخْزِمُ مِنْكَ مَوْضِعَ الزَّمَامِ<sup>(۶)</sup> . فاتصل الكلام بابن عباس ،  
فاستضحك<sup>(۷)</sup> من الفزاري ، وقال : « أَمْالُو كَفَّ أَخُو فِزَارَةَ نَفْسَهُ نَقَلَ الصَّخُورَ مِنْ  
جَبَلِ شَمَامٍ<sup>(۸)</sup> إِلَى الْمَضَابِ ، لَسَكَانُ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ مَنَارِزَةِ أَخِي عَبْدِ الْقَيْسِ ، خَابَ  
أَبُوهُ ، مَا أَجْهَلُهُ ! يَسْتَجْهَلُ أَخَا عَبْدِ الْقَيْسِ وَقُوَاهُ الْمَرِيرَةَ<sup>(۹)</sup> ! نَمَّ تَمَثَّلُ :  
صَبَّتْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ أُمَّمِ . إِنْ الشَّقَاءُ عَلَى الْأَشْقِيَيْنِ مَصْضُوبٌ<sup>(۱۰)</sup>

( مروج الذهب ۲ : ۸۲ )

۱۳۴ - رجل من آل صوحان يجذبه<sup>(۱۱)</sup> عبد الملك بن مروان

وهو يخطب

وخطب عبد الملك بن مروان ، فلما بلغ العِظَمَةَ<sup>(۱۲)</sup> ، قام إليه رجل من آل صوحان ،  
فقال : « مهلا مهلا يا بني مروان ، تأمرون ولا تأتمرون ، وتنهون ولا تنهون ، وتعظون

(۱) الغرض : الهدف . (۲) السراب : ما يرى نصف النهار كأنه ماء ، والقيعة جمع قاع : وهو أرض  
سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، ويجمع أيضا على قيع ( بالكسر ) وقيعان وأقواع وأقوع .  
(۳) الحصائل جمع حصيلة ، يقال حصل الشيء تحصيلًا والامم الحصيلة ، قال لبيد :  
وكل امرئ يوما سيعلم غيبه إذا حصلت عند الإله الحصائل

والمعنى : ارميت ما حصلته من العلم والمعرفة . (۴) ذلق السنان واللسان كفرح : ذرب فهو ذلق  
وأذلق ، وذلق السنان من إضافة الصفة إلى الموصوف . (۵) الخطام : كل ما وضع في أنف البعير ليقناده  
به ، وخطمه بالخطام جعله على أنفه ، أو جرت أنفه ليضع عليه الخطام ، وخطمه بالكلام قهره ومنعه حتى لا ينبس .  
(۶) خزم البعير : جعل في جانب منخره الخزامة ( ككتابة ) والزمام : ما يزم به . (۷) استضحك  
الرجل وتضحك بمعنى . (۸) جبل بالعالية . (۹) أي القوية ، يقال رجل مرير أي قوى  
ذو قوة « والمرء بالسكسر القوة » . (۱۰) الأُمم : القرب . (۱۱) جبهه كتطعه : لقيه بما يكره .  
(۱۲) وربما كان صوابها « العظة » أي مقام العظة والنصح بدليل قوله « وتعظون ولا تنهون » .

ولا تعظون . أفنتدى بسيرتكم في أنفسكم ، أم نطيع أمركم بالسنتكم ؟ فإن قلم اقتدوا بسيرتنا ، فأنى وكيف ؟ وما الحجّة ؟ وما المصير من الله ؟ أفنتدى بسيرة الظلمة الفسقة ، الجورة الخونة ، الذين اتخذوا مال الله دولا<sup>(١)</sup> ، وعبيده خولا<sup>(٢)</sup> ؟ وإن قلم اسمعوا نصيحتنا ، وأطيعوا أمرنا ، فكيف ينصح لغيره من يفسد نفسه ؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته ؟ وإن قلم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها ، واقبلوا العظة من سمتموها . فعلام ولينا كم أمرنا ، وحكمنا كم في دماننا وأموالنا ؟ أما علمتم أن فينا من هو أنطق منكم باللغات ، وأفصح بالعظات ؟ فتخلوا عنها<sup>(٣)</sup> ، وأطلقوا عقالها ، وخلوا سبيلها ، ينتدب<sup>(٤)</sup> إليها آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين شرّدتموهم في البلاد ، ومرزتموهم في كل واد ، بل تثبت في أيديكم لانهضاء المدة ، وبلوغ المهلة ، وعظم المحنة ، إن لكل قائم قدرا لا يعدوه ، ويوما لا يخطوه ، وكتابا بعده يقلوه : ( لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ) ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) ثم التمس الرجل فلم يوجد ( نهاية الأرب ٧ : ٢٤٩ )

## ١٣٥ - وصف عقيل بن أبي طالب

### آل صوحان

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : « ميز لي أصحاب عليّ وابدأ بأل صوحان ، فإنهم مخاريق الكلام<sup>(٥)</sup> » . قال :

(١) جمع دولة بالضم : أي جعلوه متداولاً بينهم . (٢) الحول : ما أعطاك الله تعالى من النعم (محرّكة) والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية للواحد والجمع والذكر والأنثى ، ويقال للواحد خائل . (٣) أي من الخلافة . (٤) انتدب إليه : أسرع . (٥) مخاريق جمع مخراق بالكسر : وهو السيف ، والسيد والمتصرف في الأمور الذي لا يقع في أمر إلا خرج منه ( والثور البرى يسمى مخراقاً لأن الكلاب تطلبه فيقتل منها ، وفلان مخراق حرباً أي صاحب حروب يخف فيها ) .

« أَمَا صَمَّصَةً فَعَظِيمِ الشَّانِ ، عَضْبَ اللِّسَانِ <sup>(١)</sup> ، قَائِدَ فُرْسَانَ ، قَاتِلَ أَقْرَانَ ،  
يَرْتُقُ <sup>(٢)</sup> مَا فَتُقَ ، وَيَفْتُقُ مَا رُتِقَ ، قَلِيلَ النَّظِيرِ . وَأَمَّا زَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فَاِنَّهُمَا نَهْرَانِ جَارِيَانِ  
يَصْبُ فِيهِمَا الْخَلْجَانِ <sup>(٣)</sup> ، وَيُنْعَاثُ بِهِمَا الْبُلْدَانِ ، رَجُلًا جِدًّا لَا عَيْبَ مَعَهُ ، وَأَمَّا بِنُوصُوحَانَ  
فَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا نَزَلَ الْعَدُوُّ فَإِنِ عِنْدِي أَسْوَدًا تَخْلِسُ الْأَسَدَ الْنَفُوسَا <sup>(٤)</sup>

(مروج الذهب ٢ : ٧٥)

### ١٣٦ - وصية محمد الباقر <sup>(٥)</sup> لعمر بن عبد العزيز

دخل أبو جعفر محمد الباقر ، بن عليّ زين العابدين ، بن الحسين عليهم السلام ، علي  
عمر بن عبد العزيز رضی الله عنه فقال : يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَوْصِنِي ، قَالَ :

« أَوْصِيكَ أَنْ تَتَّخِذَ صَغِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَلَدًا ، وَأَوْسَطَهُمْ أَخَاً ، وَكَبِيرَهُمْ أَبًا ، فَارْحَمَ  
وَلَدَكَ ، وَصِلْ أَخَاكَ ، وَبِرَّ أَبَاكَ ، وَإِذَا صَنَعْتَ مَعْرُوفًا فَرَبَّهُ <sup>(٦)</sup> . »

(الأمالي ٢ : ٣١٢)

(١) العضب : القاطع . (٢) للرتق : ضد الفتق . (٣) الخليج : نهر في شرق من النهر الأعظم .  
(٤) خلس الشيء كضرب خلسا : استلبه . (٥) توفي سنة ١١٣ هـ . (٦) أي أدمه ، يقال  
رب بالمسكان وأرب : أقام به ودام .

# خطب الزبير بين وما يتصل بها<sup>(١)</sup>

خطب عبد الله بن الزبير (قتل سنة ٧٣ هـ)

## عبد الله بن الزبير ومعاوية

دخل الحسين بن عليّ رضي الله عنه يوماً على معاوية ، ومعه مولى له يقال له ذكوان وعند معاوية جماعة من قریش ، فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين ، وأجلسه على سريره وقال : ترى هذا القاعد (يعني ابن الزبير) فإنه ليذكره الحسد لبني عبد مناف<sup>(٢)</sup> فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن إن شئت أعلمتك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت ، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن عليّ ، فقال :

(١) تقدم لك في باب خطب بني هاشم وشيعتهم ، خطب أمراء الكوفة من قبل ابن الزبير - انظر خطب عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، وعبد الله بن مطيع في ص ٦٥ - ٧٠ - ٧٦ - ٨٢ - ٦٦ - ٨٣ . (٢) عبد مناف جد يجمع بني هاشم وبني أمية ، فالرسول عليه الصلاة والسلام هو محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ومعاوية هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأما عبد الله بن الزبير ، فن بن أسد أبوه الزبير بن العوام بن خلويد بن أسد بن عبد المطلب ابن قصي .

## ١٣٧ - مقال ذكوان

« يابن الزبير : إن مولاي ما يمنعه من الكلام إلا أن يكون طلق اللسان ، رابط الجنان ، فإن نطق نطق بعلم ، وإن صمت صمت بحلم ، غير أنه كيف الكلام ، وسبق إلى السنام ، فأقرت بفضل الكرام ، وأنا الذي أقول :

فيم الكلام إيسابقي في غاية<sup>(١)</sup> والناس بين مقصر ومبطل<sup>(١)</sup>  
إن الذي يجري ليذكر شأوه<sup>(٢)</sup> ينمى إغير مسود ومسدد<sup>(٢)</sup>  
هل كيف يذكور نور بدر ساطع خير الأنام وفرع آل محمد

فقال معاوية : صدق قولك يا ذكوان ، أ كثر الله في موالى الكرام مثلك ، فقال ابن الزبير : إن أبا عبد الله<sup>(٣)</sup> سكت وتكلم مولاه ، ولو تكلم لأجبناه ، أو اكففنا عن جوابه إجلالاً له . ولا جواب لهذا العبد . قال ذكوان : هذا العبد خير منك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » ، فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن العوام بن خويلد ، فنحن أكرم ولأء ، وأحسن فعلاً . قال ابن الزبير : إني است أجيبي هذا ، فهات ما عندك .

## ١٣٨ - مقال معاوية

فقال معاوية :

« قاتلك الله يابن الزبير ! ما أعياك<sup>(٤)</sup> وأبغاك ! أتفخر بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله ! إنك أنت المتعدى لطورك ، الذي لاتعرف قدرك ، فقس شبرك بفترك<sup>(٥)</sup> »

(١) بلد تبليدا : لم يتجه لشيء ، والفرس : لم يسبق ، والسحابة لم تمطر .

(٢) الشأو : الغاية ، وينمى : ينسب . (٣) كنية الحسين . (٤) ما أعجزك .

(٥) الفتر : ما بين الإبهام وطرف السبابة .

ثم تعرّف كيف تقع بين عرّانين<sup>(١)</sup> بنى عبد مناف ، أما والله إنّ دَفَعْتَ في بحور  
بنى هاشم وبنى عبد شمس ، لَتَقَطَّعَنَّكَ بأمواجها ، ثم لتوهين<sup>(٢)</sup> بك في أجاجها ، فابقاؤك  
في البحور إذا غمّرتك ، وفي الأمواج إذا بهرتك<sup>(٣)</sup> ؟ هنالك تعرّف نفسك ، وتندم على  
ما كان من جرأتك ، وتتمسى<sup>(٤)</sup> ما أصبحت إليه من أمان ، وقد حيل بين العير  
والنزوان<sup>(٥)</sup> . فأطرق ابن الزبير ملياً ، ثم رفع رأسه ، فالتفت إلى من حوله ، ثم قال :

### ١٣٩ - مقال ابن الزبير

« أسألکم بالله : أتعلمون أن أبي حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أباه  
أبا سفيان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ،

(١) جمع عرّنين بكسر العين : وهو السيد الشريف ( وفي الأصل : الأنف أو ماصلب من عظمه ) .

(٢) أرهاه : أسقطه ، والأجاج : الملح المر . (٣) بهره بهرا ( بالفتح ) : غلبه .

(٤) مساه تمسية : قال له كيف أمسيت أو مساك الله بخير ، والمراد : وتودع ما كنت فيه من أمان

نادما آسفا عليه ، وربما كان الأصل « وتمنى » بحذف إحدى التاءين أي وتتمنى ، أو الأصل « ويتمنى » من

تمنى : إذا تقطع أي يمحي ويندثر ما كنت فيه من أمان . (٥) العير : الحمار وغلب على الوحشي ،

والنزوان : الوثوب . وهو مثل يضرب للقوى تخور قواه ، وأول من قاله صخر بن عمرو أخو الخنساء ،

وذلك أنه غزا بني أسد ، فاكتسح إبلهم ، فجاءهم الصريخ فركبوا ، فالتقوا ، فظعن أبو ثور الأسدى صخرا

طعنة في جنبه ، وجوى منها فرض حولا حتى مله أهله ، فسمع امرأة تقول لامراته سلمى : كيف بملك ؟

ف قالت : لاسى فيرجو ، ولا ميت فينمى ، لقد لقينا منه الأمرين ، وفي رواية أخرى : فرض زمانا حتى ملك

امراته ، وكان يكرمها فر بها رجل وهي قائمة ، وكانت جميلة ، فقال لها : يباع الكفل ؟ فقالت : نعم عما

قليل ، وكان ذلك يسمعه صخر ، فقال : أما والله إنّ قدرت لأقدمنا قبلي ، ثم قال لها : ناو لي سيف

أنظر إليه ، هل تقله يدي ؟ فنارلته ، فإذا هو لا يقله ، فقال :

أرى أم صخر لا تملى عيادتي      وملت سليمان مضجعي ومكاني

فأى امرئ ساوى بأمر حليمة      فلا عاش إلا في شقا وهوان

أهم بأمر الخزم لو أستطيعه      وقد حيل بين العير والنزوان

فلما طال به البلاء ، وقد نثأت قطعة من جنبه في موضع الطعنة ، قيل له لوقطعها لرجونا أن تبرأ ، فقال

شأنكم ، وأشفق عليه قوم فهو فأي ، فأخذوا شفرة فقطعوها فات .



وأمة هند آكلة الأكباد؟ وجدّي الصديق، وجدّه المشدوخ<sup>(١)</sup> ببدر، ورأس الكفر وعمتي خديجة ذات الخطر<sup>(٢)</sup> والحسب، وعمته أم جميل حمالة الخطب؟ وجدّتي صفية<sup>(٣)</sup> وجدته حمّامة<sup>(٤)</sup>؟ وزوج عمتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم، وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب، سيّصلي نارا ذات لهب؟ وخالتي عائشة أم المؤمنين، وخالته أشتي الأشقين؟ وأنا عبد الله، وهو معاوية .

(١) هو جد معاوية لأمه عتبة بن ربيعة قتله على يوم بدر، والمشدوخ: المكسور: أي المقتول.  
 (٢) القدر، أو المنزلة وهي السيدة خديجة بنت خويلد الأسدية عمه أبيه، وزوج الرسول عليه الصلاة والسلام.  
 (٣) هي صفية بنت عبد المطلب أم الزبير وعمه الرسول عليه الصلاة والسلام.  
 (٤) روى ابن أبي الحديد (م ١: ص ١٥٧) قال:  
 « لما ارتحل عقيل بن أبي طالب عن علي عليه السلام أتى معاوية، فكان في مجلسه يوما وجلسا معاوية حوله، فقال: يا أبا يزيد: أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما، قال: «أخبرك: مررت والله بعسكر أخى، فإذا ليل كليل رسول الله صلى الله عليه وآله ونهار كنهار رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم، مارأيت إلامصليا، ولا سمعت إلاقارئا، ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين من نفر برسول الله صلى الله عليه وآله آية العقبة» ثم قال: من هذا عن يمينك يا معاوية؟ قال: هذا عمرو بن العاص، قال: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر، فغلب عليه جزار قريش، فن الآخر؟ قال الضحّاك بن قيس الفهري: قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعصب التيوس «وكان يبيع عصب الفحول في الجاهلية، والعصب كعذب: الكراء الذي يؤخذ على ضرب الفحل، أو ضرابه، أو ماؤه، وعصب الرجل كضرب: أعطاه الكراء على الضراب، وفي الحديث: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عصب الفحل فإن إعاره الفحل مندوب إليها» فن هذا الآخر؟ قال أبو موسى الأشعري، قال: هذا ابن السراقة، فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه، علم أنه إن استخبره عن نفسه قال فيه سوءا، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من سوء، فيذهب بذلك غضب جلسائه، قال: يا أبا يزيد فما تقول في؟ قال: دعني من هذا، قال لتقوان، قال أتعرف حمّامة؟ قال: ومن حمّامة يا أبا يزيد؟ قال: قد أخبرتك، ثم قام فضى، فأرسل معاوية إلى النسابة فدعاه، فقال: من حمّامة؟ قال: ولى الأمان؟ قال نعم، قال حمّامة جدتك أم أبي سفيان كانت بغيا في الجاهلية صاحبة راية، فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم وزدت عليكم . فلا تفضبوا .»

## ۱۴۰ - مقال معاوية

فقال له معاوية :

« وَيْحَكَ يَا بَنَ الزَّبِيرِ ! كَيْفَ تَصِفُ نَفْسَكَ بِمَا وَصَفْتَهَا ، وَاللَّهِ مَا لَكَ فِي الْقَدِيمِ مِنْ رِيَاةٍ ، وَلَا فِي الْحَدِيثِ مِنْ سِيَاسَةٍ ، وَلَقَدْ قَدْنَاكَ وَسُدْنَاكَ : قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، لَا تَسْتَطِيعُ لَذَلِكَ إِنْكَارًا ، وَلَا عَنْهُ فِرَارًا ، وَإِنْ هُوَ لَأَمْوَاجُ الْخُضُورِ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ قَرِيشًا قَدْ اجْتَمَعَتْ يَوْمَ الْفِجَارِ<sup>(۱)</sup> عَلَى رِيَاةِ حَرْبِ بَنِ أُمَيَّةٍ ، وَأَنَّ أَبَاكَ وَأَسْرَتَكَ تَحْتَ رَايَتِهِ ، رَاضُونَ بِإِمَارَتِهِ ، غَيْرَ مُنْكَرِينَ لِفَضْلِهِ ، وَلَا طَامِعِينَ فِي عِزِّهِ ، إِنْ أَمَرَ أَطَاعُوا ، وَإِنْ قَالَ أَنْصَتُوا فَانْزِلْ فِيمَا الْقِيَادَةَ ، وَعِزَّ الْوَلَايَةِ ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(۱) حرب الفجار : هي حرب هاجت بين قريش وكنانة ، وبين هوازن ( من قيس عيلان ) وسببها أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق عكاظ في كل عام لطيمة ( واللطيمة كصحيفة : العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة ) لتباع له هناك ، ويشترى له بضمن ذلك آدم من آدم الطائف ، وكان يرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من أشرف العرب ، فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب فيهم للبراض بن قيس - وهو من بني كنانة ، والبراض كشداد - وعروة الرحال بن عتبة - وهو من بني هوازن والرحال كشداد أيضا - فقال ، من يجيرها ؟ قال البراض : أنا أجيرها على بني كنانة يعني قومه ، فقال له النعمان : ما أريد إلا من يجيرها على أهل نجد وتهامة ، فقال له عروة الرحال : أنا أجيرها لك على أهل الشيع والقيصوم من أهل نجد وتهامة ، فقال البراض : أعلى بني كنانة نجيرها يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم ، فدفعها النعمان إلى عروة ، فخرج بها ، وتبعه البراض ، وتربص به وقتله ، فهاجت الحرب بين كنانة وهوازن ، وعاونت قريش كنانة ، وكان على كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها ، والقائد العام للجميع حرب بن أمية والد أبي سفيان ، وقد قتل في هذه الحرب العوام بن خويلد والد الزبير ، وقد حضرها النبي صلى الله عليه وسلم وله من العمر أربع عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة ، وقيل عشرون ، والفجار بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة ، سميت قريش هذه الحرب فجارا ، لأنها كانت في الأشهر الحرم فقاوا : قد فجرنا إذ قاتلنا فيها أي فسقنا ، وقيل إنها لم تكن في الشهر الحرام وإنما سببها كان في الشهر الحرام ، وهو قتل البراض لعروة الرحال ، هذا هو الفجار الرابع وهو الأكبر ، وكان قبله ثلاثة أفجرة أخرى - انظر السيرة الحلبية ۱ : ۱۲۲ ، والعقد الفريد ۳ : ۹۱ ، وسيرة ابن هشام ۱ : ۱۱۶ ، ومجمع الأمثال ۲ : ۲۶۰ - .

فانتخبه من خير خلقه ، من أمرتني لا أمرتك ، وبنى أبي لا بنى أبيك ، فجحدته قريش أشد الجحود ، وأنكرته أشد الإنكار ، وجاهدته أشد الجهاد ، إلا من عصم الله من قريش ، فما ساد قريشاً وقادهم إلا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفتنان تلتقيان ، ورئيس الهدى منا ، ورئيس الضلالة منا ، فمهديتكم تحت راية مهدينا ، وضالكم تحت راية ضالنا ، فنحن الأرباب ، وأنتم الأذئاب ، حتى خأص الله أبا سفيان بن حرب بفضل من عظيم شركه ، وعصمه بالإسلام ، من عبادة الأصنام ، فكان في الجاهلية عظيماً شأنه ، وفي الإسلام معروفاً مكانه ، ولقد أعطى يوم الفتح مالم يعط أحد من آبائك ، وإن منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، وكانت داره حرماً ، لا دارك ولا دار أبيك ؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش ، في الجاهلية عظيمة الخطر ، وفي الإسلام كريمة الخير ، وأما جدك الصديق فبتصديق عبد مناف سمي صديقاً ، لا بتصديق عبد العزى ، وأما ما ذكرت من جدى المشدوخ بيدر ، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه ، فلو بزت إليه أنت وأبوك ما بارزوك ، ولا رأوكم لهم أكفاء ، كما قد طلب ذلك غيركم ، فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفاؤهم من بنى أبيهم ، ففضى الله منايهم بأيديهم ، فنحن قتلنا ، ونحن قتلنا ، وما أنت وذاك ؟ وأما عمك أم المؤمنين فبنا شرفت ، وسميت أم المؤمنين ، وخالتك عائشة مثل ذلك ، وأما صفية فهي أذنتك من الظل ، ولولا هي لكنت ضاحياً<sup>(١)</sup> ، وأما ما ذكرت من ابن عمك وخال أبيك<sup>(٢)</sup> سيد الشهداء ، فكذلك كانوا رحمهم الله ، وفخرهم وإرثهم لي دونك ، ولا فخر لك فيهم ولا إرث بينك وبينهم .

(١) ضحا كسمى ورضى : أصابته الشمس ، والظل : العز والمنعة ، أى أن شرفهم جاء من مصاهرة العوام لبني هاشم ، وزواجه بصفية بنت عبد المطلب . (٢) ابن عمه : هو عبد الله بن عبد الرحمن ابن العوام ، وقد قتل يوم الدار ، وخال أبيه هو حمزة بن عبد المطلب ، وقتل يوم أحد .

وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قريش أيثنا أجود في الإِزَم<sup>(١)</sup> ، وأحزم في القدم ، وأمنع لِجُرْم ، لا والله ما أراك منتهياً حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك ، فقد طألهم الذُّحُول<sup>(٢)</sup> ، وقدّم إليهم الخيول ، وخذعتم أمّ المؤمنين ، ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ مددتم على نساءكم السُّجُوف<sup>(٣)</sup> ، وأبرزتم زوجته للهِجُوف ، ومُقارعة السيوف ، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هارباً ، فلم يُنْجِه ذلك أن طاحنه أبو الحسين بِكَلْكَلِه طحن الحصيد<sup>(٤)</sup> ، بأيدي العبيد ، وأما أنت فأفَلت بعد أن خَشَيْتِ<sup>(٥)</sup> بَرَاثِيْنِه ، ونالتك مخالبيه ، وإيم الله ليقومنك بنو عبد مناف بِثِقَافِهَا<sup>(٦)</sup> أو لتصبحن منها صباح أبيض بوادي السَّبَاع<sup>(٧)</sup> ، وما كان أبوك المدهن حده<sup>(٨)</sup> ، ولكن كما قال الشاعر :

تفارل سِرْحَانُ فَرِيْسَةَ ضَيِّغِمِ فَقَضِقْضِه بِالْكَفِّ مِنْهُ وَحَطْمًا<sup>(٩)</sup>

(العقد الفريد ٢ : ١١٣)

## ١٤١ - عبد الله بن الزبير ومعاوية أيضاً

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال :

« يا أمير المؤمنين ، لَا تَدَعَنَّ مَرْوََانَ يرمى جَاهِرَ قَرِيْشٍ بِمَشَاقِصِه<sup>(١٠)</sup> ، ويضرب صَفَاتِهِمْ بِمِعْوَلِه ، أمّا والله لولا مكانك ، لكان أخفّ على رقابنا من فرّاشة ، وأقلّ

(١) الأزمة ( بالفتح ويحرك ) الشدة ، وجمعها إزم ( كشمس وعنب ) . (٢) جمع ذحل ( بالفتح ) وهو الثأر ، والعداوة ، والحقد : أى كاشفهم بذلك . (٣) جمع سجف ( بالفتح ويكسر ) الستر . (٤) الحصيد : الزرع المحسود . (٥) خشه : خدشه . (٦) الثقاف : ماتسوى به الرماح . (٧) مقتل أبيه الزبير . (٨) حده : بأسه ، والمدهن : المغشوش ، من أدهن أى غش ، والمعنى أنه كان شديد البأس لم تشب بسالته شائبة خور والسكنه . . الخ « وفي الأصل « المدهن خده » بالخاء وأراه مصحفاً . (٩) السرحان : الذئب ، والضيفم : الأسد ، وقضقضه فتقضقض : كسره ودقه ، والقضقضة : صوت كسر العظام . وفي الأصل ففضفضه بالفاء ، وهو تصحيف . (١٠) المشاقص : جمع مشقص كبير ، وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

في أنفسنا من خشاشة<sup>(١)</sup> ، وإيمُ الله لئن ملكت أعينة خيل تفقاد له ، لآثر كبن منه طبَقاً<sup>(٢)</sup> تخافه . فقال معاوية : « إن يطلب مروان هذا الأمر ، فقد طمِع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن فوقه ، وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ، ولا يذكركم عند مليئة ، يسومكم خسفاً<sup>(٣)</sup> ، ويسوقكم عسفاً<sup>(٤)</sup> . »  
فقال ابن الزبير : « إذن والله يُطاق عقالُ الحرب بكتائب تمور<sup>(٥)</sup> كرجل الجراد ، حافاتها الأسل ، لها دوى كدوى الريح ، تتبع غطريفاً<sup>(٦)</sup> من قريش ، لم تكن أمه راعية ثلثة<sup>(٧)</sup> . » فقال معاوية : « أنا ابن هند ، أطلقت عقال الحرب ، فأكلت ذرورة السنام ، وشربت عنفوان المكرع<sup>(٨)</sup> ، وليس الآكل بعدى إلا الفلذة<sup>(٩)</sup> ، ولا للشارب إلا الرنق<sup>(١٠)</sup> . » فسكت ابن الزبير .

( شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٤٩٣ ، والمعقد الفريد ٢ : ١١٥ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٤ )

## ١٤٢ — عبد الله بن الزبير ومعاوية وعمر بن العاص

قَدِمَ عبد الله بن الزبير على معاوية وافداً ، فرحّب به وأدناه ، حتى أجلسه على سريره ، ثم قال : حاجتك أبا خبيب<sup>(١١)</sup> ؟ فسأله أشياء ، ثم قال له : سل غير ما سألت قال :

« نعم ، المهاجرون والأنصار تردّ عليهم فيهم ، وتحفظ وصية نبي الله فيهم ، تقبل

(١) الخشاشة : واحدة الخشاش بتثنية الخاء ، وهي حشرات الأرض والمصافير ونحوها ( وفي الأصل

خشاشة وهو تصحيف ) . (٢) الطبق : الحال ومنه قوله تعالى : « آثر كبن طبَقاً عن طبقٍ »

(٣) أي يوليكم ذلاً . (٤) العسف : الظلم ، وسلوك الطريق على غير هداية .

(٥) تمور : تضطرب . (٦) الغطريف : السيد الشريف . (٧) الثلثة : جماعة الغنم

أو الكثيرة منها . (٨) عنفوان الشيء : أوله أو أول بهجته ، والمكرع : المورد ، مفعول من كرع

في الماء أو في الإناة . (٩) الفلذة : القطعة من اللحم . (١٠) ماء رنق كعدل وكنف وجبل : كدر .

(١١) هي كنية ابن الزبير كنى بابنه خبيب ، وكان أسن ولده ، ويكنى أيضا أبا بكر .

من مُحْسِنِهِمْ ، وتجاوز عن مُسِيئِهِمْ » فقال معاوية : « هيهات هيهات ؟ لا والله ما تأمن  
 النعجة الذئبَ وقد أكل أليتها (١) » . فقال ابن الزبير : « مهلا يا معاوية ، فإن الشاة  
 لتَدِرُّ (٢) للحالب ، وإن المذبة في يده ، وإن الرجل الأريب ليصانع ولده الذي خرج من  
 صلبه ، وما تدور الرِّحَاءُ إلا بِقُطْبِهَا (٣) ، ولا تَصْأَحُ القوسُ إلا بِعَجْبِهَا (٤) » فقال : « يا أبا  
 خُبَيْبٍ ، لقد أُجْرَزَتِ الطَّرُوقَةُ قبل هِبابِ الفحل (٥) ، هيهات ! وهي لا تَصْطَكُ لحياتها  
 اصطكاكَ القُرُومِ السَّوامي (٦) » . فقال ابن الزبير : « العطنُ بعد العَلِّ ، والعلُّ بعد  
 النَّهْلِ (٧) ولا بد للرحاء من الثفال (٨) ثم نهض ابن الزبير ، فلما كان العشاء أخذت قر يش  
 مجالسها ، وخرج معاوية على بنى أمية ، فوجد عمرو بن العاص فيهم ، فقال : ويحكم  
 يا بنى أمية ! أفيمكم من يكفيني ابن الزبير ؟ فقال عمرو : أنا أ كفيك يا أمير المؤمنين قال :  
 ما أظنك تفعل ، قال : « بلى ، والله لأُرِيدَنَّ (٩) وجهه ، ولأُخْرِسَنَّ لسانه ، ولأُرُدُّنَّهُ  
 ألين من خميعة (١٠) » . فقال : دونك فاعرض له إذا دخل ، فدخل ابن الزبير - وكان قد  
 بلغه كلام معاوية وعمرو - فجلس نُصِبَ عَيْنِي عمرو ، فتحدثوا ساعة ، ثم قال عمرو :  
 وإني لنارٌ ما يُطَاقُ اصْطِلاؤها لدىَّ كلامٌ مُعْضِلٌ مُتَّفَاقِمٌ (١١)  
 فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت في الأرض ، ثم رفع رأسه وقال :

(١) الألية : ماركب العجز من شحم ولحم . (٢) در اللبن وغيره من بابي ضرب وقتل ، ودرت  
 الناقة بلبنها أدرته . (٣) قطب الرحا : ماتدور عليه ، والرحاء ممدود الرحا . (٤) العجب : مؤخر  
 كل شيء . (٥) ناقة طروقة الفحل : بلغت أن يضرها الفحل ، وأجره رسنه : جعله يجره ، وهب  
 الفحل من الإبل وغيرها هبابا وهيبيا : أراد السفاد . (٦) تصطك : تضطرب . والقروم : جمع قرم  
 بالفتح وهو الفحل ، والسوامى جمع سام : وصف من سما الفحل سماوة : تناول على شوله « والشول كركع  
 جمع شائل وهي الناقة تشول بذنبا للقاح » . (٧) العطن : مبرك الإبل حول الحوض ، والعل والعلل :  
 الشرب الثاني ، والنهل : الشرب الأول . (٨) الثفال : جلد أو نحوه يبسط تحت الرحي ليقع عليه الطحين .  
 (٩) أى لأصيرنه أريد ، من الربدة بالضم : وهي لون إلى الغبرة . (١٠) الخميعة : القطيفة ،  
 وفي الأصل : « ولأوردنه » وهو تحريف . (١١) تفاقم الأمر : عظم .

وإني لبحرٌ ما يُسَامَى عِبَابُهُ متى يَلْقَ بحرى حرّ نارك تحمُد

فقال عمرو: والله يا ابن الزبير إنك ما علمت أمي جليلب جلابيب الفتنة، متأزرر بوصول (١) التّيه، تتعاطى الدرّى الشاهقة، والمعالي الباسقة، وما أنت من قريش في لباب جوهرها ولا مؤنق (٢) حسبها. فقال ابن الزبير: «أما ما ذكرت من تعاطى الدرّى. فإنه طال بي إليها وسما ما لا يطول بك مثله، أنف حمي، وقلب ذكي، وصارم مشرفي، في تليد فارع (٣)، وطريف مانع، إذ قعد بك انتفاخ سحر ك (٤)، ووحيب (٥) قلبك، وأما ما ذكرت من أنى لست من قريش في لباب جوهرها، ومؤنق حسبها، فقد حضرتني وإياك الأ كفاء، العالمون بي وبك، فاجعلهم بيني وبينك. فقال القوم: قد أنصفك يا عمرو. قال: فد فعلت. فقال ابن الزبير: «أما إذ أمكنني الله منك فلا ريدن وجهك. ولا خرّسن لسانك، ولترجعن في هذه الليلة، وكان الذي بين منك كبير مشدود إلى عروق أخذ عيك (٦)، ثم قال: أقسمت عليكم يا معاشر قريش، أنا أفضل في دين الإسلام أم عمرو؟ فقالوا: اللهم أنت، قال: فأبي أفضل أم أبوه؟ قالوا: أبوك حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمته، قال: فأمي أفضل أم أمه؟ قالوا: أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق، وذات النطاقين، قال: فعمتي أفضل أم عمته؟ قالوا: عمتك سلمى بنته العوام صاحبة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من عمته، قال: فخالتي أفضل أم خالته؟ قالوا: خالتك عائشة أم المؤمنين، قال: فخدي أفضل أم جدته؟ قالوا: جدتك صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فخدي أفضل أم جده؟ قالوا: جدك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال:

قَضَتِ الْغَطَارِفُ مِنْ قَرِيْشٍ بَيْنَنَا فَاصْبِرْ لِفَضْلِ خِصَامِهَا وَقَضَائِهَا

(١) الوصائل: جمع وصيلة، وهي ثوب مخطط يمان. (٢) آتقنى الشيء إيناقا: أعجبني، فهو مؤنق وأنيق: أي حسن معجب. (٣) فارع عال. (٤) السحر ويحرك ويضم: الرثة، وانتفخ سحره: عدا طوره وجاوز قدره. (٥) خفقان واضطراب. (٦) الأخدعان: عرقان في موضع الحجامة.

وَإِذَا جَرَيْتَ فَلَا تُجَارِ مُبَرِّزًا بَدَأَ الْجِيَادَ عَلَى احْتِفَالِ جِرَائِهَا<sup>(۱)</sup>  
أما والله يا ابن العاص . لو أن الذي أمرك بهذا واجهني بمثله لقصرتُ إليه من سامي  
بصره ، ولتركته يتلجج لسانه ، وتضطرم النار في جوفه ، ولقد استعان منك بغير وافي ،  
ولجأ إلى غير كافي « ثم قام فخرج .

(شرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۴۹۳)

### ۱۴۳ - خطبة ابن الزبير لما قتل الحسين عليه السلام

لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ ، وَعَظَّمَ مَقْتَلَهُ ،  
وَعَابَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ خَاصَّةً ، وَوَلَّامَ أَهْلَ الْعِرَاقِ عَامَّةً ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى  
عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ غَدُرٌ فُجِّرَ إِلَّا قَلِيلًا ، وَإِنْ أَهْلَ الْكُوفَةِ شِرَارٌ أَهْلَ الْعِرَاقِ ،  
وَإِنَّهُمْ دَعَوْا حُسَيْنًا لِيَنْصُرُوهُ وَيُؤَاوِئُوهُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ ثَارُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِمَّا  
أَنْ تَضَعَ يَدَكَ فِي أَيْدِينَا ، فَتَبْعَثَ بِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادِ بْنِ سُمَيَّةَ سَلْمًا ، فَيُمِضِي فِيكَ حَكْمَهُ ،  
وَإِمَّا أَنْ تَحَارِبَ ، فَرَأَى وَاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَلِيلٌ فِي كَثِيرٍ - وَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ  
يُطْلِعْ عَلَى الْغَيْبِ أَحَدًا - أَنَّهُ مَقْتُولٌ ، وَاسْكَنَهُ اخْتِارَ الْمَيْتَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى الْحَيَاةِ الذَّمِيمَةِ ،  
فَرَحِمَ اللَّهُ حُسَيْنًا ، وَأَخْزَى قَاتِلَ حُسَيْنٍ . لِعَمْرِي لَقَدْ كَانَ مِنْ خِلَافِهِمْ إِيَّاهُ وَعِصْيَانِهِمْ  
مَا كَانَ فِي مِثْلِهِ وَاعْظُ وَنَاهِ عَنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُ مَا حَمَمَ<sup>(۲)</sup> نَازِلٌ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا  
لَنْ يُدْفَعَ .

أفبعد الحسين نظمن إلى هؤلاء القوم ، ونصدق قولهم ، ونقبل لهم عهدا ؟  
لا ، ولا نراهم لذلك أهلا ، أما والله لقد قتلوه ، طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار

(۱) برز تبريزا : فاق أصحابه . وبذ : فاق وغلب ، واحتفل القوم : اجتمعوا ، والجراء والمجاراة :

(۲) ما قدر .

مصدر جاري .



صيامه ، أحقّ بما هم فيه منهم ، وأولى به في الدين والفضل ، أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغنَاء ، ولا بالبكاء من خشية الله الخدَاء ، ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس في حلق الذكر الرخص في تطالَب الصيد ( يعرض يزيد ) فسوف يلتقون غياً<sup>(١)</sup> .

فتار إليه أصحابه ، فقالوا له : أيها الرجل أظهر بيعتك ، فإنه لم يبق أحد ، إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر ، وقد كان يبايع الناس سرا ، ويظهر أنه عائذ بالبيت .  
( تاريخ الطبري ٦ : ٢٧٣ )

## ١٤٤ - مناظرة ابن الزبير للخوارج

اجتمعت الخوارج حين ثار عبد الله بن الزبير بمكة ( سنة ٦٤ ) وصار إليه مسلم ابن عتبة المرّي في جيش من أهل الشام ، بعد أن غزا المدينة ، وكان منه في وقعة الحرّة ما كان ، فقال لهم نافع بن الأزرق : اخرجوا بنا نأت البيت ، ونلق هذا الرجل ، فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو ، وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا ، فخرجوا حتى قدموا على عبد الله بن الزبير ، فسراً بمقدمهم ونبأهم أنه على رأيهم ، وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش ، فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية ، وانصرف أهل الشام عن مكة .

ثم إن القوم آتق بعضهم بعضاً فقالوا : إن هذا الذي صنعتم أمس بغير رأي ولا صواب من الأمر ، تقاتلون مع رجل لاتدرون لعله ليس على رأيكم ، إنما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ، ينادى بالثارات عثمان ، ندخل إليه فننظر ما عنده ، فإن قدم أبنا بكر

(١) أي شرا وخسرانا ، وكل شر عند العرب غي ، وكل خير رشاد ، وقيل هو على حذف مضاف أي جزاء غي كقوله تعالى : « وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا » ، والأثام : الإثم ، أي يلحق جزاء إثم ( والأثام أيضا جزاء الإثم ) .

وعمر ، وبرى من عثمان وعلى ، وكفر أباه وطلحة بايعناه ، وإن تكن الأخرى ،  
ظهر لنا ما عنده ، فتشاغلنا بما يُجدي علينا .

فدخلوا على ابن الزبير وهو مُبتذل<sup>(١)</sup> ، وأصحابه متفرقون عنه ، فقالوا : إنا جئناك  
لتخبرنا رأيك ، فإن كنت على الصواب بايعناك ، وإن كنت على غيره دعوناك إلى  
الحق ، ما تقول في الشيخين ؟ قال : خيراً . قالوا : فما تقول في عثمان الذي أحى<sup>(٢)</sup> الحمى ،  
وآوى الطريد<sup>(٣)</sup> ، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه ، وأوطأ آل أبي معيط<sup>(٤)</sup>  
رقاب الناس ، وآثرهم بنى المسلمين ، وفي الذي بعده ، الذي حاكم في دين الله الرجال ،  
وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم ، وفي أبيك وصاحبه ، وقد بايعاً علياً وهو إمام عادل  
مرضى لم يظهر منه كفر ، ثم نكثنا بعرض من أعراض الدنيا ، وأخرجنا عائشة تقاتل ،  
وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن<sup>(٥)</sup> في بيوتهن ، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة  
فإن أنت قلت كما نقول فلك الزاني<sup>(٦)</sup> عند الله والنصر على أيدينا ، ونسأل الله لك التوفيق  
وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول ، وتصويب أبيك وصاحبه ، والتحقيق بعثمان والتوكل  
في السنين الست التي أحلت دمه ، ونقضت أحكامه ، وأفسدت إمامته ، خذلك الله

(١) المبتذل : لابس البذلة ( بالسكسر ) أو المبتذلة : وهي الثوب الخلق ومالا يصبان من الثياب .

(٢) أحى المكان : جعله حي لا يقرب ، وكان من المطاعن التي وجهت إلى عثمان رضي الله عنه أنه حي  
الحمى عن المسلمين مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم سواء في الماء والكلاء ، ولما سئل في ذلك قال  
إنما فعلت ذلك لإبيل الصدقة ، وقد أطلتته الآن ، وأنا أستغفر الله . وروى الواقدي أن عثمان كان يحى  
الربذة والشرف والبقيع . فكان لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس ولا لبني أمية حتى كان آخر الزمان ، فكان  
يحى الشرف لإبله وكانت ألف بعير وإبيل الحكم بن أبي العاص ، ويحى الربذة لإبيل الصدقة . ويحى البقيع  
لخيل المسلمين وخيله وخيل بني أمية . شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٣٥

(٣) هو الحكم بن أبي العاص - انظر ص ١٠٤ . (٤) من ولاهم عثمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط .  
ولاه الكوفة ، وهو أخو عثمان لأمه . (٥) من قر بالمكان يقر ( بالسكسر والفتح ) قراراً أى استقر .  
أصله يقررن حذف الأولى من الرايين ونقلت حركتها إلى القاف . (٦) الزانفة والزاني : القرية والمنزلة .

وانتصر منك بأيدينا ، فقال ابن الزبير : « إن الله أمر ( وله العزة والقدرة ) في مخاطبة  
 أ كفر الكافرين ، وأعتى العتاة ، بأراف من هذا القول ، فقال لموسى ولأخيه صلى الله  
 عليهما : « أذهباً إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا آميناً لعله يتذكر  
 أو يخشى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى » .  
 فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه ، وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول ،  
 والمقيم على الشرك ، والجاد في المحاربة ، والمتبعض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل  
 الهجرة ، والمحارب له بعدها ، وكفى بالشرك ذنباً ! وقد كان يُغنيكم عن هذا القول  
 الذى سميت فيه طلحة وأبي أن تقولوا : أتبرأ من الظالمين ؟ « فإن كانا منهم دخلا  
 فى غمار (١) المسلمين ، وإن لم يكونا منهم لم تحفظوني (٢) بسب أبي وصاحبه ، وأنتم تعلمون  
 أن الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه : « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ  
 بِهِ عِلْمٌ ، فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا » ، وقال جل ثناؤه : « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا »  
 وهذا الذى دعوتم إليه أمر له ما بعده ، وليس يُقنعكم إلا التوقيف والتصريح (٣) ،  
 ولعمري إن ذلك لأخرى بقطع الحجج ، وأوضح لمنهاج الحق ، وأولى أن يعرف كل  
 صاحبه من عدوه ، فرؤحوا (٤) إلى من عشيتكم هذه ، أكشفت لكم ما أنا عليه  
 إن شاء الله تعالى .

فلما كان العشي راحوا إليه ، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأى ذلك نجدة (٥)  
 قال : هذا خروج منايد (٦) لكم ، فجلس على رفيع من الأرض ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،  
 وصلى على نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ، ثم ذكر عثمان فى السنين الأوائل  
 من خلافته ، ثم وصلهن بالسنين التى أنكروا سيرته فيها ، فجعلها كالماضية ، وخبر أنه

(١) بالضم ويفتح جماعتهم . (٢) تغضبوني . (٣) تبين الأمر .

(٤) الرواح : العشى ، وراح إلى القوم : ذهب إليهم رواحا . (٥) هو نجدة بن عامر الحنفي من

كبار زعمائهم . (٦) نابذه : كاشفه بالعدارة .

آرى الحکم بن أبى العاص بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحِجَى وما كان فيه من الصلاح ، وأن القوم استعتبوه من أمور ، وكان له أن يفعلها أولاً مُصِيباً ، ثم أعقبهم بعد ذلك محسناً ، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه ، بعد أن ضمن لهم العُتْبَى (١) ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتاب بقلهم ، فدفَعوا الكتاب إليه ، حلف بالله أنه لم يكتبه ، ولم يأمر به ، وقد أمر الله عزَّ وجلَّ بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته ، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله ، ومكانه من الإمامة ، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه (٢) ، وعثمان الرجل الذى لزمته يمين ، لو حلف عليها لحلف على حق ، فافتداها بمائة ألف ولم يحلف ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض » . فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه ، وأنا ولى وليه ، وعدوُّ عدوه ، وأبى وصاحبه صاحب رسول الله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله عزَّ وجلَّ يوم أحد ، لما قُطعت إصبع طلحة : « سَبَقْتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ » ، وقال : « أَوْجَبَ طَلْحَةَ » (٣) ، وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال : « ذاك يومُ كَلِهَ أَوْ جُلَّه لَطْلِحَةَ » . والزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته ، وقد ذكر أنهما فى الجنة ، فقال جلَّ وعزَّ : « لَمَّا رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » . وما أخبرنا بعدُ أنه سَخِطَ عليهم ، فإن يكن ما سَعَوْا فيه حقاً ، فأهل ذلك هم ، وإن يكن زلة ففى عفو الله تمحيصها ، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ومهما ذكرتموها فقد بدأتُم بأمر عائشة رضى الله عنها ، فإن أبى آب

(١) العتبى : الرضا . (٢) وذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام فى غزوة الحديبية اختار عثمان ابن عفان رسولا من قبله إلى قريش ، يعلمهم بمقصده ، وأنه أتى مكة معتمراً ، فقالوا : إن محمداً لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ثم إنهم حبسوه . فشاع عند المسلمين أنه قتل . فقال عليه الصلاة والسلام حينئذ سمع بذلك : لا نبرح حتى نناجزهم الحرب . ودعا المسلمين إلى البيعة على القتال فبايعوه هناك تحت شجرة سميت بعد شجرة الرضوان . (٣) الموجبة من الحسنات التى توجب الجنة . وأوجب : أتى بها .

أن تكون له أمًا نبت اسم الإيمان عنه ، وقد قال الله جل ذكره ، وقوله الحق :  
« النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » . فنظر بعضهم إلى بعض ،  
ثم انصرفوا عنه .

(الكامل للبرد ٢ : ١٧٣ ، والعقد الفريد ١ : ٢١٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٥ )

## ١٤٥ - أبو صخر الهذلي وعبد الله بن الزبير

وروى أبو الفرج الأصبهاني قال :

لما ظهر ابن الزبير بالحجاز ، وغلب عليها بعد موت يزيد بن معاوية ، وتشاغل  
بنو أمية بالحرب بينهم ، في مرج راهط وغيره ، دخل عليه أبو صخر الهذلي في هذيل ،  
وقد جاءوه ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهوآه في بني أمية ، فمنعه عطاءه ، فقال : علام  
تمنعني حقالي ؟ وأنا امرؤ مسلم ما أحدث في الإسلام حدثاً ، ولا أخرجت من طاعة يداً .  
قال : عليك بني أمية ، فاطلب عندهم عطاءك . قال :

« إِنْ أَجَدَمَ سِبَاطًا (١) أَكْفَهُمْ ، سَمَّجَةً أَنفُسُهُمْ ، بُذَلَاءَ لَأَمْوَالِهِمْ ، وَهَابِينَ  
لِمُجْتَدِيهِمْ (٢) كَرِيمَةً أَعْرَاقُهُمْ ، شَرِيفَةً أَصُولُهُمْ ، زَاكِيَةً فِرْعَوْنَهُمْ ، قَرِيبًا مِنْ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسَبُهُمْ وَسَبَبُهُمْ ، لَيْسُوا إِذَا نُسِبُوا بِأَذْنَابٍ وَلَا وَشَائِظٍ (٣)  
وَلَا أَتْبَاعٍ ، وَلَا هَمَّ فِي قَرِيشٍ كَفِقَعَةِ الْقَاعِ (٤) ، لَهْمُ السُّودِّدِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْمَلِكُ فِي الْإِسْلَامِ  
لَا كُنْ لَا يُعَدُّ فِي عَيْرِهَا وَلَا نَفِيرِهَا (٥) ، وَلَا حَكَمَ آبَاؤُهُ فِي نَقِيرِهَا وَلَا قَطْمِيرِهَا (٦) أَيْسَ

(١) رجل سبط اليمين : سخي ( وسبط كشمس ) . (٢) المجتدي : طالب الجدوى ، وهي العطية .

(٣) وشائظ جمع وشيظة ، يقال : هم وشيظة في قومهم أي حشو فيهم ، وفي الأصل : « وشائظ »

وهو تصحيف . (٤) الفقع ( بالفتح والسكر ) البيضاء الرخوة من الكفاة وجمعه فقعة كعنبه ، والقاع :

أرض سهلة مطمئنة ، قد انفرجت عنها الجبال والآكام . ويضرب المثل بالفقع في الذل ، لأنه لا يمتنع على

من اجتناءه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل . (٥) أخذنا من المثل وهو « لا في العير ولا في النفير » وأول من

قاله أبو سفيان بن حرب ، يضرب للرجل : يحط أمره ، ويصغر قدره . وقد تقدم شرحه .

(٦) النقير : النكتة في ظهر النواة ، والقطير : القشرة الرقيقة بين النواة والنمرة .

من أحلافِها (١) المطيبين ، ولا من ساداتها المطعمين ، ولا من جودائها (٢) الوهابين ، ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا عبد شمسها المسوِّدين ، وكيف نقاتل الرءوس بالأذنان ، وأين النصلُ من الجفن (٣) والسنان من الزُّجِّ (٤) ، والدُّنَابِي (٥) من القُدَامِي (٦) وكيف يُفَضِّلُ الشَّحِيحُ هَلِي الجواد ، والسُّوقَةُ عَلَى المَلِكِ ؛ والجَامِعُ بِمُخْلَاعِي المَطْعِمِ فضلاً ؟ » .

فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه (٧) ، وعَرِقَ جبينه ، واهتز من قرنه إلى قدمه ، وامتقع لونه ، ثم قال له : يا بن البوالة هلي عقيبها ، ويا جلف (٨) ، يا جاهل . أما والله لولا الحُرُمَات الثلاث : حُرْمَةُ الإسلام ، وحُرْمَةُ الحَرَمِ ، وحُرْمَةُ الشهر الحرام . لأخذت الذي فيه عيناك ، ثم أمر به إلى سجن « عارم » فحبس به مدة ، ثم استوهبته هذيل ، ومن له من قريش خثولة في هذيل ، فأطلقه بعد سنة . وأقسم ألا يعطيه عطاء مع المسلمين أبدا .

فلما وليَ عبد الملك ، أمر له بما فاتته من العطاء ، ومثله صِلَةٌ من ماله وكسائه وحمله .  
( الأغاني ٢١ : ٩٤ )

## ١٤٦ — خطبته وقد قدم عليه وفد العراق

قَدِمَ وفد من العراق على عبد الله بن الزبير ، فَأَتَوْهُ في المسجد الحرام في يوم الجمعة ، فسألوا عليه . فسألهم عن مصعب أخيه ، وعن سيرته فيهم . فقالوا : أحسن الناس سيرةً ،

(١) الأحلاف في قريش ست قبائل : عبد الدار ، وكعب ، وجمع ، وسهم ، ومخزوم ، وعدي ، لأنهم لما أراد بنو عبد مناف أخذ ماني أيدي عبد الدار من الحجابة والسقاية ، وأبت عبد الدار ، عقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذاوا ، فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ، فوضعتها لأحلافهم وهم أسد ، وزهرة ، وتيم عند الكعبة ، فغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا ، وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفاً آخر مؤكداً فسموا الأحلاف ، وقوله المطيبين : لغمس أيديهم في الطيب . (٢) جوداء : جمع جواد ، وهو السخى ، ويجمع أيضاً على أجواد وأجارود . (٣) غمد السيف . (٤) الحديد في أسفل الريح . (٥) الذنب . (٦) أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . (٧) جمع فريضة ، وهي اللحمة بين الجنب والكتف . (٨) الجلف : الرجل الجاف .

وأفضاه بحق ، وأعدّله في حكم ، فصلى عبد الله بالناس الجمعة ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله ،  
وأثنى عليه . ثم قال :

قد جرّبوني ثم جرّبوني من غلوتين ومن المئين (١)

حتى إذا شابوا وشيبوني خلوا عني ثم سيبوني (٢)

أيها الناس : « إني قد سألت هذا الوفد من أهل العراق ، عن عاملهم مصعب بن  
الزبير ، فأحسنوا الثناء عليه ، وذكروا عنه ما أحب . ألا إن مصعباً أطبى (٣) القلوب ،  
حتى مات عدل به ، والأهواء حتى مات تحول عنه ، واستمال الألسن بثنائها ؛ والقلوب بنصيحها .  
والنفوس بمحبتها . فهو المحبوب في خاصته . المحمود في عامته . بما أطلق الله به لسانه من  
الخير . وبسط يده من البذل » . ثم نزل .

( شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٤٩٢ ؛ والأمالى ١ : ٢٨٦ )

## ١٤٧ - خطبته لما بلغه قتل مصعب

لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير ( سنة ٥٧١ هـ ) وانتهى خبر مقتله  
إلى عبد الله بن الزبير ، أضرب عن ذكره أياما ، حتى تحدّث به إمام مكة في الطريق ،  
ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم ، والكأبة على وجهه ، وجبينه يرشح عرقاً . فقال  
رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ، أتراه يهاب المنطق ؟ فوالله إنه للبيب  
الخطباء . قال : لعله يريد أن يذكر مقتل مصعب سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير  
ملوم ، ثم تكلم فقال :

« الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، ومُلك الدنيا والآخرة ، يُؤتي الملك من يشاء ،  
ويُنزع الملك ممن يشاء ، ويُعزّز من يشاء ، ويُذلّ من يشاء . أما بعد : فإنه لم يُعزّز الله

(١) الغلوة: الغاية ، وهي رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال هي قدر ثلثائة ذراع إلى أربعمائة .

(٢) تركوني . (٣) أطبى : استمال .

مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ الْأَنْامُ طُرّاً<sup>(١)</sup> ، وَلَمْ يُذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا ضَعِيفًا ؛ أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبْرٌ مِنَ الْعِرَاقِ ، بِلَدِّ الْغَدْرِ وَالشَّقَاقِ ، فَسَاءَنَا وَسَرَّانَا ، أَتَانَا أَنْ مَصْعَبًا قَتَلَ رَحِمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتُهُ ؛ فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَذَعَةً وَلَوْعَةً يَجِدُهَا حَمِيمُهُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ ، ثُمَّ يَرْعَوِي مِنْ بَعْدِ ذَوَالرَّأْيِ وَاللِّدِينِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ ، وَكَرِيمِ الْعَزَاءِ . وَأَمَّا الَّذِي سَرَّانَا مِنْهُ فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنْ قَتَلَهُ شَهَادَةٌ لَهُ ، وَأَنَّهُ عَزٌّ وَجَلٌّ جَاعِلٌ لَنَا وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْخَيْرَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَسْلَمَهُ الطَّغَامُ<sup>(٢)</sup> ، الصَّمَّ الْأَذَانَ ، أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِسْلَامَ النِّعَمِ الْمُخَطَّمَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَبَاعُوهُ بِأَقْلٍ مِنَ الثَّمَنِ الَّذِي كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْهُ ، فَإِنْ يُقْتَلُ فَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ وَأَخُوهُ<sup>(٤)</sup> ، وَكَانُوا الْخِيَارَ الصَّالِحِينَ ، إِنَّا وَاللَّهِ لَأَمُوتُ حَتْفَ آنَانِنَا<sup>(٥)</sup> ، وَلَكِنْ قَعَصًا<sup>(٦)</sup> بِالرَّمَاكِ ،

(١) جميعا . (٢) الأوغاد . (٣) خطم البعير بالخطام : جملة على أنفه ، والخطام كسكتاب : ما وضع في أنف البعير ليقشاد به . (٤) بعد أن اعتزل الزبير بن العوام أصحاب الجمل ، انصرف إلى وادي السباع ، وقد تبعه عمرو بن جرموز فقتله في الصلاة ، ويعني بعمه عبدالرحمن بن العوام بن خويلد ، وقد استشهد يوم اليرموك ، وفي رواية « وابن عمه » ويعني به عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام ، وقد قتل يوم الدار « انظر أسد الغابة ٣ : ٢١٣ » .

وأما أخوه فهو المنذر بن الزبير ، وذلك أن جيش يزيد بعد أن أوقع بأهل المدينة في وقعة الحرة كما قدمنا ، سار إلى مكة لغزو ابن الزبير ، فقال لأخيه المنذر : مالهذا الأمر ولدفع هؤلاء القوم غيري وغيرك — وكان أخوه المنذر من شهد الحرة . ثم لحق به — فجرد إليهم أخاه في الناس ، فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ، ثم إن رجلا من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة ، فخرج إليه ، فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خر صاحبه لها ميتا . وكان مقتله سنة ٦٤ هـ — تاريخ الطبري ٧ : ١٤ — . (٥) الحتف : الموت ، ويقال مات حتف أنفه : أي على فراشه من غير قتل ، ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وخص الأنف لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه ، والجريح من جراحته . (٦) القعص : الموت الوحي ( أي السريع كغنى ) ومات قصا : أصابته ضربة ، أو رمية فأت مكانه ، وفي الكامل ، وعيون الأخبار : « إنا والله ما نموت حبيجا » وزاد الكامل « كهيئة آل أبي العاص » والحبيج محرقة : انفخاخ بطن البعير من أكل لحاء العرفج ( كجعفر ) ، وربما قتله ذلك ، يعرض ببني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا ، وأنهم يموتون بالتخمة .



وموتاً تحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنومروان ، والله ما قُتل منهم رجل في زحف في جاهلية ولا إسلام قطُّ ؛ إلا وإنما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبديد ملكه ، فإن تُقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الأشر البطر<sup>(١)</sup> ، وإن تُدبر عنى لم أبك عليها بكاء الخرق المهين<sup>(٢)</sup> . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم «  
ثم نزل .

( الأغانى ١٧ : ١٦٦ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٣٢٠ - م ٤ ص ٤٩٢ ، والعقد الفريد ٢ : ص ١٥٠ و ٢٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٩٠ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٠ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٨ ، ومروج الذهب ٢ : ١٢٣ )

### ١٤٨ - خطبة أخرى له

وقال الجاحظ : لما جاءه قتل أخيه مصعب ، قام خطيباً بعد خطبته الأولى ، فقال : « إن مصعباً قدّم أيرّه ، وأخر خيرّه ، وتشاغل بنسكاح فلانة وفلانة<sup>(٣)</sup> ، وترك حلبة<sup>(٤)</sup> أهل الشام ؛ حتى غشيتّه فى داره ، وأئن هلك مُصعب إن فى آل الزبير خلفاً منه » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٤٧ )

### ١٤٩ - خطبته وقد بلغه قتل عمرو الأشدق

وروى الجاحظ أيضاً أنه لما بلغه قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق ، قام خطيباً فقال :

(١) الأشر : البطر . (٢) من الخرق محرّكة وهو الدهش من خوف أو حياء ، أو أن يهت فاتحا عينيه ينظر ، والمهين : الحقير ، ويروى : « بكاء الحرف المهتر » والحرف : من فسد عقله من الكبر ، والمهتر : من ذهب عقله من كبر ، أو مرض ، أو حزن ، من الهتر بالضم ، وقد أهر فهو مهتر ( بضم الميم وفتح التاء ) : شاذ وقد قيل أهر بالبناء للمجهول (٣) كان تحت عقيلتا قريش عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين . (٤) الحلبة : خيل تجتمع للسباق من كل أوب للنصرة .

( ١٢ - جمهرة خطب العرب - ثان )

« إن أبا ذبَّان<sup>(١)</sup> ، قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ<sup>(٢)</sup> ، كَذَلِكَ نُوِّىَ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا  
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .  
(البيان والتبيين ٢ : ٤٧ )

١٥٠ - عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر

دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر ، في اليوم الذي قتل فيه ، وقد رأى من  
الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال :

يا أمّهُ : خَذَلَنِي النَّاسَ حَتَّى وَلِدِي<sup>(٣)</sup> وَأَهْلِي ، فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ مِمَّنْ لَيْسَ عِنْدَهُ  
مِنَ الدَّفْعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونَنِي مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْكَ ؟  
فَقَالَتْ : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِي أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَاْمُضْ لَهُ ،  
فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تَمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَعَّبُ بِهَا غِلْمَانُ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ  
إِنَّمَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا ، فَبئسَ العَبْدُ أَنْتَ ، أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ ، وَأَهْلَكَتَ مِنْ قُتِلَ مَعَكَ ،  
وَإِنْ قُلْتَ كُنْتُ عَلَى حَقٍّ ، فَلِمَا وَهَنَ أَصْحَابِي ضَعُفْتُ ، فَهَذَا لَيْسَ فِعْلُ الْأَحْرَارِ وَلَا أَهْلِ  
الدِّينِ ، وَكَمْ خُلُوذُكَ فِي الدُّنْيَا ؟ الْقَتْلُ أَحْسَنُ ، وَاللَّهُ لَضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ فِي عِزٍّ ، أَحَبُّ إِلَيَّ  
مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَوْطٍ فِي ذَلٍّ ، قَالَ : إِنْ أَخَافُ أَنْ قَتَلُونِي أَنْ يُمَثِّلُوا بِي ، قَالَتْ : يَا بَنِي إِنْ  
الشَّاةُ لَا يَضُرُّهَا سَلَخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا .

فَدَنَا مِنْهَا وَقَبِلَ رَأْسَهَا ، وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ رَأْيِي ، وَالَّذِي قَتَلَ بِهِ دَاعِيًا إِلَى يَوْمِي هَذَا ،

(١) الذبَّان : الذباب ، والعرب تكنو الأبحر « أبا ذباب » وبعضهم يكتبه « أبا ذبان » وقد غلب ذلك

على عبد الملك بن مروان ، لفساد كان في فمه ، وقيل لأن أخته كانت تدمى فيقع عليها الذباب .

(٢) هو عمرو بن سعيد الأشدق ، سمي بذلك لميل كان في فمه ، فقيل له من أجله : « لطيم الشيطان »

قال الوزير السكاكبي ابن عبدون في مراثيته المشهورة لدولة بني الألفطس بالأندلس التي مطلعها :

« الدهر يفتج بعد العين بالآثر فا البكاء على الأشباح والصور »

ولم تدع لأبي الذبان قاضييه ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر

(٣) وكان قد خرج إلى الحجاج ابنه حمزة وخبيب فأخذ منه لأنفسهما أمانا .

ما رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا ، وَمَا دَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا الْغَضَبُ اللَّهُ  
أَنْ تُسْتَحَلَّ حُرْمَتُهُ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيِكَ ، فَزِدْتَنِي بِصِيْرَةٍ مَعَ بَصِيْرَتِي ،  
فَانظُرِي يَا أُمُّهُ ، فَإِنِّي مَقْتُولٌ مِنْ يَوْمِي هَذَا ، فَلَا يَشْتَدُّ حَزَنُكَ ، وَسَأَمِي لِأَمْرِ اللَّهِ ، فَإِن  
ابْنِكَ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِتْيَانَ مُنْكَرٍ ، وَلَا عَمَلًا بِفَاحِشَةٍ ، وَلَمْ يَجْرُ فِي حَكْمِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَغْدِرْ فِي أَمَانٍ ،  
وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظَلْمَ مُسْلِمٍ وَلَا مَعَاهِدٍ ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي ظَلْمٌ عَنْ عَمَالِي فَرَضِيَتْ بِهِ ، بَلْ أَنْكَرْتَهُ ،  
وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ آثَرَ عِنْدِي مِنْ رِضَا رَبِّي ، اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَقُولُ هَذَا تَزَكِيَةً مِنِّي لِنَفْسِي  
- أَنْتَ أَعْلَمُ بِي - وَلَكِنْ أَقُولُهُ تَعْزِيَةً لِأُمِّي لِتَسْأَلُوْا عَنِّي ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : إِنِّي لِأَرْجُو مِنْ اللَّهِ  
أَنْ يَكُونَ عَزَائِي فِيكَ حَسَنًا إِنْ تَقَدَّمْتَنِي ، وَإِن تَقَدَّمْتِكَ فَنِي نَفْسِي حَرَجٌ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَامٍ  
يَصِيرُ أَمْرُكَ . قَالَ : يَا أُمُّهُ جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ! فَلَا تَدْعِي الدَّعَاءَ لِي قَبْلُ وَبَعْدُ ، فَقَالَتْ :  
لَا أَدْعُهُ أَبَدًا ، فَمَنْ قُتِلَ عَلَى بَاطِلٍ فَقَدْ قُتِلَ عَلَى حَقٍّ ، ثُمَّ قَالَتْ : « اللَّهُمَّ ارْحَمِ طَوْلَ  
ذَلِكَ الْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ ، وَذَلِكَ النَّجِيبِ وَالظَّمَا فِي هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَبِرَّهِ بِأَبِيهِ  
وَبِي ، اللَّهُمَّ قَدْ سَلَّمْتَهُ لِأَمْرِكَ فِيهِ ، وَرَضِيَتْ بِمَا قَضَيْتَ ، فَأَثْبِدْنِي فِي عَبْدِ اللَّهِ ثَوَابِ الصَّابِرِينَ  
الشَّاكِرِينَ » . ثُمَّ وَدَّعَهَا وَخَرَجَ .

( تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٢ ، والفخرى ١١١ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٧١ ، وبلاغات النساء ص ١٣٠ )

## ١٥١ - خطبته يوم قتله

وخرج من عندها فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ الْمَوْتَ قَدْ تَغَشَّاكُمْ سَحَابُهُ ، وَأَحْدَقَ بِكُمْ رَبَابُهُ <sup>(١)</sup> ، واجتمع بعد  
تفرُّق ، وارجحن <sup>(٢)</sup> بعد تمشُّق <sup>(٣)</sup> ، ورجس <sup>(٤)</sup> نحوكم رَعْدُهُ ، وهو مُفْرِغٌ عَلَيْكُمْ وَدَقَّهُ <sup>(٥)</sup> »

(١) الرباب : السحاب الأبيض . (٢) ارجحن : مال من ثقله واهتز ، وتمشُّق ثوبه : تمزق .

(٣) رجست السماء : رعدت شديدا وتمخضت . (٤) الودق : المطر .

وقائِدِ إليكم البَلايا ، تتبعها المنايا ، فاجعلوا السيوف لها غَرَضًا ، واستمعينوا عليها بالصبر .  
وتمثل بأبيات ، ثم اقتحم يقاتل وهو يقول :

قد جدَّ أصحابك ضربَ الأعناقِ وقامت الحربُ لها على ساقٍ<sup>(١)</sup>

(العقد الفريد ٢ : ٢٧١)

## ١٥٢ - خطبة أخرى

وروى الطبري قال :

لما كان يوم الثلاثاء صَدِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ من جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ وقد أخذ  
الحجاج على ابن الزبير بالأبواب ، صلى بأصحابه الفجر ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ،  
ثم قال :

« يا آل الزبير : لو طَبَّتم لي نفسًا عن أنفسكم ، كنا أهل بيتٍ من العرب  
اضْطَلَمْنَا<sup>(٢)</sup> في الله ، لم تُصَبِّنا زَبَاءً بَيَّةً<sup>(٣)</sup> ، أما بعد يا آل الزبير : فلا يَرُغْمُكم وقع  
السيوف ، فإنني لم أحضر مَوْطِنًا قَطُّ إلا أَرْتَثُتُ<sup>(٤)</sup> فيه من القتل ، وما أجد من دواء  
جراحها أشدَّ مما أجد من ألم وَقَعِها ، صُونُوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ؛ لا أعلم امرأ  
كسر سيفه ، واستبقى نفسه ، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل ، غَضُّوا  
أبصاركم عن البارقة<sup>(٥)</sup> ، وليدشغل كل امرئ قرينه ، ولا يُلْهِنَنَّكم السؤالُ عني ، ولا  
تقولنَّ : أين عبد الله بن الزبير ، ألا من كان سائلًا عني فإنني في الرعيل<sup>(٦)</sup> الأول :

أبي لابن سلمى أنه غير خالد مُلَاقِي المنايا أي صَرِفِ تِيَمَمًا

(١) هو من مشطور السريع الموقوف . (٢) أي استوصلنا . (٣) الزباء من الدواهي :  
الشديدة ، ويقال لا أفعله ألبتة ، وبتة ، لكل أمر لارجعة فيه . (٤) ارتث ( مبنيا للمجهول ) حمل  
من المعركة رثيما أي جريحًا وبه رمق . (٥) البارقة : السيوف . (٦) الرعيل : القطعة من الخيل  
القليلة ، أو مقدمتها .

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بسبِّةٍ ولا مرْتقىٍ من خشيةِ الموتِ سلماً  
احلوا على بركةِ الله ، ثم قاتل حتى أُثخنَ بالجراحاتِ وقتل .

( تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٤ )

### ١٥٣ - خطبة مصعب بن الزبير

بعت عبد الله بن الزبير أخاه مُصعباً والياً على البصرة سنة ٦٧ هـ ، فصعد المنبر ،  
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم طسم . تلك آياتُ الكتابِ المبينِ . نتلو عليك من  
نبيِّ موسى وفرعونَ بالحقِّ لقومٍ يؤمنون . إنَّ فرعونَ علا في الأرضِ ، وجعل  
أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحبي نساءهم ، إنه  
كان من المفسدين » وأشار بيده نحو الشام « ونريد أن ننمَّ على الذين استضعفوا  
في الأرضِ ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين » وأشار بيده نحو الحجاز « ونمكن لهم  
في الأرضِ ونرى فرعونَ وهامانَ وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » وأشار بيده  
نحو العراق .

( البيان والتبيين ٢ : ١٥٩ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤٦ )

# خطب الأمويين

## خطباء البيت الأموي

خطب معاوية (توفي سنة ٦٠ هـ)

١٥٤ - خطبته بالمدينة عام الجماعة

قدم معاوية المدينة عام الجماعة (سنة ٤١ هـ) فتلقاه رجال قريش ، فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرك ، وأعلى كعبك ، فما رد عليهم شيئاً حتى صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإني والله ما وَايْتَهَا بِمَحَبَّةِ عَالَمَتِهَا مِنْكُمْ ، وَلَا مَسْرَّةَ بَوْلَايَتِي ، وَلَا كُنِي جَالِدَتِكُمْ بِسَيْفِي هَذَا مُجَالِدَةً ، وَلَقَدْ رُضْتُ <sup>(١)</sup> لَكُمْ نَفْسِي عَلَى عَمَلِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ ، وَأُردْتَهَا عَلَى عَمَلِ عُمَرَ ، فَنفَرْتِ مِنْ ذَلِكَ نِفَاراً شَدِيداً ، وَأُردْتَهَا عَلَى سُنَيَاتِ <sup>(٢)</sup> عُمَانَ ، فَأَبَتْ عَلَيَّ ، فَسَلَكْتَ بِهَا طَرِيقاً لِي وَأَنْتُمْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ : مَوْا كَلَةً حَسَنَةً وَمِشَارِبَةً جَمِيلَةً ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُونِي خَيْرَكُمْ ، فَإِنِّي خَيْرُكُمْ وَلَايَةً ، وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لَا سَيْفَ لَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ إِلَّا مَا يَسْتَشْفِي بِهِ الْقَائِلُ بِلِسَانِهِ ، فَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ لَهُ دَبْرًا <sup>(٣)</sup> أذْنِي ،

(١) من راض المهر: إذا ذلله . (٢) سنية مصغر سنة ، والمراد حكم عثمان .

(٣) جعل كلامك دبر أذنه : لم يصنع إليه ، ولم يهرج عليه .

وتحت قدمي ، وإن لم تجدونني أقوم بحققكم كله ، فاقبلوا مني بعضه ، فإن أنا كم مني خير فاقبلوه ، فإن السيل إذا جاد يُثري ، وإذا قل أغنى ، وإياكم والفتنة ، فإنها تُفسد المعيشة وتكدر النعمة « ثم نزل .

( العقد الفريد ۲ : ۱۳۹ )

### ۱۵۵ - خطبة أخرى له بالمدينة

وخطب محمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :  
« أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدمنا عليكم ، وإنما قدمنا على صديق مستبشر .  
أو على عدو مستتر ، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون . فإن أعطوا منها رَضُوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يَسْخَطُونَ ، ولست واسعاً كل الناس ، فإن كانت مُحَمَّدة ، فلا بد من مَدَمَّة ، فلو مَأْمُونًا إذا ذكر غفر ، وإياكم والتي إن أخفيت أَوْ بقت ، وإن ذُكِرَتْ أوثقت « ثم نزل .

( العقد الفريد ۲ : ۱۴۰ )

### ۱۵۶ - خطبة له بالمدينة

وصعد منبر المدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
« يا أهل المدينة ، إني لست أحب أن تكونوا خَلْقًا كَخَلْقِ الْعِرَاقِ ، يَعْيَبُونَ الشَّيْءَ وَهُمْ فِيهِ ، كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ شِيعَةٌ نَفْسُهُ ، فَاقْبَلُونَا بِمَا فِيْنَا ، فَإِنْ مَا وِرَاءَنَا شَرُّ لَكُمْ ، وَإِنْ مَعْرُوفٌ زَمَانُنَا هَذَا مُنْكَرٌ زَمَانٌ قَدْ مَضَى ، وَمِنْكَرٌ زَمَانُنَا مَعْرُوفٌ زَمَانٌ لَمْ يَأْتِ ، وَلَوْ قَدْ آتَى فَالرَّتُّ خَيْرٌ مِنَ الْفَتْقِ ، وَفِي كُلِّ بِلَاغٍ ، وَلَا مَقَامَ عَلَى الرَّزِيَّةِ « .

( العقد الفريد ۲ : ۱۴۰ )

## ۱۵۷ - خطبته حين ولي المغيرة بن شعبه الكوفة

ولما ولي معاوية المغيرة بن شعبه الكوفة في جمادى سنة ۶ هـ دعاه ، فحمد الله ،  
وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرَعُ العصا<sup>(۱)</sup> ، وما قال المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرَعُ العصا وما علم الإنسان إلا ليقلما

وقد يُجزى<sup>(۲)</sup> الحكيم بغير التعليم ، وقد أردتُ إيصاءك بأشياء كثيرة ، فأنا  
تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ، ويُساعد سلطاني ، وتصلح به رعيتي ، ولست تاركاً  
إيصاءك بخصلة : لا تتحَمَّ<sup>(۳)</sup> عن شتمِ هلى وذمه ، والترحمِ على عثمان ، والاستغفار له ،  
والعيبِ على أصحابِ عليّ ، والإفصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ، وبإطراء شيعة عثمان  
رضوانُ الله عليه ، والإدناء لهم ، والاستماع منهم . »

فقال المغيرة : « قد جرّبتُ وجرّبتُ ، وعملتُ قبلك لغيرك ، فلم يُذمّمْ بي دَفْعٌ  
ولا رَفْعٌ ، ولا وَضَعٌ ، فسَدِّبْهُ<sup>(۴)</sup> فتمحمد ، أو تَذمّمْ » قال : « بل نحمد إن شاء الله . »

( تاريخ الطبري ۶ : ۱۴۱ )

(۱) من أمثال العرب المشهورة : « إن العصا قرعت لذي الحلم » وهو مثل يضرب لمن إذا نبه انتبه ،  
وأول من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدواني ، وقيل هو قيس بن خالد ، وقيل ربيعة بن مخاشن ،  
وقيل عمرو بن حمزة الدوسي ، وقيل عمرو بن مالك . ذكروا أن عامر بن الظرب كان أحد حكام العرب  
المؤثرين : لا تمدّ ، بفهمه فهما ، ولا يحكمه حكما ، فلما طعن في السن أنكر من عقله شيئا ، فقال لبيته :  
إنه قد كبرت سنّي ، وعرض لي سهو ، فإذا رأيتموني خرجت من كلامي ، وأخذت في غيره ، فاقرعوا لي  
المجن بالعصا ، وقال المتلمس يريد به :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرَعُ العصا . . . . . البيت .

(۲) يجزى مسهل من يجزى أي يفنى ، يقال : أجزاء عنك مجزأ فلان : أي أغنيت عنك مغناه .

(۳) احتسى وتحسى : امتنع . (۴) أي تختبر .



## ۱۵۸ - خطبة له في يوم صائف

وخطب الجمعة في يوم صائفٍ شديد الحر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . قوموا إلى صلاتكم

( العقد الفريد ۲ : ۱۴۰ )

## ۱۵۹ - آخر خطبة له

صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قبض على لحيته ، وقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي مِنْ زَرْعٍ قَدْ اسْتَحْصَدَ<sup>(۱)</sup> ، وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْكُمْ أَمْرَتِي ، حَتَّى مَلَلْتُمْ وَمَلَلْتُمُونِي ، وَتَمَنَيْتُمْ فِرَاقِي وَتَمَنَيْتُمْ فِرَاقِي ، وَإِنَّهُ لَا يَأْتِيكُمْ بَعْدِي إِلَّا مَنْ هُوَ شَرُّ مِنِّي ، كَمَا لَمْ يَأْتِكُمْ قَبْلِي إِلَّا مَنْ كَانَ خَيْرًا مِنِّي ، وَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ لِقَاءَكَ ، فَأَحْبِبْ لِقَائِي » ثم نزل ، فاصعد المنبر حتى مات<sup>(۲)</sup> .

( الأمل ۲ : ۳۱۵ ، وتهذيب الكامل ۱ : ۱۶ )

## ۱۶۰ - خطبته وقد حضرته الوفاة

ولما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك ، قال : ويحك ؟ ولم ؟ قال : لا أدري . قال فوالله ما لهم بعدى إلا الذي يسوءهم وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأوجز ثم قال :

(۱) استحصد الزرع وأحصد : حان أن يحصد . (۲) سبرد عليك بقية خطبه بعد في موضعها .

« أيها الناس : إنا قد أصبحنا في دهر عنود<sup>(۱)</sup> ، وزمن شديد<sup>(۲)</sup> يُعدّ فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد فيه الظالم عُتوّاً ، لا ننتفع بما علمناه ، ولا نسأل عما جهلناه ، ولا نتخوف قارعة<sup>(۳)</sup> حتى تحلّ بنا؛ فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه ، وكلال حدّه ، ونضيض وفره<sup>(۴)</sup> ومنهم المصلّيت<sup>(۵)</sup> أسيفه ، المجلّيب بخيله ورجله ، المعلن بشرته ، قد أشراط نفسه ، وأوبق دينه ، لحطام ينتمزه<sup>(۶)</sup> ، أو مقنّب<sup>(۷)</sup> يقوده ، أو منبر يفرّعه<sup>(۸)</sup> ، ولبئس المتجر أن تراهما لنفسك ثمنًا ، وممالك عند الله عوضاً ، ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطالب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه ، وشمر من ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية . ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرت به الحال عن أماله . فتحلى باسم القناعة . وتزين بلباس الزهاد . وليس من ذلك في مراح ولا مغدى ، وبقى رجال غصّ أبصارهم ذكر المرجم ، وأراق دموعهم خوف المَحْشَر ، فهم بين شريد نافر ، وخائف منقمع<sup>(۹)</sup> ، وساكت مكعوم<sup>(۱۰)</sup> ، وداع مخلص ، وموجع تَبْكَلَان ، قد أخلتهم التَّقِيَّة<sup>(۱۱)</sup> ، وشملتهم الذلّة ، فهم بجر أجاج<sup>(۱۲)</sup> ، أفواهم ضامزة<sup>(۱۳)</sup> ، وقلوبهم قرحة ، قد وَعَظَوْا حتى ملّوا ، وقهروا حتى ذآوا ، وقتلوا

(۱) جائر . من عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عنودا : إذا مال . (۲) وفي نهج البلاغة :  
 وزمن كنود وهو الكفور . (۳) الداهية التي تقرع أي تصيب . (۴) أي قلة ماله .  
 (۵) أصلت السيف : سلّه . (۶) هيأها وأعدّها ( من الشرط ( محرّكة ) وهو العلامة ) أي هيأها  
 للفساد في الأرض . وأوبقه : أهلكه . والحطام : المال . وأصله ما تكسر من البيس . (۷) المقنّب من  
 الخيل : بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلاثمائة . (۸) يعلوه . (۹) مقهور .  
 (۱۰) من كعم البعير كنع : شد فاه لئلا يعض أو يأكل ، وفي البيان والتبيين معكوم ، من عكم المتاع  
 يمكه : شده بشوب . (۱۱) التقية : المداراة . (۱۲) الأجاج : الملح . (۱۳) ساكتة من ضمير  
 كنصر وضرب : سكت ولم يتكلم . والبعير أمسك جرتة في فيه ولم يجتر .

حتى قتلوا ، فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُمالة القَرظ<sup>(١)</sup> وقراضة الجلمين ،  
واتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ، فرفضوها ذميمة فإنها قد رفضت  
من كان أشغف بها منكم .

( البيان والتبيين ٢ : ٢٨ ، والمعقد الفريد ٢ : ١٤١ : ونهج البلاغة ١ : ٤٠ وإعجاز القرآن ٢١٣ )

## ١٦١ - وصيته لابنه يزيد

لما حضرت معاوية الوفاة ، ويزيدُ غائبٌ ، دعا معاوية مُسلم بن عُقبة المرِّي ،  
والضحَّاك بن قيس الفهري ، فقال : أبلغا عني يزيد وقولا له :

« يا بني ، إني قد كفيتك الشدَّ والترحال ، ووطأت لك الأمور ، وذلت لك الأعداء  
وأخضعت لك رقابَ العرب ، وجمعت لك مالم يجمعه أحدٌ ، فانظر أهل الحجاز ، فإنهم  
أصلك وعِترتك<sup>(٢)</sup> ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قعد عنك فتعهده ، وانظر أهل العراق ،  
فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل ، فإنَّ عزَلَ عاملٍ أهونُ عليك من سلِّ  
مائة ألف سيف ، ثم لاندري علامَ أنت عليه منهم ؟ ثم انظر أهل الشام ، فاجعلهم  
الشُّعار<sup>(٣)</sup> دون الدُّنار ، فإن رآبك من عدوك رَبِّبٌ ، فارمهم<sup>(٤)</sup> بهم ، فإن

(١) القَرظ : ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به ، والجلم : مقراض يجزبه الصوف . والقراضة :  
ما يسقط منه عند الجز .

قال الجاحظ : « وفي هذه الخطبة أبتاك الله ضروب من العجب . منها أن هذا الكلام لا يشبه السبب  
الذي من أجله دعاهم معاوية . ومنها أن هذا المذهب - في تصنيف الناس ، وفي الأخبار عنهم ، وعما هم عليه  
من القهر والإذلال ، ومن النقية والخوف - أشبه بكلام علي وبمعانيه ، وبجمله منه بحال معاوية . ومنها أن لم  
نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ، ولا يذهب مذاهب العباد ، وإنما نكتب لكم  
ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم » .

ونسبها الشريف الرضي إلى الإمام علي ، وقال هي من كلامه الذي لا يشك فيه .

(٢) عترة الرجل : عشيرته الأدنون . (٣) الشُّعار : الثوب يليس على شعر الجسد ، والدُّنار :

الذي يابس فوق الشُّعار . (٤) الفمير للعدو ، وهو للواحد والجمع ، والذكر والأنثى ، وقد يشئ  
ويجمع ويؤنث .

أظفرك الله بهم ، فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، ولا يُقيموا في غير بلادهم ، فيتأدبوا  
بغير أدبهم .

وإني لست أخاف عليك أن يفتازك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش :  
الحسين بن عليّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر .  
فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وَقَدَه (١) الورع ، وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك ؛  
وأما الحسين بن عليّ فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفَيَك الله بمن قَتَلَ أباه وخذل  
أخاه ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يُخرجوه فإن خرج وظفرت به ، فاصفح عنه ،  
فإن له رَحِمًا (٢) مائة ، وحقًا عظيمًا ، وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه ؛ وأما  
ابن أبي بكر ، فإن رأى أصحابه صنعوا شيئًا صنع مثلهم ، ليست له همةٌ إلا في النساء  
واللهو ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه خَبَّ ضَبَّ (٣) ، فإن ظفرت به فقطعه إِرْبًا إِرْبًا (٤) .  
« أو قال » وأما الذي يجثم لك جُثوم الأسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب ، فإن أمكنته  
فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو وثب عليك ، فظفرت به فقطعه إِرْبًا إِرْبًا ،  
واحقن دماء قومك ما استطعت .

( البيان والتبيين ٢ : ٦٦ وتاريخ الطبري ٦ : ١٧٩ ، العقد الفريد ٢ : ١٤١ - ٢٤٩ الفخرى ص ١٠٢ )

(١) وقده : صرعه وغلبه ، وتركه عليلاً كأوقده . (٢) قرابة . (٣) انظر تفسيرها  
في صفحة ١٤١ . (٤) أي عضوا عضوا .

## خطب يزيد بن معاوية (توفي سنة ٦٤ هـ)

### ١٦٢ - خطبته بعد موت معاوية

« الحمد لله الذي ما شاء صنع : من شاء أعطى ، ومن شاء منع ، ومن شاء خفض ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان حَبِلاً من حبال الله ، مَدَّهُ ما شاء أن يمدَّهُ . ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ، وكان دون مَنْ قَبْلَهُ ، وخيراً ممن يأتي بعده . ولا أزكّيه عند ربه وقد صار إليه . فإن يعفُ فبرحمته . وإن يعاقبه فبذنبه . وقد وليت بعده الأمر . واستعتذر من جهل ، ولا أشتغل<sup>(١)</sup> بطلب علم ، وعلى رسلكم ، إذا كره الله شيئاً غيره ، وإذا أحب شيئاً يسره . »

(العقد الفريد ٢ : ١٤٢ - ٢٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٩٣ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٨)

### ١٦٣ - خطبة أخرى له

« الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضللَّ فلا هاديَّ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله اصطفاه لوحيه ، واختاره لرسالته ، بكتاب فضله وفضله ، وأعزه وأكرمه ، ونصره وحفظه ، ضرب فيه الأمثال ، وحلل فيه الحلال ، وحرّم فيه الحرام ، وشرع فيه الدين إعاداراً وإنذاراً ، لئلا يكون

(١) في العقد الفريد : ولا آسى على طلب علم ، ولا آنى عن طلب علم .

للناس على الله حجةً بعد الرسل ، ويكون بلاغاً لقوم عابدين<sup>(١)</sup> . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه ، وإليه يصير معادها ، وانقطاع مدتها ، وتصرف دارها ، ثم إنى أحذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة<sup>(٢)</sup> ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفانى ، وتحببت بالعاجل ، لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجيعتها ، أكلة غواية غيرة ، لا تبقى على حال ، ولا يبقى لها حال . إن تعدوا الدنيا إذا تنهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله عز وجل : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ) نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزيع يومئذ آمنين ، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله : (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ( لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ<sup>(٣)</sup> ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ) . (العقد الفريد ٢ : ١٤٢ )

### ١٦٤ - خطبة معاوية بن يزيد<sup>(٤)</sup> (توفي سنة ٦٤)

أمر معاوية بن يزيد بن معاوية بعد ولايته ، فنودي بالشأم : الصلاة جامعة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
أما بعد : فإنى قد نظرت فى أمركم فضعفت عنه ، فابتغيت لكم رجلا مثل عمر ابن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت لكم ستة فى الشورى

(١) أى سهم الدبادة . (٢) ناضرة . (٣) أى حتمكم ( مشتكم ) .

(٤) استخلف فى شهر ربيع الأول سنة ٥٦٤ ، ولم يلبث فى الخلافة إلا ثلاثة أشهر وقيل أربعين يوما .

مثل ستة عمر فلم أجدها ، فأنتم أولى بأمركم ، فاختاروا له من أحببتهم ، فما كنت لأتزوّدَها  
ميتاً ، وما استمتعت بها حياً .

ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس ، وتغيّب حتى مات (١) .

( تاريخ الطبرى ٧ : ٣٤ ، والفخرى ص ١٠٧ ، ومروج الذهب ٢ : ٩٧ )

## ١٦٥ - وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز

ولما انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام استعمل عبد العزيز ابنه على  
مصر ، وقال له حين ودعه :

« أرسل حكياً ولا توصه ، أى بنى انظر إلى عمالك فإن كان لهم عندك حق غدوة  
فلا تؤخره إلى عشية ، وإن كان لهم عشية فلا تؤخره إلى غدوة ، وأعطهم حقوقهم عند  
محلها ، تستوجب بذلك الطاعة منهم . وإياك أن يظهر لرعيّتك منك كذب ، فإنهم إن  
ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك فى الحق ، واستشر جلساءك وأهل العلم ، فإن لم يستبين  
لك فاكذب إلى يأتك رأى فيه إن شاء الله تعالى ، وإن كان بك غضب على أحد من  
رعيّتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب ، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ،  
ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطقيّ الجرة ، فإن أول من جعل السجن  
كان حليماً ذا أناة ، ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك ،  
ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم ، على غير استرسال ولا انقباض ، أقول هذا وأستخلف  
الله عليك . » ( لعقد التريّد ١ : ٤٩ )

(١) قيل دس إليه فسق سما ، وقال بعضهم طعن ، وتوفى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً :  
وقيل ابن إحدى وعشرين سنة .

# خطب عبد الملك بن مروان (توفي سنة ٥٨٦ هـ)

## ١٦٦ - خطبته بمكة

خطب بمكة فقال في خطبته :

« أيها الناس : إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف ( يريد عثمان بن عفان ) ولا بالخليفة المدهن ( يريد معاوية بن أبي سفيان ) ولا بالخليفة المأفون<sup>(١)</sup> ( يريد يزيد بن معاوية ) فمن قال برأسه كذا ، قلنا له بسيفنا كذا » . ثم نزل<sup>(٢)</sup> .

( العقد الفريد ٢ : ١٤٢ و ٢٦٣ والبيان والتبيين ٢ : ٨٥ )

## ١٦٧ - خطبة له موجزة

وخطب على المنبر فقال :

« أيها الناس إن الله حدّ حدوداً ، وفرض فروضاً ، فما زتم تزادون في الذنب ، وزداد في العقوبة ، حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف » . ( العقد الفريد ٢ : ٢٦٣ )

---

(١) المأفون : الضعيف الرأي والعقل . (٢) قال أبو إسحق النظام : « أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المدهن لكنت منها أبعد من العيوق ( بفتح العين وتشديد الياء نجم أحمر مضى يتلو الثريا ) والله ما أخذتها بوراثة ، ولا سابقة ، ولا قرابة ، ولا بدعوى شوري ، ولا بوصية » .



## ۱۶۸ - خطبته حين قتل عمرا الأشدق بن سعيد بن العاص<sup>(۱)</sup>

« ارموا بأبصاركم نحو أهل المعصية ، واجعلوا سلفكم لمن شبر منكم عظة ، ولا تكونوا أغفالا<sup>(۲)</sup> من حسن الاعتبار ، فتنزل بكم جائحة<sup>(۳)</sup> السطوات ، ونجوس خلالكم بوادرُ النقمات ، وتطأ رقابكم بثقلها العقوبة ، فتجعلكم همدارُفاتا<sup>(۴)</sup> ، وتشتمل عليكم بطون الأرض أمواتا ، فإيأى من قول قائل ، ورشقة جاهل ، وإنما بينى وبينكم أن أسمع النفوة<sup>(۵)</sup> ، فأصم تصم الحسام المطرور<sup>(۶)</sup> ، وأصول صيال الحنق الموتور<sup>(۷)</sup> ، وإنما هي المصاحفة والمكافحة ، بظبات السيوف وأسنة الرماح ، والمعاودة لكم بسوء الصباح ، فتأب تأب ، وهديل خائب<sup>(۸)</sup> ، والتوب مقبول ، والإحسان مبدول ،

(۱) وذلك أنه لما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثاني ، وانحاز الضحاك بن قيس الفهري عن مروان ابن الحكم ، واستمال النار ودعا إلى ابن الزبير ، التى مروان وعمرو بن سعيد الأشدق ( وهو عمرو بن سعيد ابن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ) فقال الأشدق لمروان : هل لك فيما أقوله لك ؟ فهو خير لى ولك ، فقال مروان : وما هو ؟ قال : أدعو الناس إليك وأخذها لك على أن تكون لى من بعدك . فقال مروان : لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية ، فرضى الأشدق بذلك ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا ، وبأيع مروان بعده لخالد بن يزيد ، واعمرو بن سعيد بعد خالد ، ثم مات مروان وخلفه ابنه عبد الملك ، ولما اعترزم عبد الملك أن يخرج إلى العراق امتثال مصعب بن الزبير بنفسه . قال له عمرو : إنك تخرج إلى العراق ، وقد كان أبوك وعدنى هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائى معه ما لم يخف عليك ، فاجعل لى هذا الأمر من بعدك ، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء ، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه ، فرجع إلى دمشق وحاصرها حتى صالح عمرو ابن سعيد على أنه الخليفة بعده ففتح له ، ثم إن عبد الملك احتال له حتى قتله سنة ۶۹ .

(۲) غبر : بقى ، وأغفال جمع غفل كقفل . (۳) الجوح والاجتياح : الإهلاك والامتنعصال .

(۴) الهامد : البالى من كل شيء ، والرفات : الحطام . (۵) النفوة والنفمة : أول الخبر قبل

أن تستثبته . (۶) المشحوذ ، من الطر : وهو تحديد السكين وغيرها . (۷) صاحب الوتر :

وهو الثار . (۸) هدله يهداه كضربه : أرشاه ، وهدل المشفر كفرح : استرخى أى ضعف الخائب

وخار ، ولعله حائب من الحوب بفتح الحاء وضمه وهو الإثم . حاب بكذا أثم حوبا أى ضعف الأثم المذنب .

( ۱۳ - جمهرة خطب العرب - ثان )

لمن عرف رُشدہ ، وأبصر حظه ، فانظروا لأنفسكم ، وأقبلوا على حظوظكم ، وإيكن أهل الطاعة يداً على أهل الجهل من سفهائكم ، واستديبوا النعمة التي ابتدأتكم برغبت عيشتها ، ونفيس زينتها ، فإنكم من ذلك بين فضيالتين : عاجل الخفض واللداعة ، وآجل الجزاء والمثوبة ، عصمكم الله من الشيطان وفتنته ونزغهِ<sup>(۱)</sup> ، وأمدكم بحسن معاونته وحفظه ، اهضوا رحمكم الله إلى قبض أعطيائكم ، غير مقطوعة عنكم ، ولا مكدرة عليكم .  
( صبح الأعشى ۱ : ۲۱۸ )

### ۱۶۹ — خطبته لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير<sup>(۲)</sup>

لما قتل عبد الملك مُصعب بن الزبير سنة ۷۱ هـ دخل الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :  
« أيها الناس إن الحرب صعبة مُرة ، وإن السِّلم أمنٌ ومسرّة ، وقد زبنتنا الحرب وزبنتناها<sup>(۳)</sup> فعرفناها وألفناها ، فنحن بنوها وهي أمنا . أيها الناس فاستقيموا على سبيل الهدى ، ودعوا الأهواء المرذية ، وتجنبوا فراق جماعات المسلمين ، ولا تكافونا أعمال المهاجرين الأولين وأنتم لاتعملون أعمالهم ، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شراً ، وإن زداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلا عقوبةً ، فن شاء منكم أن يعود بعد مثلها فليعد ، فإنما مثلى ومثلكم كما قال قيس بن رِفاعة الأنصاري :

من يَصُل ناري بلا ذنب ولا تِرّة يَصُل بنار كَرِيمٍ غير غَدَّار<sup>(۴)</sup>  
أنا النذير لكم مني مجاهرةً كي لا ألام على نهى وإنذار

(۱) نزغ بينهم : أفسد وأغرى . (۲) نسب القلقشندي هذه الخطبة إلى معاوية وذكر أنه خطبها بصيفين ( صبح الأعشى ۱ : ۲۱۵ ) وعزاها القالي في الأمالى إلى عبد الملك بن مروان وهو ما ترجمه لما يدل عليه سياق الخطبة . (۳) أي دفتنا ودفعناها ، والزبن : الدفع ، ومنه اشتقاق الزبانية ( جمع زبانية أو زبني بكسر الزاي وسكون الباء ) لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار ومنه أيضاً حرب زبون بفتح الزاي . (۴) الترة والوتر : النار .

فإن عَصَيْتُمْ مَقَالِي الْيَوْمَ فاعترفوا  
لترَجِعُنَّ أَحاديثًا مُلَعَّنَةً  
من كان في نفسه حَوْجاء يَطْلُبها  
أقيم عَوْجته إن كان ذا عِوَج  
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه  
أن سوف تلقون خِزْيًا ظاهر العار  
هُوَ المَقِيم وهو المَذْج السَّارِي (١)  
عندي فإني له رَهْنٌ بِأصْحار (٢)  
كما يَقوم قِدْح النَّبْعَةِ للباري (٣)  
عندي ، وإني لدراك بأوتار  
(الأمالي ١ : ١٢)

### ١٧٠ - خطبته عام حجة

وحج عبد الملك في بعض أعوامه ، فأمر للناس بالعطاء ، فخرجت بَدْرَةٌ (٤) مكتوب عليها من الصدقة ، فأبى أهل المدينة قبولها ، وقالوا : إنما كان عطاؤنا من الفداء ، فقال عبد الملك وهو على المنبر :

« يا معشر قريش ، مَثَلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين ، فنزلا في ظل شجرة تحت صَفَاة (٥) ، فلما دنا الرِّواح خرجت إليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارًا ، فألقته إليهما ، فقالا : إن هذا لمن كَنَز ، فأقاما عليها ثلاثة أيام ، كل يوم تخرج إليهما دينارًا ، فقال أحدهما لصاحبه : إلى متى ننتظر هذه الحية ؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه ، فنهاه أخوه ، وقال : ما تدرى لملك تعطب ولا تدرك المال ، فأبى عليه

(١) أدلج : سار من أول الليل ، فان سار من آخره فقد ادلج بالتشديد ، والساري : الذي يسير بالليل .  
(٢) الحوجاء : الحاجة . وقوله بأصْحار : أي لا أستتر عنه ، ولا أمتنع في الأماكن الحصينة ، من أصحرو القوم : برزوا إلى الصحراء . (٣) العوج بالفتح في كل ما كان منتصبًا مثل الإنسان والعصا والعود وشبهه ، والعوج بالكسر : ما كان في بساط أو أرض أو معاش أو دين ، قيل بالفتح مصدر وبالكسر اسم منه ، والقِدْح : السهم قبل أن يراش وينصل جمعه قَداح ، والنْبعة واحدة النبع وهو شجر القسي والسهم .  
(٤) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم .

وأخذ فأساً معه ، ورصد الحية حتى خرجت ، فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها .  
فثارت الحية فقتلته . ورجعت إلى جحرها . فقام أخوه فدفنه وأقام حتى إذا كان من الغد  
خرجت الحية معصوباً رأسها ، ليس معها شيء . فقال لها : يا هذه إني والله ما رضيت  
ما أصابك ، ولقد نهيت أخى عن ذلك ، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضربني  
ولا أضرك وترجعين إلى ما كنت عليه ؟ قالت الحية : لا ، قال : ولم ذلك ؟ قالت :  
إني لأعلم أن نفسك لا تطيب لى أبداً وأنت ترى قبر أخيك ، ونفسي لا تطيب لك أبداً  
وأنا أذكر هذه الشجيرة<sup>(١)</sup> ، وأنشدهم شعر النابغة :

فقلت أرى قبراً تراه مُقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاغره

فيا معشر قريش وليكم عمر بن الخطاب ، فكان فظاً غليظاً مضيقاً عليكم ، فسمعتم  
له وأطعتم ، ثم وليكم عثمان فكان سهلاً ، فعَدَّوتم عليه فقتلتموه ، وبعثنا عليكم  
« مُسلماً »<sup>(٢)</sup> يوم الحرّة فقتلناكم ، فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبداً ، وأنتم  
تذكرون يوم الحرّة ، ونحن لا نحبكم أبداً ونحن نذكر قتل عثمان .

(مروج الذهب ٢ : ١٢٩)

## ١٧١ - خطبته وقد علم بخروج ابن الأشعث

ولما ورد إليه كتاب الحجاج يذبحه بخروج ابن الأشعث خرج إلى الناس فقام فيهم  
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(١) راجع مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٦١ في المثل : « كيف أعادوك وهذا أثر فاسك » .  
(٢) هو مسلم بن عقبة المري صاحب وقعة الحرّة . وذلك أن أهل المدينة كانوا كرهوا خلافة يزيد  
ابن معاوية وخلصوه وحاصروا من كان بها من بني أمية وأخافوهم ، فوجه إليها مسلم بن عقبة فحاصرها من  
جهة الحرّة ، « موضع بظاهر المدينة » ودخلها ، ودعا الناس للبيعة على أنهم خول يزيد يحكم في دماهم وأموالهم  
وأهلهم ماشاء ، وقد أباح المدينة ثلاثاً : فقتل ، ونهب ، وسبى قيل إن الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان  
إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ، ويقول لعلها افتضت في وقعة الحرّة . « وكانت في ذى الحجة من سنة ٦٣ هـ » .

« إن أهل العراق طال عليهم عمري ، فاستعجلوا قَدْرِي ، اللهم سلط عليهم سيوف  
أهل الشام حتى يبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سخطك » ثم نزل .  
( تاريخ الطبري ٨ : ١٠ )

### ١٧٢ - وصيته لبعض أمرائه

وأوصى عبد الملك أميراً سيره إلى أرض الروم ، فقال :  
« أنت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحاً أتجر ،  
وإلا تحفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تُحرز السلامة ، وكن من احتيالك  
على عدوك أشدَّ حذرًا من احتيالك عدوك عليك » .  
( العقد الفريد ١ : ٤١ )

### ١٧٣ - وصيته للشعبي

وروى المسمودي في مروج الذهب قال :  
ولما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان ، تآقت نفسه إلى محادثة الرجال والأشراف  
في أخبار الناس ، فلم يجد من يصلح لمنادته غير الشعبي ، فلما حيل إليه ونادمه ،  
قال له :

« يا شعبي ، لا تساعِدني على ما قبِح ، ولا ترُد عليّ الخِطأ في مجلسي ، ولا تكلفني  
جوابَ التشميت<sup>(١)</sup> والتهنئة ، ولا جوابَ السؤال والتعزية ، ودع عنك ( كيف أصبح  
الأمير ، وكيف أمسى ) . وكلني بقدر ما أستطعمك ، واجعل بدل المدح لي صوابَ  
الاستماع مني ، واعلم أن صوابَ الاستماع أكثر من صواب القول ، وإذا سمعني أتحدث  
فلا يفوتنك منه شيء ، وأرني فهمك من طرفك وسمعك ، ولا تجهد نفسك في نظري<sup>(٢)</sup> »

(١) التشميت: الدعاء للعاطس . (٢) في الأصل « في نظرية صوابي » وأراه محرفاً، والنظر: الانتظار.

صوابي . ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي ، فإن أسوأ الناس حالا من استكد<sup>١</sup> الملوك بالباطل ، وإن أسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم ، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان ، ويُسقط حق الحرمة . فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من النطق في موضعه وعند إصااته وفرصته .

( مروج الذهب ٢ : ١٠٩ )

### ١٧٤ - وصيته لأخيه عبد العزيز بن مروان

وأوصى عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز حين ولاه مصر فقال :  
« ابسط بِشْرَكَ ، وَأَلِنْ كَنَفَكَ . وآثر الرفق في الأمور ، فإنه أبلغ بك . وانظر حاجبك ، فليكن من خير أهلك ، فإنه وجهك ولسانك ، ولا يَقْفَنَ أَحَدٌ بِيَابِكَ إِلَّا أَعْلَمَكَ مَكَانَهُ ، لتكون أنت الذي تَأْذَنُ لَهُ أو تَرُدُّهُ ، وإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ بالسلام ، يأنسوا بك ، وتثبت في قلوبهم محبتك ، وإذا انتهى إليك مُشْكِلٌ ، فاستظهر عليه بالمشاورة ، فإنها تفتح مغاليق<sup>(١)</sup> الأمور ، وإذا سخطت على أحد فأخّر عقوبته ، فإنك على العقوبة بعد التوقف عنه أقدرُ منك على ردها بعد إمضائها . »  
( للفخرى : ١١٣ )

### ١٧٥ - وصيته لولده عند وفاته

نظر عبد الملك إلى ابنه الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه ، فقال :  
« يا هذا أحنين الحمامة ؟ إذا أنا ميتٌ فشمّر واتزر ، والبس جلد نمر ، وضع سيفك على عاتقك ، فن أبدى ذات نفسه لك ، فاضرب عنقه ، ومن سكت مات بدائه ،

(١) جمع مغلاق بكسر الميم : وهو ما يغلّق به الباب .

ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا ، فقال : « إن طويلاكِ لقصير ، وإن كثيرك لقليل ، وإن كنا منك لفي غرور » . ثم أقبل على جميع ولده فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، فإنها عصمة باقية ، وجنة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل في المعاد ، وهي أحسن كهف ، وليمطف الكبير منكم على الصغير ، ويعرف الصغير حق الكبير ، مع سلامة الصدور ، والأخذ بجميل الأمور . وإياكم والبنى والتحاسد ، فيهما هلك الملوك الماضون ، وذوو العز المكين يا بنى : أخوكم مسألة نابكم الذى تفرثون<sup>(١)</sup> عنه ، ومجئكم<sup>(٢)</sup> الذى تستعجنون به ، اصدرُوا عن رأيهِ ، وأكرموا الحجَّاجِ فإنه الذى وطأكم هذا الأمر ، كونوا أولادا أبراراً ، وفي الحروب أحراراً ، وللمعروف مَناراً ، وعليكم السلام » .

( مروج الذهب ٢ : ١٥٤ )

## ١٧٦ - خطبة للوليد بن عبد الملك بعد دفن أبيه ( توفى سنة ٩٦ هـ )

لما رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونادى فى الناس الصلاة جامعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أيها الناس إنه لا مؤخر لما قدَّم الله ، ولا مقدَّم لما أخر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه ، وما كتب على أنبيائه ، وحملة عرشه من الموت موتٌ ولى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ، الذى كان عليه من الشدة على المريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام من منار الإسلام وأعلامه ، وحجج هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشن الغارات على أعداء الله فلم يكن فيها عاجزاً . ولا وانياً ، ولا مفرطاً ، فعليكم أيها الناس بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفدِّ ، وهو من الجماعة أبعد ، واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه » . ثم نزل .

( العقد الفريد ٢ : ١٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٨ : ٥٩ )

(١) فرّ الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها . (٢) المجن : الترس .

۱۷۷ - خطبة لسليمان بن عبد الملك (توفي سنة ۹۹ هـ)

« الحمد لله . ألا إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تُضحك با كيباً ، وتُبكي  
ضاحكاً ، وتخيف آمناً ، وتؤمن خائفاً ، وتفقر مثرى ، وتثري مُقتراً<sup>(۱)</sup> مَيَّالَةً غرَّارة ،  
كعباً بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماماً ، وارتضوا به حكماً ، واجعلوه لكم  
قائداً ، فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم يَأسخه كتاب بعده . واعلموا عباد الله أن هذا  
القرآن يجلو كيد الشيطان ، كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا  
عَسَسَ<sup>(۲)</sup> . »

( العقه الفريد ۲ : ۱۴۳ ، وعيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۷ ، والبيان والتبيين ۱ : ۱۶۶ )

(۱) من أقر ، أى افتقر . (۲) تنفس الصبح : أسفر ، وعسس الليل : أقبل ظلامه (أو أدر).



# خطب عمر بن عبد العزيز (توفي سنة ٥١٠ هـ)

## ١٧٨ - أولى خطبه

قال العُتبيّ : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله :  
« أيها الناس ، أصابحوا سرائركم ، تصأح لكم علائقتكم ، وأصاحبوا آخرتكم ،  
تصلح دنياكم ، وإن امراً ليس بينه وبين آدم أب حتى يُعرق في الموت » .  
( العقد للفريد ٢ : ١٤٣ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢١٧ )

## ١٧٩ - خطبة له بالمدينة

وفي سنة ٨٧ هـ ولي الوايد عمر بن عبد العزيز المدينة فلما قدمها صلى الظهر ودعا عشرة  
من فقهاءها ، فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :  
« إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه أعوانا على الحق ، ما أريد  
أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحدا يتعدى أو يبلغكم  
عن عامل لي ظلاماً فأحرّج<sup>(١)</sup> الله على من بلغه ذلك إلا بلغني » .  
فخرجوا يجزونه خيراً .

( تاريخ الطبري ٨ : ٦١ )

(١) التحريج . التصديق ، أي فأشدد عليه بالله .

## ١٨٠ - خطبة أخرى

وروى المسعودي في مروج الذهب ، أنه لما أفضى إليه الأمر ، كان أول خطبة  
خطب الناس بها أن قال :

« أيها الناس ، إنما نحن من أصول قد مضت فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله ؟  
وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض تنتضل<sup>(١)</sup> فيهم المنايا ، وهم فيها نُصَب المصائب ، مع  
كل جرعة شَرَق<sup>(٢)</sup> ، وفي كل أكلة غَصَص ، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ،  
ولا يُعَمَّر مُعَمَّرٌ منكم يوماً من عمره إلا يَهْدَم آخر من أجله » .  
وأورد القالي في الأمالي هذه الخطبة بصورة أطول ، وهي :

« ما الجَزَع مما لا بُدَّ منه ، وما الطمع فيما لا يُرْجَى ، وما الحيلة فيما سيزول ؟ وإنما  
الشيء من أصله ، فقد مَضَت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله ؟ وإنما الناس  
في الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا ، وهم فيها نَهَب المصائب ، مع كل جرعة شَرَق ،  
وفي كل أكلة غَصَص ، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يُعَمَّر مُعَمَّرٌ يوماً من عمره  
إلا يهدم آخر من أجله ، وأنتم أعوان الختوف على أنفسكم ، فأين المَهْرَب مما هو كائن ؟  
وإنما نتقلب في قدرة الطالب ، فما أصغر المصيبة اليوم ، مع عظيم الفائدة غداً ، وأكبر  
خيبة الخائب فيه ، والسلام » .

( مروج الذهب ٢ : ١٦٨ ، والأمالي ٢ : ١٠٢ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢١٣ )

(١) جمع غرض : وهو الهدف ، وانتضلت : تناضلت وتبارت في الرمي .

(٢) شَرَق بريقه : فص .

## ۱۸۱ - خطبة أخرى

وروى أنه لما دَفَنَ سليمان بن عبد الملك ، وخرج من قبره ، سَمِعَ للأرض رَجَّةً ، فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مَرَاكِبُ الخِلافةِ يا أمير المؤمنين ، قُرِّبَتْ إليك لتركبها ، فقال : مَالِي وَهَلْهَا ؟ مَحْوُهَا عَنِي ، قَرَّبُوا إِلَيَّ بَغْلَتِي ، فقربت إليه فركبها . وجاءه صاحب الشُّرْطَةِ يسير بين يديه بالحَرْبَةِ ، فقال : تنحَّ عني ، مالي ولك ؟ إنما أنا رجل من المسلمين ، فسار وسار معه الناس ، حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، واجتمع إليه الناس ، فقال :

« أيها الناس : إني قد ابْتَلَيْتُ بهذا الأمر عن غير رأيٍ كان مني فيه ، ولا طَلِبَةٌ له ، ولا مَشُورَةٌ من المسلمين ، وإني قد خلعت ماني أعناقكم من بَيْعَتِي ، فاخْتاروا لأنفسكم . »

فصاح الناس صيحةً واحدةً : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، فلِأمرنا باليَمْنِ والبركة ، فلما رأى الأصوات قد هدأت ، ورضى به الناس جميعًا ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

« أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خَلَفَ من كل شيء ، وليس من تقوى الله عزَّ وجلَّ خَلَفٌ ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه مَنْ عَمِلَ لآخرته كَفَاهُ اللهُ تبارك وتعالى أمرَ دنياه وأصلحُوا سرائرَكم ، يُصلح اللهُ الكريم علانيتكم ، وأكثروا ذكرَ الموت وأحسنوا الاستعدادَ قبل أن ينزل بكم ، فإنه هَادِمُ الذات ، وإن من لا يذكُر من آبائِهِ فيما بينَهُ وبين آدم عليه السلام أبًا حَيًّا مُعْرِقٍ في الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عزَّ وجلَّ ، ولا في نبيها صلى الله عليه وسلم ، ولا في كتابها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أُعْطَى أحدًا باطلا ، ولا أُمْنَعُ أحدًا حقًا ، إني است

بخازن ، والسكنى أضع حيث أمرت . أيها الناس : إنه قد كان قبلى ولاية تجتزون<sup>(١)</sup> مودتهم ، بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطلعت الله فيكم ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم »

( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٥٣ - ٢٠١ ، ولابن عبد الحكم ص ٣٩ )

### ١٨٢ - خطبة أخرى

وروى أنه لما ولى الخلافة صعد المنبر ، وكان أول خطبة خطبها : حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدى إليه ، ولا يفتابن عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه » .

فانقش عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل ، حتى يخالف قوله فعنه .

( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٩٦ )

### ١٨٣ - خطبة أخرى

وصعد المنبر : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، أيها الناس ، إنه ليس بعد نبيكم صلى الله عليه وسلم نبي ، وليس بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، فما أحل الله لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة

(١) تجتذبون .

وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة ، ألا إني لست بقاضٍ ، ولكني منفذُ الله ، ولست بمتبِّعٍ ، ولكني متَّبِعٌ ، ألا إنه ليس لأحد أن يُطاعَ في معصية الله عز وجل ، ألا إني لست بخيركم ، وإنما أنا رجل منكم ، غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً . يا أيها الناس : إن أفضل العبادة أداء الفرائض ، واجتناب المحارم . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٥٦ ، وص ١٩٨ ، ولا بن عبد الحكم ص ٣٨ ، ومروج الذهب ٢ : ١٦٨ )

## ١٨٤ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أيها الناس ، إنكم ميتون ، ثم إنكم مبعوثون ، ثم إنكم محاسبون ، فلعمري لأن كنتم صادقين لقد قصرتم ، وإن كنتم كاذبين لقد هلكتم . يا أيها الناس ، إنه من يقدر له رزق برأس جبل ، أو بحضيب أرض يأنه ، فأجملوا في الطلب » :

( إعجاز القرآن ص ١٢٤ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٨ )

## ١٨٥ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« إن الدنيا ليست بدار قرار ، دارٌ كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظم ، فكم عامرٍ مؤثقٍ عما قليلٍ يخرب ، وكم مُقيمٍ مُغتبطٍ عما قليلٍ يظمن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة ، بأحسن ما يحضركم من النقلة : وتزودوا فإن خير الزاد التقوى . إنما الدنيا كفتىءٍ ظلّالٍ قلص<sup>(١)</sup> فذهب ، بينا ابن آدم في الدنيا منافس ، وبها قرير عين ،

(١) النوء : ما كان شمساً فينسخه الظل ، وقلص الظل كضرب : انقبض .

إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حَتْفِهِ ، فسَلَبَهُ آثاره ودياره ودنياه ، وصيّر لقوم آخرين  
مصانعه ومغناه<sup>(١)</sup> ، إن الدنيا لا تسرّ بقدر ماتضّرّ ، إنها تسرّ قليلاً ، وتجرّ حزناً طويلاً .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ١٩٧ و ص ٢٢١)

## ١٨٦ - خطبة له يوم عيد

وخطب يوم عيد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تلا ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل

ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي وَجَدْتُ هَذَا الْقَلْبَ لَا يَبْرُ عَنْهُ إِلَّا اللِّسَانُ ، وَلَعَمْرِي  
- وَإِنْ لِعَمْرِي مَنِي لِحَقًّا<sup>(٢)</sup> - لَوَدِدْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ عَبْدُ ابْتِئَالِي بِسَعَةٍ ، إِلَّا نَظَرَ  
قَطِيعًا مِنْ مَالِهِ ، يَجْعَلُهُ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ ، بَدَأْتُ أَنَا بِنَفْسِي  
وَأَهْلِي بَيْتِي ، ثُمَّ كَانَ النَّاسُ بَعْدُ » .

ثم كان آخر كلمة تسكلم بها حين نزل : « لَوْلَا سُنَّةُ أَحْبَبْتَهَا ، أَوْ بَدَعَةُ أُمَّتِهَا ،  
لَمْ أَبَالِ أَنْ لَا أَبْقَى فِي الدُّنْيَا إِلَّا فُوقًا<sup>(٣)</sup> » . (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٠١)

## ١٨٧ - خطبة له

وخطب فقال :

« أَمَا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، فَلَا يَطْوَأَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ ، وَلَا يَبْعُدَنَّ عَنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،  
فَإِنْ مِنْ زَافَتٍ<sup>(٤)</sup> بِهِ مَنِيَّتُهُ ، فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ ، لَا يَسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئٍ ، وَلَا يَزِيدُ فِي حَسَنٍ ،

(١) المصانع : المباني من القصور والحصون ، والمغنى : المنزل . (٢) العمر بالفتح والضم :

الحياة ، والتزموا المفتوح في القم خاصة تخفيفا ، لكثرة استعماله فيه . (٣) الفواق كغراب ويفتح :

ما بين الخلبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع . (٤) من زافت الحماسة : إذا نشرت

حناحبها وذنبا وسحبها على الأرض ، وفي رواية : « وافته » .

ألا لا سلامةَ لامرئٍ في خلافِ السُّنةِ ، ولا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الله ، ألا وإنكم  
تعدُّون الهاربَ مِن ظُلمِ إمامه عاصياً ، ألا وإن أولاهما بالمعصيةِ الإمامِ الظالمِ ، ألا وإنى  
أعاجُ أمراً لا يُعِينُ عليه إلا اللهُ ، قد فنيَ عليه الكبيرُ ، وكبرُ عليه الصغيرُ ، ونصُحُ عليه  
الأعجميُّ ، وهاجرَ عليه الأعرابيُّ ، حتى حَسِبوه دِيناً ، لا يَرَوْنَ الحقَّ غيرَه . ثم قال :  
« إنه لحبيبٌ إلى أن أوفرَّ أموالكم وأعراضكم إلا بحقِّها ، ولا قوَّةَ إلا بالله » .

( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٤٠ ، ولابن الجوزي ص ٢٠٤ )

### ١٨٨ - خطبة أخرى

وصعد ذات يوم المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أيها الناس ، إنما يُرادُ الطيبُ للوجعِ الشديدِ ، ألا فلا وجعَ أشدَّ من الجهلِ ،  
ولا داءَ أخبثُ من الذنوبِ ، ولا خوفَ أخوفُ من الموتِ » . ثم نزل .

( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٠٧ )

### ١٨٩ - خطبة أخرى

وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أما بعد : فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا<sup>(١)</sup> ، والله ما كان لهم أن  
يُعطوناها ، وما كان لنا أن نَقْبَلَهَا ، وإن ذلك قد صار إلى ، ليس على فيه  
دون الله محاسبٌ ، ألا وإنى قد رَدَدْتُهَا ، وبدأت بنفسي وأهل بيتي » اقرأ يا مُزاحم  
- وكان مولاه -

وقد جرى قبل ذلك بسَقَطَ فيه تلك الكتب ، فقرأ مُزاحم كتاباً منها ، ثم ناوله

(١) يريد آباءه وما ورثوه إياه .

عمر ، وهو قاعد على المنبر وفي يده جَمْلٌ<sup>(١)</sup> ، فجعل يقصه ، واستأنف مزاحم كتاباً آخر فقرأه ، ثم دفعه إلى عمر فقصه ، فما زال حتى نُودى بصلاة الظهر .

( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٨ )

### ١٩٠ - خطبة له

وكان يخطب فيقول :

« أيها الناس : من ألم بذنوب فليستغفر الله عز وجل وليتب ، فإن عاد فليستغفر وليتب ، فإن عاد فليستغفر وليتب ، فإنما هي خطايا مطوَّقة في أعناق الرجال ، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرارُ عليها . »

( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٨ )

### ١٩١ - خطبة له

وخطب الناس بعد أن جمعهم فقال :

« إني لم أجمعكم لأمرٍ أحدثته ، ولا كني نظرت في أمر معادكم ، وما أنتم إليه صائرُونَ ، فوجدت المصدِّقَ به أحقُّ<sup>(٢)</sup> ، والمكذِّبَ به هالكاً » ثم نزل .

( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم ص ٣٩ )

### ١٩٢ - خطبة له

وخطب فقال :

« أيها الناس ، لاتستصغروا الذنوب ، واتمسوا تمحيصَ ما سَأَفَ منها بالتوبة منها ، إنَّ الحَسَنَاتِ بُدْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِذَا كَرِيْن . وقال عز وجل : « وَالَّذِينَ

(٢) أي أحق بثواب الله ونعيم جنته .

(١) مقص .



إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ دَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ  
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ .

(العقد الفريد ٢ : ٢٧٩)

### ١٩٣ - خطبة له

وخطب فقال :

« إن لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ، وكونوا  
كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرغبوا ورهبوا ، ولا يطولنَّ عليكم الأمد ،  
فتفسؤ قلوبكم ، وتفقدوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح  
بعد إمساته ، ولا يمسي بعد إصباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المفايا ، فكم رأينا  
ورأيتم من كان بالدنيا مغترّاً ، فأصبح في حبائل خطوبها ومناياها أسيراً ، وإنما تقرّ عين<sup>(١)</sup>  
من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة ، فأما من لا يبرأ  
من كالم إلا أصابه جارح من ناحية أخرى ، فكيف يفرح ؟ أعوذ بالله أن أمرّكم  
بما أنهى عنه نفسي ، فتخسر صفقتي ، وتظهر عورتى ، وتبدو مسكنتى ، في يوم يبدو  
فيه الغني والفقير ، والموازن منصوبة ، والجوارح ناطقة ، فلقد عنيت بأمر لو عنيت به  
النجوم لانكدرت ، ولو عنيت به الجبال لذابت ، أو الأرض لانفطرت ، أما تعلمون  
أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنكم صائرّون إلى إحداهما ؟ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٧٠ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٣ ،

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٦ )

(١) قرت عينه : بردت وانقطع بكافها ، أو رأت ما كانت متشوفة إليه .

## ١٩٤ - خطبة له

وروى أنه قال :

« من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدى واجب حقه ، فاتقوا الله فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة مُنْجِيَّة في العواقب ، فالزموها ، الرزق مقسوم ، فلن يعدو<sup>(١)</sup> المؤمن ما قسيم له ، فأجملوا في الطلب ، فإن في القنوع<sup>(٢)</sup> سعةً وُبلغةً ، وكفافاً ، إن أجل الدنيا في أعناقكم ، وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكان لم يكن وكلُّ أمواتٍ عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق<sup>(٣)</sup> ، وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله ، وعابنتم تعجيل إخراجهِ ، وقِسْمَةَ تَرَائِهِ ، ووجهه مفقود ، وذَكَرَد مَنَسِي ، وبابه مهجور كأن لم يخالط إخوان الحفاظ<sup>(٤)</sup> ، ولم يعمُر الديار ، فاتقوا هول يوم لا يُحْقَر فيه مثقال ذرة في الموازين . »

( تاريخ الطبري ٨ : ١٤٠ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٢٠٥ )

## ١٩٥ - خطبة له

وقال : « من عمل على غير علم كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح ، ومن لم يعدَّ كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومُعَوَّل المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعهما منه ، فأعاضه مما انتزع منه الصبر ، إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية : « إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . »

( تاريخ الطبري ٨ : ١٤١ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢١٣ )

(١) وفي رواية : « فلن يغدر » ، أغدره وغادره : تركه . (٢) القنوع : الرضا بالقسم .

( وهو أيضا السؤال والتذلل ) . (٣) ساق المريض : شرع في نزاع الروح .

(٤) أي المحافظة على وده .

## ۱۹۶ - خطبة له

وحدث شبيب بن شيبه ، عن أبي عبد الملك قال : كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ، فكنا نقوم لهم ، ونبدوهم بالسلام ، فخرج علينا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في يوم عيد ، وعليه قميص كتان ، وعمامة على قانسوة لاطئة<sup>(۱)</sup> ، فمثلنا بين يديه ، وسلمنا عليه ، فقال : مه أنتم جماعة وأنا واحد ، السلام على ، والرد عليكم ، وسلم فرددنا ، وقربت له دابته فأعرض عنها ، ومشى ومشينا ، حتى صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا ، فردوا على فقرائهم ، حتى نستوى نحن بهم ، وأكون أنا أولهم » ، ثم قال : « مالي وللدنيا ؟ أم مالي ولها ؟ وتكلم فأرق : حتى بكى الناس جميعاً ، يميناً وشمالاً » ، ثم قطع كلامه ونزل ، فدنا منه رجاء بن حيوة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، كلمت الناس بما أرق قلوبهم وأبكاهم ، ثم قطعته أحوج ما كانوا إليه ، فقال : يا رجاء إني أكره المباهاة .  
( للعقد الفريد ۲ : ۱۴۳ )

## ۱۹۷ - آخر خطبة له

وخطب بخصاصة<sup>(۲)</sup> خطبة لم يخطب بعدها حتى مات ارحمه الله تعالى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تُتركوا سدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخير من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحريم الجنة التي عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه ، وباع قليلاً بكثير

(۲) خصاصة : بلد بالشام من عمل حلب .

(۱) لاطئة : لازقة .

وفانياً بياق ، ألا ترون أنكم في أسلاب<sup>(۱)</sup> الهالكين ، وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك حتى تُردُّوا إلى خير الوارثين ، ثم أنتم في كل يوم تشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله ، قد قضى نَحْبَهُ<sup>(۲)</sup> وبلغ أجله ، ثم تغيبونه في صدع<sup>(۳)</sup> من الأرض ، ثم تدعونه غير مؤسِّد ولا مُمَهَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، مرتَهناً بعمله ، غنيا عما ترك ، فقيراً إلى ما قدَّم ، وإيمُ الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي ، فأستغفر الله لي ولكم ، وما تبلغنا عن أحد منكم حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدَدَناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي ، ولحمتي<sup>(۴)</sup> الذين يَلُونِي ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم ، وإيمُ الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غَضارة<sup>(۵)</sup> لكان اللسان مني ناطقاً ذلولاً ، عالماً بأسبابه ، لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، ثم بكى ، فقلقى دموع عينيهِ بطرف رداثِهِ ، ثم نزل ، فلم يُرَ على تلك الأعواد حتى قبضه الله .

( البيان والتبيين ۲ : ۶۰ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۴۴ ، وتاريخ الطبري ۸ : ۱۴۰ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۷۰ ؛ والأغانى ۸ : ۱۵۲ ، وعيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۶ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۲۲۲ ، ولابن عبد الحكم ص ۴۱ و ۱۳۶ )

## ۱۹۸ - خطبة أخرى

وروى أن آخر خطبة خطبها رحمه الله : حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أيها الناس . اَلْحَقُوا بِيَلادِكُمْ ، فإني أنساكم عندي ، وأذكركم بيلادكم ، ألا وإني قد استعملت عليكم رجالا ، لا أقولُ مُمَّ خِيَارُكُمْ ، ولكنهم خير ممن هم شرٌّ منهم ، ألا فمن ظلمه عامِلُهُ بِمَظْلَمَةٍ فلا إذن له على<sup>(۶)</sup> ، ألا وإني منعتُ نفسي وأهل بيتي هذا

(۱) جمع سلب بالتحريك : وهو مايسلب . (۲) النحب : الأجل ، والحاجة ، والنذر .

(۳) شق . (۴) اللحمية : القرابة . (۵) الغضارة : النعمة ، والسعة ، والخصب .

(۶) أي يدخل على بلا إذن ، لا يحول بيني وبينه حاجب .

المالَ ، فَإِنْ ضَيَّعْتَهُ بِهِ عَلَيَّكُمْ إِنِّي إِذَنْ لَضَمِنُ ، وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ أَنْعَشَ<sup>(۱)</sup> سُنَّةً ، أَوْ أُسِيرَ بِحَقِّ ، مَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَعِيشَ فَوْاقًا .

( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۲۱۰ ، ولابن عبد الحكم ص ۳۹ )

## ۱۹۹ - كلامه في مرصه الذي مات فيه

ودخل عليه مسئلة بن عبد الملك في المرصه التي مات فيها ، فقال له : يا أمير المؤمنين « إِنَّكَ فَطَمْتَ أَفْوَاهَ وَلَدِكَ عَنْ هَذَا الْمَالِ ، وَتَرَكْتَهُمْ عَالَةً<sup>(۲)</sup> ، وَلَا بَدَّ مِنْ شَيْءٍ يَصْلِحُهُمْ ، فَلَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ إِلَىٰ أَوْ إِلَىٰ نَظْرَائِكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، لَكَفَيْتُكَ مَثْوَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فقال عمر : أجلسوني . فأجلسوه ، فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَبَا اللَّهِ تَخَوَّفَنِي يَا مَسْئِلَةُ ! أَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَيِّ فَطَمْتَ أَفْوَاهَ وَلَدِي عَنْ هَذَا الْمَالِ ، وَتَرَكْتَهُمْ عَالَةً ، فَإِنِّي لَمْ أَمْنَهُمْ حَقًّا هُوَ لَهُمْ ، وَلَمْ أُعْطِهِمْ حَقًّا هُوَ لغيرهم ؛ وَأَمَا مَا سَأَلْتَ مِنَ الْوَصَاةِ إِلَيْكَ ، أَوْ إِلَىٰ نَظْرَائِكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَإِنِّي وَصَيْتِي بِهِمْ إِلَىٰ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ، وَإِنَّمَا بَنُو عَمْرِو أَحَدِ رَجَائِنِ : رَجُلٌ اتَّقَى اللَّهَ ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ بُسْرًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . وَرَجُلٌ غَيْرٌ وَفَجَرَ ، فَلَا يَكُونُ عَمْرُ أَوْلَىٰ مِنْ أَعَانِهِ عَلَىٰ ارْتِكَابِهِ ، ادْعُوا لِي بَنِيَّ ، فَدَعَوْهُمْ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ اثْنَا عَشَرَ غُلَامًا ، فَجَعَلَ يَصْعَدُ بِصَرِّهِ فِيهِمْ وَيَصُوبُهُ ، حَتَّىٰ انْغَرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدمعِ ، ثُمَّ قَالَ : « بِنَفْسِي فِتْيَةٌ تَرَكْتَهُمْ وَلَا مَالَ لَهُمْ ! يَا بَنِيَّ : إِنِّي قَدْ تَرَكْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِخَيْرٍ ، إِنْكُمْ لَا تَمُرُّونَ عَلَىٰ مُسْلِمٍ وَلَا مُعَاهِدٍ إِلَّا وَلَكُمْ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، يَا بَنِيَّ مَيِّتْ<sup>(۳)</sup> رَأْيِي بَيْنَ أَنْ تَفْتَقِرُوا فِي الدُّنْيَا ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَكَانَ

(۱) نعشه كنع وأنعشه : رفعه . (۲) فقراء جمع عائل من عال يعيل عيلة ( بفتح العين ) أى انتقر .

(۳) التمييل بين الشيتين كالترجيح بينهما ، تقول العرب : إنى لأميل بين ذينك الأمرين ، وأمايل بينهما

أيهما آتى .

أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار ، قوموا يا بنيَّ  
عَصَمَكُمُ اللهُ ورزقكم . قالوا : فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر .

( العقد الفريد ٢ : ٢٨٠ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٨٠ )

## ٢٠٠ - مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج

خرج سنة مائة بالجزيرة شوذب الخارجي - واسمه بسطام من بني يشكر -  
فكتب إليه عمر بن عبد العزيز : بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله ، ولست أولى بذلك  
منى فهلم إلى أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كان  
في يدك ، نظرنا في أمرك ، فكتب بسطام إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثت إليك  
رجلين يدارسانك ويناظرانك ، وأرسل إلى عمر مولى لبني شيبان حبشيًّا اسمه عاصم ،  
ورجلا من بني يشكر ، فقدما على عمر بمخاضرة ، فأخبر بمكانهما ، فقال : فتشوها  
لا يكن معهما حديد وأدخلوها ، فلما دخلا قالا : السلام عليك ثم جلسا ، فقال لهما عمر :  
أخبراني ما الذي أخرجكم من جركم هذا ؟ وما نعتم علينا ؟ فقال عاصم : ما نعلمنا سيرتك ،  
إنك انتحرتي العدل والإحسان ، فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر ، أعن رضا من الناس  
ومشورة ، أم ابتزتم أمرهم ؟ فقال عمر : ما سألتهم الولاية عليهم ، ولا غلبتهم عليها ،  
وعهد إلى رجل كان قبلي ، فعمت ولم ينكره على أحد ، ولم يكرهه غيركم ، وأنتم ترون  
الرضا بكل من عدل وأنصف ، من كان من الناس ، فاتركوني ذلك الرجل ، فإن خالفت  
الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم ، فقالا : بيننا وبينك أمر ، إن أنت أعطيتنا  
فنحن منك وأنت منا ، وإن منعتنا فلست منا ولسنا منك ، فقال عمر : وما هو ؟  
قالا : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك ، وسميتها مظالم ، وسلكت غير سبيلهم ، فإن  
زعمت أنك على هدى وهم على ضلال ، فالتعنهم وتبرأ منهم ، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك  
أو يفرق ، فتكلم عمر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إني قد علمت أنكم لم تخرجوا تخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها ، ولا كنتم أردتم الآخرة ، فأخطأتم سبيلها ، إن الله عز وجل لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم لعانا وقال إبراهيم : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » وقال الله عز وجل : « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهْ » : وقد سميت أعمالهم ظلماً ، وكفى بذلك ذماً ونقصاً ، وليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بد منها ، فإن قلت إنها فريضة فأخبرني متى لعنت فرعون ؟ قال : ما أذكر متى لعنته . قال : أفيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم ، ولا يسعني أن لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون ؟ قال : أما هم كفار بظلمهم ؟ قال : لا ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى الإيمان ، فكان من أقر به وبشرائعه قبل منه ، فإن أحدث حدثاً أقيم عليه الحد ، فقال الخارجي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى توحيد الله والإقرار بما نزل من عنده . قال عمر : فليس أحد منهم يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم ، على علم منهم أنه محرم عليهم ، ولكن غلب عليهم الشقاء . قال عاصم : فأبرأ ممن خالف عمالك ، ورد أحكامهم ، قال عمر : أخبراني عن أبي بكر وعمر : أليسا من أسلافكما ومن تتوليان ، وتشهدان لهما بالنجاة ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل علمتا أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب ، قاتلهم فسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وسب الذراري ؟ قال : نعم . قال : فهل علمت أن عمر قام بعد أبي بكر ، فرد تلك السبايا إلى عشائرها بفدية ؟ قال : نعم ، قال : فهل برى عمر من أبي بكر ، أو تبرءون أنتم من أحد منهما ؟ قال : لا . قال : فأخبراني عن أهل النهروان أليسوا من صالحى أسلافكم ومن تشهدون لهم بالنجاة ؟ قال : بلى . قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم فلم يسفكوا دمًا ، ولم يخيفوا آمنًا ، ولم يأخذوا مالا ؟ قال : نعم . قال : فهل علمت أن أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن قديك ، استعرضوا الناس يقتلونهم ، ولقوا عبد الله بن خباب

ابن الأرت : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلوه وقتلوا جاريته ؟ ثم صبّحوا  
حيّاً من أحياء العرب فاستعرضوهم ، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى جعلوا يلقون  
الصبيان في قدور الأقط<sup>(١)</sup> وهي تفور ؟ قالوا : قد كان ذلك . قال : فهل يرى  
أهل البصرة من أهل الكوفة ، وأهل الكوفة من أهل البصرة ؟ قالوا : لا . قال : فهل  
تبرءون أنتم من إحدى الطائفتين ؟ قالوا : لا . قال : أرايتم الدين واحداً أم اثنين ؟ قالوا  
بل واحداً . قال : فهل يسمعكم فيه شيء يعجز عنى ؟ قال : لا . قال : فكيف وسمعكم أن  
توايتم أبا بكر وعمر ، وتولى أحدهما صاحبه ، وتوايتم أهل البصرة وأهل الكوفة ، وتولى  
بعضهم بعضاً ، وقد اختلفوا في أعظم الأشياء ، في الدماء والفروج والأموال ، ولا يسعنى  
فيما زعمتم إلا لمن أهل بيتي والقبرؤ منهم ؟ وَيُنْحَكُم ! إنكم قوم جهال ، أردتم أمراً  
فأخطأتموه ، فأنتم ترُدُّون على الناس ما قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأمن  
عندكم من خاف عنده ، ويخاف عندكم من أمن عنده . قالوا : ما نحن كذلك . قال عمر :  
بل سوف تُقِرُّون بذلك الآن ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى  
الناس وهم عبدة أوثان ، فدعاهم إلى خلع الأوثان ، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
رسول الله ، فمن فعل ذلك حقن دمه ، وأحرز ماله ، ووجبت حرمة ، وكانت له أسوة  
المسلمين ؟ قالوا : نعم . قال : أفلمستم أنتم تلقون من يخلع الأوثان ، ويشهد أن لا إله  
إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فتستحلون دمه وماله ، وتلقون من ترك ذلك وأباه من  
اليهود والنصارى وسائر الأديان فيأمن عندكم وتحرّمون دمه ؟ فقال البشكري : أرايت  
رجلاً وليّ قوماً وأموالهم فعدل فيها ، ثم صيرها بعهده إلى رجل غير مأمون ، أترأه أدى  
الحق الذي يلزمه الله عزّ وجلّ ؟ أو ترأه قد سلم ؟ قال عمر : لا . قال : أفلمستم هذا الأمر  
إلى يزيد<sup>(٢)</sup> من بعدك وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق ؟ قال : إنما ولاء غيرى ،

(١) الأقط بفتح الهمزة وكسرهما : شيء يتخذ من المخيض الغنمى .

(٢) هو يزيد بن عبد الملك ، وقد ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ( سنة ١٠١ - سنة ١٠٥ هـ ) .



والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدى . قال : أفترى ذلك من صنع من ولاء حقاً ؟  
فبكى عمر وقال : أنظرَ انى<sup>(۱)</sup> ثلاثاً فخرجنا من عنده ثم عادا إليه ، فقال عاصم : أشهد  
أنك على حق ، فقال عمر للشكرى : ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسن ما وصفت ،  
ولكن لا أفقات على المسلمين بأمر ، أعرض عليهم ما قلت وأعلم حججهم . فأما عاصم  
فأقام عند عمر ، فأمر له عمر بالعطاء ، فتوفي بعد خمسة عشر يوماً ، فكان عمر يقول :  
أهلكنى أمر يزيد وخصمت فيه ، فاستغفر الله ، فخاف بنو أمية أن يخرج ما بأيديهم  
من الأموال ، وأن يخلع يزيد من ولاية العهد ، فوضعوا على عمر من سقاء سمّاً ، فلم يلبث  
بعد ذلك إلا ثلاثاً ، حتى مرض ومات .

( الكامل لابن الأثير ۵ : ۱۷ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۷۱ ، والعقد الفريد ۱ : ۲۱۶ ، وتاريخ  
الطبرى ۸ : ۱۳۱ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ۱۳۰ ، ولابن الجوزى ۷۷ )

## ۲۰۱ - تأييده ابنه عبد الملك

ولما دفن عمر بن عبد العزيز ابنه عبد الملك ، وسوى عليه قبره بالأرض ، وجعلوا  
على قبره خشبتين من زيتون ، إحداهما عند رأسه ، والأخرى عند رجليه ، استوى عمر  
قائماً ، وأحاط به الناس ، فقال .

« رحمك الله يا بنى ، فقد كنت برّاً بأبيك ، والله ما زلتُ مذ وهبك الله لى بك  
مسروراً ، ولا والله ما كنت قط أشدّ سروراً بك ، ولا أرجى لحظى من الله فيك ،  
منذ وضعتك فى الموضع الذى صيرك الله إليه ، فغفر الله لك ذنبك ، وجازاك بأحسن  
عملك ، وتجاوز عن سيئاتك ، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير ، من شاهد أو غائب ،  
رضينا بقضاء الله ، وسلمنا لأمره ، والحمد لله رب العالمين . »

( البيان والتبيين ۲ : ۱۸۲ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ۲۶۴ )

(۱) أهلاً .

## ۲۰۲ - خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد<sup>(۱)</sup>

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : والله ما خرجت أشراً ولا بَطْراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطراء نفسي ، وإني لظالم لها إن لم يرحمني الله ، وإكن خرجت غضبا لله ودينه ، داعياً إلى الله ، وإلى سنة نبيه ، لما هُديت معاً لمُ الهدى ، وأطفي نور أهل التقوى ، وظهر الجَبَّار العنيد<sup>(۲)</sup> ، المستجِلُّ لكل حرمة ، والرائِكُ لكل بدعة ، الكافر بيوم الحساب ، وإنه لابنُ عمِّي في النسب ، وكفِيي<sup>(۳)</sup> في الحَسَب ، فلما رأيت ذلك استخَرْتُ الله في أمره ، وصالته ألا يكأني إلى نفسي ، ودعوت إلى ذلك من أجنبي من أهل ولايتي ، حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، بِحَوْلِهِ وقوته ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس : إن لكم على الآ أضع حجراً على حجر ، ولا لبينة على لبنة ، ولا أكرى<sup>(۴)</sup> نهراً ، ولا أكنز مالا ، ولا أعطيهِ زوجاً ، ولا ولداً ، ولا أنقله من بلد إلى

(۱) قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك لليلتين بقيتا من جهادى الآخرة سنة ۱۲۶ هـ ، وكان قبل الخلافة منهم كما في اللهو ، وشرب الخمر ، وانتهاك حرمت الله ، فلما أفضت إليه الخلافة ، لم يزد إلا انغماساً في اللذات ، واستهتاراً بالمعاصي ، ذلك إلى ما ارتكبه من إغضاب أكابر أهله ، والإساءة إليهم ، وتفجيرهم ، فاجتمعوا عليه مع أعيان رعيته ، وهجموا عليه وقتلوه ، وكان المتولى لذلك يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وقد ولي الخلافة بعده ، وتوفي هلال ذى الحجة سنة ۱۲۶ . (۲) يشير إلى ما حدث من الوليد بن يزيد من أنه استفتح فالاً في المصحف فخرج « وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ » ، فنصبه غرضاً للشباب وأقبل يرميه حتى مزقه ، وهو يقول :

أنوعه كل جبار عنيد      فهأنذاك جبار عنيد

إذا لا قيت ربك يوم حشر      فقل يارب مزقني الوليد

(۳) كفيته وكفزه بضم الكاف وكفاؤه بكسرهما : مثله . (۴) كرى النهر : استحدث حفره .

بلد ، حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة<sup>(١)</sup> أهله ، فإن فضلَ فضلٌ ، نقلته إلى البلد الذي يليه ، ولا أجمركم<sup>(٢)</sup> في بعوثكم ، فأهتبتكم وأهتبتكم ، ولا أغلق بابي دونكم ، فإنا كل قلوبكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما اجلبهم به عن بلادهم ، وأقطع به نسلهم ، ولكم على إذرار العطاء في كل سنة ، والرزق في كل شهر ، حتى يستوى بكم الحال ، فيكون أفضاكم كأدناكم ، فإن أنا وفيت لكم ، فعليك السمع والطاعة ، وحسن المؤازرة والمكانفة<sup>(٣)</sup> ، وإن لم أف لكم ، فعليك أن تخاموني إلا أن تستديبوني ، فإن أنا تبت قبلكم مني ، وإن عرفتم أحداً يقوم مقامى ، ممن يعرف بالصلاح ، يُعطيك من نفسه مثل الذى أعطيتكم ، فأردتم أن تبايعوه ، فأنا أول من بايعه ، ودخل في طاعته .

أيها الناس : إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولا وفاء له بنقض عهد ، إنما الطاعة طاعة الله فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع ، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية فهو أهل أن يعصى ويقتل ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٤ - ٢٩١ ، البيان والتبيين ٢ : ٦٩ ،

الفخرى ص ١٢٠ وتاريخ الطبرى ٩ : ٢٦ )

### ٢٠٣ وصية يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه

لما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد بن أبيه على خراسان قال له :  
« إن أباك كفى أخاه ( يعنى معاوية ) عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً ، فلا تتكلمن على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك ، وإياك منى قبل أن أقول إياى منك ، فإن الظن إذا أخلف منك أخلف منى فيك ، وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك ، فلا تُريح نفسك ، وكن لنفسك تكن لك ، واذكر فى يومك أحاديث غدك تسعد إن شاء الله تعالى » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٧٦ )

(١) الفقر والحاجة . (٢) جمر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفاهم . (٣) المعاونة .

# خطب عتبة بن أبي سفيان<sup>(١)</sup> (توفي سنة ٤٤ هـ)

٢٠٤ - خطبة له في تهدد أهل مصر

بلغ عتبة بن أبي سفيان عن أهل مصر شيء فأغضبه ، فقام فيهم ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا لل سيف حصيداً<sup>(٢)</sup> ، فإن الله فيكم ذبيحاً لعثمان ، أرجو أن يولياني نُسكته ، إن الله جمعكم بأمر المؤمنين بعد الفرقة ، فأعطى كل ذي حق حقه ، وكان والله أذكركم إذا ذكر بخطاة ، وأصفتحكم بعد المقدرة عن حقه ، نعمة من الله فيكم ، ونعمة<sup>(٣)</sup> منه عليكم ، وقد بلغنا عنكم نجماً<sup>(٤)</sup> قول ، أظهره تقدم عفو منا ، فلا تصيروا إلى وحشة الباطل بعد أنس الحق ، بإحياء الفتنة وإماتة السنن ، فأطأكم الله وطأة ، لا رَمَق<sup>(٥)</sup> معها ، حتى تُنكروا مني ما كنتم تعرفون ، وتستخشفوا ما كنتم تستلينون ، وأنا أشهد عليكم الذي يعلم خائنة الأعين<sup>(٦)</sup> ، وما تخفي الصدور . »  
(العقد الفريد ٢ : ١٥٨)

(١) ولاء أخوه معاوية مصر بعد وفاة عمرو بن العاص (وقد مات عمرو في شوال سنة ٤٣) وأقام عتبة والياً على مصر سنة واحدة وشهراً واحداً ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٤٤ (هكذا في كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة : « أنه توفي سنة ٤٤ وقيل سنة ٤٣ » ، ولكني قرأت في تاريخ الطبري أن عتبة حج بالناس سنة ٤٦ ، وقال أيضاً في حوادث سنة ٤٧ « واختلفوا فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال الواقدي : أقام الحج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان . وقال غيره : بل الذي حج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان . » (٢) أصله الزرع المحصود . (٣) هكذا في الأصل وقد يكون « ومنة » . (٤) من نجم الشيء : إذا ظهر وطاع . (٥) الرمق : بقية الحياة . (٦) بمسارقتها النظر إلى المحرم .

## ۲۰۵ - خطبة له في تقريرهم وتهديدهم

وخطب أيضاً وقد بلغه عن أهل مصر أمور فقال :

« يا حاملي الأُمِ أنوفٍ رُكبت بين أعين ، إنما قَلمت أظفاري عنكم ، إِيْلينَ مَسى إياكم ، وسألتكم صلاحكم لكم ، إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ، فأما إذا أُبتم إلا الطعن على الأُمراء ، والعقب على السلف والخلفاء ، فوالله لأقطعن بطون السَّياط على ظهوركم ، فإن حَسَمت مُسْتَشْرِي<sup>(۱)</sup> دائسكم ، وإلا فالسيفُ من ورائكم ، فكُم من عظة لنا قد صَمَّت عنها آذانكم ، وزجرَة منا قد مَجَّتْها قلوبكم ، ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا جدتم علينا بالمعصية ، ولا مُؤايساً لكم من المراجعة إلى الحسنی ، إن صرتم إلى التي هي أبر وأتقى . » ( صبح الآمشی ۱ : ۲۱۶ ؛ والعقد الفريد ۲ : ۱۵۹ ، والأمالی ۱ : ۲۴۵ )

## ۲۰۶ - خطبة له فيهم وقد أرجفوا بموت معاوية

واحتبست كتب معاوية حتى أُرْجَفَ أهل مصر بموته ، ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر ، والكتاب في يده فقال :

« يا أهل مصر : قد طالت معانبتنا إياكم بأطراف الرماح وظببات السيوف ، حتى صرنا شَجِي في لهوانكم ، ما تُسَيِّفنا<sup>(۲)</sup> حلوكم ، وأفداء في أعينكم ، ما تَطْرَف<sup>(۳)</sup> عليها جفونكم ، أَلْحينَ أَشَدَّتْ عُرَى الحق عليكم عَفْداً ، واسترخت عُقد الباطل منكم حَلالاً ، أُرْجَفتم بالخليفة ، وأردتم توهين<sup>(۴)</sup> السلطان ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم عهدكم به

(۱) استشرى الداء : عظم وتفاقم . (۲) هو ما اعترض في الخلق من عظم أو نحوه ، واللهوات جمع لهاة : وهي اللحم المشرقة على الخلق ، وأساغه : ابتلعه . (۳) جمع قذى : وهو ما يقع في العين والشراب ، وطرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر ، وطرف بعينه : حرك جفניה . (۴) إضعاف .

حديث؟ فارتجوا أنفسكم إذ خسرتم دينكم ، فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السار عنه ،  
والعهد القريب منه ، واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ، فأصلحوا لنا ما ظهر ،  
نكلكم إلى الله فيما بطن ، وأظهروا خيراً ، وإن أسررتكم شرّاً ، فإنكم حاصدون ما أنتم  
زارعون ، وعلى الله نتوكل وبه نستعين .

( عيون الأخبار م ۲ : ص ۲۳۹ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۵۹ )

### ۲۰۷ - خطبته فيهم وقد منعوا الخراج

وخطبهم وكانوا قد منعوا الخراج فقال :

« يا أهل مصر ، قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ، ببعض الجور عليكم ، فقد  
وأيكم من يقول ويفعل ، ويفعل ويقول ، فإن رددتم ترادكم<sup>(۱)</sup> بيده ، وإن استصعبتم  
ترادكم بسيفه ، ثم رجا في الآخرة ما أمّل في الأولى ، إن البيعة متتابعة ، فلنا عليكم السمع  
والطاعة ، ولكم علينا العدل ، فأئنا غدر فلا ذمة له عند صاحبه ، والله ما انطلقت بها  
ألسنتنا حتى عُقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم نأجزاً بناجز<sup>(۲)</sup> ،  
ومن حذر كمن بشر ، فنأدوه سمعاً وطاعة ، فنأدام عدلاً عدلاً . ( العقد الفريد ۲ : ۱۵۹ )

### ۲۰۸ - خطبته فيهم إذ طعنوا على الولاية

وقدم كتاب معاوية إلى عتبة بمصر أن قبلك قوماً يطعنون على الولاية ويعيبون

السلف ، فخطبهم فقال :

« يا أهل مصر : خفّ على ألسنتكم مدح الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل وأنتم

(۱) يقال : ترادا البيع : من الرد والفسخ ، ومراده : ردكم . (۲) الناجز والنجيز : الحاضر ،

ومن أمثالهم : ناجزا بناجز ، أي حاضرًا بحاضر ، كقولك يدا بيد ، وعاجلاً بماجل ، وقالوا أبيعك

الساعة ناجزا بناجز : أي معجلاً .

تأتونه ، كالحمار يحمل أسفارا ، أثقله حملا ، ولم ينفعه علمها ، وإيمُ الله لا أداوى أدواءكم  
بالسيف ما صلحتم على السوط ، ولا أبلغ السوط ما كفتنى الدرّة ، ولا أبطىء عن الأولى  
مالم تسرعوا إلى الأخرى ، فالزموا ما أمركم الله به تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا ،  
وإياكم وقال ويقول ، قبل أن يقال فعل ويفعل ، وكونوا خير قوس سهماً بهذا اليوم الذى  
ما قبله عقاب ، ولا بعده عقاب

( العقد الفريد ٢ : ١٦٠ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٩ ، وأسد الغابة فى معرفة الصحابة ٣ : ٣٦١ )

### ٢٠٩ - خطبته بمكة

وحج عتبة سنة إحدى وأربعين ، والناس قريبٌ عهدهم بالفتنة ، فصلى بمكة  
الجمعة ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنا قد ولينا هذا المقام الذى يضاعفُ فيه للمحسن الأجر ، وعلى المسيء  
فيه الوزر ، ونحن على طريق ما قصدنا له ، فلا تتمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع من  
دوننا ، ورب متمنٍ حثفه فى أمنيته ، فاقبلونا ما قبلنا العافية فيكم ، وقبلناها منكم ،  
وإياكم ولوّا ، فإن لوّا قد أتعت من كان قبلكم ، ولن تريح من بعدكم ، وأنا أسأل الله  
أن يعين كلاً على كل » .

فصاح به أعرابي : أيها الخليفة ، فقال : لستُ به ولم تُبعِد ، فقال : يا أخاه ، فقال :  
سمعتُ فقل ، فقال : « تالله لأن تُحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسنّا ، فإن  
كان الإحسان لكم دوننا ، فما أحقكم باستمامه ، وإن كان منا فما أولاكم بمكافأتنا ،  
رجل من بنى عاصم بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويقرب إليكم بالخشولة ، وقد كثر  
عِياله<sup>(١)</sup> ، ووطئه زمانه ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر » فقال عتبة : « أستغفر الله

(١) العيال جمع عيل كجيد : وهو من يلزم الإنفاق عليه .

منكم ، وأستعينه عليكم ، وقد أمرنا لك بغناك ، فليت إسرعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

( الأمل ١ : ٢٤٠ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٩ - ٨١ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ )

## ٢١٠ - خطبته في علمته التي مات فيها

ولما اشكى شكاته التي مات فيها تحامل إلى المنبر فقال :

« يا أهل مصر لا غنى عن الرب ، ولا مهزب من ذنب ، إنه قد تقدمت مني إليكم عقوبات كنت أرجو يومئذ الأجر فيها ، وأنا أخاف اليوم الوزر منها ، فليتنى لا أكون اخترت دنياي على معادي ، فأصلحتكم بفسادي ، وأنا أستغفر الله منكم ، وأتوب إليه فيكم ، فقد خفت ما كنت أرجو نفعاً عليه ، ورجوت ما كنت أخاف اغتيالاً به ، وقد شقي من هلك بين رحمة الله وعفوه ، والسلام عليكم سلام من لا ترؤنه عائداً إليكم » ، فلم يعد .

( العقد الفريد ٢ : ١٥٩ )

## ٢١١ وصيته لمؤدب ولده

وقال لعبد الصمد مؤدب ولده :

« ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسن ، والقبيح عندهم ما استقبح ، وعلمهم كتاب الله ، ولا تكبرهم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روم من الشعر أعف ، ومن الحديث أشرف ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكوه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، ونهد ذم بي ، وأدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروم سير الحكماء ، واستزدني



جزبادتك إيام أزدك ، وإياك أن تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك ، وزد في تأديبهم أزدك في برى إن شاء الله تعالى .

( البيان والتبيين ٢ : ٣٥ ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١ : ١٣٩ )

## ٢١٢ - وصية سعيد بن العاص<sup>(١)</sup> لابنيه

لما ولد لسعيد بن العاص ابنه عمرو وترعرع<sup>(٢)</sup> ، تفرس فيه النجابة ، كان يفضله على ولده ، فجمع بنيه ، وكانوا يومئذ أكثر من خمسة عشر رجلا ، ولم يدع عمرا معهم ، وقال :

« يا بني ، قد عرفتم خيرة الوالد بولده ، وإن أخواكم عمرا ، لذو همة واعدة<sup>(٣)</sup> ، يسمو جدّه ، ويبعد صيته<sup>(٤)</sup> ، وتشهد شكيمة<sup>(٥)</sup> ، وإلى أمركم إن نزل بي من الموت مالا يحيى عنه ، أن تظاهروه وتوازره وتعزروه ، فإنكم إن فعتم ذلك يتألف بكم الكرام ، ويخسأ<sup>(٦)</sup> عنكم اللئام ، ويلبسكم عزاً لا تنهجه<sup>(٧)</sup> الأيام . »

فقالوا جميعاً : « إنك تؤثره علينا ، ونحايه دوننا » فقال : « سأريكم ماستره

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقد تقدم لك أن عثمان استعمله على الكوفة بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وولاه معاوية المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان ابن الحكم عن المدينة ويولى مروان إذا عزله ، ومات سنة ٥٧ وقيل سنة ٥٨ وقيل سنة ٥٩ هـ .

(٢) شب وانتقل عن حد الصفر . (٣) من قولهم شجرة واعدة : إذا ظهر لرائها أن قدحان إثمارها ، وأرض واعدة : إذا رجي خيرها من النبات ، وظهر لرائها أن قد قرب إمكان المرعى بها ، وفرس واعد : يعدك جريا بعد جرى ، وسحاب واعد كأنه وعد بالمطر ، ويوم واعد يعد بالحر أو بالبرد أوله .

(٤) الصيت ( بالكسر ) والصات والصوت ( بالفتح ) : الذكر الحسن . (٥) الشكيمة : الأنفة ، وفي اللجام : الحديد المعلقة في فم الفرس . وهو مثل يضرب للصرامة في الأمور والمضاه فيها .

(٦) أى يبعد ويطرده . من خسأ الكلب كنع : طرده ، وخسأ هو بنفسه : بعد . (٧) أى لا تقبله . أنهج الثوب ونهجه ( كنعه ) : أخلقه وأبلاه ، ونهج الثوب مثقته الماء ، وأنهج : بلى .

البغى عنكم ، وصرفهم ، ثم أمهلهم حتى ظن أن قد ذهلوا عما كان ، وراهنق<sup>(۱)</sup> عمرو البلوغ ، واستدعاهم دون عمرو ، فلما حضروا قال : « يا بني ، ألم ترأوا إلى أخيك عمرو ؟ فإنه لا يزال يلحيف<sup>(۲)</sup> في مسألتى مالى ، فأحش<sup>(۳)</sup> عياله لصغره ، وأحسبه<sup>(۴)</sup> بالشىء دون الشىء من مالى إلى أن استثبتت أن أمه بأغيتته<sup>(۵)</sup> على ذلك ، فزجرتها فلم تكف . وهذا نخرجه الآن من عندى ، جاء يسألنى الصمصامة<sup>(۶)</sup> . كأن لا ولد لى غيره ، وقد عزمتم على أن أقسم مالى فيكم دونه ، لتعلم أمه من يكيد ، فقالوا كلهم : يا أبانا هذا عملك بإيثارك له علينا ، واختصاصك إياه دوننا ، فقال : « يا بني ، والله ما آثرته دونكم بشىء من مالى قط ، ولا كان ما قلته لكم إلا اختلاقاً تساهلت فيه . لما أملته من صلاح أمركم » ، ثم قال لهم : ادخلوا المخدع<sup>(۷)</sup> ، فدخلوا المخدع ، ثم أرسل إلى عمرو فأحضره ، فلما حضر قال :

(۱) راهق الغلام : قارب الحلم ( بضمين ) . (۲) يلح . (۳) العيل والعيلة : الافتقار والفاقة ، وأحش : أى أقطع وأححو ، من حش الحشيش ( كرد ) : قطعه ، وحش فلانا : أصلح من حاله ، ( وفى الأصل فأحسن بالنون أى أجعل فقره حسناً وأزيل قبحه بمطاني إياه والأول أحسن ) . (۴) حسبه ( بالتشديد ) وأحسبه : أطعمه وسقاه حتى شبع وروى . (۵) بغاه الشىء : أعانه على طلبه ( ولا مانع أن يكون الأصل « أن أمه باعثته على ذلك » ) . (۶) الصمصامة : سيف عمرو بن معد يكرب الزبيلى ، وكان قد صار إلى سعيد بن العاص . وذلك أن خالد بن الوليد لما غزا بنى زبيد حين ارتدوا ، وكان خالد بن سعيد بن العاص « عم سعيد المذكور » من جملة أمرائه ، أوقع بهم وأسر ريحانة أخت عمرو ابن معد يكرب ، فقداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة ، ولم يزل ذلك السيف عند آل سعيد بن العاص حتى اشتراه منهم الخليفة المهدي العباسى بخمسين ألف درهم ، ووهبه المهدي لابنه الهادي فدعا به بعد ماولى الخلافة فوضعه بين يديه وأذن للشعراء ، فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فى السيف شعراً ، فبذم ابن يامين البصرى ، فأعطاه الهادي السيف والجائزة ، ففرقها على الشعراء ، وقال : دخلتم معى ، وحرمت من أجلى ، وفى السيف هوض ، ثم بعث إليه الهادي ، فاشتري منه السيف بخمسين ألفاً ، ثم وصل إلى المتوكل فدفعه إلى غلامه باغزا التركى ، فقتله به ، ومن عند باغزا انقطع خبره . « اقرأ خبر الصمصامة فى سرح العيون ، ص ۳۱۲ ، والأغانى ۱۴ : ۲۶ ، وأنباء نجباء الأبناء ص ۱۰۳ ومروج الذهب ۲ : ۲۶۲ » . (۷) المخدع بضم الميم وكسرها : الخزانة - بيت صغير يحرز فيه الشىء - .

« يا بني : إني عليك حديد<sup>(١)</sup> مشفق ، لصغر سنك ، ونفاسة<sup>(٢)</sup> إخوتك على مكانك مني ، وإني لا آمن بفتنة الأجل ، ولي كنز ادخرته لك دون إخوتك ، وهأنا مُطاعك عليه ، فاكتم أمره . »

فقال : « يا أبت ، طال عُمرُك ، وَعَلَا أَمْرُك ، إني لأرجو أن يُحسن الله عنك الدَّفَاعَ ، وَيُطِيلَ بِكَ الإِمْتَاعَ . فأما ما ذكرته من شأن الكنز ، فما يُعجبني أن أقطع دون إخوتي أمرا ، وأزرع في صدورهم غمرا<sup>(٣)</sup> . »

فقال : « انصرف يا بني ، فإدراك أبوك ، فوالله مالي من كنز ، ولكنني أردت أن أبلو رأيك في إخوتك وبنى أبيك » فانطلق عمرو ، وخرج إخوته من المخدع ، فاعتذروا إلى أبيهم ، وأعطوه مَوْتِقَهُمْ على اتباع مشورته . ( أنباء نجباء الأبناء ص ١٠٠ )

(١) متعطف شقيق . (٢) نفس عليه بخير ( كفرح ) حسد ، ونفس عليه الشيء نفاسة :

لم يره أهلا له . (٣) الفمر محركة والفمر بكسر الفم : الحقد والضغن .

# خطب عمرو بن سعيد الأشدق<sup>(١)</sup>

( قتل سنة ٦٩ هـ )

٢١٣ - خطبة له بالمدينة

قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً ، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد عليه وَغَمَّضَ عَيْنَيْهِ وَعَلِيهِ جُبَّةٌ خَزَقْرَمِزٍ<sup>(٢)</sup> ، وَمُطْرَفٍ<sup>(٣)</sup> خَزَقْرَمِزٍ ، وعمامة خزقرمز ، فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها ، ففتح عينيه ، فإذا الناس ينظرون إليه ، فقال :

« ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلى أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم ؟ أغرَّكم أنكم فعلتم ما فعلتم فعمقونا عنكم ، أما إنه لو أُثْبِتُمْ<sup>(٤)</sup> بالأولى ما كانت الثانية ، أغرَّكم أنكم قتلتم عثمان ، فوافقتم ثأرنا<sup>(٥)</sup> منا رفيقاً ، قد فني غضبه وبقى حله ، اغتتموا أنفسكم ، فقد والله ملكناكم بالشباب المقبل البعيد الأمل ، الطويل

(١) لقب بالأشدق لفصاحته ، والأشدق في الأصل : من عظمت أشداقه ( جمع شدق بالكسر ويفتح وهو جازب الفم ) مشتق من الشدق ( بفتحيتين وهو سعة الشدق ) وكانوا يتشادقون في الكلام ويمتدحون في الخطيب سعة الفم والشدين ، وقالوا خطيب أشدق : أي بليغ ، وقال شاعرهم في عمرو بن سعيد هذا :

تشادق حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب لا أبالك أشدق

وقال آخرون : بل كان أفقم مائل الذقن « والفقم بالتحريك : تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى » وقد ولي معاوية مكة ولابنه يزيد مكة والمدينة ، وكان له الفضل في نيل مروان بن الحكم الخلافة ، وقد قدمنا لك خبر مقتله . (٢) القرمز : صبغ أحمر . (٣) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام . (٤) الثواب : الجزاء . (٥) الثائر : الآخذ بالثار ، ووافقتم : أي وجدتم .

الأجل ، حين فرغ من الصفر ، ودخل في الكبر ، حلیم حديد<sup>(١)</sup> ، لئن شديد ، رقيق  
كثيف ، رقيق عنيف ، حين اشتد عظمه ، واعتدل جسمه ، ورمى الدهر ببصره ،  
واستقبله بأشره ، فهو إن عَضَّ نَهَس<sup>(٢)</sup> ، وإن سطا فرَس<sup>(٣)</sup> ، لا يُقَلِّقُ له الحصى ،  
ولا تُقَرِّعُ له العصا<sup>(٤)</sup> ، ولا يمشي السَّمَّي<sup>(٥)</sup> « فما تقي بعد ذلك إلا ثلاث سنين  
وثمانية أشهر حتى قصمه الله .  
(العقد للفريد ٢ : ١٥٧ )

### ٢١٤ - خطبة له بمكة

واستعمل سعيد بن العاص - وهو وال على المدينة - ابنه عمرو بن سعيد والياً على  
مكة ، فلما قدم لم يلقه قرشي ولا أموي إلا أن يكون الحارث بن نوفل ، فلما لقيه قال له :  
يا حارِ ، ما الذي منع قومك أن يلقوني كما لقيتني ؟ قال : ما منعهم من ذلك إلا ما استقبلتني  
به ، والله ما كنييتني ، ولا أتمت اسمي ، وإنما أنك عن التشذر<sup>(٦)</sup> على أكفائك ،  
فإن ذلك لا يرفعك عليهم ، ولا يضعهم لك ، قال : والله ما أسأت الموعظة ، ولا أتهمك  
على النصيحة ، وإن الذي رأيت مني تَخَلَّقَ<sup>(٧)</sup> ، فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله ،  
وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، معشر أهل مكة ، فإننا سكتناها غبطةً ، وخرجنا عنها رغبةً ، ولذلك  
كنا إذ ارفعت لنا اللهوة<sup>(٨)</sup> بعد اللهوة أخذنا أسنانها ، ونزلنا أعلاها ، ثم شَرِّج<sup>(٩)</sup> أمر

(١) رجل حديد يكون في السن والفهم والغضب ، وحد عليه : غضب . (٢) نهس اللحم : أخذه  
بمقدم أسنانه ونتفه . (٣) فرس فريسته : دق عنقها . (٤) يشير إلى المثل المشهور « إن العصا  
قرعت الذي الحلم » وقد سبق شرحه في ص ١٨٤ . (٥) السهمي والسهمي : الباطل والكذب ،  
يقال : ذهب في السهمي أي في الباطل : وجرى فلان السهمي : أي جرى إلى غير أمر يعرفه .  
(٦) تشذر : توعد وتهدد وتغضب وتسرع إلى الأمر والمراد هنا التكبر . (٧) الخلق : البالي -  
والمراد أنه لا يعود إليه . (٨) اللهوة بالضم والفتح : العطية أو أفضل العطايا وأجزؤها .  
(٩) من الشرج بالتحريك : وهو انشقاق القوس . قوس شريج : فيها شق ، والمراد حدث ونجم .

بين أمرين ، فقتلنا وقتلنا ، فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا ، حتى شرب الدم دماً ، وأكل اللحم لحماً ، وقرع العظم عظماً ، فوالى رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة الله إياه ، واختياره له ، ثم ولى أبو بكر إيسابته وفضله ، ثم ولى عمر ، ثم أُجِيت قِدَاحُ نَزِغَنَ من شِعَابِ (١) جَوْلَةَ سَعَةٍ ، ففاز بِحَظِيَّتِهَا (٢) أصلها وأعتقها ، فكنا بعض قِدَاحِهَا ، ثم شَرِجَ أمر بين أمرين فقتلنا وقتلنا ، فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا ، حتى شرب الدم دماً ، وأكل اللحم لحماً ، وقرع العظم عظماً ، وعاد الحرام حلالاً ، وأُسكِت كلُّ ذى حِسٍّ عن ضربٍ مُهْتَدٍ ، عَرَّ كَأَعْرَ كَأَ ، وَعَسْفَا عَسْفَاً ، وَخَزَا وَنَهَسَاً ، حتى طابوا عن حقنا نفساً ، والله ما أعطوه عن هَوَادَةٍ ، ولا رضوا فيه بالقضاء ، أصبحوا يقولون : حَقُّنَا غَلِبْنَا عَلَيْهِ ، فجزينا هذا بهذا ، وهذا فى هذا . يا أهل مكة : أنفَسَكُم أنفَسَكُم ، وَسُفِهَاءَكُم سُفِهَاءَكُم ، فَإِنْ مَعَى سَوَطًا نَكَالًا ، وَسِيفًا وَبَالًا (٣) ، وكلُّ مَنْصُوبٍ عَلَى أَهْلِهِ ، ثم نزل .

(العقد الفريد ۲ : ۱۵۷)

## ۲۱۵ — ملاحاة الوليد بن عقبة معه فى مجلس معاوية

تلاحي (٤) الوليد بن عقبة ، وعمرو بن سعيد بن العاص فى مجلس معاوية ، فتكلم الوليد فقال له عمرو : كَذَبْتَ أَوْ كَذِبْتَ (٥) ، فقال له الوليد : اسكت يا طليق اللسان ، منزوع الحياء ، ويا أُمُّ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فلعمري لقد بلغ بك البخل الغاية الشائنة المذلة لأهلها ، فسأت خلائقك لبخلك ، فَمَنَعَتِ الْحَقُوقُ ، وَلَزِمَتِ الْعُقُوقُ ، فأنت غير مشيد البنيان ، ولا رفيع المكان ، فقال له عمرو : والله إن قریشاً لتعلم أنى غير حلو المذاقة ، ولا لذيذ

(١) الشباب جمع شعبة بالضم : وهى ما بين الفصنين وطرف الفصن . يشير إلى أصحاب الشورى السعة .

(٢) الحظى : ذو الحظوة أى المكانة . (٣) أى سوطاً ذا نكال . وسيفاً ذا وبال .

(٤) تنازع . (٥) كذب الرجل : أخبر بالكذب .

الْمَلَاكَةِ<sup>(١)</sup> ، وَإِنِّي لَكَ أَشْجَبًا<sup>(٢)</sup> فِي الْخَلْقِ ، وَأَقْدَ عَلِمْتَ أَنِي سَاكِنُ اللَّيْلِ ، دَاهِيَةَ  
النَّهَارِ ، لَا أَتَّبِعُ الْأَفْيَاءَ ، وَلَا أَنْتَمِي إِلَى غَيْرِ أَبِي ، وَلَا يُجْهَلُ حَسْبِي ، حَامٍ لِحَقَائِقِ  
الذَّمَّارِ<sup>(٣)</sup> ، غَيْرِ هَيُوبٍ عِنْدَ الْوَعِيدِ ، وَلَا خَائِفٍ رِعْدِيدٍ<sup>(٤)</sup> ، فَلِمَ تُعَيِّرُ بِالْبَخْلِ وَقَدْ جُبِلْتَ  
عَلَيْهِ ، فَلَعْمَرِي لَقَدْ أَوْرَثْتُكَ الضَّرُورَةَ لَوْثًا ، وَالْبَخْلَ فُحْشًا ، فَقَطَعْتَ رِحْمَكَ ، وَجُرُوتَ  
فِي قَضِيَّتِكَ ، وَأَضَعْتَ حَقَّ مَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ ، فَلَسْتَ تُرْجِي لِلْعِظَائِمِ ، وَلَا تَعْرِفُ بِالْمَكَارِمِ ، وَلَا  
تَسْتَعِفُّ عَنِ الْمَحَارِمِ ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَى التَّوْقِيرِ ، وَلَمْ يُحْكَمْ مِنْكَ التَّدْبِيرُ ، فَأُفْحِمِ الْوَالِيدُ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةَ:  
- وَسَاءَ ذَلِكَ - كُفَّا لَأَبَا لَكَا ، لَا يَرْتَفِعُ بِكَ الْقَوْلُ إِلَى مَا لَا نُرِيدُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ  
عَمْرُو يَقُولُ :

وَلِيدُ إِذَا مَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ جَالِسًا      فَكُنْ سَاكِنًا مِنْكَ الْوَقَارُ عَلَى بَالٍ  
وَلَا يَبْدُرَنَّ الدَّهْرَ مِنْ فَيْكَ مَنْطِقٌ      بَلَا نَظَرَ قَدْ كَانَ مِنْكَ وَإِغْفَالٌ<sup>(٥)</sup>  
( الْأَمْالُ ٢ : ٤٠ )

## ٢١٦ - خطبته حين غلب على دمشق

ولما غلب على دِمَشْقَ ، صَعِدَ الْمَنْبِرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :  
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْ قَرِيشٍ قَبْلِي عَلَى هَذَا الْمَنْبِرِ ، إِلَّا زَعَمَ أَنْ لَهُ جَنَّةٌ  
وَنَارًا ، يُدْخِلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَطَاعَهُ ، وَالنَّارَ مَنْ عَصَاهُ ، وَإِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ  
بِيَدِ اللَّهِ ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ عَلَيَّ حُسْنَ الْمُوَاسَاةِ وَالْعَطِيَّةِ » .  
( تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٧ : ١٧٦ )

(١) اللوك : أهون المضغ أو مضغ صلب . (٢) ما اعترض في الخلق من عظم ونحوه .

(٣) مانجب حمايته . (٤) جبان . (٥) يبدر : يفرط ويسبق .

## ٢١٧ - خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان

روى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية جاء إلى أخيه خالد بن يزيد في أيام عبد الملك فقال : لقد هَمَّمتُ اليوم يا أخى أن أفْتِكَ بالوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بئس والله ما هَمَّمتَ به في ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فما ذاك ؟ قال : إن خيلى مررتُ به فعبثتُ بها وأصغرتنى ، فقال له خالد : أنا أكْفِيكَ ، فدخل على عبد الملك ، والوليدُ عنده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الوليد ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، مرت به خيلى ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبثتُ بها وأصغره ، وكان عبد الملك مُطْرِقاً فرفع رأسه وقال :

(إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) فقال خالد : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ، فدمرناها تدميراً) . فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ؟ والله لقد دخل أمسِ علىّ فما أقام لسانه لحنًا ، فقال خالد : أفعلى الوليد تعول يا أمير المؤمنين ؟ قال عبد الملك : إن كان الوليد يَلْحَنُ ، فإن أخاه سليمانُ ، فقال خالد : وإن كان عبد الله يَلْحَنُ ، فإن أخاه خالد ، فالتفت الوليد إلى خالد ، وقال له : اسكت وَيْحَكَ يا خالد ! فوالله ما تُعَدُّ فى العير ولا فى النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين : ثم التفت إلى الوليد فقال له : وَيْحَكَ : فمن صاحب العير والنفير غيرُ جدِّى أبي سفيان صاحب العير ، وجدِّى عُتْبَةَ صاحب النفير<sup>(١)</sup> ؟ ولكن لو قلت : غَنِيَّاتٌ وَحُبَيْلَاتٌ وَالطَّائِفُ ، وَرَحِمَ اللهُ عِثَانَ لَقَلْنَا صَدَقْتَ<sup>(٢)</sup> .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١١ ، وتهذيب الكامل ١ : ٣٠٢ ومجمع الأمثال ٢ : ١١٥)

(١) انظر ص ١٤٧ . (٢) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طرد الحكم بن أبي العاص «جد عبد الملك» إلى الطائف - انظر ص ١٠٤ - أقام بها ، فكان يرعى غنيمات اتخذها يشرب من لبنها ، ويأوى إلى حبيلة «مصغر حيلة كفرصة : وهى السكرمة» وقوله رحم الله عثمان : أى لرده إياه ، وقد أبى أبو بكر وعمر أن يرداه .



## ٢١٨ - خالد بن عبد الله بن أسيد<sup>(١)</sup> وعبد الملك بن مروان

جلس يوماً عبد الملك بن مروان ، وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد ، وعند رجله أمية بن عبد الله بن أسيد ، وأدخات عايه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج ، حتى وضعت بين يديه فقال :

« هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة ، لا ما فعل هذا ، ( وأشار إلى خالد ) استعملته على العراق ، فاستعمل كل مُلِطٍ<sup>(٢)</sup> فاسق ، فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً ، واستعملت هذا على خراسان ( وأشار إلى أمية<sup>(٣)</sup> ) فأهدى إلى برذونين حطمين<sup>(٤)</sup> ، فإن استعملتكم ضيَّعتم ، وإن عزلتكم قلم استخف بنا ، وقطع أرحامنا . »

فقال خالد بن عبد الله : « استعملتني على العراق ، وأهله رجلاً : سامع مطيع مُناصح ، وعدو مُبغض مُكاشح<sup>(٥)</sup> ، فأما السامع المطيع المناصح فإننا جزيناه ، ابزداد وُدًا إلى وده ؛ وأما المبغض المكاشح ، فإننا داريناه ضيغنه ، وسألنا حقه ، وكثرنا لك المودة في صدور رعيتك ، وإن هذا جَبَى الأموال ، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ، فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال . »

فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك : « هذا والله ما قال خالد . »

( العقد الفريد ٢ : ١١٧ )

(١) هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمر بن عبد مناف ، وقد ولاة عبد الملك بن مروان بعد قتل مصعب بن الزبير على البصرة وأعمالها سنة ٧١ هـ ، وعزله عنها سنة ٧٤ وولاها أخاه بشر بن مروان ، وكان على ولاية الكوفة ، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه . (٢) لط حقه وأطه : جرده . (٣) هو أمية بن عبد الله أخو خالد هذا ، ولاة عبد الملك على خراسان ، حتى كانت سنة ٧٨ فعزله ، وجمع سلطانه للحجاج ، فبعث المهلب بن أبي صفرة إليها . (٤) فرس حطم ككثف : إذا هزل وأسن فضعف وتهدم . (٥) الكاشح : الذي يضمرك العداوة ، كشح له بالعداوة وكاشحه بمعنى .

## ۲۱۹ - نصيحة لعمر بن عتبة بن أبي سفيان

ورأى عمرو بن عتبة بن أبي سفيان رجلاً يشتم رجلاً ، وآخر يسمع منه ،  
فقال للمستمع :

« نزه سمعك عن استماع الخذا ، كما تنزه لسانك عن الكلام به ، فإن السامع  
شريك القائل ، وإنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغته في وعائك ، ولوردت كلمة جاهل  
في فيه ، لسعد رادها ، كما شقي قائلها » . ( البيان والتبيين ۲ : ۱۶۰ )

## ۲۲۰ - تأديب معاوية لجلسائه

أذن معاوية للأحنف بن قيس - وقد وافى معاوية محمد بن الأشعث - فقدمه  
عليه ، فوجد<sup>(۱)</sup> من ذلك محمد بن الأشعث ، وأذن له فدخل فجلس بين معاوية  
والأحنف ، فقال معاوية :

« إنا والله ما أذنا له قبلك ، إلا ليجلس إلينا دونك ، وما رأيت أحداً يرفع  
نفسه فوق قدرها ، إلا من ذلة يجدها ، وقد فعلت فعل من أحسن من نفسه ذلاً وضعة ،  
وإنا كما نملك أموركم ، نملك تأديبكم ، فأريدوا منا ما نريد منكم ، فإنه أبتقى لكم ،  
وإلا قصرناكم كرهاً ، فكان أشد عليكم وأعنف بكم » . ( البيان والتبيين ۳ : ۲۲۰ )

## ۲۲۱ - كلام معاوية وقد سقطت ثناياه

ولما سقطت ثناياه معاوية لف وجهه بعمامة ، ثم خرج إلى الناس ، فقال :  
« لئن ابتليت لقد ابتلى الصالحون قبلي ، وإني لأرجو أن أكون منهم . ولئن

(۱) وجد : غضب .

عُوقِبْتُ لَقَدْ عَوْقَبَ الْخَاطِئُونَ قَبْلِي ، وَمَا آمَنَ أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ . وَلَئِنْ سَقَطَ عُضْوَانُ مِنِّي ،  
لَمَّا بَقِيَ أَكْثَرُ . وَلَوْ أَتَى عَلَيَّ نَفْسِي لَمَّا كَانَ لِي عَلَيْهِ خِيَارٌ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَرَحِمَ اللَّهُ  
عَبْدًا دَعَا بِالْعَافِيَةِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ عَتَبَ عَلَيَّ بَعْضُ خَاصَّتِكُمْ ، لَقَدْ كُنْتُ حَدِيثًا<sup>(١)</sup>  
عَلَى عَامَّتِكُمْ .

( البیان والتبیین ٣ : ٢٢١ )

## ٢٢٢ - تقریر عبد الملک بن مروان لأحد عماله

وروی الجاحظ قال :

« قال أبو الحسن : كان عبد الملك بن مروان شديد اليقظة ، كثير التعاهد لولائه ،  
فبلغه أن عاملاً من عماله قبل هدية ، فأمر بإشخاصه إليه ، فلما دخل عليه قال : « أقبلت  
هدية منذ ولّيتك ؟ » قال : « يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور ،  
ورعيّتك على أفضل حال » قال : « أجيب فيما سألتك عنه ، أقبلت هدية منذ ولّيتك ؟  
قال : نعم ، قال : لئن كنت قبلت ولم تعوّض إنك للاثيم ، ولئن أنلت مهديك لامن  
مالك ، أو استكفيتته ما لم يكن يستكفاه ، إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن  
تعوّض المهديّ إليك من مالك ، وقبّلت ما أتهمك به عند من استكفأك ، وبسط لسان  
عائبك ، وأطمع فيك أهل عملاك إنك لجاهل ، وما فيمن أنى أمرًا لم يخل فيه من دناءة ،  
أو خيانة ، أو جهل ، مُصْطَنَعٌ ، نَحْيَاهُ عَنْ عَمَلِهِ . »

( البیان والتبیین ٣ : ٢٣٠ )

## طلب معاوية البيعة ليزيد

لما كانت سنة ثلاث وخمسين ، أظهر معاوية عهداً مُفْتَعِلاً ، فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده ، فلم يزل يَرُوضُ الناس لبيعته سبع سنين ، ويشاور ، ويعطى الأقارب ، ويدانى الأبعاد ، حتى استوثق له من أكثر الناس .

فقال لعبد الله بن الزبير : « ما ترى في بيعة يزيد ؟ » قال : « يا أمير المؤمنين ، إني أناديك ولا أناجيك<sup>(١)</sup> ، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تتقدم ، وتفكر قبل أن تندم ، فإن النظر قبل التقدم ، والتفكير قبل التقدم » فضحك معاوية وقال : « ثعلب رَوَّاع ! تعلمت السجاعة<sup>(٢)</sup> عند الكبر ، في دون ما سَجَعْتَ به علي ابن أخيك ما يكفيك » . ثم التفت إلى الأحنف بن قيس ، فقال : « ما ترى في بيعة يزيد ؟ » قال : « نخافكم إن صدقناكم ، ونخافُ الله إن كذبنا » .

فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يَفِدُوا عليه ، فوفد عليه من كل مصر قوم<sup>(٣)</sup> ، وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم ، فخلا به معاوية ، وقال له : « ما ترى في بيعة يزيد ؟ » ، فقال : « يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الأرض أحدٌ هو أحبُّ إلىّ رشداً من نفسك سوى نفسي ، وإن يزيد أصبح غنياً في المال ، وَسَطاً في الحَسَب ، وإن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عن رعيته ، فاتق الله ،

(١) ناجيته : ساررتة . (٢) وفي العقد « السجاعة » وهو تصحيف ، ولم أجد « سجاعة » في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها هو « سجع » كشمس مصدر سجع كقطع ، وأرى أنها سجاعة ككتابة ، وقد ورد في كلام المبرد : « فإن المختار كان يدعى أنه يلهم ضرباً من السجاعة لأمر تكون . . . الخ » . (٣) هكذا ورد في العقد الفريد ، وفي مروج الذهب : أن وفود تلك الوفود كان سنة تسع وخمسين ، والمفهوم مما ورد في الإمامة والسياسة أن وفودها كان قبل سنة ٥٠ ، وفي حياة الحسن بن علي رضي الله عنه كما يتبين لك مما سيرد بعد ( وقد توفي الحسن سنة ٤٩ ، أو سنة ٥٠ أو سنة ٥١ ) .

وانظر من تولى أمر أمة محمد ، فأخذ معاوية بهزده (١) حتى تنفس الصعداء (٢) ، وذلك في يوم شاتٍ ، ثم قال : « يا محمد : إنك امرؤ ناصح ، قلت برأيك ، ولم يكن عليك إلا ذاك . قال معاوية : إنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم ، فابني أحبُّ إليَّ من أبنائهم ، اخرج عني » .

ثم دعا الضحاک بن قيس الفهري ، فقال له : إذا جلستُ على المنبر ، وفرغت من بعض موعظتي وكلامي ، فاستأذني للقيام ، فإذا أذنت لك فاحمد الله تعالى . واذكر يزيد . وقل فيه الذي يحق له من حسن الثناء عليه . ثم ادعني إلى توليته من بعدى . فإني قد رأيت وأتجمعتُ على توليته . فأسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة (٣) وحسن القضاء . ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان التميمي ، وعبد الله بن مسعدة الفزاري ، ونور بن معن السلمی ، وعبد الله بن عصام الأشعري ، فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاک ، وأن يصدقوا قوله ، ويدعوه إلى يزيد .

وجلس معاوية في أصحابه ، وأذن للوفود فدخلوا عليه ، فخطبهم ، فلما فرغ من بعض موعظته ، وهؤلاء المنفر في المجلس قد قعدوا للكلام - قام الضحاک بن قيس فاستأذن فأذن له .

### ٢٢٣ - خطبة الضحاک بن قيس الفهري

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ، إننا قد بلونا (٤) الجماعة والألفة ، فوجدناها أحقن للدماء ، وآمن للسُّبُل ، وخيراً في العاقبة والآجلة ، ولا خير لنا أن نترك سُدَى ،

(١) البهر بالفتح : العجب (٢) تنفس طويل . (٣) أى أسأله أن يختار لنا الأفضل ؛ خارته على غيره خيرة بكسر الخاء مع سكون الياء وفتحها : فضله وخار الله له في الأمر : جعل له فيه الخير . (٤) خبرنا .

والأيام عَوَّجٌ<sup>(۱)</sup> رواجع ، وَالْأَنْفُسُ يُغْذَى عَلَيْهَا وَيُرَاحُ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : ( كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » . ولسنا ندري ما يختلف به الْعَصْرَانُ<sup>(۲)</sup> ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَيِّتٌ ، كَمَا مَاتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَخُلَفَائِهِ ؛ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِكَ الْمَتَاعَ ، وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ دَعَاةِ يَزِيدِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحُسْنِ مَذْهَبِهِ ، وَقَصْدِ<sup>(۳)</sup> سِيرَتِهِ ، وَبُيُوتِ نَقِيْبَتِهِ<sup>(۴)</sup> ، مَعَ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَحَبَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَالشُّبَّهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي عَقْلِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَشِيمَتِهِ الْمَرْضِيَّةِ ، مَا دَعَانَا إِلَى الرِّضَا بِهِ فِي أُمُورِنَا ، وَالقُنُوعِ بِهِ فِي الْوَلَايَةِ عَلَيْنَا ، فَلْيُؤَوِّلَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - عَهْدَهُ ، وَلِيَجْعَلَهُ لَنَا مَلْجَأً وَمَفْزَعًا بَعْدَهُ ، نَأْوِي إِلَيْهِ إِنْ كَانَ كَوْنٌ<sup>(۵)</sup> ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَا مِنْهُ ، فَاعْزِمِ عَلَى ذَلِكَ ، عَزَمَ اللَّهُ لَكَ فِي رَشْدِكَ ، وَوَفَّقَكَ فِي أُمُورِنَا » .

## ۲۲۴ - خطبة عبد الرحمن بن عثمان الثقفي

ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أُنْقِذَ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ مُخْتَلِفَةٍ أَهْوَاؤُهُ ، قَدْ أَحْدَوْدَبَتْ عَلَيْنَا سَيِّسَاؤُهُ<sup>(۶)</sup> ، وَأَقْطَوَطَبَتْ<sup>(۷)</sup> عَلَيْنَا أَدْوَاؤُهُ ، وَأَنَاخَتْ عَلَيْنَا أَنْبَاؤُهُ ، وَنَحْنُ نُشِيرُ

(۱) بمعنى رواجع جمع عائجة امم فاعل من عاج إذا رجع : أى أن الأيام تعوج على الإنسان فتسلبه ما أعطى من الحياة وتمع العيش . (۲) العصر : اليوم والليله والعشى إلى احمرار الشمس والغداة . (۳) القصد : استقامة الطريق . (۴) النقيب : النفس ، وهى أيضا العقل ، والمشورة ، ونفاذ الرأى ، والطبيعة . (۵) أى إن حدث حدث . (۶) السيساء : منتظم فقار الظهر ، وحمله على سيساء الحق أى على حده ، والعرب تضربه مثلا لشدة الأمر ، قال الشاعر :  
لقد حملت قيس بن عيلان حربنا  
على يابن السيساء محدودب الظهر  
يقول : حملناهم على مركب صعب كسيساء الحمار ، أى حملناهم على مالا يثبت على مثله .  
(۷) اقطوطب : افعل من قطب ، وقب القوم : اجتمعوا ، وقطب بين عينيه : جمع ، والمراد : اجتمعت وتراكت علينا أدواؤه ، ولم أجد كلمة « اقطوطب » فى كتب اللغة ، وإنما الذى فيها « اقطوطى » أى قارب فى مشيه إسراعا .

عليك بالرشاد ، وندعوك إلى السداد ، وأنت يا أمير المؤمنين أحسننا نظراً ، وأثبتنا<sup>(١)</sup> بصراً ، وبزيد ابن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته ، وبلونا علانيتيه ، ورضينا ولايته ، وزادنا بذلك انبساطاً ، وبه اغتباطاً<sup>(٢)</sup> ، مع ما منحه الله من الشبه بأمير المؤمنين ، والمحبة في المسلمين ، فاعزم على ذلك ، ولا تضق به ذرعاً<sup>(٣)</sup> ، فالله تعالى يُقيم به الأود<sup>(٤)</sup> ، ويردع به الألد<sup>(٥)</sup> ، ويؤمن به السبل ، ويجمع به الشمل ، ويعظم به الأجر ، ويحسن به الذخر . ثم جلس .

### ٢٢٥ - خطبة ثور بن معن السلمي

فقام ثور بن معن السلمي ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قد أصبحنا في زمان ، صاحبه مشاغِب<sup>(٦)</sup> ، وظله ذاهِب<sup>(٧)</sup> ، مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة ، وأنت يا أمير المؤمنين ميّت ، نسأل الله بك المتاع ، وبزيد ابن أمير المؤمنين أقدمنا شرفاً ، وأبدلنا عرفاً<sup>(٨)</sup> ، وقد دعانا إلى الرضا به ، والقنوع بولايته ، والحرص عليه ، والاختيار له ، ما قد عرفنا من صدق لسانه ووفائه ، وحسن بلائه . فاجعله لنا بعدك خلفاً ، فإنه أوسعنا كنفاً<sup>(٩)</sup> ، وأقدمنا سلفاً ، وهو رثق لما فُتق ، وزمام لما شعث<sup>(١٠)</sup> ، ونكال لمن فارق وناق ، وسلم لمن واظب . وحافظ للحق . أسأل الله لأمير المؤمنين أفضل البقاء والسعادة ، والخيرة فيما أراد ، والتوطن في البلاد ، وصلاح أمر جميع العباد .  
ثم جلس .

(١) لعله « وأثبتنا » . (٢) بسط فلانا فانبسط : سره والانبساط : المسرة . (٣) ضاق بالأمر ذرماً : ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً . (٤) الاعوجاج . (٥) الالاد : الخصم الشحيح الذي لا يربح إلى الحق . (٦) صاحبه يعني به معاوية ، أي يشاغبه المشاغبون ، اسم معول من الشغب : وهو تهيج الشر . (٧) كناية عن دنو أجله . (٨) المعروف . (٩) الكنف : الغل والجانب . (١٠) شعث الأمر ، كفرح شعثاً : انتشر وتفرق .

## ٢٢٦ - خطبة عبد الله بن عصام الأشعري

فقام عبد الله بن عصام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، وأمتع به ، إنا قد أصبحنا في دنيا منقضية ، وأهواء منجذمة<sup>(١)</sup> ، نخاف حدّها ، وننظر جدّها ، شديد منجدرها ، كثير وعرها ، شائخة مرآقها<sup>(٢)</sup> ، ثابتة مراتبها ، صعبة مراكبها ، فالوت يا أمير المؤمنين وراءك ووراء العباد لا يخلد في الدنيا أحد ، ولا يبقى لنا أمد<sup>(٣)</sup> ، وأنت يا أمير المؤمنين مسئول عن رعيتك ، وماخوذ بولايتك ، وأنت أنظر الجماعة ، وأعلى عيناً بحسن الرأي لأهل الطاعة ، وقد هديت يزيد في أكمل الأمور ، وأفضلها رأياً ، وأجمعها رِضاً ، فاقطع بيزيد قالة<sup>(٤)</sup> الكلام ، ونخوة<sup>(٥)</sup> المبطّل ، وشعث المنافق ، واكبت<sup>(٦)</sup> به الباذخ<sup>(٧)</sup> المعادي ، فإن ذلك ألمٌ للشعث ، وأسهل للوعث<sup>(٨)</sup> ، فاعزم على ذلك ، ولا تتراى بك الظنون . »

## ٢٢٧ - خطبة عبد الله بن مسعدة الفزاري

ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزاري ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، وأمتع به ، إن الله قد آثرك بخلافته ، واختصك بكرامته ، وجعلك عصمة لأوليائه ، وذا نكايته لأعدائه ، فأصبحت بأنعمه جذلاً ،

(١) جده فأنجذم : قطعه . (٢) المراتب : جمع مرقب ( كجعفر ) المكان المشرف ، يقف عليه الرقيب . (٣) الأمد : الغاية والمنتهى . (٤) قالة : جمع قائل ، أو مصدر قال كالقول ، والقال ، والقييل . (٥) الكبر والعظمة . (٦) كبت : صرعه وأخزاه ، ورد العدو بغيظه ، وأذله . (٧) بذخ كفرح ونصر : تكبر وعلا ، وشرف باذخ : عال . (٨) وعث الطريق من باب تعب وقرب : إذا شق على السالك ، فهو وعث (بسكون العين وكسرهما) .



وَلِمَا حَمَلَكَ مُحْتَمِلًا ، يَكْشِفُ اللهُ تَعَالَى بِكَ الْعَمَى <sup>(١)</sup> ، وَيَهْدِي بِكَ الْعِدَا ، وَيَزِيدُ  
ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنُ النَّاسِ بِرِعِيَّتِكَ رَأْفَةً ، وَأَحَقَّهُمْ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَكَ ، قَدْ سَاسَ الْأُمُورَ  
وَأَحْكَمْتَهُ الدَّهْرَ ، لَيْسَ بِالصَّغِيرِ الْفَهْمِ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا بِالْكَبِيرِ السَّفِيهِ ، قَدْ احْتَجَنَ <sup>(٣)</sup> الْمَكَارِمَ  
وَارْتَجَبِي لِحُلِّ الْعِظَائِمِ ، وَأَشَدَّ النَّاسِ فِي الْعَدُوِّ نَكَايَةً ، وَأَحْسَنَهُمْ صُنْعًا فِي الْوِلَايَةِ ،  
وَأَنْتَ أَغْنَى بِأَمْرِكَ ، وَأَحْفَظَ لَوْصِيَّتِكَ ، وَأَحْرَزَ لِنَفْسِكَ ، أَسْأَلُ اللهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَافِيَةَ  
فِي غَيْرِ جَهْدٍ <sup>(٤)</sup> ، وَالنِّعْمَةَ فِي غَيْرِ تَغْيِيرٍ .

### ٢٢٨ - خطبة عمرو بن سعيد الأشدق

فَقَالَ مَعَاوِيَةَ لِعَمْرُو بْنِ سَعِيدِ الْأَشْدَقِ : قُمْ يَا أَبَا أُمِيَّةَ ، فَقَامَ فَحَمَدَ اللهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،  
ثُمَّ قَالَ :

« أَمَا بَعْدَ : فَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ أَمَلٌ تَأْمُلُونَهُ ، وَأَجَلٌ تَأْمَنُونَهُ ، طَوِيلُ الْبَاعِ ،  
رَحْبُ الذَّرَاعِ ، إِنْ اسْتَضَفْتُمْ إِلَيَّ حِلْمَهُ وَسِعْمَكُمْ ، وَإِنْ أَحْتَجَجْتُمْ إِلَيَّ رَأْيَهُ أَرْشَدَكُمْ ، وَإِنْ  
افْتَقَرْتُمْ إِلَيَّ ذَاتِ يَدِهِ أَغْنَاكُمْ ، جَذَعٌ <sup>(٥)</sup> قَارِحٌ <sup>(٦)</sup> ، سُوْبِقٌ فَسَبَقَ ، وَمُوجِدٌ فَمَجَدَ ،  
وَقُورِعٌ ففَازَ سَهْمَهُ ، فَهُوَ خَلَفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا خَلَفَ مِنْهُ . » فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ :  
« اجْلِسْ يَا أُمِيَّةَ . فَلَقَدْ أَوْسَعْتَ وَأَحْسَنْتَ . »

قَالَ مَعَاوِيَةُ : « أَوْ كَلِّكُمْ قَدْ أَجْمَعُ عَلَى هَذَا رَأْيَهُ ؟ » فَقَالُوا : « كَلْنَا قَدْ أَجْمَعُ »

(١) العمى هنا : ذهاب بصر القلب . (٢) الفهم والفه : العيب ، فهو كفرح فهامة .  
(٣) احتجن المال : ضمه واحتواه . (٤) المشقة . (٥) الجذع : الشاب الحدث .  
(٦) أي شديد مجرب ، وهو في الأصل وصف للفرس ، قرح الفرس قروحا : إذا ألقى أقصى أسنانه  
( وله أربع أسنان يتحول من بعضها إلى بعض ، يكون جذعا - وذلك إذا كان في السنة الثانية -  
ثم ثنيا « بفتح فكسر مع تشديد الياء » - في السنة الثالثة - ثم رباعيا « بفتح أوله وثانيه وتخفيف الياء » - إذا  
سقطت رباعيته ، ونبت مكانها سن وذلك إذا استتم الرابعة - ثم قارحا - إذا سقطت السن التي تلي رباعيته  
ونبت مكانها نابه ، وهو قارحه الذي صار به قارحا ، وليس بعد القروح سقوط سن ، ولانبات سن ، وذلك  
إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة ) .

رأيه على ما ذكرنا . قال : « فأين الأحنف ؟ » فأجابه ، قال : « ألا تتكلم ؟ »  
فقام الأحنف .

### ٢٢٩ - خطبة الأحنف بن قيس

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إن الناس قد أمسوا في مُنْكَرٍ زمانٍ قد سَلَفَ ،  
ومعروفٍ زمانٍ مُؤْتَنَفٍ <sup>(١)</sup> ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نِعَمَ الخَلَفِ ، فإن تُوَلَّهَ عهدك ،  
فمن غير كبير مُفْنٍ ، أو مَرَضٍ مُضْنٍ ، وقد حَكَبَتِ الدهور <sup>(٢)</sup> ، وجُرَّبتِ الأمور ،  
فَاعْرِفْ من تُسْنِدُ إليه عهدك ، ومن تَوَايَه الأمر من بعدك ، وَاَعْصِ رَأْيَ من يَأْمُرُك ،  
ولا يَقْدِرُ لَكَ ، ويشير عليك ولا ينظر لك ، وأنت أنظَرُ للجماعة ، وأعلم باستقامة الطاعة ،  
مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهـذا ، ولا يباليون بيزيد ما كان  
الحسن <sup>(٣)</sup> حياً . »

### ٢٣٠ - خطبة الضحاک بن قيس

فغضب الضحاک بن قيس ، فقام الثانية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إن أهل النِّفَاقِ من أهل العراق ، مُرُوءَتُهُمْ في أنفسهم  
الشقاقُ ، وَأُلْفَتُهُمْ في دينهم الفِرَاقُ ، يَرَوْنَ الحق على أهوائِهِمْ <sup>(٤)</sup> ، كأنما ينظرون

(١) مستأنف . (٢) هكذا في مروج الذهب . وفي الإمامة والسياسة : « وقد حلبت الدهر أشطره »

وأصله من حلب شطرى الناقة ( يفتح الشين ) ولها شطران : قادمان وآخران ( بكسر الخاء ) والشطركل

خلفين من أخلافها ، والخلف ( بكسر الخاء ) لها كالضرع للبقرة ، وهو مثل يضرب للمجرب ، وأشطره بدل

من الدهر منصوب . (٣) هذا وما ورد في كلام الضحاک والأحنف بعد ، يدل على أن تلك الخطب كانت

في حياة الحسن بن علي كما أشرنا إليه قبل . (٤) أى على أغراضهم وميولهم .

بأقفائهم . اختالوا جهلاً وبطراً . لا يرقبون من الله راقبةً ، ولا يخافون وبال عاقبةٍ ،  
 اتخذوا إبليسَ لهم ربّاً ، واتخذهم إبليسُ حزباً . فمن يُقاربوه لا يسرّوه ، ومن يفارقوه  
 لا يضرّوه . فادفع رأيهم يا أمير المؤمنين في نحورهم ، وكلامهم في صدورهم ، ما للحسن  
 وذوى الحسن في ساطن الله الذي استخافَ به معاوية في أرضه ؟ هيهات لا تُورث  
 الخلافة عن كلالته . ولا يحجب غيرُ الذِّكْرِ العَصْبَةَ . فوطنوا أنفسكم بأهل العراق  
 على المناصحة لإمامكم . وكانبِ نبيكم<sup>(١)</sup> وصهره<sup>(٢)</sup> ، يسلم لكم العاجلُ ، وترجوا  
 من الآجل .

### ٢٣١ - خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
 « يا أمير المؤمنين : إنا قد فررنا<sup>(٣)</sup> عنك قريشاً ، فوجدناك أكرمهم زندياً ،  
 وأشدّها عقداً ، وأوفاهما عهداً ، وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة<sup>(٤)</sup> . ولم تظهر عليها  
 قمصاً<sup>(٥)</sup> ، ولكنك أعطيت الحسن بن عليّ من عهد الله ما قد علمت ، ليكون له الأمر  
 من بعدك ، فإن تفتأ أنت أهلُ الوفاء ، وإن تغدر<sup>(٦)</sup> تعلم والله أن وراء الحسن خيولاً  
 جياداً ، وأزرعاً شداداً ، وسيوفاً حداداً ، إن تدنُّ له شبراً من غدر ، تجدُّ وراءه باعاً  
 من نصر ، وإنك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ، ولا أبغضوا علينا وحسننا  
 منذ أحبوا ، وما نزل عليهم في ذلك خبر من السماء ، وإن السيوف التي شمرّوها عليك  
 مع عليّ يوم صفين لعلّى هو آتتهم ، والقلوب التي أبغضوك بها ، لبين جوائنحهم ، وإيم الله  
 إن الحسن لأحبُّ إلى أهل العراق من عليّ . »

(١) وكان معاوية من كتاب الوحي . (٢) وكانت أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج  
 النبي عليه الصلاة والسلام . (٣) فر الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما فيها ، وفر عن الأمر : بحث عنه .  
 (٤) فتح البلد عنوة : أي قهراً . (٥) مات قمصاً : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .  
 (٦) غدره وغدر به كنصر وضرب وسمع .

## ٢٣٢ - خطبة عبد الرحمن بن عثمان الثقفي

ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
 « أصاح الله أمير المؤمنين ، إن رأى الناس مختلفين ، وكثير منهم منحرف ،  
 لا يدعون أحداً إلى رشاد ، ولا يجيبون داعياً إلى سداد ، بجانبون لرأى الخلفاء ، مخالفون  
 لهم في السنة والقضاء ، وقد وقفت يزيد في أحسن القضية ، وأرضاهما ليحمل الرعية ،  
 فإذا خار الله لك فاعزم ، ثم اقطع قالة الكلام ، فإن يزيد أعظمنا حِلماً وعلماً ، وأوسعنا  
 كنفاً ، وخيرنا سلفاً ، قد أحكمته التجارب ، وقصدت به سبل المذاهب ، فلا يصرفنك  
 عن بيعته صارف ، ولا يقفن بك دونها واقف ، ممن هو شاسع<sup>(١)</sup> عاص ، ينوص<sup>(٢)</sup>  
 للفتنة كل مناص ، لسانه ملتوي ، وفي صدره داء دوي ، إن قال فشرُّ قائل ، وإن  
 سكت فداء غائل<sup>(٣)</sup> ، قد عرفنا من هم أولئك ، وما هم عليه لك ، من المجانبية للتوفيق ،  
 والتكلف للتفريق ، فاجلُ ببيعته عنا العمة ، واجمع به شمل الأمة ، ولا تحد عنه  
 إذ هُديت له ، ولا تنبش عنه إذ وفقت له ، فإن ذلك الرأى لنا ولك ، والحق علينا  
 وعليك . أسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه . »

## ٢٣٣ - خطبة معاوية

فقام معاوية ، فقال :

« أيها الناس : إن لإبليس من الناس إخواناً وخُلَائناً ، بهم يستعدُّ ، وإياهم يستعين  
 وعلى ألسنتهم ينطق ، إن رجوا طامعاً أو جفوا<sup>(٤)</sup> ، وإن استغنى عنهم أرجفوا<sup>(٥)</sup> ،

(١) من شمع المنزل كنع : بعد . (٢) ناص مناصا : تحرك . (٣) من غاله : أى أهلكه .

(٤) أسرعوا ، وجف البعير والفرس وجيفا : عدا ، وأرجفته : إذا أعديته ، قال تعالى :

« فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ » أى ما أعلمكم .

(٥) أرجف القوم : خاضوا في أخبار الفتن ونحوها ، قال تعالى : « وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ » .

ثم يُلْقِحُونَ<sup>(١)</sup> الفتن بالفُجُور ، ويشققون لها حطب النفاق ، عَيَّابُونَ مرتابون ، إن لَوَّأَ عُرُوةَ أمرٍ حَنَفُوا ، وإن دُعُوا إلى غيِّ أسرفوا ، ولبسوا أولئك بِمُنْتَهَبِينَ وَلَا بِمُقْلَعِينَ وَلَا مَتَّعِينَ ، حتى تصيبهم صواعق<sup>(٢)</sup> خزيٍ وبيل ، وتُحَلَّ بهم قوارع<sup>(٣)</sup> أمرٍ جليل ، نَجَتْ<sup>(٤)</sup> أصولهم كاجتثاث أصول الفقع ، فأولى لِأولئك ثم أولى ، فإننا قد قدَّمنا وأنذرنا ، إن أغنى التقدم شيئاً أو نفع النذر<sup>(٥)</sup> .

### ٢٣٤ - خطبة يزيد بن المقنن

ثم قام يزيد بن المقنن ، فقال :  
« أمير المؤمنين هذا - وأشار إلى معاوية - ، فإن هلك فهذا - وأشار إلى يزيد - ، فمن أبي فهذا - وأشار إلى سيفه » ، فقال معاوية : اجاس فإنك سيد الخطباء .

### ٢٣٥ - خطبة الأحنف

ثم تكلم الأحنف بن قيس ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين : أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ، وسره وعلايقه ، ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه لله رِضاً ولهذه الأمة ، فلا تشاور الناس فيه ، وإن كنت تعلم

(١) في الأصل « يلحقون » وهو تحريف ، وصوابه : « يلحقون » من ألحق الناقة والنخلة .

(٢) جمع صاعقة : وهي الموت وكل عذاب مهلك . وأرض وبيلة : وخيمة المرتع .

(٣) جمع قارعة ، وهي الداهية الفاجئة . قال تعالى : « وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ

بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً » . (٤) تقتلع ، والفتح بالفتح ويكسر : البيضاء الرخوة من الكماة .

(٥) النذر : الإنذار . قال تعالى : « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي » أي إنذارى . وفي الإمامة

والسياسة عقب هذه الخطبة : « فدعا معاوية للضحك فولاه الكوفة ، ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة » .

منه غير ذلك ، فلا تزوذه الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة ، فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب ، واعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم من هاهنا ، وإلى ما هما ، وإنما علينا أن نقول : « سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » .

قال صاحب العقد : فتفرق الناس ، ولم يذكروا إلا كلام الأحنف ، ثم بايع الناس يزيد بن معاوية ، فقال رجل وقد دُعِيَ إلى البيعة « اللهم إني أعوذ بك من شر معاوية » فقال له معاوية : « تعوذ من شر نفسك ، فإنه أشد عليك وبايع » فقال : « إني أبايع وأنا كاره للبيعة » ، فقال له معاوية : بايع أيها الرجل فإن الله يقول : « فَمَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .

أما ابن قتيبة فيقول :

قالوا : فاستخار الله معاوية ، وأعرض عن ذكر البيعة ، حتى قدم المدينة سنة خمس ، فتلقاء الناس ، فلما استقر في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وأمر حاجبه ألا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر ، فلما جلسوا تكلم معاوية فقال :

### ٢٣٦ - خطبة معاوية

« الحمد لله الذي أمرنا بحمده ، ووعدنا عليه ثوابه ، ونحمده كثيراً ، كما أنعم علينا كثيراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد : فإني قد كبر سنِّي ، وَوَهَنَ عَظْمِي ، وَقَرُبَ أَجْلِي ، وَأَوْشَكَتُ أَنْ أُدْعَى فَأَجِيبُ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ بَعْدِي يَزِيدُ ، وَرَأَيْتَهُ لَكُمْ رِضًا ، وَأَنْتُمْ عِبَادَةٌ لِقُرَيْشٍ وَخِيَارُهَا وَأَبْنَاءُ خِيَارِهَا ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحْضِرَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا إِلَّا أَنْهُمَا أَوْلَادُ أَبِيهِمَا ، عَلَى حُسْنِ رَأْيِي فِيهِمَا ، وَشَدِيدِ مَحَبَّتِي لِهَآءِ ، فَرُدُّوْا عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا ، يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ » .

## ٢٣٧ - خطبة عبد الله بن عباس

فتكلم عبد الله بن عباس فقال :

« الحمد لله الذي أَلْهَمْنَا أَنْ نَحْمَدَهُ ، وَاسْتَوْجِبَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ عَلَى آلَائِهِ ، وَحُسْنَ بَلَائِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ فَأَنْصَدْنَا . وَقَاتَ فَسَمِعْنَا ، وَإِنْ اللَّهُ جَلُّ ثَنَائِهِ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، اخْتَارَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرِسَالَتِهِ ، وَاخْتَارَهُ لَوْحِيهِ ، وَشَرَّفَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، فَأَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ تَشَرَّفَ بِهِ ، وَأَوْلَاهُمْ بِالْأَمْرِ أَخْصَهُمْ بِهِ ، وَإِنَّمَا عَلَى الْأُمَّةِ التَّسْلِيمُ لِنَبِيِّهَا إِذْ اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهَا ، فَإِنَّهُ إِذَا اخْتَارَ مُحَمَّدًا بَعْلَمَهُ ، وَهُوَ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ . »

## ٢٣٨ - خطبة عبد الله بن جعفر

فقام عبد الله بن جعفر فقال :

« الحمد لله أهل الحمد ومُنْتَهَاهَا ، نَحْمَدُهُ عَلَى إِلهَامِنَا حَمْدَهُ ، وَنَرْغِبُ إِلَيْهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاحِدًا صَدَدًا<sup>(١)</sup> ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ هَذِهِ الْخِلَافَةَ إِنِ اخْتِذَ فِيهَا بِالْقُرْآنِ : فَ« أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » وَإِنْ اخْتِذَ فِيهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَأُولُو رَسُولِ اللَّهِ ، وَإِنْ اخْتِذَ بِسُنَّةِ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَأَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ وَأَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ آلِ الرَّسُولِ ؟ وَإِمُّ اللَّهِ لَوْ وُلُوهُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ، لَوَضَعُوا الْأَمْرَ مَوْضِعَهُ ، لِحَقِّهِ وَصِدْقِهِ ، وَلَا تُطِيعُ اللَّهُ ، وَعُصِيَ الشَّيْطَانُ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِي الْأُمَّةِ سَيْفَانُ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مَعَاوِيَةَ ، فَإِنَّكَ قَدْ صَرْتَ رَاعِيًا وَنَحْنُ رَعِيَةٌ ، فَانظُرْ لِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ مَسْمُوعٌ عَنْهَا غَدًا ،

(١) الصمد : السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج : أي يقصد ، صمده من باب نصر : قصد .

وأما ما ذكرت من ابني عمي ، وتركك أن تُحضِرهما ، فوالله ما أصبتَ الحق ، ولا يجوز لك ذلك إلا بهما ، وإنك لتعلم أنهما معديت العلم والكرم ، فقل أودع ، وأستغفر الله لي ولكم .

### ٢٣٩ - خطبة عبد الله بن الزبير

فتكلم عبد الله بن الزبير فقال :

« الحمد لله الذي عرفنا دينه ، وأكرمنا برسوله ، أحمدته على ما أبلى وأولى ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ؛ أما بعد : فإن هذه الخلافة لقريش خاصة ، تتناولها بمآثرها السنية ، وأفعالها المرضية ، مع شرف الآباء ، وكرم الأبناء ، فأتق الله يا معاوية ، وأنصف من نفسك ، فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي خلف حسناً وحسيناً ، وأنت تعلم من هما ، وما هما ، فأتق الله يا معاوية ، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك . »

### ٢٤٠ - خطبة عبد الله بن عمر ( المتوفى سنة ٧٤ هـ )

فتكلم عبد الله بن عمر فقال :

الحمد لله الذي أكرمنا بدينه ، وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ؛ أما بعد : فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ، ولا قيصرية ، ولا كسروية ، يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي ، فوالله ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى ، إلا على أن الخلافة ليست شرطاً مشروطاً ، وإنما هي في قریش خاصة ، لمن كان لها أهلاً ، ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم ، من كان أتقى وأرضى ، فإن كنت تريد الفتيان من قریش ، فلعمرى إن يزيد من فتيانها ، واعلم أنه لا يُغني عنك من الله شيئاً .



## ٢٤١ - خطبة معاوية

فتكلم معاوية فقال :

« قد قلتُ وقلتُم ، وإِنَّه قد ذهبت الآباءُ وبقيت الأبناء ، فابني أحبُّ إليَّ من أبنائهم ، مع أن ابني إن قارلتموه<sup>(١)</sup> وجد مقالا ، وإِنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف ، لأنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلى الناسُ أبا بكر وعمر ، من غير معدن الملك ولا الخلافة ، غير أنهما سارا بسيرة جميلة ، ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف ، فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة ، وقد أخرجك الله يا بن الزبير وأنت يا بن عمر منها . فأما ابنا عمي هذان فليسا بخارجين من الرأي إن شاء الله » ثم أمر بالرحلة وأعرض عن ذكر البيعة ليزيد ، ولم يقطع عنهم شيئا من صلواتهم وأعطياتهم<sup>(٢)</sup> ، ثم انصرف راجعا إلى الشام ، وسكت عن البيعة ، فلم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين .

\* \* \*

قال ابن قتيبة : ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله ( سنة ٥١ ) إلا يسيرا حتى بايع ليزيد بالشام ، وكتب ببيعته إلى الآفاق ، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب إليه بذلك ، وأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة ، ثم يبايعوا ليزيد ، فلما قرأ كتاب معاوية أبي من ذلك وأبته قريش ، وكتب إلى معاوية : إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنتك ، فأرني رأيك ، فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله ، ويخبره أنه قد وتى المدينة سعيد بن العاص ، فخرج مروان مغاضبا في أهل بيته وأخواله من بني كنانة حتى أتى دمشق ، ودخل على معاوية ، فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال :

(١) قاول : فاعل من القول ، كجاءت وخاطب وكالم . (٢) أعطيات : جمع أعطية ، وهو جمع عطاء .

## ٢٤٢ - خطبة مروان بن الحكم

« إن الله عظيمٌ خطره ، لا يقدرُ <sup>(١)</sup> قادرٌ قدره ، خالقٌ من خلقه عباداً ، جعلهم لدعائهم دينه أوتاداً . هم رُقباؤه على البلاد ، وخلفاؤه على العباد ، أسفروا <sup>(٢)</sup> بهم الظلم ، وألف بهم الدين ، وشدّد بهم اليقين ، ومنّح بهم الظفر ، ووضع بهم من استكبر ، فكان من قبلك من خلفائنا ، يعرفون ذلك في سالف زماننا ، وكنا نكون لهم على الطاعة إخواناً ، وعلى من خالف عنها أعواناً ، يُشدُّ بنا العَضُدُ ، ويقام بنا الأود ، ونُستشار في القضية ، ونُستأمر <sup>(٣)</sup> في أمر الرعية ، وقد أصبحنا اليوم في أمور مستحيرة <sup>(٤)</sup> ، ذات وجوه مستديرة ، تفتح بأزمة الضلال ، وتجلس <sup>(٥)</sup> بأسوأ الرجال ، يؤكل جزورها <sup>(٦)</sup> ، وتمتق أحلابها <sup>(٧)</sup> ، فإلنا لانستأمر في رضاءها ، ونحن فطامها وأولاد فطامها ، وأئيم الله لولا عهد مؤكدة ، ومواثيق معقدة <sup>(٨)</sup> ، لأقت أود وليها ، فأقم الأمر يا ابن أبي سفيان ، واعدل عن تأميرك الصبيان ، وأعلم أن لك في قومك نظراء ، وأن لهم على مناواتك وزراء .  
فغضب معاوية من كلامه غضباً شديداً ، ثم كظّم غيظه بحلمه ، وأخذ بيد مروان ،

ثم قال :

(١) قدره من باى نصر وضرب وقدره تقديراً : عظمه ، قال تعالى : « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ »  
أى ما عظموه حق تعظيمه . (٢) سفر الصبح وأسفر : أضاء وأشرق ، أو هو متعد من سمرت الحرب  
أى وات ، وسمرت المرأة كشفت عن وجهها ، فالمعنى كشف بهم الظلم . (٣) الاستئار : المشاورة .  
(٤) فى الأصل « مستحيرة » أى مستخير صاحبها ، من استخار الله فى أمره : طلب أن يجعل له فيه الخير ،  
وأرى أنها « مستحيرة » بالحاء : أى مستحير صاحبها أى متحير ، من استحار : إذا نظر إلى الشيء ، فغشى عليه  
ولم يهتد لسبيله ، ويؤيد هذا قوله بعد « ذات وجوه مستديرة » أى مستفلقة مبهمة إيست مستقيمة .  
(٥) جلس البعير كضربه : فشاء بجلس ( بكسر الحاء ) وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة « وفى  
الأصل « وتجلس بأسوأ الرجال » بجمعين وهو تصحيف . (٦) الجزور : البعير ، أو خاص بالناقة  
المجزورة . (٧) امتق الفصيل ماقى الضرع شربه كله ، والأحلاب جمع حلب ( بفتح تين ) وهو اللبن المحلوب .  
(٨) اسم مفعول من عقد بالتشديد مضعف عقد الحبل والبيع والعهد : إذا شده .

## ٢٤٣ - خطبة معاوية

« إن الله قد جعل لكل شيء أصلاً ، وجعل لكل خير أهلاً ، ثم جعلك في الكرم مني محتداً<sup>(١)</sup> ، والعزيم مني والدأ ، اخترت من قروم<sup>(٢)</sup> قادة ، ثم استللت سيّد سادة ، فأنت ابن يبايع الكرم ، فمرّ حباً بك وأهلاً من ابن عم ، ذكرت خلفاء مفقودين ، شهداء صديقين ، كانوا كما نعت ، وكنت لهم كما ذكرت ، وقد أصبحنا في أمور مستحيرة ، ذات وجوه مستديرة ، وبك والله يا بن العم نرجو استقامة أودها ، وذلوله<sup>(٣)</sup> صعبتها ، وسفور ظلمتها ، حتى يتطأطأ<sup>(٤)</sup> جسيمها ، وبركب بك عظيمها ، فأنت نظير أمير المؤمنين ، وعدته في كل شديدة وعضده ، والثاني بعد وليّ عهد ، فقد وليتكم قومك ، وأعظمت في الخراج سهمك ، وأنا مجيز وفدك ، ومحسن رفدك<sup>(٥)</sup> ، وعلى أمير المؤمنين غناك ، والنزول عند رضاك<sup>(٦)</sup> . »

## ٢٤٤ - مروان وعبد الرحمن بن أبي بكر

وروى أن مروان لما ورد عليه كتاب معاوية ، قرأه على أهل المدينة وقال :  
« إن أمير المؤمنين قد كبر سنه ، ودقّ عظمه ، وقد خاف أن يأتيه أمر الله تعالى ، فيدع الناس كالغنم لاراعى لها ، وقد أحب أن يُعَلِّمَ علماً ، ويقيم إماماً » ، فقالوا : وفق الله أمير المؤمنين وسدده ، ليفعل ، فكتب بذلك إلى معاوية ، فكتب إليه أن سمّ يزيد ،

(١) المختد: الأصل . (٢) جمع قرم بالفتح : وهو السيد . (٣) هكذا في الأصل ، وفي كتب اللغة : « الذل بالكسر والضم اللين وهو ضد الصعوبة ، ذل فهو ذلول ، يكون في الإنسان والدابة . »  
(٤) طأطأ رأسه : خفضه فتطأطأ . (٥) الرفد : العطاء والصلة . (٦) قال المسمودي :  
« وجعله ولي عهد يزيد : وردّه إلى المدينة ، ثم إنه عزله عنها ، وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد » ، وقال ابن قتيبة : « فكان أول مارزق ألف دينار في كل هلال ، وفرض له في أهل بيته مائة مائة . »

فقرأ الكتاب عليهم وسمى يزيد ، وخطبهم فخصهم على الطاعة ، وحذرهم الفتنة ، ودعاهم إلى بيعة يزيد وقال : سنة أبي بكر الهادية المهدية ، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال : « كذبت والله يا مروان ، وكذب معاوية معك ، إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة ، وباع لرجل من بني عدي رضي دينه وأمانته ، واختاره لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يكون ذلك ، لا تحدثوا علينا سنة الروم ، كما مات هرقل قام مكانه هرقل ، فقال مروان : « أيها الناس : إن هذا المتكلم هو الذي أنزل الله فيه : « وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ أَنْ تُعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي <sup>(۱)</sup> » ، فقال له عبد الرحمن :

(۱) أخرج : أبعث ، قال صاحب الأمالي : « سمعت ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت : الابن الصديق يقول هذا ؟ استروني فستروها ، فقالت : كذبت والله يا مروان إن ذلك لرجل معروف نسبه » ، وقال المفسرون في هذه الآية : « والمراد ( بالذي قال ) الجنس القائل ذلك القول ، وعن الحسن : هو في الكافر العاق لوالديه ، المكذب بالبعث ، وعن قتادة : نعت عبد سوء : عاق لوالديه ، فاجر لربه ، وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه ، وقد دعاه أبوه أبوبكر وأمه أم رومان إلى الإسلام ، فأفف بهما ، وقال : ابعثوا إلى جدعان بن عمرو ، وعثمان بن عمرو - وهما من أجداده - حتى أسألها عما يقول محمد ، ويشهد ببطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك ، وأن قوله : « الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ » هم أصحاب النار ، وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم . وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه ، وحين كتب معاوية إلى مروان أن يبايع الناس ليزيد ، قال عبد الرحمن : لقد جئتم بها هرقلية ، أتبايعون لأبنائكم ؟ فقال مروان : يأبها الناس هو الذي قال الله فيه « والذي قال لوالديه . . . الآية » فسمعت عائشة فغضبت ، وقالت : « والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ، أما أنت يا مروان ، فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه ، فأنت فضض من لعنة الله » اهـ .  
( وقولها فضض كجبل ويروى كعنق وغراب أي قطعة منها ) .

وجاء في السيرة الحلبية ( ۱ : ۲ : ۳ ) : « عن الواقدي ، استأذن الحكم بن أبي العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف صوته ، فقال : « ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه إلا المؤمنين منهم - وقليل ما هم - ذوو مكر وخديعة ، يعطون الدنيا ، وما لهم في الآخرة من خلاق » ، وكان لا يواد لأحد واد بالمدينة إلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتى إليه بمروان لما ولد ، فقال : « هو الوزغ بن الوزغ ، الملعون بن الملعون » وعن جبير بن مطعم : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فر الحكم بن أبي العاص ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ويل لأمتي بما في صلب هذا » .

« يا بن الزرقاء<sup>(١)</sup> ، أفينا تناول القرآن ؟ » وتكلم الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ،  
وعبد الله بن عمر ، وأنكروا بيعة يزيد ، وتفرق الناس ، فكتب مروان إلى معاوية بذلك .  
قال ابن قتيبة : فقدم معاوية المدينة حاجاً ، ثم أرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله  
ابن عباس فحضرا ، وابتدأ معاوية فقال :

### ٢٤٥ - خطبة معاوية

« أما بعد : فالحمد لله وليّ النعم ، ومُنزل النعم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، المتعالى عما  
يقول الملحّدون علواً كبيراً ، وأن محمداً عبده المختصّ المبعوث إلى الجن والإنس كافّة ،  
لِينذِرَهُمْ بقرآن : « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » ،  
فأدى عن الله ، وَصَدَعَ<sup>(٢)</sup> بأمره ، وصبر على الأذى في جنبه ، حتى أوضح دين الله ،  
وأعزّ أولياءه ، وقمع المشركين ، وظهر أمرُ الله وهم كارهون ، ففضى صلوات الله عليه ،  
وقد ترك من الدنيا ما بذل له ، واختار منها الترك لما سُخِّرَ له ، زهادة واختياراً لله ، وأنفةً  
واقتراراً على الصبر ، وبغياً لما يدوم ويبقى ، وهذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم  
خلفه رجالان محفوظان ، وثالثٌ مشكوك ، وبين ذلك خووضٌ طالما عالجناه ، مشاهدةً

وجاء في أسد الغابة في ترجمته : « ذكره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، في هجائه لعبد الرحمن  
ابن الحكم ، فقال :

إن اللعين أبوك فارم عظامه  
إن ترم ترم مخلجنا مجنوننا

وقد روى في لعنه وثفيه أحاديث كثيرة لاجابة إلى ذكرها ، إلا أن الأمر المقطوع به أن النبي صلى الله  
عليه وسلم ، مع حلمه وإغضائه على ما يكره ، مافعل به ذلك إلا لأمر عظيم ، وجاء في الفخرى ص ١٠٨  
« ورويت أحاديث وأخبار في لعنة الحكم بن ابى العاص ، ولعنة من في صلبه ، وضرفها قوم » .

(١) في الفخرى ص ١٠٨ « وكان من أراد ذم مروان وعيبه يقول له يا بن الزرقاء » قالوا : وكانت  
الزرقاء جدتهم من ذوات الرايات التي يستدل بها على بيوت البغايا في الجاهلية ، فلذلك كانوا يذمون بها .

(٢) قوله تعالى : « فَأَصْدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ » أى شق جماعاتهم ، بالتوحيد أو اجهر بالقرآن ، أو أظهر  
أو احكم بالحق وافصل بالأمر ، أو اقصد بما تؤمر ، أو افرق به بين الحق والباطل .

وَمَكَافَهَةً ، وَمَعَابِنَةً وَسَمَاعًا ، وَمَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَوْقَ مَا تَعْلَمَانِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ يَزِيدَ مَا سَبَقْتُمْ  
إِلَيْهِ وَإِلَى تَجْوِيزِهِ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا أَحْوَلُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الرَّعِيَةِ ، مِنْ سَدِّ الْخَلَلِ ، وَلَمْ يَصْدَعْ  
بِوَلَايَةِ يَزِيدَ ، بِمَا أَيْقَظَ الْعَيْنَ ، وَأُحْمَدَ الْفِعْلَ ، هَذَا مَعْنَايَ فِي يَزِيدَ ، وَفِيكَافَاةِ الْقَرَابَةِ ،  
وَحِطْوَةِ الْعِلْمِ ، وَكَمَالِ الْمُرُوءَةِ ، وَقَدْ أَصَبْتُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ يَزِيدَ عَلَى الْمُنَظَرَةِ وَالْمُقَابَلَةِ ،  
مَا أَعْيَانِي مِثْلَهُ عِنْدَكُمَا ، وَعِنْدَ غَيْرِكُمَا ، مَعَ عِلْمِهِ بِالسَّنَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَالْحِلْمِ الَّذِي يَرْجَحُ  
بِالصَّمِّ<sup>(١)</sup> الصَّلَابَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ الرَّسُولَ الْمَحْفُوظَ بِعِصْمَةِ الرَّسَالَةِ ، قَدَّمَ عَلَى الصَّدِيقِ  
وَالْفَارُوقِ ، وَمَنْ دُونَهُمَا مِنْ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ ، وَأَوَائِلِ الْمُهَاجِرِينَ ، يَوْمَ غَزْوَةِ ذَاتِ  
السَّلَاسِلِ<sup>(٢)</sup> ، مَنْ لَمْ يَقَارِبِ الْقَوْمَ ، وَلَمْ يَعَانِدْهُمْ<sup>(٣)</sup> ، بِرَتْبَةٍ فِي قَرَابَةِ مَوْصُولَةٍ ، وَلَا سُنَّةِ  
مَدْكُورَةٍ ، فَقَادَهُمُ الرَّجُلُ بِأَمْرِهِ ، وَجَمَعَ بِهِمْ صَلَاتَهُمْ ، وَحَفِظَ عَلَيْهِمْ فَيَّهِمْ ، وَقَالَ وَلَمْ  
يُقَلِّمْ مَعَهُ ، وَفِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، فَهَلَّا بَنَى عَبْدَ الْمَطْلَبِ ، فَإِنَا  
وَأَنْتُمْ شَعْبًا نَفَعٌ وَجِدٌّ ، وَمَا زِلْتُمْ أَرْجُو الْإِنصَافَ فِي اجْتِمَاعِكُمَا ، فَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ إِلَّا  
بِفَضْلِ قَوْلِكُمَا ، فَرُدَّا عَلَى ذِي رَحِمٍ مُسْتَعْتَبٍ ، مَا يَحْمَدُ بِهِ الْبَصِيرَةَ فِي عِنَابِكُمَا ، وَأَسْتَغْفِرُ  
اللَّهُ لِي وَلكُمَا .

فَقَيْسَرُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِلْكَلَامِ ، وَنَصَبَ يَدَهُ لِمُخَاطَبَةِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ وَقَالَ : عَلَى  
رِسْلِكَ ، فَأَنَا الْمُرَادُ ، وَنَصِيبِي فِي النَّهْمَةِ أَوْفَرُ ، فَأَمْسَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَقَامَ الْحُسَيْنُ :

(١) الصم جمع أصم : وهو الحجر الصلب المصمت . (٢) غزوة ذات السلاسل ، وهي وراوادي  
القرى من أرض بني عذرة : غزاها سرية عمرو بن العاص سنة ثمان للهجرة ، وكان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بعثه يستنفر العرب إلى الشام ، فلما كان على ماء بأرض جذام ، يقال له السلسل - وبذلك سميت تلك الغزوة  
غزوة ذات السلاسل - خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث إليه رسول الله أبا عبيدة  
ابن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ، فخرج  
أبو عبيدة ، حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو : إنما جئت مددالي ، قال أبو عبيدة : لا ، ولكني على ما أنا  
عليه ، وأنت هل ما أنت عليه - وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا ، هينا عليه أمر الدنيا - فقال له عمرو : بل  
أنت مددلي ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : لا تختلفا ، وإنك إن  
عصيتني أظعتك ، قال : فإني الأمير عليك ، وأنت مددلي ، قال : فدونك . فصلي عمرو بالناس .  
(٣) المعاندة : المفارقة ، أي ولم يمتز عليهم برتبة .

## ٢٤٦ - خطبة الحسين

فحمد الله ، وصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد يا معاريفه ، فلن يُؤدِّيَ القائلُ - وإن أطنبَ - في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميعِ جزءا ، قد فهمتُ ما ألبستُ<sup>(١)</sup> به الخلفَ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من إيجاز الصفة ، والتنكب عن استبلاغ البيعة ، وهيئات هيات يا معاوية ! فضح الصبحُ فحمة الدُحى ، وَهَرَّتْ<sup>(٢)</sup> الشمسُ أنوارَ السُّرُجِ ، ولقد فضلتَ حتى أفرطتَ ، واستأثرتَ حتى أجبحتَ ، ومنعتَ حتى بنجيتَ ، وَجَرَّتْ حتى جاوزتَ ، ما بذات لذي حقٍ من أتمَّ حقه بنصيبٍ ، حتى أخذ الشيطانُ حظَّه الأوفر ، ونصيبه الأكل ، وفهمت ما ذكرته عن يزيد ، من اكتماله وسياسته لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنك تصيف محجوباً ، أو تنعت غائباً ، أو تُخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص ، وقد دلَّ يزيدُ من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه<sup>(٣)</sup> الكلابِ المهارشة<sup>(٤)</sup> عند التحارش ، والحمامِ الشَّبَقِ لأثرِ أسنِّ ، وَالْقَيْنَاتِ<sup>(٥)</sup> ذواتِ المعازِفِ ، وضروبِ الملاهي ، نجدُه ناصراً ، ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية ، فوالله ما برحتَ تقدِّم باطلاً في جور ، وَحَنَقاً في ظلم ، حتى ملأتَ الأستقيّة ، وما بينك وبين الموت إلا غمضةٌ ، فتقدِّم على عمل محفوظ . في يوم مشهود ، ولات حين مناصٍ ، ورأيتك عرَّضت بنا بعد هذا الأمر ، وَمَنَعْتَنَا عن آبائنا تراثاً ، ولقد - لعمرُ الله - أورثنا الرسول عليه الصلاة والسلام

(١) ألبسه : غطاه . (٢) يقال بهر القمر كنع : غلب ضوءه ضوء الكواكب ، والمرج جمع سراج : وهو المصباح . (٣) استقرأه الأشياء : تتبع أفرادها . (٤) المهارشة : تحريش بعضها على بعض . (٥) جمع قينة : وهي الجارية المغنية أو أعم ، والمعازف : الآلات التي يضرب بها كالعود ، جمع معزف كمنبر .

ولادة ، وجئت لنا بما حَجَجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَأَذَعَنَ  
لِلْحِجَّةِ بِذَلِكَ ، وَرَدَّهُ الْإِيمَانَ إِلَى النَّصْفِ ، فَرَكِبْتُمُ الْأَعَالِيلَ ، وَفَعَلْتُمُ الْأَفَاعِيلَ ، وَقَلْتُمْ كَأَنَّ  
وَيَكُونُ ، حَتَّى أَتَاكَ الْأَمْرُ يَا مَعَاوِيَةَ ، مِنْ طَرِيقٍ كَأَنَّ قَصْدَهَا لَغَيْرِكَ ، فَهَنَّاكَ <sup>(١)</sup> ، فَاعْتَبَرُوا  
يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ ، وَذَكَرْتَ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بِمَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
وَتَأْمِيرَهُ لَهُ ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ ، وَاعْمُرُوا بِنِهَايَةِ الْعَاصِ يَوْمَئِذٍ فَضِيلَةً ، بِصُحْبَةِ الرَّسُولِ وَبِيعْتِهِ لَهُ  
وَمَا صَارَ لِعَمْرٍ وَيَوْمَئِذٍ حَتَّى أَنْفَى الْقَوْمَ بِأَمْرَتِهِ ، وَكَرِهُوا تَقْدِيمَهُ وَعَدُّوا عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا جَرَمَ <sup>(٢)</sup> مَعِشَرِ الْمُهَاجِرِينَ ، لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي » . فَكَيْفَ  
يُحْتَجَّجُ بِالْمَنْسُوخِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ ، فِي أَوْكَادِ الْأَحْوَالِ ، وَأَوْلَاهَا بِالْمَجْتَمَعِ عَلَيْهِ مِنَ  
الصَّوَابِ ؟ أَمْ كَيْفَ صَاحِبَتِ بِصَاحِبٍ تَابِعًا ، وَحَوْلَكَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ فِي صَحْبَتِهِ ، وَلَا يُعْتَمَدُ  
فِي دِينِهِ وَقَرَابَتِهِ ، وَتَتَخَطَّاهُمْ إِلَى مُسْرَفِ مَفْتُونٍ ؟ تَرِيدُ أَنْ تُلْبَسَ النَّاسَ شُبُهَةً ، يَسْعَدُ  
بِهَا الْبَاقِي فِي دُنْيَاهُ ، وَتَشْتَقِي بِهَا فِي آخِرَتِكَ ، إِنْ هَذَا هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ، وَأَسْتَغْفِرُ  
اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

فَنظَرَ مَعَاوِيَةَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَمَا عِنْدَكَ أَذْهَى وَأَمْرًا !  
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لِعَمْرٍ اللَّهُ ، إِنَّهَا لَدُرِّيَّةُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأَحَدُ أَصْحَابِ  
الْكِسَاءِ <sup>(٣)</sup> ، وَمَنْ الْبَيْتُ الْمُطَهَّرُ ، قَالَهُ عَمَّا تَرِيدُ ، فَإِنَّ لَكَ فِي النَّاسِ مَقْنَعًا ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ  
بِأَمْرِهِ ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : أَعْوَدُ <sup>(٤)</sup> الْحَلِيمَ التَّحَلُّمُ ، وَخَيْرُهُ التَّحَلُّمُ عَنِ  
الْأَهْلِ . انصرفا في حفظ الله .

ثُمَّ أَرْسَلَ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ  
ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَجَلَسُوا .

(١) مسهل عن هنا ، يقال هنا الطعام : إذا ساغ ولد ، أي فهنيئًا لك ما نلت من الخلافة .

(٢) لا جرم : قال الفراء « هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة ، فجرت على ذلك وكثرت  
حتى تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقا ، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم ، ألا تراهم  
يقولون : « لا جرم لأتيناك » . (٣) انظر ص ٣٢ . (٤) أعود : أنفع ، والعائدة : المنفعة .



## ٢٤٧ - خطبة معاوية

فحمد الله ، وأثنى عليه معاوية ، ثم قال :

« يا عبد الله بن عمر : قد كنت تحذرننا أنك لا تحب أن تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة ، وأن لك الدنيا وما فيها . وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين ، وتسعى في تفريق مملكتهم<sup>(١)</sup> ، وأن تسفك دماءهم ، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء ، وليس للعباد خيرة من أمرهم ، وقد وكّد الناس بيعتهم في أعناقهم . وأعطوا هلى ذلك عهدهم موأثيقهم » . ثم سكت .

## ٢٤٨ - خطبة عبد الله بن عمر

فتكلم عبد الله بن عمر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : يا معاوية ، لقد كان قبلك خلفاء ، وكان لهم بنون ، ليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ، فلم يحابوا في هذا الأمر أحدا ، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم ، وأنت تحذرنى أن أشق عصا المسلمين ، وأفرق ملامهم ، وأسفك دماءهم ، ولم أكن لأفعل ذلك إن شاء الله ، ولكن إن استقام الناس ، فسأدخل في صالح ما تدخل فيه أمة محمد » .

فقال معاوية : يرحمك الله ، ليس عندك خلاف ، ثم قال معاوية لعبد الرحمن ابن أبي بكر نحو ما قاله لعبد الله بن عمر ، فقال له عبد الرحمن : إنك والله لو ددنا أن نكلك إلى الله فيما جئرت عليه من أمر يزيد ، والذي نفسى بيده لتجعلننا شورى ، أو لأعيدننا جذعة ، ثم قام ليخرج ، فتعلق معاوية بطرف رداؤه ، ثم قال : هلى رسلك

(١) الملائكة : الجماعة .

اللهم اكفنيه بما شئت ، لا تظهرن لأهل الشام ، فإني أخشى عليك منهم ، ثم قال لابن الزبير نحو ما قاله لابن عمر ، ثم قال له : أنت ثعلب رَوَّاع ، كلما خرجت من جُحْر الجَحْرَتِ<sup>(١)</sup> في آخر ، أنت ألبت<sup>(٢)</sup> هذين الرجلين ، وأخرجتهما إلى ما خرجا إليه . فقال ابن الزبير : أتريد أن تباع ليزيد ؟ أرأيت إن بايعناه أبكما نطيع ؟ أنطيعك أم نطيعه ، إن كنت مللت الخلافة فأخرج منها ، وباع ليزيد ، ففحن نبايعه ، فكثرت كلامه وكلام ابن الزبير ، حتى قال له معاوية في بعض كلامه : والله ما أراك إلا قاتلاً نفسك ، وأكأني بك قد تحببت في الجبال . ثم أمرهم بالانصراف ، واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج ، ثم خرج فأمر المنادي أن ينادي في الناس ، أن يجتمعوا لأمر جامع فاجتمع الناس في المسجد ، وقعد هؤلاء حول المنبر .

### ٢٤٩ — خطبة معاوية

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر يزيد وفضله وقراءته للقرآن ، ثم قال : « يا أهل المدينة ، لقد هممتُ ببيعة يزيد ، وما تركتُ قرية ولا مدرة<sup>(٣)</sup> إلا بعثتُ إليها ببيعته ، فباع الناس جميعاً وسلموا ، وأخرتُ المدينة ببيعته ، وقلتُ : ببيئته<sup>(٤)</sup> ، وأصله ومن لا أخافهم عليه ، وكان الذين أبوا البيعة ، منهم من كان أجدر أن يعاله . والله لو علمتُ مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لباعته له . »

فقام الحسين فقال : « والله لقد تركتُ مَنْ هو خيرٌ منه أباً وأماً ونفساً ! فقال معاوية « كأنك تريد نفسك ؟ » فقال الحسين : « نعم . أصلحك الله » ! فقال معاوية : « إذن أخبرك ، أما قولك : خيرٌ منه أما ، فلعمرى أمك خيرٌ من أمه ، ولو لم يكن إلا أنها امرأة من قريش ، لكان نساء قريش أفضلهن . فكيف وهي ابنة رسول الله صلى

(١) أي دخلت ، جحر الضب كنع : دخل الجحر ، وجحر فلان الضب : أدخله فيه ، فأنجحر .

(٢) التأييب : التحريض والإفساد . (٣) المدرة : المدينة . (٤) جماعته وأصله .

الله عليه وسلم ثم فاطمة في دينها وسابقتها ؟ فأمكن لعمر الله خير من أمه<sup>(١)</sup> . وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله ، ففضى لأبيه على أبيك » . فقال الحسين : « حَسْبُكَ جَهَنُّكَ . آثَرَتَ العَاجِلَ عَلَى الآجِلِ » . فقال معاوية : « وأما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً ، فيزيدُ والله خير لأمة محمد منك » . فقال الحسين : « هذا هو الإفك والزور ! يزيدُ شاربُ الخمر . ومشتري اللهو خيرٌ مني ! » فقال معاوية : « مهلاً عن شتم ابن عمك . فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك » ، ثم التفت معاوية إلى الناس . وقال : « أيها الناس : قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف أحداً ، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ، وكانت بيعته بيعة هُدًى ، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر ، فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه ، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين ، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر ، كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين ، فلذلك رأيت أن أبايع يزيد ، لما وقع الناس فيه من الاختلاف . ونظراً لهم بعين الإصاف » .

\* \* \*

وروى من طريق آخر : أن معاوية لما خرج إلى المدينة ودنا منها ، استقبله أهلها ، فيهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ؛ فأقبل على عبد الرحمن بن أبي بكر ، فسبّه وقال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً » ؛ فلما دخل الحسين عليه قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، بَدَنَةٌ<sup>(٢)</sup> يترقرق دَمُها والله مُهَرِّيقُه » ؛ فلما دخل ابن الزبير قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، ضَبُّ تَلْعَةٍ<sup>(٣)</sup> ، مُدْخَلُ رَأْسِهِ تَحْتَ ذَنَبِهِ » ؛ فلما دخل عبد الله بن عمر قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، وسبّه » ، فقال :

(١) وأم يزيد هي ميسون بنت بحدل الكلبية . (٢) البدنة : من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تَهْدَى إِلَى مَكَّة ، لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى . (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها .

« إني لست بأهل لهذه المقالة » قال : « بلى ، ولما هو شرّ منها » فدخل معاوية المدينة وأقام بها ، وخرج هؤلاء الرّهط معتمرين ، فلما كان وقت الحجّ خرج معاوية حاجاً ، فأقبل بعضهم على بعض ، فقالوا : لعله قد ندم ، فأقبلوا يستقبلونه ، فلما دخل ابن عمر ، قال : « مرحباً بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن الفاروق ، هاتوا لأبي عبد الرحمن دابة » ، وقال لابن أبي بكر : « مرحباً بشيخ قریش وسيدها وابن الصديق ، هاتوا له دابة » ، وقال لابن الزبير : « مرحباً يا ابن حوّارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، هاتوا له دابة » ، وقال للحسين : « مرحباً يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيد شباب المسلمين ، قرّبوا لأبي عبد الله دابة ، وجعلت أطفاه<sup>(١)</sup> تدخل عليهم ظاهرة يراها الناس ، ويحسّن إذنتهم وشفاعتهم وحملهم على الدواب ، وخرج حتى أتى مكة ، ففضى حجه ، ولما أراد الشخصوص أمر بأثقاله فقدّمت ، وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة ، ثم أرسل إليهم ، فاجتمعوا ، وقال بعضهم لبعض : من يكلمه ؟ فأقبلوا على الحسين فأبى ، فقالوا لابن الزبير : هات ، فأنت صاحبنا . قال : على أن تعطوني عهد الله أن لا أقول شيئاً إلا تابعتموني عليه . قالوا : لك ذلك ، فأخذ عهدهم رجلاً رجلاً ، فدخلوا عليه ، فرحب بهم ، وقال : قد علمت نظري لكم ، وتعطفى عليكم ، وصلى أرحامكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم ، وإنما أردت أن أقدمه باسم الخلافة ، وتكونوا أنتم تأمرون وتنهون ، فسكتوا ، فقال : أجيّبوني ، فسكتوا ، فقال : لابن الزبير : هات فأنت صاحبهم قال :

### ٢٥٠ — خطبة عبد الله بن الزبير

« نخبّرك بين إحدى ثلاث ، أيّها أخذت فهي لك رغبة ، وفيها خيار ؛ إن شئت فاصنع فيما ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبضه الله ولم يستخلف أحداً ، فرأى

(١) الألفاظ : جمع لطفة بالتحريك ، وهي الهدية .

المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ، فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم ، وإن شئت فما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الأذنين من كان لها أهلاً ، وإن شئت ، فما صنع عمر ، جعلها سُورِي في ستة نفر من قريش يختارون رجلاً منهم ، وترك ولده وأهل بيته ، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلاً .

فقال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : لا ، ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا : نحن على ما قال ابن الزبير ، فقال معاوية : « إني أتقدم إليكم ، وقد أعذر من أنذر ، إني قائم فقائل مقالة ، فأياكم أن تعترضوا عليّ حتى أنتمها ، فإن صدقت فعليّ صدقتي ، وإن كذبت فعليّ كذبي ، وأقسم بالله لئن ردّ عليّ رجل منكم كلمة في مقامى هذا ، لا ترجع إليه كلمته ، حتى يضرب رأسه ، فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ، ولا يُبقي إلا عليها ، وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما ، فإن تكلم بكلمة يردّ بها عليه قوله قتلاه ، وخرج وأخرجهم معه ، حتى رقي المنبر ، وحف به أهل الشام ، واجتمع الناس ، فقام خطيباً فقال :

### ٢٥١ - خطبة معاوية

قال بعد حمد الله ، والثناء عليه : إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار<sup>(١)</sup> ، قالوا إن حسيناً ، وابن أبي بكر ، وابن عمر ، وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد ، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا نُبرِمُ أمراً دونهم ، ولا نقضى أمراً إلا عن مشورتهم ، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلموا وأطاعوا .

فقال أهل الشام : وما يعظم من أمر هؤلاء ؟ ايذن لنا فنضرب أعناقهم ، لا نرضى حتى يبايعوا علانية ، فقال معاوية : سبحان الله ! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر ،

(١) العوار : مثقلة : العيب .

وأحلى دماءهم عندهم ، أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا  
ثم قرّبت رواحله ، فركب ومضى ، فقال الناس للحسين وأصحابه : قلم لا نبايع ، فلما  
دُعيتهم وأرضيتهم بايعتم . قالوا : لم نفعل . قالوا : بلى قد فعلتم وبايعتم ، أفلا أنكرتم ؟  
قالوا : خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم .

( العقد الفريد ٢ : ٢٤٧ - ١٥٧ ، الإمامة والسياسة ١ : ١٢١ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٩ ،  
والأمالي ٢ : ٧٣ ، وذيل الأمالي ص ١٧٧ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٢١٠ ، ١ : ٩٥  
والبيان والتبيين ١ : ١٦٣ - ١٦٤ ) \*

## تهنئة وتعزية

٢٥٢ - خطبة عبد الله بن همام السلولى

لما توفى معاوية واستخلف يزيد ابنه ( سنة ٦٠ ) اجتمع الناس على بابه ، ولم يقدرُوا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبد الله بن همام السلولى فدخل عليه فقال :  
 « يا أمير المؤمنين ، آجرك الله على الرزية ، وبارك لك فى العطفية ، وأعانك على الرعية ،  
 فاقد رزئت عظيماً ، وأعطيت جسيماً ، فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر له على ما رزيت  
 فقد فقدت خليفة الله ، ومُنحتَ خلافة الله ، وفارقت جليلاً ، ووُهِبتَ جزيلاً ، إذ قضى  
 معاوية نَحْبَهُ ، فغفر الله ذنبه ، ووُلِّيتَ الرياسة ، فأعطيت السياسة ، فأوردك الله موارد  
 السرور ، ورفقك لصالح الأمور ، وأشد :

فاصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثِقَةٍ واشكر حِباءَ الذى بالملك أصفاً (١)  
 لا رزءُ أصبح فى الأقوام نعلمه كما رزئتَ ، ولا عُقْبَى كعقبى كما  
 أصبحت وإلى أمر الناس كلهم فأتت ترعاهمُ والله يرعاها كما  
 وفى معاويةً الباقى انا خلفٌ إذا نُعيتَ ، ولا نسمعُ بمنعاً (٢)  
 « وعبد الله بن همام هو أول من فتح الباب فى الجمع بين تهنئة وتعزية ، فوجَّه  
 الناس ، كما روى من غير وجه . »

( زهر الآداب ١ : ٦١ ، ونهاية الأرب ٥ : ٢١٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٦ ، والعقد الفريد

٢ : ١٤١ - ٣٥ - ٢٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٩٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ٦٦ ) .

(١) أصفاً : أثره . (٢) هو أبو ايل معاوية بن يزيد .

## ٢٥٣ - خطبة عطاء بن أبي صيفي الثقفي

وروى المسعودي أن يزيد بعد موت أبيه أذن للناس ، فدخلوا عليه لا يدرون أيهنثونه أم يعزونه ، فقام عطاء بن أبي صيفي ، فقال :

« السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أصبحت وقد رُزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ، ومُنحت هبة الله ، وقد قضى معاوية نجبته ، فغفر الله له ذنبه ، وأعطيت بعده الرياسة ، ووليت السياسة ، فأحتسب<sup>(١)</sup> عند الله أعظم الرزية ، وأحمده على أفضل العطية » .

(مروج الذهب ٢ : ٩٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٠٢ ، تهذيب الكامل ١ : ١٦ ،  
وصبح الأعشى ٩ : ٢٧٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٣٥ )

## ٢٥٤ - خطبة عبد الله بن مازن

ثم قام عبد الله بن مازن ، فقال :

« السلام عليك يا أمير المؤمنين ، رُزئت خير الآباء وُسِّميت خير الأسماء ، ومُنحت أفضل الأشياء ، فهناك الله بالعطية ، وأعانك على الرعية ، فقد أصبحت قر يش مفجوعة يبعد ساستها ، مسرورة بما أحسن الله إليها من الخلافة بك ، والعُقبي من بعده ، ثم أنشأ يقول :

الله أعطاك التي لا فوقها

وقد أراد الملحدون عوقها

عك فيأبى الله إلا سوقها

إليك ، حتى قلدوك طوقها

ثم قام عبد الله بن همام فخطب خطبته السالفة . (مروج الذهب ٢ : ٩٣)

(١) احتسب به أجرا عند الله : امتده ينوي به وجه الله ( واحتسب ابنه إذا مات كبيرا ، فإن مات

صغيرا قيل افتطرطه ) .



## ٢٥٥ - خطبة غيلان بن مسلمة الثقفي

وروى الجاحظ : أنه لما توفي عبد الملك ، وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنثونه أم يعزونه ، فأقبل غيلان بن مسلمة الثقفي ، فسلم عليه ، ثم قال :

« يا أمير المؤمنين ، أصبحت قد رزئتَ خيرَ الآباء ، وسميتَ خيرَ الأسماء ، وأُعطيتَ أفضلَ الأشياء ، فمظم الله لك على الرزية الصبر ، وأعطاك في ذلك نوافل<sup>(١)</sup> الأجر ، وأعانك على حسن الولاية والشكر ، ثم قضى عبد الملك<sup>(٢)</sup> بخير القضية ، وأنزله بأشرف المنازل المرضية ، وأعانك من بعده على الرعية » . ( البيان والتبيين ٢ : ١٠٣ )

(١) النافلة في الصلاة وغيرها : الزيادة . (٢) أي قضى على عبد الملك باسقاط الجار .

# خطب ولاية الأمويين وقوادهم

خطب زياد بن أبيه المتوفى سنة ٥٣

٢٥٦ - خطبته بفارس وقد كتب إليه معاوية يتهدده

كان الإمام عليّ عليه السلام ولّى زياداً فارس - أو بعض أعمال فارس - فضبطها  
ضبطاً صالحاً ، وجبّ خراجها وحماها ، فلما قتل الإمام بقي زياد في عمله ، وخاف معاوية  
جانبه ، وعلم صعوبة ناحيته ، وأشفق من مملأته الحسن بن عليّ ، عليه السلام ، فكتب  
إليه يتهدده (١) ، فغضب زياد غضباً شديداً ، وجمع الناس ، وصعد المنبر ، فحمد الله ،  
ثم قال :

« العجب من ابن آكلة الأكباد (٢) ، وقائلة أسد الله ، ومظهر الخلاف ، ومسرّ  
النفاق ، ورئيس الأحزاب ، ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله ، كتب إلى يرعد ويرق (٣) »

(١) وما ورد في كتابه إليه قوله : « أمس عبد ، واليوم أمير ! خطبة ما ارتقاها مثلك يا ابن سمية ، وإذا  
أتاك كتابي هذا ، فخذ الناس بالطاعة والبيعة ، وأسرع الإجابة ، فإنك إن تفعل فدمك حقت ، ونفسك  
تداركت ، وإلا اختطفتك بأضعف ريش ، ونلتك بأهون سمي ، وأقم قسماً مبروراً أن لا أوق بك إلا في  
زمارة ، تمشي حافياً من أرض فارس إلى الشام ، حتى أقيمك في السرق ، وأبيعك عبداً ، وأردك إلى حيث  
كنت فيه وخرجت منه . » (٢) هي هند أم معاوية ، وذلك أنها بعد انتهاء غزوة أحد بقرت بطن حمزة  
ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذت كبده لتأكلها ، فلا كتبها ثم أرسلتها ، وكان قد قتله  
وحشى مولى جبير بن مطعم ، دعاه سيده وقال له اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة بعني طعيمة فأنت حر .  
(٣) رعد الرجل و برق (كنصر) وأرعد وأبرق : تهدد وتوعد .

عن سحابة جفَلٍ<sup>(١)</sup> لا ماء فيها ، وعمّا قليل تصيرها الرياح قزَعاً<sup>(٢)</sup> ، والذي يدلّني على ضعفه تهذّده قبل القدرة ، أفمن إشفاقٍ علىّ تُنذِر وتُعذِر ؟ كلا ، ولكن ذهب إلى غير مذهب ، وقمّقع<sup>(٣)</sup> لمن روى بين صواعق تهامة<sup>(٤)</sup> ، كيف أرهبه وبينى وبينه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأبْنُ أبْنِ عمه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار؟ والله لو أذن لي فيه أو ندبني إليه ، لأرَيْنَهُ الكواكب نهاراً ، ولأُسْعِطَنَهُ<sup>(٥)</sup> ماء الخردل دونه ، الكلامُ اليوم ، والجمع غداً ، والمشورة بعد ذلك إن شاء الله « ثم نزل .

( شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ٦٨ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٩٧ )

## ٢٥٧ - خطبته وقد بعث معاوية إليه المغيرة بن شعبه يستقدمه

وكتب إلى معاوية يردّ عليه ردّاً شديد اللهجة<sup>(٦)</sup> ، فغمّ ذلك معاوية وأحزنه ، وأوفد إليه المغيرة بن شعبه بكتاب يتلطّف به فيه ويستدنيه منه ، ويستلحقه بنسب أبيه

(١) الجفل : السحاب هراق ماءه ومضى . (٢) القزع : قطع من السحاب رقيقة .

(٣) القمّقع : صوت الرعد ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت « ومنه « مايقمّع له بالشنان » وسيأتي تفسيره في خطبة الحجاج . (٤) روى : ارتوى ، والمراد نشأ وترعرع بينها ، وامله (ربى) وذكروا أنه لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزبير ، أظلمت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت للصواعق ، ففزع الناس وأمسكوا عن القتال ، فقام فيهم الحجاج ، فقال : « أيها الناس لا يهولنكم هذا فإني أنا الحجاج بن يوسف ، وقد أصحرت لربي ، فلو ركبنا عظيماً لحال بيننا وبينه ، ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها » . (٥) سعطه الدواء كنعته ونصره وأسعطه إياه : أدخله في أنفه .

(٦) ونص كتابه إليه : « أما بعد ، فقد وصل إلى كتابك يا معاوية ، وفهمت ما فيه ، فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب ، ويتعلق بأرجل الضفادع طمعا في الحياة ، إنما يكفر النعم ويستدعى النقم من حاد الله ورسوله ، وسمى في الأرض فسادا . فأما سبك لي فلولا حلم يمانى عنك ، وخوفي أن أدعى سفيها لأثرت لك مخازي لا يغسلها الماء . وأما تعييرك لي بسمية ، فإن كنت ابن سمية فأنت ابن حماتة . وأما زعمك أنك تختطفني بأضعف ريش وتتناولني بأهون سمي ، فهل رأيت بازيا يفزعه صغير القنابر؟ أم هل سمعت بذئب أكله خروف ؟ فامض الآن لطيتك ، واجهد جهدك ، فليست أزل إلا بحيث تكره ، ولا أجتهد إلا فيما يسوءك ، وستعلم أينما الخاضع لصاحبه ، الظالم إليه والسلام » .

أبي سفيان<sup>(١)</sup> ، وجعل المغيرة يتفرق به ، وينصح له أن يصل حبله بحبله ، ولا يقطع رَحْمَه ،  
فترثت زياد يومين أو ثلاثة يروى في أمره ، ثم جمع الناس ، فصعد المنبر ، فحمد الله ،  
وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم ،  
فقد نظرت في أمور الناس منذ قتل عثمان ، وفكرت فيهم فوجدتهم كالأضاحي .  
في كل عيد يذبحون ، ولقد أفنى هذان اليومان : يوم الجمل وصفح ما يذيف على مائة  
ألف ، كلهم يزعم أنه طالب حق ، وتابع إمام ، وعلى بصيرة من أمره ، فإن كان الأمر  
هكذا ، فالقاتل والمقتول في الجنة ، كلاً : ليس كذلك ولكن أشكل الأمر ، والتبس  
على القوم ، وإني لخائف أن يرجع الأمر كما بدأ ، فكيف لامرئٍ بسلامة دينه ، وقد  
نظرت في أمر الناس ، فوجدت أحمد العاقبتين العافية ، وسأعمل في أموركم ما تحمدون  
عاقبته ومغيبته ، فقد حذت طاعتكم إن شاء الله » ثم نزل .

وكتب إلى معاوية يستوثق منه<sup>(٢)</sup> ، فأعطاء معاوية جميع ما سأله ، وكتب إليه بخط  
يده مارثق به ، فدخل إليه الشام ، فقر به وأدناه ، وأقره على ولايته ، ثم استعمله على العراق .  
( شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٦٩ )

(١) وكانت ديباجة كتابه إليه : « من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان » وفيه  
يقول : « وحملك سوء ظنك بي ، وبفضك لي على أن عقتت قرابتي ، وقطعت رحمتي ، وبتت نسبي وحرمتي ،  
كأنك لست نحى ، وليس صخر بن حرب أبك وأبي ! » وفي آخره يقول : « فإن أحببت جانبي ووثقت بي ،  
فإمزة بإمرة ، وإن كرهت جانبي ، ولم تثق بقولي ، ففعل جميل ، لاعلى ولا لى والسلام » .  
(٢) وفي كتابه يقول : « إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ، ونية حسنة ، وأردت بذلك برا  
فتزرع في قلبي مودة وقبولا ، وإن كنت إنما أردت مكيدة ومكرا وفساد نية ، فإن النفس تأبى ما فيه العطب ،  
ولقد قتت يوم قرأت كتابك مقاما يعيا به الخطيب المدره ، فتركت من حضر ، لأهل ورد ، ولا صدر ،  
كالمنحبرين بمهمه ضل بهم الدليل ، وأنا على أمثال ذلك قدير » .

## ٢٥٨ - خطبته وقد استلحقه معاوية

ولما أراد معاوية استلحاق زياد ، وقد قدم عليه الشام ، جمع الناس وصعد المنبر ، وأصعد زيادا معه ، فأجلسه بين يديه على المِرْقَاة<sup>(١)</sup> التي تحت مرقاته ، وحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني قد عرّفت نسبنا أهل البيت في زياد ، فمن كان عنده شهادة فليقم بها » ، فقام ناس ، فشهدوا أنه ابن أبي سفيان ، وأنهم سمعوا ما أقرّ به قبل موته<sup>(٢)</sup> ، فلما انقضى كلام معاوية ومنأشده ، قام زياد وأنصت الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) المِرْقَاة بفتح الميم وتكسر : الدرجة . (٢) فقام أبو مريم السلولى - وكان خمارا في الجاهلية فقال : أشهد يا أمير المؤمنين أن أبا سفيان : قدم علينا بالطائف ، فأثاني ، فاشتريت له لحما ونحرا وطعاما ، فلما أكل قال : يا أبا مريم ، أصب لي بغيا ، فخرجت فأثيت سمية ، فقلت لها : إن أبا سفيان من قد عرفت شرفه وجوده وقد أمرني أن أصيب له بغيا ، فهل لك ؟ فقالت : نعم يحيى الآن عبيد بغنمه - وكان راعيا - فإذا تعشى ووضع رأسه أثيته ، فرجعت إلى أبي سفيان فقلت لم أجد إلا جارية الحرث بن كلدة سمية ، فقال : ائني بها على ذفرها وقدرها ، فقال له زياد : مهلا يا أبا مريم ، إنما بعثت شاهدا ، ولم تبعث شاهدا ، فقال أبو مريم : لو كنتم أعفيتموني لكان أحب إلي ، وإنما شهدت بما عاينت ورأيت ، والله لقد أخذ بكم درعها ، وأغلقت الباب عليهما ، فلم ألبث أن خرج على يمسح جبينه ، فقلت : مه يا أبا سفيان ، فقال : ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ، وذفر في إبطها - والذفر بالتحريك ويسكن : النتن ، والذفر بالتحريك : كل ريح ذكية من طيب أو نتن أو يخص برائحة الإبط المنتنة - وكانت أمه سمية قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندي للحارث بن كلدة - وكان طبيبا يهالجه - فولدت له على فراشه نافعا ، ثم ولدت أبا بكره ، فأنسكر لونه ، وقيل له إن جاريتك بغى ، فانتفى من أبي بكره ومن نافع ، وزوجها عبيدا وكان عبدا لابنته ، فولدت على فراشه زيادا .

وذكروا أن عمر بن الخطاب كان قد بعث زيادا في إصلاح فساد واقع باليمن ، فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يسمع بمثلها ، وهو غلام حدث ، وأبو سفيان حاضر ، وعلى عليه السلام ، وعمرو ابن العاص ، فقال عمرو : لله أبو هذا الغلام أو كان قرشيا لساق العرب بعصاه ، فقال أبو سفيان : أما والله =

« أيها الناس : هذا أمرٌ لم أشهدْ أوَّلَه ، ولا عِلْمَ لي بآخِرِه ، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهدت الشهود بما سمعتم ، فالحمد لله الذي رفع مِنَّا ما وضع الناس ، وحفظ مِنَّا ما ضيَّعوا ، فأما عُبَيْدٌ فإنما هو والد مَبْرُور ، أو رَبِيبٌ<sup>(۱)</sup> مشكور » ثم نزل .

( شرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۷۰ ، والمعقد الفريد ۲ : ۱۵۱ : ۳ ، ۳ : ۳ ،

ومروج الذهب ۲ : ۵۶ ، وذيل الأملی ص ۱۸۹ )

## ۲۵۹ - خطبته حين ولي البصرة ( وهي البتراء )

وقدم زياد البصرة « غرة جمادى الأولى سنة ۴۵ هـ » والياً لمعاوية بن أبي سفيان ، وضم إليه خراسان وسجستان ، والنسوق بالبصرة كثير فاشي ظاهر ، فخطب خطبةً بتراء لمحمد الله فيها ، وقيل بل قال :

« الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه . اللهم كما زدتنا نعمًا فألهمنا شكرًا » أما بعدُ : فإن الجهالة الجُهلاء<sup>(۲)</sup> ، والضلالة العمياء ، والفتى الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلمًا وكم<sup>(۳)</sup> ، من الأمور العظام ، يندبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ، ولم تسمعوا

= إنه لقرشي ، ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك ، فقال : ومن أبوه ؟ قال : أنا والله وضعت في رحم أمه ، قال : فهلا تستلحقه ، قال : أخاف هذا العير الجالس أن يخرق على إهابي .

ومن كتاب لعل عليه السلام إلى زياد ، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديته باستلحاقه : « وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ، ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ، ولا يستحق بها إرث » فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد بها ورب الكعبة ، ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معاوية ، وكان يقال له : زياد بن عبید ، وزياد بن أبيه ، وزياد بن سمية ، وزياد بن أمه ، ولما استلحق قال له أكثر الناس : زياد بن أبي سفيان ، قال الطبري : « وفي سنة ۴۴ استلحق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه أبي سفيان فيما قيل » . (۱) الربيب هنا : زوج الأم . (۲) هذا الوصف توكيد للمبالغة ، ومثله : وتد واتد ، وهمج هامج ، وائلة ليلاء ، ويوم أيوم ( أي شديد ، أو آخر يوم في الشهر ) .

(۳) عقلاؤكم .

ما أعدَّ اللهُ من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن  
 السَّرْمَدِيِّ<sup>(۱)</sup> الذي لا يزول ، أنكونون كمن طَرَفَتْ<sup>(۲)</sup> عينيه الدنيا ، وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ  
 الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولاتذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحداث الذي  
 لم تُتَّبِعُوا إليه ، مِنْ تَرَكْتُمْ كَمِ الضَّعِيفِ يُقَهَّرُ وَيؤْخَذُ ماله ، هذه المواخير<sup>(۳)</sup> المنصوبة ،  
 والضعيفة المسلوقة في النهار المبصر ، والعدد غير قليل ، ألم يكن منكم نُهَّاءٌ ، تمنع الغوَاةَ<sup>(۴)</sup>  
 عن دَاجٍ<sup>(۵)</sup> الليل ، وغارة النهار ؟ قرَّرتُم القَرَابَةَ ، وباعدتُم الدين ! تمتذرون بغير العذر ،  
 وتُفَضُّون عَلَى المختلس ، كلُّ امرئٍ منكم يَذْبُ<sup>(۶)</sup> عن سفيهه ، صليغ من لا يخاف  
 عاقبة ولا يرجو معاداً ، ما أنتم بالحلماة ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما تروون  
 من قيامكم دونهم ، حتى انتم كوا حُرْمٌ<sup>(۷)</sup> الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم ، كُنُوساً  
 في مكائسِ الرِّيبِ ،<sup>(۸)</sup> حرامٌ على الطعام والشراب ، حتى أسويهاً بالأرض هدموا وإحراقاً .  
 إني رأيت آخرَ هذا الأمر لا يصلح إلا بما صأح به أوله ، إين في غير ضعف ،

(۱) الدائم . (۲) طرف عينه : أصابها بشيء فدمعت ، وطرف بصره : أطبق أحد جفنيه  
 على الآخر ، وطرفه عنه كضربه : صرفه ورده . (۳) جمع ماخور : وهو بيت الريبة معرب  
 أو عربي من مخرت السفينة لتردد الناس إليه . (۴) جمع ناه ، وغوَاة جمع غاو .  
 (۵) السير من أول الليل ، وقد أذلجوا ، فإن ساروا من آخره نادجوا بالتشديد .  
 (۶) يدنغ . (۷) جمع حرمة ، وهي مالا يحل انتهاكه . روى الشعبي قال : « لما خطب زياد  
 خطبته البتراء بالبصرة ونزل ، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : إن البلد  
 مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتیان الفساق ، فيقال لها : نادى ثلاثة أصوات ، فإن أجابك  
 أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع ! » . (۸) كنوس جمع كانس : أي مستتر كقعود وجلوس جمع قاعد  
 وجالس ، وأصله من كنس الطيب كضرب : دخل في كذاسه ( ككتاب ) وهو مستتره من للشجر ، ويجمع  
 كانس أيضا على كنس ( كركع ) ومنه الجوارى الكنس ( وهي الخنس ) وهي الكواكب السيارة ، أو النجوم  
 الخمسة : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والزهرة ، وعطارد . لأنها تكنس في المغيب كالظباء في الكنس  
 ( ككتب ) ، أو هي كل النجوم لأنها تبدو ليلا وتختفي نهارا ( وخنوسها أنها تغيب كما يخنس الشيطان ؛ إذ ذكر  
 الله عز وجل ) ومكائس الريب : مكائنها المستتره جمع مكنس كجلس .

وشدة في غير عنف ، وإني أقسم بالله لأخذنَّ الوليَّ<sup>(١)</sup> بالموتى ، والمقيمَ بالطاعن ، والمقبلَ بالمُدبر ، والمطيعَ بالعاصى ، والصحيحَ منكم في نفسه بالسقيم ، حتى يَبَاقِيَ الرجلُ منكم أخاه ، فيقول : « أُنَجُّ سَعْدُ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدُ<sup>(٢)</sup> » أو تستقيم لي قناتكم ، إن كذبة المنبر بِلِقَاءِ<sup>(٣)</sup> مشهورة ، فإذا تعلقتم عليَّ بكذبة فقد حَلَّتْ لَكُمْ مَصِيبَتِي<sup>(٤)</sup> ، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها<sup>(٥)</sup> في ، واعلموا أن عندي أمثالها ، من نَقِبَ مِنْكُمْ عَلَيَّ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ<sup>(٦)</sup> فإيأى ودأج الليل ، فإني لا أرتى بِمُدْجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وقد أَجَلْتُكُمْ فِي ذَلِكَ بِمَقْدَارِ مَا يَأْتِي الْخَبْرُ الْكُوفَةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ<sup>(٧)</sup> ، وإيأى ودَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ<sup>(٨)</sup> ، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قَطَعْتُ لِسَانَهُ ، وقد أَحْدَثْتُمْ أَحْدَانًا لَمْ تَكُنْ ، وقد أَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةً ، فمن غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَا ، ومن أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْنَا ، ومن نَقَبَ

(١) الولي : السيد ، والمولى هنا : العبد . (٢) سعد وسعيد هما ابنا ضبة بن أد خرجا في طلب إبل لأبيهما ، فوجدها سعد فردها وقتل سعيد ، فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ؟ . (٣) من البلق بالتحريك : وهو ارتفاع التحجيل في الفرس إلى الفخذين ( والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ) ، والفرس البلقاء مشهورة لتمييزها عما سواها ببلقها . (٤) في الطبري « قال الشعبي : فوالله ماتعلقنا عليه بكذبة ، ولا وعدنا خيرا ولا شرا إلا أنفذه » . (٥) عدوها من عيوبي ، واغتمزه : طعن عليه . (٦) في الطبري : « وكان زياد أول من شد أمر السلطان ، وأكد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدم في العقوبة ، وجرى السيف ، وأخذ بالظنة ، وعاقب على الشبهة ، وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا ، حتى أمن الناس بعضهم بعضا ، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة ، فلا يعرض له أحد ، حتى يأتيه صاحبه ، فيأخذه ، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها ، وسام الناس سياسة لم ير مثلها ، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحدا قبله ، وكان يقول : « لو ضاع جبل بيني وبين خراسان علمت من أخذه » . (٧) في الطبري : « استعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن ، فأهمل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد إليه وصول الخبر إلى الكوفة ، وكان يؤخر العشاء حتى يكون آخر من يصلي ، ثم يصلي ، يأمر رجلا يقرأ سورة البقرة ومثلها ، يرتل القرآن ، فإذا فرغ أهمل بقدر ما يرى أن إنسانا يبلغ الخريبة ( كجنيئة موضع بالبصرة يسمى البصيرة الصغرى ) ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج ، ولا يرى إنسانا إلا قتله فأخذ ليلة أعرابيا ، فأتى به زيادا ، فقال : هل سمعت النداء ؟ قال : لا والله ، قدمت بحلوبة لي ، وغشيتي الليل فاضطررتها إلى موضع ، نأقت لأصبح ، ولا علم لي بما كان من الأمير ، قال : أظنك والله صادقا ، ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة ، ثم أمر به فضربت عنقه » . (٨) قولهم : يالفلان ، والغرض مناصرة المصيبة .



بیتاً نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَّنَاهُ حَيًّا فِيهِ ، فَكَفُوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ وَالسِّنْتَكُمْ ،  
أَكْفَفْ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي ، وَلَا تَظْهَرْ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيْبَةً بِخِلَافٍ <sup>(۱)</sup> مَا عَلَيْهِ عَامَّتْكُمْ  
إِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ إِحْنٌ <sup>(۲)</sup> ، فَجَعَلْتُ ذَلِكَ دَبْرَ أُذُنِي <sup>(۳)</sup>  
وَتَحْتِ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ  
عَنْ إِسَاءَتِهِ ، إِنْ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ السِّلَّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا ، وَلَمْ  
أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْذِيَ لِي صَفْحَتَهُ <sup>(۴)</sup> ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنْظُرْهُ ، فَاسْتَأْنَفُوا أُمُورَكُمْ ،  
وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرُبُّ مُبْتَلِئٍ سَيُدْرِكُهُ الْمَوْتُ ، وَمَسْرُورٍ بِقَدُومِنَا سَيُجِئُكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاءَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ ، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي  
أَعْطَانَا ، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِقِيَّةِ اللَّهِ الَّذِي خَوْلَانَا <sup>(۵)</sup> ، فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ،  
وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَوَلَيْنَا ، فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفِيئَنَا بِمَنَاصِحَتِكُمْ لَنَا ، وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا  
قَصَّرْتُ عَنْهُ ، فَلَنْ أُقْصِرَ عَنْ ثَلَاثٍ : لَسْتُ مُحْتَجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ أَنَّنِي طَارِقًا  
بَلِيلٌ ، وَلَا حَابِسًا عَطَاءً وَلَا رِزْقًا عَنْ إِبَانِهِ <sup>(۶)</sup> ، وَلَا مُجَمَّرًا <sup>(۷)</sup> لَكُمْ بَعَثْنَا ، فَادْعُوا اللَّهَ  
بِالصَّلَاحِ لِأَيْمَتِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ سَأَسْتُمْكُمُ الْمُؤَدَّبُونَ لَكُمْ ، وَكَهْفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى  
يَصْلَحُوا تَصْلَحُوا ، وَلَا تُشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ بِغَضَبِهِمْ ، فَيَشْتَدُّ لَذَلِكَ غَيْظَكُمْ ، وَيَطُولَ لَهُ  
حَزْنُكُمْ ، وَلَا تُذْرِكُوا لَهُ حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتُجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا  
لَكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَكُمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفِذْ فِيكُمْ الْأَمْرَ ، فَأَنْفِذُوهُ عَلَى

(۱) أى تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم . (۲) جمع إحنة : وهى الحقد والضغينة .

(۳) أى خلف أذنى ، وقد اقتبسها من كلام معاوية كما مر بك . (۴) أى يجاهرنى بالعداوة .

(۵) ملكنا . والنوء : ما كان شمساً فينسخه الظل ، والحراج ، أى ندفع عنكم بظل الله ونعمته التى

وهبنا ، أو ندفع عنكم بما صار فى أيدينا من أموال الحراج . (۶) وقته وموعده . (۷) جمر الجند : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفلهم .

أذلاله<sup>(١)</sup> ، وإيمُ الله إن لي فيكم لصرفي كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرفي عاى .

فقام إليه عبد الله بن الأهم فقال : « أشهدُ أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب » ، فقال له : « كذبت ذلك نبيُّ الله داود صلوات الله عليه » ، فقام الأحنف ابن قيس ، فقال : « إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نُذني حتى نبتلي » ، فقال له زياد : صدقت ، فقام أبو بلال مرداس<sup>(٢)</sup> ابن أدية وهو يهيمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت . قال الله تعالى : « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » وأنت تزعم أنك تأخذ البريء بالسقيم ، والمطيع بالعاصى والمقبل بالمدير ، فسمعه زياد ، فقال : « إنا لا نباغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوفاً » .

( البيان والتبيين ٢ : ٢٩ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٠ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٦ ،  
وتاريخ الطبري ٦ : ١٢٤ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٢٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد  
م ٤ : ص ٥٧ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤١ ، وذيل الأمل ١٨٨ )

## ٢٦٠ - خطبته بالكوفة وقد ضمت إليه

ولما مات المغيرة بن شعبه أمير الكوفة سنة ٥٠ هـ ، ضم معاوية الكوفة إلى زياد ، فكان أول من جُمع له الكوفة والبصرة<sup>(٣)</sup> ، فاستخلف على البصرة ، وشخص إلى الكوفة فأتاها ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن هذا الأمر أتاني وأنا بالبصرة ، فأردت أن أشخص إليكم في ألفين من شرطة

(١) أى وجوهه وطرقه جمع ذل بالكسر . وذل الطريق : محبته ، وأمور الله جارية على أذلالها أى مجاريها .

(٢) وهو من رزساء الخوارج . (٣) وكان يقيم ستة أشهر بالكوفة ، وستة أشهر بالبصرة .

البصرة ، ثم ذكرتُ أنكم أهل حق ، وأن حقكم طالماً دَفَع الباطل ، فأتيتكم في أهل بيتي ، فالحمد لله الذي رَفَع مني ما وضع الناس ، وحَفِظ مني ما ضيَعُوا ، حتى فرغ من الخطبة<sup>(١)</sup> .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٣١)

## ٢٦١ - خطبة أخرى له بالكوفة

وروى الطبري أيضا قال :

« فَجُمِعَت الكوفة والبصرة لزيد بن أبي سفيان ، فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثم صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإننا قد جُرِّبنا وجرَّبنا ، وسُننا وسامنا السائسون ، فوجدنا هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله ، بالطاعة اللينة المشبهة ميرثها بعلائقها ، وغيب أهاها بشاهدهم ، وقلوبهم بالسنتهم ، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلا ابن في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، وإني والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته على أذلاله ، وليس من كذبة الشاهد عليها من الله والناس أكبر من كذبة إمام علي المنبر ، ثم ذكر عثمان وأصحابه فقرظهم ، وذكر قبيلته ولعنهم » .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٤٢)

## ٢٦٢ - خطبته بالكوفة يتهدد الشيعة

وكان زيد قد ولى الكوفة عمرو بن الحرث ، ورجع إلى البصرة ، فبلغه أن حُجْر بن عديّ يجتمع إليه شيعة عليّ ، ويظهرون لعن معارفة والبراءة منه ، وأنهم

(١) قال الطبري : فحصب على المنبر ، (أى رمى بالحصيا وهي الحصى) فجلس حتى أمسكوا ، ثم دعا قوما من خاصته ، وأمرهم فأخذوا أبواب المسجد ، ثم قال : ليأخذ كل رجل منكم جليسه ، ولا يقوان لا أدري من جليسي ، ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد ، فدعاهم أربعة أربعة ، يخلفون بالله مامنا من حصبك ، فن حلف خلاه ، ومن لم يحلف حبسه ووزله ، حتى صار إلى ثلاثين ، ويقال بل كانوا ثمانين فقطع أيديهم على المكان .

حَصَبُوا عمرو بن الحريث ، فَشَخَّصَ إِلَى الكُوفَةِ ، حَتَّى دَخَلَهَا ، فَأَتَى القَصْرَ ، ثُمَّ خَرَجَ  
فَصَعِدَ المنبرَ ، وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مُنْدُسٌ ، وَمُطْرَفٌ خَزٌّ أَخْضَرٌ ، قَدْ فَرَّقَ شَعْرَهُ ،  
وَحَجَرَ جَالِسٍ فِي المَسْجِدِ حَوْلَهُ أَصْحَابُهُ أَكْثَرَ مَا كَانُوا ، فَحَمَدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،  
ثُمَّ قَالَ :

« أَمَا بَعْدَ : فَإِنَّ غَيْبَ البَغِيِّ وَالغَيْءَ وَخَيْمٌ ، إِنَّ هَوْلَاءَ جَمُّوا<sup>(١)</sup> فَأَشْرُوا ، وَأَمِنُونِي  
فَاجْتَرُوا عَلِيٌّ ، وَإِيْمُ اللهُ لَنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِأَدَاوِينِكُمْ بِدَوَائِكُمْ ، وَقَالَ : مَا أَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ  
أَمْنَعُ بِأَحَةِ<sup>(٢)</sup> الكُوفَةَ مِنْ حُجْرٍ ، وَأَدْعُهُ نِكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُ ، وَيَلُ أُمَّكَ يَا حَجْرَ ،  
سَقَطَ العِشَاءُ بِكَ عَلَى سِرِّ حَانَ<sup>(٣)</sup> . »  
( تاريخ الطبري ٦ : ١٤٣ )

### ٢٦٣٠ - خطبة أخرى له

وخطب زياد فقال :

« استوصوا بثلاثة منكم خيراً : الشريف والعالم والشيخ ، فوالله لا يأتيني شيخ  
بشابٍّ قد استخفَّ به إلا أوجمته ، ولا يأتيني عالمٌ بجاهلٍ استخفَّ به إلا نكلتُ به ،  
ولا يأتيني شريفٌ بوضيعٍ استخفَّ به إلا انتقمتُ له منه . »  
( البيان والتبيين ٢ : ٧٣ ، والمقد الفريد ٢ : ١٥١ : شرح ابن أبي الحديد ٤ ص ٧٤ )

### ٢٦٤ - خطبة أخرى

وخطب على المنبر فقال :

« أيها الناس : لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا ،  
فإن الشاعر يقول :

(١) من جم الماء جموما : كثر واجتمع . (٢) الباحة : الساحة . (٣) هو مثل : وأصله  
أن رجلاً خرج يلتمس العشاء ، فوقع على ذئب فأكله . يضرب في طلب الحاجة يؤدي بصاحبها إلى التلف .

اعمل بقولى وإن قصرتُ فى عملى ينفعك قولى ولا يضرُك تقصيرى

### ٢٦٥ - وصية لزياد

وروى الجاحظ عن عمرو بن عبَّيدٍ أنه قال : كتب عبد الملك بن مروان وصية زيادٍ بيده ، وأمر الناس بحفظها وتدبُّر معانيها وهى :

« إن الله عز وجل جعل لعباده عقولا ، عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين مُحسِنٍ بنعمة الله عليه ، ومُسىءٍ بخذلان الله إياه ، والله النعمةُ على المحسن ، والحجبةُ على المسيء ، فما أولى من نمت عليه النعمةُ فى نفسه ورأى العبرة فى غيره بأن يضع الدنيا بحيثُ وضعها الله ، فيعطى ما عليه منها ، ولا يتكثُر بما ليس له منها ، فإن الدنيا دار فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بد من لقاء الله ، فأحذركم الله الذى حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزةُ ، قبل أن تصيروا إلى الدار التى صاروا إليها ، فلا تقدرون على توبة ، وليس لكم منها أوبة ، وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم . »

قال الجاحظ : وقد روى هذا الكلام عن الحجاج ، وزيادٌ أحق به منه .

( البيان والتبيين ١ : ٢٠٦ )

### ٢٦٦ - ما كان يقوله لمن ولاه عملا

وكان زياد إذا ولى رجلا عملا قال له :

« خذ عهدك ، وسِرْ إلى عمالك ، واعلم أنك مصروفٌ رأسَ سنَّتِكَ ، وأنتك تصير إلى أربع خِلال ، فاختر لنفسك . إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا ، استبدانا بك لضعفك ، وسلمتكَ من معرَتنا أمانتكَ ، وإن وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك ، وأوجعنا ظهرَكَ

وَوَقَلْنَا غُرْمَكَ ، وَإِنْ جَمَعْتَ عَلَيْنَا الْجُرْمَيْنِ ، جَمَعْنَا عَلَيْكَ الْمَضْرَتَيْنِ ، وَإِنْ وَجَدْنَاكَ أَمِينًا قَوِيًّا ، زِدْنَا فِي عَمَلِكَ ، وَرَفَعْنَا ذِكْرَكَ ، وَكَثَّرْنَا مَالَكَ ، وَأَوْطَأْنَا عَقَبَكَ .

(الأمالي : ٢ : ٨٢)

## ٢٦٧ - خطبة الضحاک بن قیس الفهري بالكوفة<sup>(١)</sup>

(قتل سنة ٦٤ هـ)

وخطب الضحاک بن قیس الفهري على منبر الكوفة - وقد كان بلغه أن قومًا من أهلها يشتمون عثمان ويبرءون منه ، فقال :

« بلغني أن رجالًا منكم ضلّالًا يشتمون أئمة الهدى ، ويعيبون أسلافنا الصالحين ، أما والذي ليس له نِدٌّ ولا شريك ، لئن لم تنتهوا عما يبلغني عنكم ، لأضعن فيكم سيفَ زياد ، ثم لا تجدوني ضعيفَ السّورة<sup>(٢)</sup> ، ولا كليلَ الشّفرة<sup>(٣)</sup> ، أما إني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم<sup>(٤)</sup> . فكنتم أول من غزاها في الإسلام ، وشرب من ماء الثعلبية

(١) ولاة معاوية الكوفة سنة ٥٥ إلى سنة ٥٨ ثم جعله على شرطته ، ولامات معاوية الثاني بإيمه أهل دمشق على أن يصلح بهم ، ويقوم لهم أمرهم ، حتى يجتمع أمر الأمة ، وكان يهوى هوى ابن الزبير ، ويمنعه من إظهار ذلك أن بني أمية كانوا بحضرته ، وكان يعمل في ذلك سرا ، ثم نشبت الحرب بينه وبين مروان بن الحكم في مرج راهط ، ودارت الدائرة على جيش الضحاک وقتل منتصف ذي الحجة سنة ٦٤ هـ .  
(٢) سورة السلطان : سطوته واعتداؤه . (٣) الشفرة : حد السيف ، وكليل : غير قاطع .  
(٤) وكان ذلك سنة ٣٩ هـ ، دعاه معاوية ، وقال : سر حتى تمر بناحية الكوفة ، وترتفع عنها ما استطعت ، فن وجدته من الأعراب في طاعة على فأغر عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليها ، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، فأقبل الضحاک فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب ومر بالثعلبية فأغار على مسالح على وأخذ أمتهم ، ومضى حتى انتهى إلى القطقانة ، فأق عمرو ابن عميس بن مسعود - وهو ابن أخى عبد الله بن مسعود - وكان في خيل لعل ، وأمامه أهله ، وهو يريد الحج ، فقتله وقتل ناسا من أصحابه ، فلما بلغ ذلك عليا سرح حجر بن عدى الكندي في أربعة آلاف ، فلم يزل مغذا في أثر الضحاک حتى لقيه بناحية تدمر فواقعه ، فاقتلوا ساعة ، فقتل من أصحاب الضحاک تسعة عشر رجلا ، وقتل من أصحاب حجر رجلا ، وحجز الليل بينهم ، فهرب الضحاک وأصحابه . فلما أصبحوا لم يجدوا لهم أثرا - شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٧٨ - .

ومن شاطىء الفرات ، أعاقب من شئت ، وأعفو نعمن شئت ، لقد ذعرت المخذرات  
في خدورهن ، وإن كانت المرأة ليبيكي ابنها فلا ترهبه ولا تُسكته إلا بذكر اسمي ،  
فاتقوا الله يا أهل العراق ، أنا الضحاک بن قيس ، أنا أبو أنيس ، أنا قاتل عمرو  
ابن عمیس .

فقام إليه عبد الرحمن بن عبيد ، فقال : « صدق الأمير ، وأحسن القول ! ما أعرفنا  
والله بما ذكرت ! ولقد لقيناك بغربي تدمر فوجدناك شجاعاً مجرباً صبوراً<sup>(۱)</sup> ! »  
ثم جلس ، وقال : أيفخر علينا بما صنع ببلادنا أول ما قدم ؟ وإيم الله لأذكرنه أبغض  
مواطنه إليه ، فسكت الضحاک قليلاً ، وكأنه خزى واستحيا ، ثم قال : نعم ، كان  
ذلك اليوم بأخرة<sup>(۲)</sup> - بكلام ثقيل - ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد ۱ : ۱۵۵)

### ۲۶۸ - خطبته عند موت معاوية

ولما مات معاوية ( سنة ۶۰ هـ ) خرج الضحاک بن قيس الفهري - وكان صاحب  
شُرطته - حتى صعد المنبر ، وأكفان معاوية على يديه تلوح ، فحمد الله ، وأثنى  
عليه ، ثم قال :

« إن معاوية كان عمود العرب ، وحدث العرب ، قطع الله عز وجل به الفتنة ،  
وملكه على العباد ، وفتح به البلاد ، ألا إنه قدم مات ، فهذه أكفانه ، فنحن  
مُدْرِجوه فيها ومُدْخِلوه قبره ، ومُخَلَّون بينه وبين عمله ، ثم هوفي البرزخ<sup>(۳)</sup> إلى  
يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضره عند الأولى<sup>(۴)</sup> . »

( تاريخ الطبري ۶ : ۱۸۲ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۵۰ )

(۱) هذا المقول تهكم به كما ترى . (۲) يقال : جاء أخرة وبأخرة بالتحريك : أى آخر كل شيء .

(۳) البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة ، من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

(۴) وفي العقد « فن أراد حضوره صلاة الظهر فليحضره » .

٢٦٩ — خطبة النعمان بن بشير بالكوفة<sup>(١)</sup>

( قتل سنة ٦٤ هـ )

خطب النعمان بن بشير على منبر الكوفة ، فقال :

« يا أهل الكوفة : إني والله ما وجدت مثلي ومثلكم إلا الضبُّع والثعلب ، أتيا الضبُّ في جُحره ، فقالا : أبا الحِسل<sup>(٢)</sup> . قال : أجبتكما . قال : جئناك نختصم . قال : في بيته يؤتني الحكم . قالت الضبُّع : فتحت عيني . قال : ففعل الذساء فعلت . قالت : فلقطتُ تَمرةً . قال : حلوا اجتنبت . قالت : فاختطفها ثُمالة<sup>(٣)</sup> . قال : لنفسه بَغَى الخير . قالت : فلطمته لَطمةً . قال : حقًا قضيت . قالت : فلطمني أخرى . قال : كان حرًّا فانتصر . قالت : فاقض الآن بيننا . قال : حدِّث حديثين امرأةً ، فإن لم تفهم فأربعة<sup>(٤)</sup> . » ( المقدم الفرید ١ : ٢٦٩ - ٢ : ١٥٨ ، ومجمع الأمثال للميداني ٢ : ١٣ )

(١) ولى الكوفة وحصن معاوية ويزيد ، وكان هواه معهما ، وميله إليهما ، فلما مات معاوية بن يزيد دعا الناس إلى بيعة عبدالله بن الزبير بالشام ، وكان أول من خالف من أمراء الأجناد - وكان واليا على حصن - وانضم إلى الضحاك بن قيس الفهري ، أمده بجيش من أهل حصن عليه شرحبيل بن ذي الكلاع ونشبت الحرب بين الضحاك وبين مروان بن الحكم في مرج راهط ، ودارت الدائرة على جيش الضحاك وقتل كما قدمنا ، فلما بلغ الخبر النعمان بن بشير خرج عن حصن هاربا ليلا ومعه امرأته وولده وثقله ، فسار ليلته جمعا متحيرا لا يدرى أين يأخذ ، فأنبأه خالد بن عدى الكلاعي فيمن خف معه من أهل حصن ، فلحقه وقتله ويمث برأسه إلى مروان ، وكان قتله في ذي الحجة سنة ٦٤ هـ . (٢) أبو حسل وأبو حسيل : كنية الضب ، وفي مجمع الأمثال أن المتخاصمين : الأرنب والثعلب . (٣) ثُمالة : أم الثعلب الذكر والأنثى . (٤) وقد ذهبت أقوال الضب كلها أمثالا . قال الميداني في شرح المثل الأخير ( ١ : ١٣٠ ) : « أي زد » وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرر مرتين ، فكأنك حدثتها بحديثين . والمعنى كرر لها الحديث لأنها أضعف فهما ، فإن لم تفهم فاجملهما أربعة ، وقال أبو سعيد : فإن لم تفهم بعد الأربعة فالاربعة ( والمربعة ككنسة : العصا ) ويروى ، فأربع « أمر من ربع كنجح » أي كف ، تضرب في سوء السمع والإجابة .



## ٢٧٠ - خطبة عبید الله بن زياد بن أبيه بين يدي معاوية

( قتل سنة ٦٧ هـ )

قدم عبید الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد ، فجعل يتصدى منه بخلوة ،  
ليسبر من رأيه ما كره أن يشرك في علمه ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطلّاب ، واشتغال  
الخاصة ، وافتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه ، ففطن معاوية  
لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد وإلى مروان بن الحكم وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن  
ابن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فلما أخذوا مجالسهم أذن له ، فسلم ووقف واجماً يتصفح  
وجوه القوم . ثم قال :

« صريح العقوق مَكَاةُ الأذنين ، لا خير في اختصاص وإن وفر ، أحمدُ الله  
إليكم على الآلاء<sup>(١)</sup> ، وأستعينه على اللأواء<sup>(٢)</sup> ، وأستهديه من عمى مجهد ، وأستعينه  
على عدو مرصد<sup>(٣)</sup> ، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شفا جرف  
هاري<sup>(٤)</sup> ، ومن بد غار<sup>(٥)</sup> ، وصلوات الله على الزكي نبي الرحمة ، ونذير الأمة ، وقائد  
الهدى ، أما بقديا أمير المؤمنين : فقد عسف بنا ظن فرع<sup>(٦)</sup> ، وقذع<sup>(٧)</sup> صدع ، حتى  
طمع السحيق<sup>(٨)</sup> ، وبئس الرفيق ، ودب الوشاة بموت زياد ، فكلمهم مستحقير<sup>(٩)</sup>

(١) النعم . (٢) الشدة . (٣) أرصدت له : أعددت .

(٤) الشفا : حرف كل شيء ، والجرف كعق وقفل : ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض ، وهار  
الجرف : انصدع ولم يسقط فهو هار كقاض ، وهو مقلوب من هائر ، فإذا سقط فقد انهار وتهور .

(٥) البد : التعب ، والغاري : الملازم الشامل ، من غرا السمن قلبه لزق به وغطاه .

(٦) فرع بين القوم وفرق بمعنى واحد : أي أن هذا الظن فرق بيننا وبينك فجافيتنا .

(٧) هي في الأصل « فرع » وأرادها محرفة عن قذع وهي التي تناسب المقام . قذعه قذعا ( بالسكون )  
رماء بالفحش وسوء القول كأقذعه ، والقذع محرقة : الخنا والفحش والقذر ، وصدع : شقق وفرق : أي أن مارمانا  
به الوشاة لديك من سوء القول فرق بيننا وبينك . (٨) البعيد . (٩) في الأصل هكذا بمعنى محتقر ،  
أي محتقر لنا لمعاداته إيانا ، وأنه لا يبالي بمعادتنا لما نابنا من الضعف بموت زياد ، وربما كان « محتقرا للعداوة »  
أي متوثب مستوفز أو « مسحتقرا للعداوة » من اسحتقرا : إذا مضى مسرعا .

للعداوة . وقد قاص الآزرة<sup>(١)</sup> ، وشمر عن عطافه<sup>(٢)</sup> ايقول : مضى زياد بما استلحق  
به ، ودل على الأناة<sup>(٣)</sup> من مستلحقه ، فليت أمير المؤمنين سلم في دعته<sup>(٤)</sup> ، وأسلم<sup>(٥)</sup>  
زياداً في ضيعته ، فكان ترب<sup>(٦)</sup> عامته ، وأحد رعيتيه ، فلا تشخص<sup>(٧)</sup> إليه عين ناظر ،  
ولا إصبع مشير ، ولا تنداق<sup>(٨)</sup> عليه السن ككلمته حياً ، ونبشته ميتاً ؛ فإن تكن  
يا أمير المؤمنين حابيت زيادا بأول رفات ، ودعوة أموات ، فقد حاباك زياد بجد هصور ،  
وعزم جصور ، حتى لانت شكائم الشرس ، وذات صعبة الأشوس<sup>(٩)</sup> ، وبذل لك  
يا أمير المؤمنين يمينه ويساره ، تأخذ بهما المنيع ، وتقه بهما البديع ، حتى مضى والله  
يفغر له ، فإن يكن أخذ بحق أنزله منازل الأقربين ، فإن انا بعده ما كان له ، بدالة  
الرحم ، وقرابة الحميم ، فما انا يا أمير المؤمنين نمشي الضراء<sup>(١٠)</sup> ، ونشتف النضار<sup>(١١)</sup> ؟  
ولك من خيرنا أكله ، وعليك من حوبنا<sup>(١٢)</sup> أنقله ، وقد شهد القوم ، وما ساءنى قربهم  
ليقرّوا حقاً ، ويردّوا باطلاً ، فإن للحق مناراً واضحاً . وسبيلاً قصداً<sup>(١٣)</sup> . فقل يا أمير

- (١) الآزرة والأزر بضمين : جمع إزار ، وهو الملحفة . (٢) العطا : الرداء ، وجهه عطف  
بضمين ، وأعطفه ، وكذا المعطف بالكسر ، وهو مثل إزار ، ومئزر ، ولحاف ، وملحف .  
(٣) فى الأصل « الأنية » وأراد محرفاً عن « الأناة » وهى الحلم . (٤) الدعوة : الخفض .  
(٥) أسلمه : خذله ، أى فليته ترك زيادا ضائع النسب مغهوراً ولم يستلحقه .  
(٦) الترب : من ولد معك : أى فكان ترباً لأحد عامة الناس ، ولم يكن ترباً لك فلا يقدر له قدر .  
(٧) أى فلا ترتفع . (٨) اندلق السيل : اندفع ، والسيف انسل بلاسل ، أو شق جفنه فخرج منه ،  
وكلمته : جرحته وآذته . (٩) وصف من الشوس بالتحريك ، وهو النظر بمؤخر العين تكبراً ، أو تغيظاً .  
(١٠) الضراء : الشجر الملتف فى الوادى ، يقال توارى الصيد منه فى ضراء ، وفلان يمشى الضراء : إذا  
مشى مستخفياً فيما يوارى من الشجر . (١١) اشتف ما فى الإناء : شربه كله ، والنضار : الذهب  
أو الفضة ، والمراد : نمنع منه ، ولا نمكن من أخذه ، أى يحال بيننا وبين الولاية .  
(١٢) الحوب بضم الحاء وفتحها : الإثم ، أى عليك من آثامنا التى ارتكبناها فى سبيل تأييد  
سلطانك أنقلها . وفى بعض النسخ : « من جوابنا » أى من جوابنا حين يسألنا المولى عما أتينا من أخذ الناس  
بالعسف والإرهاق لتمكين ملكك . . . . (١٣) القصد : استقامة الطريق .

المؤمنين بأى أمر يك شئت ، فما نازر<sup>(١)</sup> إلى غير جحرنا ، ولا نستكثر بغير حقنا ،  
وأستغفر الله لى ولكم .

### ٢٧١ — رد معاوية على ابن زياد

فنظر معاوية فى وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفتهم بِلَحْظِهِ رجلا رجلا وهو مبتسم ،  
ثم اتجه تِلْقَاءَهُ ، وعقد حُبُوتَهُ<sup>(٢)</sup> . وحسّر عن يده ، وجعل يَوْمِيُ بِهَا ، ثم قال معاوية :  
« الحمد لله على ما نحن فيه ، فكل خير منه . وأشهد أن لا إله إلا الله ، فكل  
شئ خاضع له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، دل على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن  
ياتوا بمثله ؛ فهو خاتم النبیین ، ومصدق المرسلین ، وحجة رب العالمین ، صلوات الله  
عليه وبركاته ؛ أما بعد : فرُبُّ خَيْرٍ مستور ، وشَرُّ مذکور ، وما هو إلا السهم الأخبب  
لمن طار به ، والحظُّ المرغِب لمن فاز به ، فيهما التفاضل وفيهما التغاين ، وقد صفقت<sup>(٣)</sup>  
يداي فى أيبك صفقة ذى الخلة من روضح الفصلان ، عامل اصطناعى<sup>(٤)</sup> له بالكفر  
لما أوليته ، فإرमित به إلا انتصل<sup>(٥)</sup> ، ولا انتضيته<sup>(٦)</sup> إلا غلق جفنه ، ولزت<sup>(٧)</sup>  
لسعته ، ولا قلت إلا عاند ، ولا قت إلا قعد ، حتى اخترمه<sup>(٨)</sup> الموت ، وقد أوقع  
بِحتره<sup>(٩)</sup> ، ودل على حقه ، وقد كنت رأيت فى أيبك رأيا حضره الخطل ، والتبس  
به الزلل ، فأخذ منى بحظ الغفلة ، وما أبرئى نفيى ، إن النفس لأمارة بالسوء ،

(١) من أرزت الحية : أى لاذت بجحرها ورجعت إليه . (٢) احتبى بالثوب : اشتعل ، أو جمع  
بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، والاسم : الحبوة ، وحسر : كشف . (٣) صفق له بالبيع ،  
وصفق يده ، وعلى يده صفقا وصفقة : ضرب يده على يده ، وذلك عند وجوب البيع . والفصلان جمع فصيل :  
وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه ، والخلة : الحاجة . (٤) اصطنعه لنفسه : اختاره لخاصة أمراستكفاء إياه .  
(٥) انتصل السهم : سقط نصله . (٦) انتضى السيف : استله ، والجفن : غمد السيف .  
(٧) لزه : طعنه . (٨) أهلكه . (٩) الحتر : الغدر والخديعة ، أو أبيع الغدر ، وأوقع به : أهلكه .

فما برحت هفأت<sup>(١)</sup> أبيك تحطاب في حبل القطيعة ، حتى انتكث<sup>(٢)</sup> المبرم ، وانحل عقد الوداد . فيا لها توبة تؤتنف<sup>(٣)</sup> من حوبة أورثت ندما ، أسمع بها الهاتيف ، وشاعت للشامت ، فليهنأ<sup>(٤)</sup> الواشم ما به احتقر ، وأراك محمد من أبيك جدًا وجسورًا<sup>(٥)</sup> همأوفياً به على شرف التفتح<sup>(٦)</sup> ، وغبط النعمة ، فدعهما فقد أذكرتنا منه ما زهدنا فيك من بعده ، وبهما مشيت الضراء ، واشتفت النضار ، فاذهب ، إليك ، فانت نجل الدغل<sup>(٧)</sup> ، ونثر النغل<sup>(٨)</sup> ، والأجر شرٌّ .

### ٢٧٢ - مقال يزيد بن معاوية

فقال يزيد : « يا أمير المؤمنين إن للشاهد غير حكم الغائب ، وقد حضرك زياد ، وله مواطن معدودة بخير ، لا يُفسدها التظني<sup>(٩)</sup> ، ولا تغيرها التهم ، وأهلوه أهلك التحقوا بك ، وتوسطوا شأنك ، فسأفرت به الرُّكبان ، وسمعت به أهل البلدان ، حتى اعتقده الجاهل ، وشك فيه العالم ، فلا تتحجر<sup>(١٠)</sup> يا أمير المؤمنين ما قد اتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قوم آخرون . »

فانحرف معاوية إلى من معه ، فقال : هذا وقد<sup>(١١)</sup> نفسه ببيعته ، وطعن في أمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ، يا للرجال من آل أبي سفيان ! لقد حاكموا وبذم<sup>(١٢)</sup> يزيد وحده ،

(١) أعماله وسيئاته جمع هنة . (٢) انحل وانتقض . (٣) تؤتنف : تستأنف ، والحوبة : الإثم والذنب . (٤) من هنا الطعام : أى ساغ ولد ، والواشم فاعل من الوشم ، وشم يده : إذا غرزها بإبرة ثم ذر عليها النياج ، والمراد به هنا المعادى - والوشيمة : العداوة - أى فهيننا لأعدائه الذين حقروه ونالوا من عرضه ، فهو أهل لما قيل فيه : « يرد معاوية بذلك على قول عبيد الله قبل « ولا تندلق عليه السن كلمته حيا ، ونبشته ميتا » . (٥) الجسور : الجسارة . (٦) تقحمت به دابته : ندت به وربما طوحت به في وهدة أو وقصت به ، والقحمة كغرفة : الورطة والمهلكة ، والمراد التعرض للهلاك . (٧) الدخل والفساد . (٨) نغل الأديم نغلا : فسد في الدباغ ، والجرح فسد . (٩) التظني : إعمال الظن ، وأصله التظنن . (١٠) أى فلا تضيق . تحجر عليه : ضيق ، وتحجر ما وسعه الله : حرمه وضيقه ، وفى الحديث : « لقد تحجرت واسعا » أى ضيقت ما وسعه الله ، وفى الأصل « فلا يتحجر » وهو تصحيف . (١١) فى الأصل « وفد » ولعله وقد ، يقال وقده : أى غلبه وسكنه . (١٢) فاقهم .

ثم نظر إلى عبيد الله ، فقال : يا بن أخي ، إني لأعترفُ بك من أبيك ، وكأني بك في غمرة لا يخطوها<sup>(١)</sup> السابح ، فالزم ابن عمك ، فإن لما قال حقاً ، فخرجوا ولزم عبيد الله يزيد يردُّ مجلسه ، ويَطأُ عقبه أياماً ، حتى رمى به معاوية إلى البصرة والياً عليها<sup>(٢)</sup> .

(العقد الفريد ٢ : ١٤٠)

٢٧٣ - وصية المهلب بن أبي صفرة لأبنائه عند موته<sup>(٣)</sup>

روى الطبري قال :

لما كان المهلب بن أبي صفرة بزأغول من مرو الروذ ( من خراسان ) أصابته الشوصة<sup>(٤)</sup> ( وقوم يقولون الشوكة<sup>(٥)</sup> ) فدعا حبيباً ومن حضره من ولده ، ودعا بسهام فحزمت ، وقال : أترَوْنكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا : لا . قال : أوترَوْنكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم . قال : فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرِّحِم ، فإن صلة الرِّحِم تُنسي<sup>(٦)</sup> في الأجل ، وتُثري المال ، وتُكثُر العدد ، وأنها كم عن القطيعة ، فإن القطيعة تُعقب النار ، وتورث الذلة والقلة ، تبادلوا وتواصلوا تحابوا ، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا ، وتبارثوا تجتمع أموركم ، إن بني الأم يختلفون ، فكيف بيني العلات<sup>(٧)</sup> ؟ وعليكم بالطاعة والجماعة ، ولتكن فعالكم أفضل من قواكم ، فإني أحب المرء أن يكون لعمله فضلٌ على لسانه ، واتفوا الجواب ، وزلة اللسان ، فإن الرجل تزلُّ قدمه فينتعش من زلته ، ويزل لسانه فيهلك ، اعرفوا لمن يفتشكم حقه ، فكفى بغدو

(١) في الأصل « لا يخطرها » وأراه « لا يخطوها » . (٢) قال الطبري : « ولي معاوية عبيد الله

ابن زياد البصرة سنة ٥٥ هـ . (٣) سترد خطبه إن شاء الله في باب « خطب الخوارج وما يتصل بها » وذكر الطبري أنه توفي سنة ٨٢ هـ ، وابن خلكان أنه توفي سنة ٨٣ هـ ، وكان الحجاج قد ولاه بعد فراغه من حرب الأزارقة على خراسان ، فوردها والياً عليها سنة ٧٩ هـ ولم يزل والياً عليها حتى أدركته الوفاة هناك .

(٤) الشوصة بالفتح وقد تضم الشين : وجع في البطن . (٥) الشوكة : حمرة تعلقوا الجسد .

(٦) تؤخر وتطيل . (٧) بنو العلات : بنو أمهات شتى من رجل واحد .

الرجل ورَواحِه إليكم تذكِرة له ، وآثروا الجودَ على البخل ، وأحبُّوا العرب ، واصطنعوا العرب ، فإن الرجل من العرب تَعِدُهُ العِدَّةَ فيموتُ دونك ، فكيف الصنيعة عنده ؟ وعليكم في الحرب بالأناةِ والمَكيدة ، فإنها أنفعُ في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه ، قيل : أتى الأمر من وجهه ، ثم ظفر فحميد ، وإن لم يظفر بعد الأناة ، قيل : ما فرطَ ولا ضيَّع ، ولكن القضاء غالب ، وعليكم بقراءة القرآن ، وتعاليم السنن وأدب الصالحين . وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفتُ عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجند ، حتى يقدّم بهم على يزيد ، فلا تخالفوا يزيد « فقال له المفضل : لو لم تُقدّمه لقدّمناه .

( تاريخ الطبرى ٨ : ١٩ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٨ )

\* \* \*

وعهد إلى ولده يزيد ، فكان من جملة ما قال له :

« يا بُنى ، استعقل الحاجب ، واستظرف الكاتب ، فإن حاجبَ الرجل وجهه ، وكاتبه لسانه » ، وكان يقول لبنيه : « يا بنى أحسن ثيابكم ما كان على غيركم » . ومن كلماته المأثورة قوله : « الحياة خيرٌ من الموت ، والثناء الحسن خيرٌ من الحياة ، ولو أُعطيتُ ما لم يُعطه أحد لأحببت أن تكون لى أذنٌ أسمع بها ما يقال فى غدأ إذا ميتٌ » ، وقوله : « عجبْتُ لمن يشتري العبيد بماله ولا يشتري الأحرار بإفضاله » .

( وفيات الأعيان ٢ : ١٤٦ ، وشرح العيون ١٣٧ )

# خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

(المتوفى سنة ٩٥ هـ)

٢٧٤ - خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير (سنة ٧٣ هـ)

لما قتل الحجاجُ عبد الله بن الزبير، ارتجّت مكة بالبكاء، فصعد المنبر، فقال:

«ألا إن ابن الزبير كان من أخصاب<sup>(١)</sup> هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها، وخلع طاعة الله، واستكّن بحرم الله، ولو كان شيء مانعاً للأصاة، لمنع آدم حرمة الجنة، لأن الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأباحه جنته، فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته، وآدم على الله أكرم من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة».

(شرح العيون ص ١٢٢ وتاريخ ابن عساکر ٤ : ٥٠)

٢٧٥ - خطبته بعد قتل ابن الزبير

وصعد الحجاج بعد قتله ابن الزبير متلماً، فخط اللئام عنه ثم قال:

«مَوْجُ لَيْلِ التَّطْمِ، وَأَنْجَلِي بِضَوْءِ صُبْحِهِ، يَا أَهْلَ الْحِجَازِ، كَيْفَ رَأَيْتُمُونِي؟ أَلَمْ أَكْشِفْ ظُلْمَةَ الْجَوْرِ، وَطُخِيَةَ<sup>(٢)</sup> الْبَاطِلِ بِنُورِ الْحَقِّ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ وَطَّئْتُكُمْ الْحِجَابَ وَطَاةَ مُشْفِقٍ، وَعَطَفَةَ رَحْمٍ، وَوَضَلَّ قَرَابَةَ، فَأَيُّكُمْ أَنْ تَزَلُّوا عَنْ سَنَنِ أَيْمَانِكُمْ عَلَيْهِ،

(١) جمع حبر: بفتح الحاء وكسرهما، وهو للعالم أو الصالح. (٢) الطخية: الظلمة، ويشك.

فأقطع عنكم ما وصلته لكم ، بالصارم البتار ، وأقيم من أودكم ما يقيم المثقف

من أود<sup>(١)</sup> القناة بالنار « ثم نزل وهو يقول :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقتها الحرب شمرت

( مواسم الأدب ٢ : ١٢٣ )

## ٢٧٦ - خطبته حين ولي العراق<sup>(٢)</sup> ( سنة ٧٥ هـ )

حدث عبد الملك بن عمير الليثي قال :

بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة ، وأهل الكوفة يومئذ ذور حال حسنة ،

يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه ، إذ أتى آت ، فقال : هذا الحجاج

قد قدم أميراً على العراق ، فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمِراً بِعِمَامَةٍ قَدْ غَطَّى بِهَا أَكْثَرَ وَجْهِهِ

مَقْلَدًا سَيْفًا ، مَتْنَكِبًا<sup>(٣)</sup> قَوْسًا ، يَوْمَ الْمَذْبَرِ ، فَقَامَ النَّاسُ نَحْوَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمَذْبَرُ ، فَكَثَّ

سَاعَةً لَا يَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : قَبِّحَ اللَّهُ بَنِي أُمِيَّةَ ، حَيْثُ اسْتَعْمَلُ مِثْلَ هَذَا

عَلَى الْعِرَاقِ ! حَتَّى قَالَ عُثْمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ الْبُرْجُمِيِّ : أَلَا أَحْضِبُهُ لَكُمْ ؟ فَقَالُوا : أَمْهَلُ حَتَّى

نَنْظُرَ<sup>(٤)</sup> ، فَلَمَّا رَأَى عَيُونَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، حَسَرَ اللَّثَامَ عَنْ فِيهِ ، وَنَهَضَ ، فَقَالَ :

« أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّمَايَا مَتَى أَضْعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي<sup>(٥)</sup> »

(٣) مقوم الرماح ، والأود : الاعوجاج .

(٢) ويروي : أنه خرج يريد العراق واليا عليها في اثني عشر راكبا على النجائب ، حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار ، فبدأ بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر فقال : على بالناس ، فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به .

(٣) تنكب قوسه : ألقاها على منكبيه . (٤) قال ابن نباتة « فلما سمعوا هذه الخطبة - وكان بعضهم قد أخذ حصى أراد أن يحصبه به - تساقط من أيديهم حزنا ورعبا » . (٥) البيت لسحيم بن وثيل

الرياحي ، قاله الحجاج متمثلا ، وقوله « أنا ابن جلا » أي الواضح الأمر المنكشفه ؛ وقيل ابن جلا الصبح ، لأنه يجلو الظلمة . وهو مثل يضرب للمشهور المتعالم ، أي أنا الظاهر الذي لا يخفى وكل أحد يعرفني ، ولم ينون جلا

لأنه أراد الفعل ، فحكى على ما كان عليه قبل التسمية كقول الشاعر :

وَاللَّهِ مَا زِيرُ بِنَامٍ صَاحِبُهُ وَلَا مُخَالِطِ اللَّيَانِ جَانِبُهُ

وتقديره إذا ابن الذي يقال له جلا الأمور وكشفها . وقال بعضهم : ابن جلا - وابن أجل - رجل -



ثم قال: يا أهل الكوفة، أما والله إنى لأُحْمِلُ الشرَّ بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه  
بمثله ، وإنى لأرى أبصاراً طامحة ، وأعناقاً متطاولة ، وروساً قد أينعت وحن  
قطافها ، وإنى لصاحبها ، وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللاحي تترقُّ ،  
ثم قال :

هذا أوان الشدِّ فاشتدَّى زيمٌ      قد لفها الليلُ بسواقِ حطَمٍ  
ليس براعى إبلٍ ولا غنمٍ      ولا بجزارٍ على ظهرٍ وضمٍّ<sup>(١)</sup>  
ثم قال: قد لفها الليلُ بعصبيِّ      أزوعَ خراجٍ من الدوىِّ  
مُأجِرٍ ليس بأعرابيِّ<sup>(٢)</sup>

ثم قال: قد شمَّرتُ عن ساقها فشدُّوا      وجدَّتِ الحربُ بكم فجدُّوا  
والقوسُ فيها وترٌّ عرُدُّ      مثل ذرايعِ البكرِ أو أشدُّ  
لا بُدَّ مما ليس منه بُدُّ<sup>(٣)</sup>

= بعينه، قال في اللسان: « وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل على أهلها » والثنايا  
جمع ثنية: وهى الطريق في الجبل، أراد به أنه جلد يطلع الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها، والعمامة: المغفر

والبيضة قال ثعلب: العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم. (١) الشعر لرويشد بن رميض العبدي  
والشد: العدو، وزيم: اسم فرس أو ذاقة، وقيل اسم للحرب، والحطم، والحطمة: الراعى الظلوم للماشية  
يهشم بعضها ببعض، فلا يبقى من السبر شيئا، وقد ضرب المثل برعاة الغنم في الحمق فقيل: « أحق من راعى  
ضأن ثمانين » قال الجاحظ في البيان والتبيين ١: ١٣٩ « فأما استحماق رعاة الغنم في الجملة فكيف يكون  
ذلك صوابا؟ وقد رعى الغنم عدة من جملة الأنبياء عليهم السلام » والوضم: كل ما قطع عليه اللحم.

(٢) العصبى: الشديد القوى، والأروع: الذكى، أو من يعجبك بشجاعته، والدو والدوية والداوية  
ويخفف: الفلاة المتسعة التى تسمع لها دويا بالليل « وإنما ذلك الدوى من أخفاف الإبل، تنفسح أصواتها  
فيها، وتقول جهلة الأعراب: إن ذلك عزيز الجن » أى خراج من كل غمام شديدة، وهجر الرجل: خرج  
من البدو إلى المدن، والأعرابي بطبيعته غر ساذج ليس في تجربته كأهل المدن.

وسيرد عليك إن شاء الله في الجزء الثالث في خطبة أبي بكر بن عبدالله بالمدينة:

« إنى لست أتأويا أعلم ، ولا بدويا أفهم . »

(٣) حذبه الأمر: اشتد، وعرد: أى شديد، والبكر: الفتى من الإبل، ولا بد من كذا: أى لا يحيد عنه.

إلى والله يا أهل العراق ، ومعدن الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، ما يُقَفِّعُ  
 لي بالشنان<sup>(١)</sup> ، ولا يُغَمَزُ جانبي كتغماز التين ، ولقد فررت<sup>(٢)</sup> عن ذكاه ، وفنشت  
 عن تجربة ، وجريت إلى الغاية القُصوى ، وإن أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - نثر  
 كِفَانَتَهُ<sup>(٣)</sup> ، بين يديه ، فعَجَمَ<sup>(٤)</sup> عِيدَانَهَا ، فوجدني أمرها عُوداً ، وأصلبها مَكْسِراً<sup>(٥)</sup>  
 فرماكم بي ، لأنكم طالما أوضعتم<sup>(٦)</sup> في الفتن ، واضطجعتم في مَرَاقِدِ الضلال ، وسننتم  
 سُنَّ الفئى ، أما والله لألحون<sup>(٧)</sup> نككم<sup>(٧)</sup> آخو العصا ، ولأقرعنكم قرع المروة<sup>(٨)</sup> ،  
 ولأغصبنكم عصب السلة<sup>(٩)</sup> ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل<sup>(١٠)</sup> ، فإنكم لكاهل  
 قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيتها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت  
 بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإني والله  
 لا أعد إلا وفيت ، ولا أمم إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فريت<sup>(١١)</sup> ، فإياي وهذه  
 الشفعاء ، والزرافات<sup>(١٢)</sup> والجماعات ، وقالوا وقيل<sup>(١٣)</sup> ، وما تقول ؟ وفيم أنتم وذاك ؟

(١) القمقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره ، والشنان : جمع شن بالفتح ،  
 وهو القرية البالية ، وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع : مثل يضرب  
 لمن لا يروعه مالا حقيقة له ، وقد تمثل به معاوية من قبله . (٢) فر الدابة : نتج حنكها وكشف أسنانها  
 لينظر سننها ، وفر عن الأمر : بحث عنه . (٣) الكنانة : جمعة السهام . وفي رواية : « كب كنانته »  
 أى قلبها . (٤) عجم العود : عضه ايمرف صلابته من خوره . (٥) وفي رواية « وأصلبها عمودا » .  
 (٦) أوضع إيضاها : أمرع في سيره كوضع . (٧) لحا العصا : قشر ، وفي رواية : « لحو العود » .  
 (٨) المرو : حجارة بيض براقه تورى النار .  
 (٩) السلة : شجر كثير الشوك . قال الجاحظ في البيان والتبيين « لأن الأشجار تصب أعضانها ، ثم  
 تخبط بالعصى اسقوط الورق وهشيم العيدان » (٣ : ٢١) . (١٠) قال الجاحظ أيضا : (٣ : ٢٧) « وهى  
 تضرب عند الحرب ، وعند الخلاط ، وعند الحوض أشد الضرب » وقال الحارث بن صخر :  
 بضرب يزيل الهام عن سكتاته كما زيد عن ماء الحياض الغرائب  
 (١١) أخلق : أقدر ، وفريت : قطعت . (١٢) الشفعاء جمع شفيح ، وكانوا يجتمعون إلى السلطان  
 فيشفعون في أصحاب الجرائم ، فنهاهم عن ذلك ، والزرافات جمع زرافة بفتح الزاى وضمها : الجماعة من  
 الناس . (١٣) القول في الخبر ، والقال ، والقيل ، والقالة في الشر .

أما والله لَتَسْتَقِيمُنَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ ، أَوْ لَأَدَعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ ،  
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي بِإِعْطَائِكُمْ أُعْطِيَاَتِكُمْ<sup>(١)</sup> ، وَأَنْ أُوجِّهَكُمْ لِمُحَارَبَةِ عَدُوِّكُمْ مَعَ  
الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ<sup>(٢)</sup> ، وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا أَجِدُ رَجُلًا تَخْلَفُ بَعْدَ أَخْذِ عَطَائِهِ بِثَلَاثَةِ  
أَيَّامٍ إِلَّا سَفَكَتُ دَمَهُ ، وَأَنْهَيْتُ<sup>(٣)</sup> مَالَهُ ، وَهَدَمْتُ مَنْزَلَهُ .

( الكامل للمبرد ١ : ١٨١ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٦٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٣ - ٣ : ٧ ،  
وتاريخ الطبري ٧ : ٢١٠ ، وصبح الأعتى ١ : ٢١٨ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٤ ،  
ومروج الذهب ٢ : ١٣٢ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١١٥ ، والكامل لابن الأثير ٤ : ١٥٦ ،  
وسرح العيون ١١٦ ، وتاريخ ابن عساكر ٤ : ٥٣ ) .

## ٢٧٧ - خطبته وقد سمع تكبيرا في السوق

فلما كان اليوم الثالث خرج من القصر ، فَسَمِعَ تَكْبِيرًا فِي السُّوقِ ، فَرَأَاهُ ذَلِكَ ،  
فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، يَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ، وَبَنِي اللَّكِيْمَةِ<sup>(٤)</sup> ،  
وَعَبِيدَ الْعَصَا ، وَأَوْلَادَ الْإِمَاءِ ، وَالْفَقْعَ بِالْقَرَقَرِ<sup>(٥)</sup> ، إِنِّي سَمِعْتُ تَكْبِيرًا لَا يُرَادُ اللَّهُ بِهِ ،  
وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ<sup>(٦)</sup> ، أَلَا إِنَّهَا عِبَاجَةٌ تَحْتَمُّهَا قَصْفٌ<sup>(٧)</sup> ، وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَا قَالَ  
عَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ الْهَمْدَانِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَايَا لَهْمْدَانَ ظَالِمٌ !

(١) أعطيات جمع أعطية ، وهي جمع عطاء . (٢) قائد الجيوش الذي حارب الخوارج الأزارقة ،  
وفل شوكتهم ، وسيأتي . (٣) جعلته نها يفار عليه .

(٤) اللثيمة . (٥) القرقر : أرض مطمئنة لينة ، والفقع ويكمر : البيضاء الرخوة من  
الكأة ، ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقر ، لأنه لا يمتنع على من اجتناء ؛ أو لأنه يوطأ بالأرجل .

(٦) وفي رواية : « إِنِّي سَمِعْتُ تَكْبِيرًا لَيْسَ بِالتَّكْبِيرِ الَّذِي يُرَادُ اللَّهُ بِهِ فِي التَّرْغِيبِ ، وَلكِنَّ التَّكْبِيرَ  
الَّذِي يُرَادُ بِهِ التَّرْهِيْبُ » . (٧) العجاج : الغبار ، والقصف : شدة الريح .

متى تجمع القلب الذكى وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم  
أما والله لا تفرع عصاً عصاً إلا جعلتها كأمس الدابر<sup>(۱)</sup> .

( للبيان والتبيين ۲ : ۶۹ - ۱ : ۲۰۹ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۵۲ ، وإعجاز القرآن ۱۲۴ ،  
وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۱۴ ، وتاريخ الطبرى ۷ : ۲۱۲ ، وتهذيب الكامل ۱ : ۱۹ )

## ۲۷۸ - خطبته وقد قدم البصرة

وخطب لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق ويتوعدهم فقال :

« أيها الناس : من أعياه داؤه ، فمندی دواؤه ، ومن استطال أجله ، فعلى أن أعجله ،  
ومن ثقل عليه رأسه ، وضعتُ عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره . قصرتُ عليه باقيه ،  
إن للشيطان طيفاً ، وللسلطان سيفاً ، فن سقمتُ سريرته ، صحت عُقوبته ، ومن وضعه  
ذنبه ، رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضيقُ عنه الهدى ، ومن سبقته بادرته فبه ،  
سبق بدنه بسفكِ دمه ، إني أنذِرُ ثم لا أنظر<sup>(۲)</sup> ، وأحذرُ ثم لا أعذر ، وأتوعد  
ثم لا أعفو ، إنما أفسدكم ترنيق<sup>(۳)</sup> ولأنكم ، ومن استرخى لآبئه<sup>(۴)</sup> ، ساء أدبه ، إن  
الحزم والعزم سلبانى سوطى<sup>(۵)</sup> ، وأبدلانى به سيفى ، فقائم فى يدي ، ونجاده<sup>(۶)</sup> فى عنقى ،  
وذبابه<sup>(۷)</sup> قِلادة لمن عصانى ، والله لا أمرُ أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد ،  
فيخرج من الباب الذى يليه ، إلا ضربت عنقه » .

( نهاية الأرب ۷ : ۲۴۴ صبح الأعشى ۱ : ۲۲۰ وشرح العيون ۱۲۲ )

(۱) وفى رواية الطبرى خاصة : « ألا يربع رجل منكم على ظلمه ، ويحمن حقن دمه ، ويبصر  
موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم رقعة تكون نكالا لما تابها ، وأدبا لما بعدها » -  
يربع ( كيمع ) يقف ، وينتظر ، والظلم ( كشمس ) : الغمز فى المشى ، ويقال : اربع على ظلمك ، أى إنك  
ضعيف ، فانتها عما لاتطيقه . (۲) أنظره : أهله . (۳) الترنيق : الضعف فى الأمر ( وفى البدن والبصر أيضاً ) .  
(۴) اللب : ما يشد فى صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل ، والمراد أن الهوادة واللبن تفسد أدب الرعية .  
(۵) هكذا فى نهاية الأرب ، وفى صبح الأعشى : « سكتنا فى وسطى » والأول أصح ، أى أنه رأى من  
الحزم والعزم : المبالغة فى استعمال الشدة والقوة فى التأديب ، فطرح السوط ، واستبدل به ما هو أشد  
منه وهو السيف . (۶) النجاد : هلاقة السيف . (۷) ذباب السيف : حده .

## ۲۷۹ - خطبته بعد وقعة دير الجماجم<sup>(۱)</sup>

وخطب أهل العراق بعد وقعة دير الجماجم فقال :

« يا أهل العراق ، إن الشيطان قد استبطنكم ، فخالط اللحم والدم والمصعب ،  
والمسامع والأطراف ، والأعضاء<sup>(۲)</sup> والشغاف<sup>(۳)</sup> ، ثم أفضى إلى المخاخ<sup>(۴)</sup> والأصمخ ،  
ثم ارتفع فعمشش ، ثم باض وفرخ ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً ، وأشعركم خلافاً ، اتخذتموه  
دليلاً تتبهون به ، وقائداً تطيعونه ، وموأمراً<sup>(۵)</sup> تستشيرونه ، فكيف تنفعم تجربة ،  
أو تعظكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو ينفعكم بيان ؟ ألسن أصحابي بالأهواز<sup>(۶)</sup> ؟

(۱) وقعة دير الجماجم : هي وقعة نشبت بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قرب الكوفة سنة ۸۳ هـ هزم فيها ابن الأشعث . وذلك أن عبيد الله بن أبي بكر عامل الحجاج على سجستان كان قد غزا رتبيل ملك الترك ، وأوغل في بلاده فأصيبوا ، وهلك أكثرهم ، فوجه الحجاج إلى رتبيل بن الأشعث على رأس جيش عظيم لمحاربتة ، فسار إليه وامتلك بعض بلاده ، وكان يرى أن يتدرج في الفتح ، فينتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم ، ولا يتوغل في بلادهم لكيلا يعرض جيشه للدمار والهلكة ، وكتب إلى الحجاج بذلك ، فأبى عليه الحجاج ، وكتب إليه يصف رأيه ويأمره بالوغل في أرضهم وإلا عزله ، وكان من جراء ذلك أن بايع الجند ابن الأشعث على خلع الحجاج وقتاله ثم خلع عبد الملك بن مروان ، وسار ابن الأشعث بهم من سجستان إلى العراق ، وتجهز الحجاج للقائه ، فسار بأهل الشام حتى نزل تسر ( مدينة بالأهواز ) فانهزمت مقدمته ، فرجع إلى البصرة حتى نزل الزاوية ( موضع قرب البصرة ) ودارت رحى الحرب بين الفريقين فهزم أهل العراق أهل الشام . فجثا الحجاج على ركبتيه وانتضى نحو شهر من سيفه ، واستعد للقاء الموت كريماً فقيوت بذلك قلوب جنده واستبسلوا حتى كان لهم النصر . وانهزم ابن الأشعث ، فأقبل نحو الكوفة ، حتى هزم هزيمة منكرة بدير الجماجم وتبدد أمره ، وفر إلى فارس حتى نزل مدينة بست ؛ فسمع رتبيل بمقدمه فأنزله عنده وأكرمه فكتب الحجاج إلى رتبيل يأمره أن يبعث إليه بابن الأشعث ويتوعده إن لم يفعل ، فأراد رتبيل أن يرسله إليه ، فقتل ابن الأشعث نفسه بأن أتى نفسه من فوق قصر ، فات فاحتر رتبيل رأسه ، وبعث به إلى الحجاج سنة ۸۵ هـ . (۲) في العقد الفريد ( والأعضاء ) . (۳) الشغاف : غلاف القلب أو حبته . (۴) رواية نهاية الأرب « المخاخ » وهو الوارد في كتب اللغة : مخ يجمع على مخاخ ومخخة ( كعنبه ) ، أما سائر المصادر التي روت هذه الخطبة ؛ فتروها ( الأبخاخ ) ، وهو ما لم أره في كتب اللغة . وقد روت جميع المصادر « الأصمخ » بهذا النص ، والذي في كتب اللغة : « الصمخ من الأذن : الحرق الباطن الذي يفضى إلى الرأس يجمع أصمخة وصمخ » ومثل الصمخ الأصموخ كمصفور ، وجمعه أصمبخ ، فصواب الكلمة « الصمبخ » أو « الأصمبخ » . (۵) أمره في كذا مؤامرة : شاوره . (۶) يشير إلى وقعة « تسر »

حيث رُمتم المكر ، وسعيتم بالقدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه  
 وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي ، وأنتم تتسألون لو إذا<sup>(١)</sup> ، وتنهزمون سِرَاعاً ؟ ثم يوم  
 الزاوية ، وما يوم الزاوية ! بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم ، وبرائة الله منكم ،  
 ونكوص ولييكم عنكم ، إذ ولّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى  
 أعطانها<sup>(٢)</sup> ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلو<sup>(٣)</sup> الشيخ على بنيه ، حتى عضّكم<sup>(٤)</sup>  
 السلاح ، وقصمتكم الرماح ، ثم يوم دبر الجاجم ، وما يوم دبر الجاجم ! بها كانت  
 المعارك والملاحم<sup>(٥)</sup> ، بضرب يزيل الهام<sup>(٦)</sup> ، عن مقيله<sup>(٧)</sup> ، ويذهل الخليل عن خليله ،  
 ي أهل العراق ، والكفّرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الخترات<sup>(٨)</sup> ، والنزوات<sup>(٩)</sup>  
 بعد النزوات ، إن بعثتكم إلى ثغوركم غلاتم<sup>(١٠)</sup> وخنتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن  
 خفتم نافقتم ، لاتذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة ، هل استخفكم ناكث ،  
 أو استغواكم غاو ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم<sup>(١١)</sup> خالع ، إلاتبعتموه وآويتموه ،  
 ونصرتموه وزكّيتموه ؟ ي أهل العراق ، هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو زفر  
 زافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟ ي أهل العراق : ألم تنهكم المواءم ، ألم تزجركم  
 الوقائع ؟ » .

ثم التفت إلى أهل الشام وهم حول المنبر ، فقال : « ي أهل الشام ، إنما أنا لكم  
 كالظلم<sup>(١٢)</sup> الرامح عن فراخه ، ينفى عنها المدر<sup>(١٣)</sup> ، ويباعد عنها الحجر ، ويكثها

- (١) أي يلوذ بعضهم ببعض : لاوذ لوإذا وملاوذة . (٢) أعطان جمع عطن كسبب : مبرك الإبل  
 حول الحوض كالمعطن ، ونوازع : أي مشتاقة . (٣) لايلوي على أحد ؛ أي لايقف ولا ينتظر .  
 (٤) في نهاية الأرب « عظكم » بالظاء : عظته الحرب كعضته بالضاد .  
 (٥) جمع ملحمة وهي الوقعة العظيمة القتل . (٦) جمع هامة ، وهي الرأس .  
 (٧) موضعه ، أي الأعناق ، قال الشاعر :  
 بضرب بالسيوف رهوس قوم أزلنا هاهن عن المقيل  
 (٨) جمع خثرة ، والخر كشمس : القدر والحديعة أو أقباح القدر . (٩) جمع نزوة ، من نزا  
 نزوانا : أي وثب . (١٠) غل كنصر غلولا : خان . (١١) استعضده : سأله أن يعضده .  
 (١٢) ذكر النعام ، والرامح : أي المدافع ، من رمحه : أي طعنه بالرمح . (١٣) قطع الطين اليابس .

من المطر ، ويحميها من الضباب<sup>(١)</sup> ، ويحرسها من الذئب ، يأهل الشام ؛ أنتم الجنة والرّداء ، وأنتم العدة والحذاء .

( البيان والتبيين ٢ : ٧١ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٥ ، والمعقد الفريد ٢ : ١٥٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١٤ ، ومروج الذهب ٢ : ١٣٥ - وتاريخ ابن عساكر ٤ : ٥٥ ) .

## ٢٨٠ - خطبة أخرى له في أهل الكوفة وأهل الشام

وخطب فقال :

« يأهل الكوفة ، إن الفتنة تُلَقَّحُ بالنجوى<sup>(٢)</sup> ، وتُذْتَجُ بالشكوى ، وتُحْصَدُ بالسيف ؛ أما والله إن أبغضتموني لاتضروني ، وإن أحببتموني لاتنفعوني ، وما أنا بالمستوحش لعداوتكم ، ولا المستريح إلى مودتكم ، زعمتم أني ساحر ، وقد قال الله تعالى : « وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ » . وقد أفاحت ، وزعمتم أني أعلم الاسم الأكبر ، فلم تقاتلون من يعلم ما لاتعلمون ؟ » .

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : « لَأَزْوَاجُكُمْ أَطِيبُ مِنَ الْمَسْكِ ، وَلَا بَنَاتُكُمْ آانسُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَلَدِ ، وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي ذُبْيَانَ :

إِذَا حَارَلَتْ فِي أَسَدٍ فَجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَاسْتَمَنِي

هُمْ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَّامْتُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ وَهُمْ مَجْنِي<sup>(٣)</sup>

ثم قال : « بل أنتم يأهل الشام كما قال الله سبحانه : « وَاتَّقُوا سَبَقَتُ كَلِمَتِنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » ثم نزل .

( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١٥ )

## ٢٨١ - خطبة له بالبصرة

وخطب بالبصرة ، فقال :

قال الله تعالى : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » ، فهذه لله ، وفيها متوبة<sup>(٤)</sup> ، وقال :

(١) جمع ضب ، وهو حيوان كالوزغة والحرباء . (٢) النجوى : المسارة . (٣) استلام : لبس

للأمة ، وهي الدرع ، النصار : ماء لبني عامر له يوم ، والمجن : الترس . (٤) ثواب .

« وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا » ، وهذه لعبد الله ، وخليفة الله ، وحبيب الله ، عبد الملك بن مروان ؛  
 أما والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد ، فأخذوا في باب غيره <sup>(۱)</sup> ، لكانت  
 دماؤهم لي حلالا من الله ، ولو قتل ربيعة ومصر لكان لي حلالا .  
 « عذيري <sup>(۲)</sup> من أهل هذه الحبراء ، يرمي أحدهم بالحجر إلى السماء ويقول :  
 يكون إلى أن يقع هذا خير <sup>(۳)</sup> ، والله لأجعلنهم كالرسم <sup>(۴)</sup> الدائر ، وكالأمس الغابر ،  
 عذيري من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب ، أما والله لو أدركته اضربت  
 عنقه - يعني عبد الله بن مسعود <sup>(۵)</sup> - ، عذيري من سليمان بن داود ، يقول لربه :  
 « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي » كان والله - فيما علمت -  
 عبداً حسوداً بخيلاً .  
 ( مروج الذهب ۲ : ۱۴۳ والمقد الفريد ۲ : ۱۵۲ )

## ۲۸۲ - خطبة أخرى له بالبصرة

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
 « إن الله كفانا مَثُونَةَ الدنيا ، وأمرنا بطلب الآخرة ، فليتهُ كفانا مَثُونَةَ الآخرة  
 وأمرنا بطلب الدنيا ، مالي أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكُم لا يتعلمون ، وشركم  
 لا يتوبون ؟ مالي أراكم تحرصون على ما كُفيتُم ، وتضيعون ما به أمرتم ؟ إن العلم يوشك  
 أن يرفع ، ورَفَعُهُ ذهابُ العلماء ؛ ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس ، الذين  
 لا يقرءون القرآن إلا هَجْرًا <sup>(۶)</sup> ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا <sup>(۷)</sup> ؛ ألا وإن الدنيا عَرَضٌ  
 حاضر ، يأكل منها البرُّ والفاجر ، ألا وإن الآخرة أجل مستأخر ، يحكم فيها ملك قادر

(۱) وفي مروج الذهب : « لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب ، فدخلوا في غيره » والشعب  
 بالكم : سيل الماء في بطن الأرض ؛ والطريق في الجبل . (۲) العذير : العاذر والنصير ؛ والحال التي  
 تحاولها تعذر عليها . (۳) وفي مروج الذهب ، يلقى أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول : إلى  
 أن يبلغها يكون فرج الله . (۴) الرسم : الأثر ، أو بقية . والدائر : الدارس المحو .  
 (۵) هو من بني هذيل . (۶) أي هجرا له وتركها ، ومعناه أنهم لا يقرءونه ، ولا يتلونونه .  
 (۷) الدبر من كل شيء : عقبه ومؤخره ، أي ولا يأتون الصلاة إلا في آخر وقتها .



أَلَا فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ مِنْ اللَّهِ عَلَى حَذْرٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ، أَلَا وَإِنْ خَيْرٌ كُلُّهُ بِحَدِّافِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا وَإِنْ الشَّرُّ كُلُّهُ بِحَدِّافِيرِهِ فِي النَّارِ ، أَلَا وَإِنْ مَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ <sup>(١)</sup> .

(العقد الفريد ٢ : ١٥٣)

### ٢٨٣ - خطبته في أهل العراق يصارحهم بالكراهية

وخطب أهل العراق ، فقال :

« يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ : إِي لَمْ أُجِدْ دَوَاءَ أَدْوَى لِدَائِكُمْ ، مِنْ هَذِهِ الْمَغَازِي وَالْبَعُوثِ ، لَوْلَا طَيْبُ لَيْلَةِ الْإِيَابِ ، وَفَرَحَةُ الْقَفَلِ <sup>(٢)</sup> ، فَإِنَّهَا تُعْقِبُ رَاحَةً ، وَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى الْفَرَحَ عِنْدَكُمْ ، وَلَا الرَّاحَةَ بِكُمْ ، وَمَا أَرَاكُمْ إِلَّا كَارِهِينَ لِمَقَالَتِي ، وَأَنَا وَاللَّهِ لَرُؤِيَتِكُمْ أَكْرَهُ ، وَلَوْلَا مَا أُرِيدُ مِنْ تَنْفِيذِ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ ، مَا حَمَلْتُ نَفْسِي مَقَاسَاتِكُمْ ، وَالصَّبْرَ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْكُمْ ، وَاللَّهِ أَسْأَلُ حَسْنَ الْعَوْنِ عَلَيْكُمْ » ، ثُمَّ نَزَلَ .

(العقد الفريد ٢ : ١٥٣)

### ٢٨٤ - خطبة أخرى

وخطب أهل العراق ، فقال :

« يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، بَلِّغْنِي أَنَّكُمْ تَرَوْنَ عَن نَبِيِّكُمْ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَلَكَ عَلَى عَشْرِ رِقَابٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، جِيءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، حَتَّى يَفْكَهُ الْعَدْلُ ، أَوْ يُؤَبِّقَهُ الْجَوْرُ » . وَإِيْمُ اللَّهِ إِنِّي لِأَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَنْ أُحْشَرَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو مَغْلُوبًا ، مِنْ أَنْ أُحْشَرَ مَعَكُمْ مُطْلَقًا » .

(العقد الفريد ٣ : ١٧)

(١) وذكر صاحب العقد أيضا هذه الخطبة من قوله : « أَلَا وَإِنْ الدُّنْيَا مَرَضٌ حَاضِرٌ » إِلَى آخِرِهَا وَمَزَاهَا إِلَى شَدَادِ بْنِ أَوْسِ الطَّائِي . انظر العقد الفريد ٢ : ١٥٨ . (٢) الرجوع .

## ٢٨٥ - خطبته لما مات عبد الملك بن مروان

ولما مات عبد الملك بن مروان ، قام فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه فقال :  
« إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » ، وقال : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ  
الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » . فمات رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان  
الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معاوية ، ثم وليكم البازل<sup>(١)</sup> الذي جربته الأمور ،  
وأحكمته التجارب ، مع الفقه وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ، واللين لأهل الحق ، والوطء  
لأهل الزبغ ، فكان رابعاً من الولاة المهديين الراشدين ، فاختر الله له ما عنده ، وألحقه  
بهم ، وعهد إلى شبهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته ،  
فاسمعوا له وأطيعوه .

أيها الناس ، إياكم والزبغ ، فإن الزبغ لا يحمق إلا بأهله ، ورأيتم سيرتي فيكم ،  
وعرفت خلافكم وطيبكم ، على معرفتي بكم ، ولو علمت أن أحداً أقوى عليكم مني ،  
أو أعرف بكم ما وليتكم ؛ فإياي وإياكم ، من تكلم قتلناه ، ومن سكت مات بدائه غمًا »  
ثم نزل .

( العقد الفريد ٢ : ١٥٤ )

## ٢٨٦ - خطبته حين أراد الحج

وأراد الحج أن يحج ، فاستخلف محمداً ولده على أهل العراق ، ثم خطب فقال :  
« يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، إني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم  
ابني محمداً ، هذا وما كنتم له بأهل ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله

(١) الرجل الكامل في تجرته .

صلى الله عليه وسلم في الأنصار، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يُقبل من مُحْسِنِهِمْ،  
وأن يَتَجَاوَزَ عن مُسِيئِهِمْ، وإني أمرته ألا يقبلَ من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم؛  
ألا وإنكم ستقولون بعدى مَقَالَةً ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى : ألا وإنكم  
ستقولون بعدى : لا أحسن الله له الصَّحَابَةَ ، ألا وإني مُعَجِّلٌ لكم الإجابة : لا أحسن  
الله الخِلافةَ عليكم « ثم نزل .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٥ ، والمعقد الفريد ٢ : ١٥٣ - ٣ : ١٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٢٠٦ ،  
ومروج الذهب ٢ : ١٤٤ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١٤ )

## ٢٨٧ - خطبته لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد في يوم واحد

قال صاحب العقد : فلما كان غداة الجمعة مات محمد بن الحجاج ، فلما كان بالعشي  
أتاه بريد من اليمن بوفاة محمد أخيه ، ففرح أهل العراق ، وقالوا : انقطع ظهر الحجاج  
وهيض<sup>(١)</sup> جناحُه ، فخرج فصعد المنبر ، ثم خطب الناس ، فقال :

« أيها الناس : محمدان في يوم واحد ! أما والله ما كنت أحبُّ أنهما معي في الحياة  
الدنيا ، لِمَا أرجو من ثواب الله لهما في الآخرة ، وإيمُ الله ليوشِكُنَّ الباقي مني ومنكم  
أن يَفْنَى ، والجديدُ أن يبلى ، والحى مني ومنكم أن يموت ، وأن تُدَالَ<sup>(٢)</sup> الأرض مِنَّا  
كما أدلنا منها ، فتأكل من لحومنا ، وتشرب من دماننا ، كما مشينا على ظهرها ، وأكلنا  
من ثمارها ، وشربنا من مائها ، ثم نكون كما قال الله تعالى : « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا  
مُمٌّ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ<sup>(٣)</sup> » ثم تمثل بهذين البيتين :

(١) هاض العظم : كمره بعد الجبور . (٢) أداله الله منه : نصره عليه .

(٣) الصور : القرن ينفخ فيه ، وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموق بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق ،  
وقيل : هو جمع صورة مثل بسرة وبسر ( والبسر بالضم : التمر قبل إرطابه ) أى نفخ في صور الموق الأرواح .  
وقرأ الحسن : « يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ » . والأجداث جمع جدث كسبب وهو القبر ، ونسل كضرب  
ونصر : أسرع .

عَزَائِي نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِي ثَوَابُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ  
إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ عَنِّي رَاضِيًا فَإِنْ سُرُورَ النَّفْسِ فِيهَا هُنَالِكَ  
(العقد الفريد ۲ : ۱۵۴ - ۳ : ۱۸ ، وشرح العيون ص ۱۲۲)

## ۲۸۸ - خطبته وقد أرجف أهل العراق بموته

ومرض الحجاج ففرح أهل العراق ، وأرجفوا بموته ، فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال :

« إِنْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، أَهْلِ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، نَزَعٌ <sup>(۱)</sup> الشَّيْطَانِ بَيْنَهُمْ فَقَالُوا :  
مَاتَ الْحَجَّاجُ ، وَمَاتَ الْحَجَّاجُ فَمَهْ؟ وَهَلْ يَرْجُو الْحَجَّاجُ الْخَيْرَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ؟ وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي  
أَلَّا أَمُوتَ ، وَأَنْ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَمَا رَأَيْتُ اللَّهَ رَضِيَ بِالْتَّخَالُيفِ إِلَّا لِأَهْوَنِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ  
إِبْلِيسَ ، قَالَ : أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ، قَالَ : إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ، وَلَقَدْ دَعَا اللَّهَ  
الْعَبْدُ الصَّالِحُ ، فَقَالَ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَهَبْ لِي مُدَّكَ لَا يَنْتَبِغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي »  
فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ إِلَّا الْبَقَاءَ ، فَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟ وَكَلِمَتُكَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، كَأَنِّي  
وَاللَّهِ بِكُلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ مَيِّتًا ، وَبِكُلِّ رَطْبٍ يَابَسًا ، وَنُقِلَ فِي ثِيَابٍ أَكْفَانُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أذْرَعٍ  
طَوِيلًا ، فِي ذِرَاعٍ عَرْضًا ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ ، وَمَصَّتْ صَدِيدَهُ ، وَانصرفت الحبيب  
من ولده يقسم الحبيث من ماله ، إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول » ، ثم نزل .

(عيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۴ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۵۴ ، ۳ : ۱۷ ، وشرح العيون ۱۲۲ ،  
ومروج الذهب ۲ : ۱۴۲ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۱۵)

(۱) نزغ : أفسد وأغرى .

## خطبه الوعظية

- ٢٨٩ -

وخطب الحجاج يوماً فقال :

« أيها الناس ، قد أصبحتم في أجلٍ مَنْقُوصٍ ، وعملٍ مَحْفُوظٍ ، رَبٌّ دَائِبٌ مُضِيْعٌ ، وساعٍ لغيرِهِ ، والموتُ في أعناقكم ، والنفارُ بين أيديكم ، والجنةُ أمامكم ، خذوا من أنفسكم لأنفسكم ، ومن غناكم لفقركم ، ومما في أيديكم لما بين أيديكم ، فكأن ما قد مضى من الدنيا لم يكن ، وكأن الأموات لم يكونوا أحياء ، وكل ما ترَوْنَه فإنه ذاهب ، هذه شمسٌ عادٍ وثمودٍ وقرونٍ كثيرة بين ذلك ، هذه الشمس التي طلعت على التَّبَابِعة والأكاسير ، وخزائنها السائرة بين أيديهم ، وقصورهم المشيدة ، ثم طلعت على قبورهم ، أين الملوك الأولون ، أين الجبابرة المتكبرون ؟ المحاسبُ اللهُ ، وَالصَّراطُ منصوب ، وجهنم تزفِرُ<sup>(١)</sup> وتتوقد ، وأهل الجنة ينعمون ، في رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ<sup>(٢)</sup> ، جعلنا الله وإياكم من الذين إذا ذكروا بآياتِ رَبِّهِمْ لم يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا . »

فكان الحسن البصرى رحمه الله يقول : « ألا تعجبون من هذا الفاجر ؟ يَرْتَقِي عَتَبَاتِ المذبر ، فيتكلم بكلام الأنبياء ، وينزل فيفتك فتك الجبارين ، يوافق الله في قوله ويخالفه في فعله . »

( شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ١٥٠ )

(١) زفرت النار كضرب : سمع لتوقدها صوت . (٢) أحبره : سره . والحبور : السرور .

وقال مالك بن دينار : غَدَوْتُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، فَجَلَسْتُ قَرِيبًا مِنَ الْمَذْبَحِ ، فَصَعِدَ الْحِجَابُ ،  
ثم قال :

« أَمْرٌو حَاسِبَ نَفْسِهِ ، أَمْرٌو رَاقِبَ رَبِّهِ ، أَمْرٌو زَوْرٌ (۱) عَمَلُهُ ، أَمْرٌو فَكَّرٌ فِيمَا يَقْرُؤُهُ  
غَدَاً فِي صَحِيفَتِهِ ، وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ ، أَمْرٌو كَانَ عِنْدَ هَمِّهِ أَمْرًا ، وَعِنْدَ هَوَاهُ زَاجِرًا ،  
أَمْرٌو أَخَذَ بَعِنَانِ قَلْبِهِ ، كَمَا يَأْخُذُ الرَّجُلُ بِخِطَامِ جَمَلِهِ ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى حَقِّ تَبِعِهِ ، وَإِنْ  
قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهَ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا خُلِقْنَا لِلْفَنَاءِ ، وَإِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ ، وَإِنَّمَا نَنْتَقِلُ  
مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ » .

( عيون الأخبار م ۲ : ص ۵۲۱ ، العقد الفريد ۲ : ۱۵۲ ، والبيان والتبيين ۲ : ۸۸ ،  
شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۵۰ )

وخطب يوماً ، فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَقْدَعُوا (۲) هَذِهِ الْأَنْفُسَ ، فَإِنَّهَا أَسْأَلُ (۳) شَيْءًا إِذَا أُعْطِيَتْ ، وَأَعْصَى (۴)  
شَيْءًا إِذَا سُئِلَتْ ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا جَعَلَ لِنَفْسِهِ خِطَامًا وَزِمَامًا فَقَادَهَا بِخِطَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ،  
وَعَطَفَهَا بِزِمَامِهَا عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَنِ تَحَارِمِ اللَّهِ ، أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى  
عَذَابِ اللَّهِ (۵) .

( شرح ابن أبي الحديد م : ص ۱۵۰ ، وشرح العيون ۱۲۱ ، وعيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۷ ،  
والبيان والتبيين ۱ : ۲۰۶ ، وتهذيب الكامل ۱ : ۱۹ )

(۱) زوره : حسنه . (۲) قدسه كنهه وأقدعه : كفه وكبجه . (۳) وفي عيون الأخبار :  
« أَيُّهَا النَّاسُ ، احْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَخُذُوا الْأَنْفُسَ بِضَمِيرِهَا ، فَإِنَّهَا أَسْأَلُ شَيْءًا . . . . . وَأَسْأَلُ :  
أَضْمَفَ ، مِنْ سَاكَ الرَّجُلِ سَوَاكًا : سَارَ سِيرًا ضَمِيْفًا . (۴) وفي رواية « وَأَعْطَى شَيْءًا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
(۵) قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : « وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَرَوْنَ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

وخطب فقال :

« اللهم أرني الغيَّ غيًّا فأجتنبه ، وأرني الهدى هُدًى فاتَّبِعْه ، ولا تكِلني إلى نفسي فأضِلُّ ضلالاً بعيداً ، والله ما أحبُّ أن ماضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ، ولما بقي منها أشبهُ بما مضى من الماء بالماء . »

( العقد الفريد ۲ : ۱۵۲ ، والبيان والتبيين ۲ : ۶۹ ، ۱ : ۲۰۶ ، وشرح ابن أبي الحديد

م ۱ : ص ۱۵۰ ، وشرح العيون ص ۱۲۲ )

ومن كلامه :

« إنَّ امرأ أتت عليه ساعةٌ من عمره ، لم يَبدُ كَر فيها ربه ، ويستغفر ربه من ذنبه ، ويفكِّر في معآده ، لجَدِيرٌ أن يطول حزنه ، ويتضاعف أسفه ، إن الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا بقاء لما كتب عليه الفناء ، ولا فناء لما كتب عليه البقاء ، فلا يَغُرُّنكم شَاهِدٌ<sup>(۱)</sup> الدنيا ، عن غائب الآخرة ، واقهروا طول الأمل ، بِقِصَرِ الأجل<sup>(۲)</sup> . »

( شرح ابن الحديد م ۱ : ص ۱۵۰ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۴۸ ، والبيان والتبيين :

۲ : ۹۹ ، شرح العيون ۱۲۱ ، وتهذيب الكامل ۱ : ۱۹ )

(۱) أي حاضرها . (۲) قال الشعبي : سمعت الحجاج يقول بكلام ما سبقه إليه أحد ، سمته يقول

: « إن الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء . . . الخ » ، وروى الجاحظ عن أبي عبد الله الثقفى عن عمه قال

سمعت الحسن البصرى يقول : لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج ، قلت : وإن كلام الحجاج ليقتلك؟ قال :

نعم ، سمته على هذه الأمواد يقول : « إن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لخرى أن تطول عليها

حسرتة . »

## خطب قتيبة بن مسلم الباهلي (قتل سنة ٥٩٦ هـ)

٢٩٤ - خطبته يحث على الجهاد وقد تهيأ لغزو « طخارستان »

قدم قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان والياً عليها من قبل الحجاج<sup>(١)</sup> سنة ٨٦ هـ ، فلما تهيأ لغزو أخرون وشومان - وهما من بلاد طخارستان<sup>(٢)</sup> - خطب الناس وحثهم على الجهاد فقال :

« إن الله أحلَّكم هذا المَحَلَّ لِيُعَزَّ دِينُهُ ، وَيَذُبَّ بِكُمْ عَنِ الْحُرْمَاتِ ، وَيَزِيدَ بِكُمْ الْمَالَ اسْتِفَاضَةً ، وَالْعَدُوَّ وَقَمًا<sup>(٣)</sup> و وَعَدَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّصْرَ بِحَدِيثٍ صَادِقٍ ، وَكِتَابٍ نَاطِقٍ ، فَقَالَ : ( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ) و وَعَدَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ أَحْسَنَ الثَّوَابِ ، وَأَعْظَمَ الذَّخْرِ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ<sup>(٤)</sup> فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ قِتْلِ فِي سَبِيلِهِ أَنَّهُ حَتَّى مَرَزُوقٍ ، فَقَالَ : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

(١) ولي قتيبة خراسان بعد يزيد بن المهلب ، وغزا بلاد ماوراء النهر ، وافتتح بخارى ، وسمرقند ، وخوانسار ، ووصل في فتوحه إلى كشمير من بلاد الصين ، وقتل سنة ٥٩٦ هـ . (٢) ناحية كبيرة شرق خراسان على نهر جيحون ، وقد ضبعتها ابن خلسكان هكذا - انظر وفيات الأعيان ١ : ٩٠ في ترجمة بشار بن برد - وضبعتها ياقوت في معجم البلدان بفتح الطاء . (٣) وقه : قهره وأذله . (٤) مجاعة .



قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ يُرْزَقُونَ ( فتنجزوا موعود ربكم ،  
ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر ، وأمضى ألم ، وإياكم والهويئتي .

( تاريخ الطبرى ٨ : ٥٩ )

## ٢٩٥ - خطبته وقد تهيأ لغزو بلاد السغد

ولما صالح قتيبة أهل خوارزم ، وصار إلى السغد<sup>(١)</sup> سنة ٩٣ هـ خطب

الناس ، فقال :

« إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه مُمكنٌ ، وهذه السغدُ  
شاغرة<sup>(٢)</sup> برجالها ، قد نقضوا العهد الذى كان بيننا ، ومنعونا ما كنا صالحنا عليه  
طرخون ، وصنعوا به ما بلفكم ، وقال الله تعالى : ( فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى  
نَفْسِهِ ) ، فسيروا على بركة الله ، فإنى أرجو أن يكون خوارزم والسغد كالنضير<sup>(٣)</sup>  
وقريظة<sup>(٤)</sup> ، وقال الله تعالى : ( وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا » .

( تاريخ الطبرى ٨ : ٨٥ )

(١) وكان قتيبة حين فتح بخارى سنة ٩٠ هـ ، وأوقع بأهلها ، هابه أهل السغد « وهى بين نهري سيحون  
وجيحون ، وكانت قصبها سمرقند ، وهى بالسین ، وربما قيلت بالصاد » وأتاه طرخون ملك السغد ، وسأله  
الصلح على فدية يؤديها إليه ، فأجابه قتيبة إلى ما طلب وصالحه ، ثم نقضوا عهودهم . (٢) شجر الكلب  
كنع : رفع إحدى رجليه ليبول . (٣) بنو النضير : حى من يهود خيبر ، وكان بينهم وبين رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عهد يأمن بها كل فريق الآخر ، ولكنهم لم يفوا بها حمدا منهم وبغيا ، فبينما رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه فى ديارهم ، إذا انترجماعة منهم على قتله بأن يلقى عليه أحدهم صخرة من علو ،  
فاطلع عليه الصلاة والسلام على قصدهم ، فرجع ، ثم أرسل إليهم يأمرهم بالجلاد ، لما تقدم منهم من الغدر ،  
فهبثوا للرحيل ، فأرسل إليهم إخوانهم المنافقون يقولون : لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم ، فسار عليه الصلاة  
والسلام لقتالهم ، وتحصن بنو النضير فى حصونهم ، وظنوا أنها مانعهم من الله ؛ فحاصرهم ست ليال ؛ ثم أمر بقطع نخيلهم  
كى يسلموا ، فغذف الله فى قلوبهم الرعب ؛ فسألوه أن يجليهم ويكف عن دماهم ؛ وأن لهم ما حملت الإبل من  
أموالهم إلا آلة الحرب ففعل ؛ وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم ؛ لتلا يسكنها المسلمون .

(٤) كان يهود بنى قريظة يساكنون المسلمين فى المدينة ؛ فانتهزوا فرصة اشتغال المسلمين بصد جموع  
الأحزاب - فى غزوة الخندق - ونقضوا عهودهم معهم ؛ وذلك أن حيسى بن أخطب سيد بنى النضير الذين =

( ٢٠ - جمهرة خطب العرب - ثان )

## ۲۹۶ - خطبته وقد سارت إليه جيوش الشاش وفرغانة

وَأَنى قَتِيْبَةُ السُّغْدَ فحصرها شهرًا ، وخاف أهلها طول الحصار ، فكتبوا إلى ملك الشاش وَفَرغانة<sup>(۱)</sup> « إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب ، فإن وُصِلَ إلينا كنتم أضعفَ وأذلَّ ، فهما كان عندكم من قوة فابذلوها ، فجمعوا جموعهم ، وولوا عليهم ابنًا لخاقان<sup>(۲)</sup> ، وساروا وقد أجمعوا أن يبدتوا عسكر قتيبة ، ونى ذلك إليه ، فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس ، وخطبهم فقال :

« إن عدوكم قد رأوا بلاءً<sup>(۳)</sup> الله عندكم ، وتأيدته إياكم في مُزاحفتكم ومُكاثرتكم<sup>(۴)</sup> ، كل ذلك يُفليجكم<sup>(۵)</sup> الله عليهم ، فأجمعوا على أن يقاتلوا غرتكم وبياتكم ، واختاروا دهاقينهم<sup>(۶)</sup> وملوكهم ، وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم ، وقد

أجلوا عن ديارهم ؛ توجه إلى كعب بن أسد القرظي ؛ فحسن له نقض العهد ؛ ولم يزل به حتى أجابه لقتال المسلمين ؛ فاشتد وجل المسلمين ؛ وزازوا زازالا شديدا ؛ وأرسل الله على الأعداء ريحا باردة في ليلة مظلمة وجنودا لم يروها ، فأجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح ؛ وكفى الله المؤمنين شر الأحزاب ، ولم يعم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سار إلى بني قريظة ، فتحصنوا بحصونهم ؛ وحاصرهم المسلمون نحسها وعشرين ليلة ؛ فلما ضاقوا بالحصار ذرعا ؛ طلبوا أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير ؛ من الجلاء بالأموال وترك السلاح ، فأبى الرسول إلا أن ينزلوا على حكمه ففعلوا ؛ فتوثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله ؛ إنهم كانوا مواليينا دون الخزرج ؛ وقد فعلت في موالي إخواننا بالأوس ما قد علمت - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ؛ وكانوا حلفاء الخزرج ؛ فنزلوا على حكمه ؛ فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوجههم له - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذاك إلى سعد بن معاذ - وكان جريحا من سهم أصيب به في غزوة الخندق - وأرسل من يأتي به ؛ فقال : إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ؛ وتقسّم الأموال ؛ وتسبى النساء والذراري ، فقال عليه الصلاة والسلام : فقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد ؛ ثم أمر بتنفيذ الحكم ؛ فنفذ فيهم . (۱) الشاش وفرغانة : كورتان وراء نهر سيحون متاخمتان للصين . (۲) خاقان : اسم لكل ملك من ملوك الترك ؛ وقد خقنوه على أنفسهم : أى رأسوه ( بالتشديد ) . (۳) أى نعمته . (۴) كاثروهم فكثروهم : غالبوهم فغلبوهم . (۵) أى ينصركم عليهم ؛ ويظفركم بهم . (۶) جمع دهاقان بكسر الدال وضمها : زعيم فلاحى المعجم ، ورئيس الإقليم . معرب .

فَضَلَّكُمْ اللهُ بِدِينِهِ ، فَأَبْلُوا<sup>(١)</sup> لِلَّهِ بَلَاءً حَسَنًا تَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الثَّوَابَ ، مَعَ الذَّبِّ عَنِ  
أَحْسَابِكُمْ . ( تاريخ الطبري ٨ : ٨٧ )

## ٢٩٧ - خطبه حين دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك

وقام بخراسان حين خَلَعَ سليمان بن عبد الملك<sup>(٢)</sup> ، ودعا الناس إلى خلعهم فقال للناس :  
« إني قد جمعتكم من عين التَّمَرِ<sup>(٣)</sup> ، وَفَيْضِ الْبَحْرِ ، فَضَمَمْتُ الْأَخَ إِلَى أَخِيهِ ،  
وَالْوَلَدَ إِلَى أَبِيهِ ، وَقَسَمْتُ بَيْنَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَأَجْرِيَتْ عَلَيْكُمْ أُعْطِيَاتِكُمْ غَيْرَ مُكَدَّرَةٍ  
وَلَا مُؤَخَّرَةٍ ، وَقَدْ جَرَّ بَتَمِ الْوُلَاةِ قَبْلِي ، أَنَا كُمْ أُمِّيَّةٌ<sup>(٤)</sup> ، فَكُتِبَ إِلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :  
إِنَّ خَرَجَ خِرَاسَانَ لَا يَقُومُ<sup>(٥)</sup> بِمَطْبَخِي ، ثُمَّ جَاءَكُمْ أَبُو سَعِيدٍ<sup>(٦)</sup> فَدَوَّمَ<sup>(٧)</sup> بِكُمْ ثَلَاثَ  
سِنِينَ ، لَا تَدْرُونَ أَمِ طَاعَةٌ أَنْتُمْ أَمْ فِي مَعْصِيَةٍ ؛ لَمْ يَجِبْ فَيْثًا ، وَلَمْ يَنْكَأ<sup>(٨)</sup> عَدُوًّا ،  
ثُمَّ جَاءَكُمْ بَنُوهُ بَعْدَهُ ، يَزِيدُ فُلُجُ تَبَارَى إِلَيْهِ النَّسَاءَ ، وَإِنَّمَا خَلِيفَتُكُمْ يَزِيدُ بْنُ ثُرَوَانَ  
هَبْنَقَةُ الْقَيْسِيَّةِ<sup>(٩)</sup> » فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ فَغَضِبَ ، فَقَالَ :

(١) الإبلاء : الإنعام والإحسان ، يقال : أبليت عنده بلاء حسنًا ، وأبلاه الله بلاء حسنًا ، وأبليت  
معرفة . والمعنى : فاصدقوا القتال ، وقدموا معروفًا تبغون به ثواب الله . (٢) وسبب ذلك أن الوليد  
ابن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز ولي عهده ، ودس في ذلك إلى القواد والشعراء ، فبايعه على خلع  
سليمان الحجاج وقتيبة ، ثم مات الوليد وقام سليمان بن عبد الملك ، فخافه قتيبة وخشى أن يولي سليمان يزيد  
ابن المهلب خراسان . (٣) بلد على الفرات قرب الكوفة . (٤) هو أمية بن عبد الله بن خالد  
ابن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان عاملًا عليها لعبد الملك بن مروان حتى كانت سنة ٧٨  
فغزاه وجمع سلطانه للحجاج فبعث المهلب إليها . (٥) في الأصل « لا يقيم » وهو تحريف أو « لا يقيم  
مطبخي . (٦) أبو سعيد : كنية المهلب بن أبي صفرة . (٧) من دومت الكلاب : أي أمنت  
في المسير : وفي رواية أخرى « فدوخ بكم البلاد » وسأق . (٨) نكأ العدو ونكاه نكاية : قتل وجرح .  
(٩) هو يزيد بن ثروان هبنقة ذو الودعات ، ويكنى أبا نافع أحد بني قيس بن ثعلبة . يضرب به المثل  
في الحمق فيقال : « أحق من هبنقة » واه نواذر في الحمق . منها أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف  
وهو ذو لحية طويلة ، فسل في ذلك ، فقال : لأعرف بها نفسي ، ولثلا أضل ، فبات ذات ليلة ، وأخذ أخوه =

« لَا أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ نَصْرْتُمْ ، وَاللَّهُ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى عَنَزٍ مَا كَسَرْتُمْ قَرْنَهَا ، يَا أَهْلَ السَّافِلَةِ ، وَلَا أَقُولُ أَهْلَ الْعَالِيَةِ . يَا أَوْبَاشَ <sup>(۱)</sup> الصَّدَقَةَ ، جَمَعْتُمْ كَمَا تَجْمَعُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ <sup>(۲)</sup> . يَا مَعْشَرَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، يَا أَهْلَ النَّفْخِ <sup>(۳)</sup> وَالْكَذْبِ وَالْبَخْلِ ، يَا أَيُّ يَوْمَيْكُمْ تَفْخَرُونَ : بِيَوْمِ حَرِّ بَيْكُم ، أَمْ بِيَوْمِ سَلَامِكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ مِنْكُمْ يَا أَصْحَابَ مُسَيْلِمَةَ . يَا بَنِي ذَمِيمٍ ، وَلَا أَقُولُ تَمِيمٍ . يَا أَهْلَ الْخَوَرِ <sup>(۴)</sup> وَالْقَصْفِ <sup>(۵)</sup> وَالغَدْرِ ، كُنْتُمْ تُسَمُّونَ الْغَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ « كَيْسَانَ <sup>(۶)</sup> » يَا أَصْحَابَ سَجَّاحٍ <sup>(۷)</sup> ، يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ الْقُسَاةَ ، تَبَدَلْتُمْ بِأَبْرِ الْفَخْلِ <sup>(۸)</sup> أَعِنَّةَ الْخَيْلِ ، يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، تَبَدَلْتُمْ بِقُلُوسِ <sup>(۹)</sup> السُّفْنِ ، أَعِنَّةَ الْخَيْلِ وَالْخُصْنِ <sup>(۱۰)</sup> ، إِنْ هَذَا لِبِدْعَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَالْأَعْرَابُ ، وَمَا الْأَعْرَابُ ؟ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَعْرَابِ ، يَا كُنَاسَةَ الْمُضْرِينَ . جَمَعْتُمْ مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ <sup>(۱۱)</sup> ،

= قَلَادَتُهُ فَتَقْلَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ، وَرَأَى الْقَلَادَةَ فِي عُنُقِ أَخِيهِ ، قَالَ يَا أَخِي : أَنْتَ أَنَا فَنَ أَنَا ؟ وَمِنْهَا : أَنَّهُ ضَلَّ لَهُ بَعِيرٌ ، فَجَمَلَ يَنَادِي : مَنْ وَجَدَ بَعِيرِي فَهُوَ لَهُ ، فَقِيلَ لَهُ فَلَمْ تَنْشُدْهُ ؟ قَالَ : فَأَيْنَ حَلَاوَةُ الْوَجْدَانِ ؟ وَمِنْهَا : أَنَّهُ اخْتَصَمَتْ الطَّفَاوَةُ وَبَنُو رَاسِبٍ فِي رَجُلٍ ادَّعَاهُ هُوَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ، ثُمَّ قَالُوا : رَضِينَا بِأَوَّلِ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْنَا ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ هَبْنَقَةٌ ، فَقَصَّوْا عَلَيْهِ قَصَّتَهُمْ ، فَقَالَ : الْحَكْمُ عِنْدِي فِي ذَلِكَ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ إِلَى نَهْرِ الْبَصْرَةِ ، فَيَلْقَى فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ رَاسِبِيَا رَسَبَ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ طَفَاوِيَا طَفَا ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ .

وَقَوْلُ قَتِيْبَةَ : « إِنَّمَا خَلَيْفَتُكُمْ هَبْنَقَةٌ » ذَلِكَ لِأَنَّ هَبْنَقَةَ كَانَتْ يَحْسُنُ إِلَى السَّمَانِ مِنْ إِبِلِهِ ، فَيُرْعِيهَا فِي الْعُشْبِ وَيُنْحِي الْمَهَازِيلَ ، فَقِيلَ لَهُ : وَيَحْكُ ! مَا تَصْنَعُ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا أَكْرَمُ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ ، وَأَهْنِ مَا أَهَانَ اللَّهُ ، وَكَذَلِكَ كَانَ سَلِيمَانُ يَعْطَى الْأَغْنِيَاءَ ، وَلَا يَعْطَى الْفُقَرَاءَ وَيَقُولُ : « أَصْلَحْ مَا أَصْلَحَ اللَّهُ ، وَأَفْسُدْ مَا أَفْسَدَ اللَّهُ » - انْظُرْ مَجْمَعَ الْأَمْثَالِ ۱ : ۱۴۶ ، وَالْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ ۱ : ۱۲۶ . (۱) الْأَوْبَاشُ : السَّفَلَةُ ، جَمْعُ وَبَشٍ كَسَبَبَ .

(۲) الطَّرِيقُ وَالْجِهَةُ . (۳) الْفَخْرُ وَالْكَبْرُ . (۴) الضَّعْفُ . (۵) اللُّهُو .

(۶) كَيْسَانَ : عَلْمٌ لِلْغَدْرِ . (۷) هِيَ سَجَّاحُ بِنْتِ الْحَارِثِ ادَّعَتْ النَّبُوَّةَ بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَزِيرَةِ فِي بَنِي تَغْلِبَ . (۸) أَبْرُ النَّخْلِ أَبْرًا : أَصْلَحَهُ . (۹) الْقُلُوسُ جَمْعُ قَلَسٍ كَشَمْسٍ : وَهُوَ حَبْلٌ ضَخْمٌ مِنْ لَيْفٍ أَوْ خَوْصٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ قُلُوسِ سَفْنِ الْبَحْرِ . (۱۰) جَمْعُ حَصَانٍ .

(۱۱) مِنْ نَبَاتِ الْبَادِيَةِ زَهْرُهُ مَرَّجِدًا .

ومنابت القليل<sup>(١)</sup> ، تركيبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان<sup>(٢)</sup> ، حتى إذا جمعتمكم كما يجتمع قزح الخريف<sup>(٣)</sup> قائم : كيت وكيت ، أما والله إني لأبن أبيه<sup>(٤)</sup> وأخو أخيه ، أما والله لأعصبنكم عصب السلة ، إن حول الصليان الزمزمة<sup>(٥)</sup> ، ي أهل خراسان ، هل تدرّون من وليّكم ؟ وليكم يزيد بن ثروان ، كأي بأمر مزجاء<sup>(٦)</sup> ، وحكمكم قد جاءكم ، فغلبكم على فيئكم وأطلالكم ، إن هاهنا ناراً ، ارموها أرم معكم ، ارموا غرضكم الأفضى ، قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات ، إن الشام أب مكفور ، حتى متى ينبطح أهل الشام بأفئيتكم وظلال دياركم ؟ ي أهل خراسان انسبوني تجدونى عراقى الأم ، عراقى الأب ، عراقى المولد ، عراقى الهوى والرأى والدين ، وقد أصبحتم اليوم فيما ترّون من الأمن والعافية ، قد فتح الله لكم البلاد ، وآمن سبلكم ، فالظعينة<sup>(٧)</sup> تخرج من مرّ وإلى بانخ بغير جوار ، فاحمدوا الله على النعمة ، وسلّوه الشكر والمزيد . ثم نزل .

( تاريخ الطبرى ٨ : ١٠٥ )

وورد كلام قتيبة في هذا الصدد في العقد الفريد ، والبيان والتبيين في ثلاث خطب

هذا نصها :

(١) نبت له حب أسود حمن الشم . (٢) هي جزيرة في الخليج الفارسي بين عمان والبحرين .  
(٣) القزح : كل شيء يكون قطعاً متفرقة (ومنه قيل لقطع السحاب في السماء قزح) وخرفت الثمار أخرفها كنصر : اجتنيتها ، والتمر مخروف وخريف ، وفي كلام سيدنا على رضي الله عنه « كما يجتمع قزح الخريف » .  
(٤) أي ابن أبي . (٥) الصليان : نبت من أفضل المرعى يختل (يجز) للخيل التي لا تفارق الحى ، والزمزمة : صوت خفي لا يكاد يفهم ، يعنى صوت الفرس ( بالتحريك ) إذا رآه ، وأصلها صوت المجوس عند أكلهم - يتراطنون على الأكل ، وهم صموت لا يستعملون لساناً ، ولا شفة ، لكنه صوت تديره في خياشيمها وحلوقها ، فيهمم بعضها عن بعض - وهو مثل يضرب للرجل يحوم حول الشيء ولا يظهر مرآه . والمعنى في المثل : أن ماتسمع من الأصوات والجلب ، لطلب ما يؤكل ويتمتع به . قال الميداني : ويروى « حول الصليان الزمزمة » الصليان جمع صليب ، والزمزمة : صوت عابديها . (٦) هو مزجاء للمطى أي كثير الإزجاء لها ، زجاها وأزجاها : ساقها ودفعاها : والمراد أنه قاس ظلوم . (٧) الظعينة : المرأة مادامت في الهودج .

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،  
ثم قال :

« أتدرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يزيد بن ثروان - يعني هبنة القيسي -  
كأني بأمر مزجاء ، وحكم قد أتاكم ، يحكم في أموالكم ودمائكم وفروجكم وأبشاركم<sup>(١)</sup>  
ثم قال : الأعرابُ وما الأعرابُ ؟ لعنة الله على الأعراب ، جمعتم كما يجمع قزع الخريف<sup>(٢)</sup>  
من منابت الشَّيخ والقيصوم ، ومنابت القليل ، وجزيرة ابن كاوان ، تركبون البقر ،  
وتأكلون الهبيد<sup>(٣)</sup> ، فحملتكم على الخيل ، وأبستكم السلاح ، حتى منع الله بكم البلاد ،  
وأفاء بكم النِّيء » قالوا : مرنا بأمرك . قال : غرُّوا غيري .

( للعقد الفريد ٢ : ١٥٥ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٠١ )

وخطب مرة أخرى ، فقال :

« يا أهل العراق ، ألسنتُ أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحى من أهل العالية ، فنعم  
الصدقة ، وأما هذا الحى من بكر بن وائل فعليجة<sup>(٤)</sup> بظراءه ، لا تجمع رجليها ، وأما هذا  
الحى عبد القيس فما ضرب العير بذنبيه ، وأما هذا الحى من الأزدي ، فعلوج<sup>(٥)</sup> خلق الله  
وأناطه<sup>(٦)</sup> ، وإني لو ملكتُ أمر الناس لنقشتُ أيديهم ، وأما هذا الحى من تميم ،  
فإنهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان » .

( للعقد الفريد ٢ : ١٥٥ ، والبيان والتبيين ٢ : ٦٧ )

(١) أبشار جمع بشر : وهو جمع بشرة ، وهي ظاهر الجلد . (٢) في العقد الفريد : « كما يجمع  
قرع الخريف » وفي البيان والتبيين والطبرى « قرع الخريف » والصواب ما ذكرنا . (٣) الحنظل .  
(٤) مؤنث العليج : وهو حمار الوحش السمين القوي . وأمه بظراء : طويلة البظر كشمس ، وهو ما بين  
شغرى الرحم . (٥) جمع طليج ( بالكسر ) وهو الرجل من كفار المعجم . (٦) حيل من الناس  
كانوا ينزلون سواد العراق ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم .

وخطب مرة أخرى ، فقال :

« يا أهل خراسان ، قد جرّبتُم الولاية قبلي ، أنا كم أمية ، فكان كاسميه أمية الرأى ، وأميه الدين ، فكتب إلى خليفته : إن خراج خراسان وسجستان ، لو كان في مطبخه لم يكفه ، ثم أنا كم بعده أبو سعيد ، فدوخ بكم البلاد ، لا تدرون أفي طاعة الله أنتم أم في معصيته ، ثم لم يجب فيئنا ، ولم ينسكأ عدواً ، ثم أنا كم بنوه بعده ، مثل أطباء<sup>(۱)</sup> السكلية ، منهم ابن الرّحمة<sup>(۲)</sup> ، حصان يضرب في عانة<sup>(۳)</sup> ، واقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ، ثم أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد ، وأمن لكم السبل ، حتى إن الظمينة لتخرج من مرو إلى سمرقند في غير جوار » .

( العقد الفريد ۲ : ۱۵۵ ، والبيان والتبيين ۲ : ۶۷ )

(۱) جمع طبي كقفل . والطبي : لذات الخلف والظلف كاللدى للمرأة . (۲) يريد به يزيد ابن المهلب . (۳) العانة : الأتان ، والقطع من حمر الوحش ، والمراد بها النساء .

## ٣٠١ - كلمات حكيمة لقتيبة بن مسلم

وخرجت خارجة بخراسان ، فقيل اقمتيبة بن مسلم : لو وجهت إليهم وكيع بن  
 أبي سود<sup>(١)</sup> ، قال : - وكان وكيع رجلا عظيم الكبر ، في أنفه خنزروانة<sup>(٢)</sup> ، وفي رأسه  
 نمرة<sup>(٣)</sup> - وإنما أنفه في أسلوب<sup>(٤)</sup> ، ومن عظم كبره اشتد عجبته ، ومن أعجب برأيه  
 لم يشاور كفيئا ، ولم يؤامر<sup>(٥)</sup> نصيحيا . ومن تفرّد بالنظر لم يكمل له الصواب ، ومن  
 تبجج<sup>(٦)</sup> بالانفراد ، وفخر بالاستبداد ، كان من الصواب بعيدا ، ومن الخذلان قريبا ،  
 والخطأ مع الجماعة ، خير من الصواب مع الفرقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطئ ، والفرقة  
 لا تصيب ، ومن تكبر على عدوه حقره ، وإذا حقره تهاون بأمره ، ومن تهاون بخصمه ،  
 ووثق بفضل قوته قلّ احترامه ، ومن قلّ احترامه كثر عثاره ، وما رأيت عظيم الكبر  
 صاحب حرب ، إلا كان منكوبا ، فلا والله حتى يكون عدوه عنده ، وخصمه فيما تغلب

(١) هو وكيع بن أبي سود التيمي ، أحد الأبطال البواسل ، كان مع قتيبة في فتح بخارى ، وأبلى في القتال  
 بلاء محمودا - انظر خبره في الطبري ٨ : ٦٨ - ويؤلاه الناس أمرهم حين ثاروا بقتيبة وقتلوه .

(٢) الخنزوان ، والخنزوانة ، والخنزوانية : الكبر ، يقال : هو ذو خنزوانات .

(٣) النمرة : الخيلاء والكبر . (٤) الأسلوب : الشموخ في الأنف ، ويقال : إن أنفه لني

أسلوب إذا كان متكبرا ، قال الراجز :

أنوفهم ملفخر في أسلوب وشعر الأستاء في الجيوب

( وهو في معنى المثل المشهور : أنف في السماء واست في الماء ، والجيوب كصبور : الأرض ، والأستاء

جمع سته كشمس وسبب وهو الاست ، وقوله : ملفخر أصله : من الفخر ، ونظيره قول جميل بثينة :

وما أنس مالأ شياء لأنس قولها (وقد قربت نضوى) أمصرتريد؟

أي من الأشياء ، وقول قطري بن الفجاءة :

غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم

أي على الماء . (٥) الكفى : الكافي ، ويؤامر : يشاور . (٦) تبجج به : افتخر وتباهى .



عليه ، أسمع من فرَس ، وأبصر من عُقاب ، وأهدى من قَطَاة ، وأحذر من عَقَعَق (١) ،  
وأشد إقداماً من الأسد ، وأوثب من الفَهْدِ ، وأحقد من جمل ، وأروغ من ثعلب ،  
وأغدر من ذئب ، وأسخى من لافِظَة (٢) ، وأشح من صبي ، وأجمع من ذرة (٣) ،  
وأحرس من كلب ، وأصبر من ضَبّ . فإن النفس تسمع من العناية على قدر الحاجة ،  
وتتحفّظ على قدر الخوف ، وتطلبُ على قدر الطمع ، وتطمع على قدر السبب .

( جمهرة الأمثال ١ : ١١٧ )

ومن كلماته البليغة قوله حين قدِم خراسان :

« من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم (٤) فليذبذبه ، وإن كان في فيه  
فليلفظه ، وإن كان في صدره فلينفثه » فعجِبَ الناس من حسن ما فصل وقسم .  
( البيان والتبيين ٢ : ٥٤ )

(١) العقق : نوع من الغربان ، وهو ذو لونين : أبيض وأسود طويل الذنب ، يشبه صوته العين  
والقاف - ولذا سمي عققا - وقيل لأنه يبق فراخه ، فيتركهم بلا طعام ، وجميع الغربان يفعل ذلك - وقد  
ضربوا به المثل في الخذر ، فقالوا : « أحذر من عقق » - انظر جمهرة الأمثال - كما قالوا : « أحذر من  
غراب » وقالوا أيضاً : « الص من عقق » لأن في طبيعه شدة الاختطاف لما يراه من الحلي - وقالوا : « أحق  
من عقق » لأنه كالنعامة التي تضيع بيضها وأفراخها ، وتشتغل ببيض غيرها ، وإياها عن هدبة بقوله :

كتاركة بيضها بالهراء وملبسة ببيض أخرى جناحا

انظر حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢ : ٢٠٩ ، ومجمع الأمثال .

(٢) رواه الميداني : « أسمع من لافظة » وقال : قد اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : هي المنز التي تشل  
للحلب - أشلى دابته : أراها المخلاة لتأتيه ، وأشلاها : دعاها للحلب - فتجسى لافظة بجزتها فرحا بالحلب .  
وقال بعضهم : هي الحمامة لأنها تخرج ماني بطنها لفرخها ، وقال بعضهم : هي الديك ، لأنه يأخذ الحبة بمنقاره  
فلا يأكلها ، ولكن يلقيها إلى الدجاجة ، والهاء فيها للمبالغة هاهنا ، وقال بعضهم : هي الرحي لأنها تلفظ  
ما تطلحنه أي تقلد ، وقال بعضهم : هي البحر لأنه يلفظ بالدره ، قال الشاعر :

تجود فتجزل قبل السؤال وكفك أسمع من لافظة

(٣) الذر : صغار النمل ، وفي كلام عمر بن عبد العزيز : قاتل الله زيادا جمع لحم ( أي لأهل العراق )  
كما تجمع الذرة ، وحاطهم كما تحوط الأم البرة » ، وقال الشاعر :

تجمع للوارث جمعاً كما تجمع في قريتها الذر .

(٤) وكان من أمره أنه لما مات يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد ، وثب أهل خراسان بعمالهم  
فأخرجوهم ، وغلب كل قوم على ناحية ، ووقعت الفتنة ، وغلب عبد الله بن خازم على خراسان ، ثم كتب إليه =

## ۳۰۲ - خطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس

لما دانت بلاد المغرب لموسى بن نصير - وكان والياً عليها من قبل الوليد بن عبد الملك - طمّح بصره إلى فتح بلاد الأندلس ، فبعث مَوْلَاهُ طارق بن زياد على جيش جُلّه من البربر سنة ۹۲ هـ فعبّر بهم البحر ، وَتَمَى خبره إلى لَدْرِيق ملك القوط ، فأقبل لمحاربتهم بجيش جرّار ، وخاف طارق أن يستحوذ الرعب على جنده لقتلهم ، فأحرق السفن التي أفلتت بهم ، حتى يقطع من قلوبهم كل أمل في العودة ، وقام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم حثهم على الجهاد ، ورغبهم في الشهادة ، فقال :

« أيها الناس ، أين المفر؟ المحرّم من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق<sup>(۱)</sup> والصبر ، واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مادب<sup>(۲)</sup> اللّثم ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وأفواته مؤفورة<sup>(۳)</sup> ، وأنتم لا وزر<sup>(۴)</sup> لكم إلا سيوفكم ، ولا اقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم ، وإن امتدّت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تُنجزوا لكم أمراً ، ذهبت ربحكم ، وتعوّضت القلوب من رغبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم ، بمناجزة<sup>(۵)</sup> هذا الطاغية ، فقد ألتت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهز الفرصة فيه لكمين ، إن سمّحتم لأنفسكم بالموت ، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة<sup>(۶)</sup> ،

= عبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزبير - وقيل قبله - يدعو إلى الدخول في طاعته على أن يطعمه خراسان عشر سنين ، فأبى وحلف ألا يعطيه طاعة أبدا ، وكان ابن خازم يقاتل بجير بن ورقاء الصريمي بأبر شهر ، وخليفته على مرو بكير بن وشاح ، فكتب عبد الملك إلى بكير بعهد على خراسان ، ووعدته ومناه ، فدعا إلى عبد الملك ، وأجابه أهل مرو ، وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير ، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبر شهر ، فترك بجيرا وأقبل إلى مرو ، فاتبعه بجير فلحقه ، ودارت بينهما الحرب فقتل ابن خازم في المعركة - انظر تاريخ الطبري ۷ : ص ۴۴ ، وص ۱۹۶ . (۱) أي الصدق في القتال ، والصدق : الشدة ، يقال صدقه القتال . (۲) جمع مأدبة بالفتح والضم : وهي طعام صنع لدعوة أو عرس . (۳) لاملجأ . (۴) أي مبارزته . (۵) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

ولا حملتكم على خطاةٍ أرخصُ متاعٍ فيها النفوسُ ، أرباباً<sup>(١)</sup> فيها بنفسى ، واعلموا  
أنكم إن صبرتم على الأشقِّ قليلاً ، استمتعتم بالأزفهِ الألدِّ طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم  
عن نفسى ، فيما حظكم فيه أوفرُ من حظى .

وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرةُ من الحورِ<sup>(٢)</sup> الحسانِ ، من بنات اليونانِ ،  
الرافلاتِ<sup>(٣)</sup> فى الدرِّ والمرجانِ ، والحلِّ المَسوِجَةِ بالعِقيانِ<sup>(٤)</sup> ، المقصُوراتِ<sup>(٥)</sup>  
فى قصور الملوك ذوى التيجانِ ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال  
عزباناً<sup>(٦)</sup> ، ورَضِيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً<sup>(٧)</sup> وأختاناً<sup>(٨)</sup> ، ثقةً منه بارتياحكم  
للطعانِ ، وإسماحكم<sup>(٩)</sup> بمجالدة الأبطال والفُرسانِ ، ليكونَ حظُّه منكم ثوابَ الله على  
إعلاءِ كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وإيكونَ مَغْنَمُها خالصاً لكم من دونه ، ومن  
دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى وَلِيُّ إِنْجَادِكُمْ على ما يكون لكم ذكراً فى الدارين .  
واعلموا أنى أول مجيب إلى مادعوتكم إليه ، وأنى عند مُلتقى الجمعين ، حامِلٌ  
بنفسى على طاغيةِ القومِ لُدْرِيْقٍ ، فقاتله إن شاء الله ، فاحملوا معى ، فإن هلكت بعده ،  
فقد كُفَيْتُمْ أمره ، ولن يُعْمِزَكم بَطَلٌ عاقلٌ تُسْنِدُونَ أموركم إليه ، وإن هلكت قبل  
وصولى إليه ، فاخلفونى فى عزيهتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المهِمَّ من فتح  
هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يُخَذَّلُونَ .

( نفع الطيب ١ : ١١٢ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٣٥ )

(١) رباً بنفسه : علا بها وارتفع ، أى أتحنى عن مشاركتكم . (٢) جمع حوراء ، من الحور  
بالتحريك : وهو شدة سواد العين وبياضها . (٣) رقلت : جرت ذيلها وتبخترت ، أو خطرت بيدها .  
(٤) الذهب . (٥) المخدرات : المخبوات (٦) جمع عزيز . والعزيب والعزب والأعزب :  
من لازوجة له . (٧) جمع صهر : كحمل ، وهو زوج بنت الرجل وزوج أخته . (٨) جمع  
غثن كسبب ، وهو الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ . (٩) سمح وأسمح : جاد وكرم .

### ٣٠٣ - نص آخر لخطبة طارق

وروى ابن قتيبة هذه الخطبة في الإمامة والسياسة بصورة أخرى ، قال :

لما بلغ طارقاً دُنُوَّ لَدْرِيقِ ، قام في أصحابه ، فحمد الله ، ثم حض الناس على الجهاد ،

وَرَغِبِهِمْ فِي الشَّهَادَةِ ، وَبَسَطَ لَهُمْ فِي آمَالِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : أَيْنَ الْمَفْرُ؟ الْبَحْرُ مِنْ وِرَائِكُمْ ، وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ ، فَلَيْسَ ثَمَّ وَاللَّهِ

إِلَّا الصِّدْقُ وَالصَّبْرُ ، فَإِنَّهُمَا لَا يُغْلَبَانِ ، وَهُمَا جَنْدَانِ مَنْصُورَانِ ، وَلَا تَضُرُّهُمَا قَوْلَةٌ ،

وَلَا تَنْفَعُ مَعَ الْخَوَرِ وَالْكَسَلِ وَالْفَشَلِ وَالْإِخْتِلَافِ وَالْعُجْبِ كَثْرَةٌ ، أَيُّهَا النَّاسُ :

مَا فَعَلْتُ مِنْ شَيْءٍ فَافْعَلُوا مِثْلَهُ ، إِنْ حَمَلْتُ فَأَحْمِلُوا ، وَإِنْ وَقَفْتُ فَاقِفُوا ، ثُمَّ كُونُوا كَهَيْئَةِ

رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي الْقِتَالِ ، أَلَا وَإِنِّي عَامِدٌ إِلَى طَاغِيَتِهِمْ ، بِحَيْثُ لَا أَتَهَيَّبُهُ حَتَّى أَخَالِطَهُ ،

وَأَقْتُلُ دُونَهُ ، فَإِنْ قُتِلْتُ فَلَا تَهِنُوا<sup>(١)</sup> وَلَا تَحْزَنُوا ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْ . وَتَوَلَّوْا الدُّبُرَ أَعْدُوَكُمْ ، فَتَبَدَّدُوا بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ . وَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ أَنْ تَرْضَوْا

بِالدَّيْنَةِ ، وَلَا تَمْسُكُوا بِأَيْدِيكُمْ ، وَارْغَبُوا فِي مَا يُجَلُّ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالرَّاحَةِ ، مِنَ الْعَهْنَةِ

وَالذَّلَّةِ ، وَمَا قَدْ حَلَّ لَكُمْ مِنْ ثَوَابِ الشَّهَادَةِ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفَلَّوْا<sup>(٢)</sup> ( وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَمُعِيدُكُمْ )

تَبَوَّءُوا بِالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ ، وَسُوءِ الْحَدِيثِ غَدًا بَيْنَ مَنْ عَرَفَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَآنَذَا حَامِلٌ

حَتَّى أَغْشَاهُ ، فَأَحْمِلُوا بِحِمْلَتِي . »

( الإمامة والسياسة ٢ : ٥٣ )

### ٣٠٤ - خطبة عثمان بن حيان المري بالمدينة

وولى الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المري المدينة سنة ٩٤ هـ ، وقد خطب

على المنبر ، فقال بعد حمد الله :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا وَجَدْنَاكُمْ أَهْلَ غِيْشٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ ،

(١) فلا تضعفوا . (٢) إن تغلبوا وهزموا .

وقد ضوى<sup>(۱)</sup> إليكم من يزيدكم خبالاً : أهل العراق ، هم أهل الشقاق والنفاق ، هم والله شئ النفاق ، وبيضته التي تفلقت عنه ، والله ما جربت عراقياً قط إلا وجدت أفضلهم عند نفسه ، الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، واسكن لما يريد الله من سفك دماهم ، فإني والله لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم أو أكرهه منزلاً ، أو أنزله ، إلا هدمت منزله ، وأنزلت به ما هو أهله<sup>(۲)</sup> .

ثم إن البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب ، وهو مجتهد على ما يصلح رعيته ، جعل يمر عليه من يريد الجهاد ، فيستشيره : الشام أحب إليك أم العراق ؟ فيقول : الشام أحب إلي .

إني رأيت العراق داءً عضالاً ، وبها فرّخ الشيطان ، والله لقد أعضلوا بي<sup>(۳)</sup> ، وإني لأراني سافرهم في البلدان ، ثم أقول : لو فرقهم لأفسدوا من دخلوا عليه بجذل وججاج ، وكيف ؟ ولم ؟ وسرعة وجيف<sup>(۴)</sup> في الفتنة ، فإذا خبروا عند السيوف ، لم يُخبر منهم طائل<sup>(۵)</sup> ، لم يصلحوا على عثمان ، فلقى منهم الأمرين<sup>(۶)</sup> ، وكانوا أول الناس فتق هذا الفتق العظيم ، ونقضوا عراً الإسلام عروة عروة ، وأنزلوا<sup>(۷)</sup> البلدان ، والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أعمل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم ، ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية ، فداحجهم<sup>(۸)</sup> فلم يصلحوا عليه ، ووليهم رجل الناس<sup>(۹)</sup> جلدًا ،

(۱) ضوى كرمى : انضم ولجأ ، والخبال : الفساد . (۲) ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق ، تاجرًا ولا غير تاجر ، وأمر بهم أن يخرجوا ، وحبس بعضهم وطاقبهم ، ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف .  
(۳) عضل به الأمر وأفضل : اشتد ، وأعضله أيضًا . (۴) وجف يجف وجيفا : اضطرب .  
والوجيف : ضرب من سير الحيل والإبل . (۵) الطائل والطائلة والطول : الفضل والقدرة .  
(۶) الأمران : الفقر والمهرم ، وهو كناية عن اشتداد الأمر . (۷) أفسدوا ، من نقل الأديم كفرح : فسد في الدباغ ، وأنغله : أفسده . (۸) المداحجة مثل المداحجة وداحجه عليه : وافقه .  
(۹) يريد الحجاج بن يوسف .

فَبَسَطَ عَلَيْهِمُ السَّيْفَ وَأَخَافَهُمْ ، فَاسْتَقَامُوا لَهُ ، أَحْبَبُوا أَوْ كَرَهُوا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ  
خَبَرَهُمْ وَعَرَفَهُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا شِعَارًا قَطُّ مِثْلَ الْأَمْنِ ، وَلَا رَأَيْنَا حِلْسًا <sup>(١)</sup> قَطُّ شَرًّا  
مِنَ الْخَوْفِ ، فَالزَّمُوا الطَّاعَةَ ، فَإِنِ عِنْدِي بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ خِبْرَةٌ مِنَ الْخِلَافِ ، وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ  
بِأَصْحَابِ قِتَالٍ ، فَكُونُوا مِنْ أَحْلَاسِ بِيوتِكُمْ ، وَعَاضُوا عَلَى النُّوَاجِذِ ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ  
فِي مَجَالِسِكُمْ مَنْ يَسْمَعُ فَيُبَلِّغُنِي عَنْكُمْ ، إِنَّكُمْ فِي فُضُولِ كَلَامٍ غَيْرِهِ أَلْزَمُ لَكُمْ ، فَدَعَا  
عَيْبَ الْوُلَاةِ ، فَإِنِ الْأَمْرُ إِذَا مَا يُنْقَضُ شَيْئًا شَيْئًا حَتَّى تَكُونَ الْفِتْنَةُ ، وَإِنِ الْفِتْنَةُ مِنَ  
الْبَلَاءِ ، وَالْفِتْنُ تَذْهَبُ بِالدِّينِ وَبِالْمَالِ وَالْوَلَدِ . ( تاريخ الطبري ٨ : ٩٢ )

٣٠٥ - وصية يزيد بن المهلب لابنه محمد ( قتل سنة ١٠٢ هـ )

وَمَا وَلى يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ خُرَّاسَانَ فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَفَتَحَ جُرْجَانَ <sup>(٢)</sup>  
وَطَبْرَسْتَانَ <sup>(٣)</sup> ( سنة ٩٨ ) ، وَقَدْ أَوْصَى ابْنَهُ مُحَمَّدًا حِينَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى جُرْجَانَ ،  
فَقَالَ :

« يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ، فَانظُرْ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْيَمَنِ ، فَكُنْ  
لَهُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ

فَرِشٌ وَأَصْطَنِعُ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي <sup>(٤)</sup>

وَانظُرْ هَذَا الْحَيَّ مِنَ رَبِيعَةَ ، فَإِنَّهُمْ شِيعَتُكَ وَأَنْصَارُكَ ، فَاقْضِ حَقُوقَهُمْ ، وَانظُرْ هَذَا

(١) الحلس : بساط البيت ، وكساء على ظهر البعير تحت رحله ، والمراد : ما رأينا مركبا شرا من  
الخوف ، وفلان جلس من أحلاس البيت : للذي لا يبرح البيت . (٢) في الجنوب الشرقي من بحر قزوين .  
(٣) جنوب بحر قزوين . (٤) رايش السهم يريشه : ألزق عليه الريش ، ورايش الصديق : أطعمه  
رساه وكساه وأصلح حاله ونفعه ، واصطنع عنده صنيعته : اتخذها ، والبيت لأبي دؤاد الإيادي .

الحى من تميم ، فامطرهم<sup>(۱)</sup> ، ولا تزره<sup>(۲)</sup> لهم ، ولا تذبذبهم فيطمعوا ، ولا تقصهم  
فَيَقْطَعُوا ، وانظر هذا الحى من قيس ، فإنهم أكفاه قومك في الجاهلية ، ومناصفوهم  
المنابر في الإسلام ، ورضام منك البشر .

يا بنى : إن لأبيك صنائع فلا تُفسدْها ، فإنه كفى بالمرء نقصاً أن يهدم ما بنى  
أبوه ، وإياك والدماء فإنها لا بَقِيَّةَ معها ، وإياك وشتم الأعراض ، فإن الحر لا يرُضيه  
عن عِرْضه عَوْضٌ ، وإياك وضرب الأبخار ، فإنه عارٌ باقٍ ، ووثرٌ مطلوب ، واستعمل  
على النجدة والفضل دون الهوى ، ولا تعزل إلا عن عجز أو خيانة ، ولا يمنك من  
اصطناع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه ، فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها ،  
وليكن صنيعك عند من يكافئك عنه ، احمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم ،  
وإذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه ، وليكن رسولك فيما بيني وبينك من يفقه عنى  
وعنك ، فإن كتاب الرجل موضع عقله ، ورسوله موضع سيره ، وأستودعك الله ، فلا  
بدء للمودع أن يسكت ، وللمشيح أن يرجع ، وما عفاً من المنطق ، وقل من الخطيئة  
أحب إلى أبيك ، وكذلك سلك هذا المسلك الحمود .

( شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٥٥ ، وبلوغ الأرب ٣ : ١٧٣ )

(١) مطرهم السماء : أصابهم بالمطر ، ومطرهم بخير : أصابهم وما مطر منه خيراً - وبخير . - :

أى ما أصابه منه خير .

(٢) للزهو : الكبر والتيه ، زهى كفى ، وكدها قليلة .

٣٠٦ - نصيحة عمر بن هبيرة لبعض بنيه

وقال عمر بن هبيرة<sup>(١)</sup> يؤدّب بعض بنيه :

« لاتكوننَّ أول مُشير ، وإياك والهوى والرأى الفطير<sup>(٢)</sup> ، وتجنب ارتجال الكلام ، ولا تُشير على مستبدّ ، ولا على وَغْد ، ولا على متلّون ، ولا على لَجُوج ، وَخَفِ اللهُ في مُوَافَقَةِ هَوَى المستشير ، فإن التماس موافقته لُؤْم ، وسوء الاستماع منه خيانة . »

وقال : « من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن ساء خلقه قلَّ صديقه . »

( البيان والتبيين ٢ : ٩٨ )

---

(١) هو عمر بن هبيرة الفزاري ، وكان عاملا على الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، وولى العراق ( وأضيفت إليه خراسان ) يزيد بن عبد الملك . (٢) كل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير - والمعجبين الفطير : ضد الحمير : أى الذى لم يختمر - « وكان عبد الله بن وهب الراسبي أمير الخوارج يقول : نعوذ بالله من الرأى الدبرى - والدبرى بالتحريك وتسكن الباء : الذى يعرض من بعد وقوع الشيء - ولا تقل دبرى بضمين فإنه من لحن المحدثين . »



# خطب خالد بن عبد الله القسري<sup>(١)</sup>

(توفي سنة ١٢٦ هـ)

٣٠٧ - خطبته بمكة يدعو إلى الطاعة ولزوم الجماعة

خطب خالد بن عبد الله القسري بمكة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ بِأَعْظَمِ بِلَادِ اللَّهِ حُرْمَةً ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَارَ اللَّهُ مِنَ الْبِلَادِ أَنْ يَوْضَعَ بِهَا بَيْتَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَى عِبَادِهِ حِجَّتَهُ ، مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، أَيُّهَا النَّاسُ : فَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّبُهَاتِ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أُوتِيَ بِأَحَدٍ يَطْعَنُ عَلَى إِمَامِهِ إِلَّا صَلَّيْتُهُ فِي الْحَرَمِ ، إِنْ اللَّهُ جَعَلَ الْخِلَافَةَ مِنْهُ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي جَعَلَهَا ، فَسَلِّمُوا وَأَطِيعُوا ، وَلَا تَقُولُوا كَيْتَ وَكَيْتَ ، إِنَّهُ لَا رَأْيَ فِيمَا كَتَبَ بِهِ الْخَلِيفَةُ أَوْ رَأَاهُ إِلَّا إِمْرًا ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ بَلَّغَنِي أَنْ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ يَقْدَمُونَ عَلَيْكُمْ ، وَيَقِيمُونَ فِي بِلَادِكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تُنْزِلُوا أَحَدًا مِنْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ زَائِعٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا مِنْهُمْ فِي مَنْزِلٍ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا هَدَمْتُ مَنْزِلَهُ ، فَانظُرُوا مَنْ تَنْزِلُونَ فِي مَنَازِلِكُمْ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنَّ الْفُرْقَةَ هُوَ الْبَلَاءُ الْعَظِيمُ » .

وَسَمِعَ يَوْمًا يَقُولُ : « وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوَحْشَ الَّتِي تَأْمَنُ فِي الْحَرَمِ لَوْ نَطَقَتْ

(١) ولاء الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩ هـ ، وولى العراقرين في عهد هشام بن عبد الملك ، وكانت أمه نصرانية ، قالوا وكان يتم في دينه ، وهو من خطباء العرب المعدودين المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، توفي سنة ١٢٦ هـ .

لم تُقَرَّ بالطاعة ، لأخرجتها من الحرم ، إنه لا يسكن حَرَمَ الله وَأَمْنَهُ مخالف للجماعة  
زار<sup>(١)</sup> عليهم .  
(تاريخ الطبري ٨ : ٨٠)

### ٣٠٨ - خطبة أخرى يشيد فيها بفضل الوليد

ومن غلوّه أنه خطب على منبر مكة ، فقال :

« أيها الناس ، أيهما أعظم ؟ أخليفة الرجل على أهله ، أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم  
تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى ربه ، فسقاه مائحا أجاجا ، واستسقاه  
الخليفة فسقاه عذبا فراتا<sup>(٢)</sup> » يعني بئرًا حفرها الوليد بن عبد الملك بالثديتين : ثنية  
طوى ، وثنية الحجون<sup>(٣)</sup> ، فكان يُنقل ماؤها ، فيوضع في حوض من آدم إلى جنب  
زمزم ، ليعرف فضله على زمزم .

(تاريخ الطبري ٨ : ٦٧ ، وسرح للعيون ص ٢٠٥ والأغانى ١٩ : ٦٠)

### ٣٠٩ - خطبته بمكة في الحجاج

وصعد خالد المنبر في يوم الجمعة - وهو على مكة - فذكر الحجاج - فحمد طاعته ،  
وأثنى عليه خيرا ، فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك ، بأمره  
فيه بِشْتَمِ الحجاج ونشر عيوبه ، وإظهار البراءة منه . فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى  
عليه ، ثم قال :

« إن إبليس كان مَلَكًا من الملائكة ، وكان يُظهِر من طاعة الله ما كانت  
الملائكة ترى له به فضلا ، وكان الله قد علم من غشّه وخبثه ما خفي على ملائكته ،

(١) زرى عليه : عابه . (٢) ماء أجاج : ملح مر ، والفرات : الماء العذب جدا .

(٣) ذو طوى مثلث الطاء وينون : موضع قرب مكة ، والحجون : جبل مشرف بمكة . وفي سرح

العيون أنه قال : « قد جئتمكم بماء العاذبة ، لانتشبه ماء أم الخنافس » يعني زمزم .

فلما أراد الله فضيحتَه أمره بالسجود لآدمَ ، فظهر لهم ما كان يُخْفِيهِ عنهم ، فلعنوه ، وإن الحجاج كان يُظْهِر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نَرَى له به فضلا ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وَخَبْثه على ما خَفِيَ علينا ، فلما أراد الله فضيحتَه أَجْرَى ذلك على يدي أمير المؤمنين ، فلعنهُ ، فالعنوه لعنه اللهُ « ثم نزل .

(العقد الفريد ۲ : ۱۵۸ - ۳ : ۱۱)

### ۳۱۰ - خطبة له في الحث على مكارم الأخلاق

وقام على المنبر بواسطة ، فحمد الله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :  
« أيها الناس ، نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ ، وَسَارِعُوا إِلَى الْمَغَانِمِ ، وَأَشْتَرُوا الْحَمْدَ بِالْجُودِ ، وَلَا تَكْسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَمًّا ، وَلَا تَعْتَدُوا بِالْمَعْرُوفِ مَا لَمْ تَعْجَلُوهُ ، وَمَهْمَا يَكُن لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدَ أَحَدٍ نِعْمَةٌ فَلَمْ يَبَاغِ شُكْرَهَا ، فَاللَّهُ أَحْسَنُ لَهَا جِزَاءً ، وَأَجْزَلُ عَلَيْهَا عَطَاءً . وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ ، نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، فَلَا تَمَلُّوا النِّعَمَ فَتَحَوَّلُوهَا نِقَمًا . وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ مَا أُكْسِبَ أَجْرًا ، وَأَوْثَرُ ذِكْرًا ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّازِرِينَ ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْبَخْلَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ مُشَوَّهًا قَبِيحًا تَنْفِرُ عَنْهُ الْقُلُوبُ ، وَتُغْضِي عَنْهُ الْأَبْصَارُ .

أيها الناس ، إن أجودَ الناس مَنْ أعطى مَنْ لا يَرُجُوهُ ، وأعظمَ الناس عَفْوًا مَنْ عفا عن قَدْرَةٍ ، وأوصلَ الناس مَنْ وصل مَنْ قَطَعَهُ ، ومن لم يَطِبْ حَرَّتُهُ ، لم يَزْكُ (۱)  
نبتُهُ ، والأصول عن مَغَارِبِهَا تَنْمُو ، وبأصولها تَسْمُو . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وإيكم . ( صبح الأعشى ۱ : ۲۲۳ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۵۵ ، ومرح العيون ص ۲۰۵ )

(۱) لم يزم .

### ٣١١ - خطبة له يوم عيد

حطب فذكر الله وَجَلَّالَهُ ، ثم قال :

« كنت كذلك ما شئت أن تكون ، لا يعلم كيف أنت إلا أنت ، ثم ارتأيت أن تخلق الخلق ، فإذا جئت به من عجائب صنعتك ؟ والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذررك ، من صنوف أفواجه<sup>(١)</sup> ، وأفراده وأزواجه ، كيف أدجت<sup>(٢)</sup> قوائم الذرة والبعوضة ، إلى ما هو أعظم من ذلك ، من الأشباح ، التي امتزجت بالأرواح . »

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٦ )

### ٣١٢ - قوله وقد سقطت جرادة على ثوبه

وكان خالد إذا تكلم يظن الناس أنه يصنع الكلام ، لعدوبة لفظه ، وبلاغة منطقته ، فبينما هو يخطب يوماً إذ سقطت جرادة على ثوبه ، فقال :

« سبحان من الجرادة من خلقه ، أدمج قوائماًها ، وطوقها جناحها ، ووَشَّى<sup>(٣)</sup> جلدتها ، وسلطها على ما هو أعظم منها . »

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٧ ، والمقد الفريد ٢ : ١٦٣ )

### ٣١٣ - خطبة يوسف بن عمر الثقفي<sup>(٤)</sup> ( قتل سنة ١٢٧ هـ )

قام خطيباً ، فقال :

اتقوا الله عباد الله ، فكم من مؤمل أملأ لا يبلغه ، وجامع مالا لا يأكله ، ومانع عما سوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، أصابه حراماً ، وأورثه

(١) جمع فوج كشمس ، وهو الجماعة . (٢) من أدمج الحبل : أحكم فتله في رقة .

(٣) نقش ونمّم وزين . (٤) هو ابن ابن عم الحجاج ، وولاه هشام بن عبد الملك البين سنة ١٠٦ هـ

م وولاه العراق سنة ١٢٠ هـ بعد عزل خالد بن عبد الله القسري ، وقتل سنة ١٢٧ هـ .

عَدُوًّا ، فاحتمل إضره<sup>(۱)</sup> ، وباء بوزره ، وورد على ربه آسفًا لاهفًا ، قد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

( العقد الفريد ۲ : ۱۵۸ ، والبيان والتبيين ۲ : ۷۱ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۵۵ )

### ۳۱۴ - خطبة يوسف بن عمر

ولما قتل يوسف بن عمر زيد بن علي سنة ۱۲۲ هـ أقبل حتى دخل الكوفة فصعد المنبر فقال :

« يا أهل المدرة الخبيثة : إني والله ما تقرن بي الصعبة ، ولا يققع لي بالشنان ، ولا أخوف بالذئب ، هيهات ا حُبَيْتُ بالساعد الأشد .

أبشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان ، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ، ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم ، وأحرمكم أموالكم ، أما والله ما علوت منبري إلا أسمعكم ما تكرهون عليه ، فإنكم أهل بغي وخلاف ، ما منكم إلا من حارب الله ورسوله إلا حَكِيم بن شريك المحاربي ، ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ، ولو أذن لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم .

( تاريخ الطبري ۸ : ۲۷۸ )

(۱) الإصر : الذنب .

# خطب الفتن والأحداث

## فتنة المدينة ووقعة الحرّة

٣١٥ - خطبة عبد الله بن حنظلة الأنصاري

وقد علم بقدوم جيش الشام إلى المدينة (قتل سنة ٦٣ هـ)

لما كره أهل المدينة خلافة يزيد بن معاوية ، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الأنصاري على خلعِهِ ، وَوَثَبُوا عَلَى مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ وَحَصَرُوهُمْ وَأَخَافُوهُمْ ، وَجَّهَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ جَيْشًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بِقِيَادَةِ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ ، وَنَمَى إِلَيْهِمْ خَيْرٌ مَقْدَمِهِ عَلَيْهِمْ ، فَجَمَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ ، فَقَالَ : « تَبَايَعُونَنِي عَلَى الْمَوْتِ ، وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ فِي بَيْعَتِكُمْ فَبَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبِرَ : فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا خَرَجْتُمْ غَضَبًا لِدِينِكُمْ ، فَأَبْلُوا إِلَى اللَّهِ بِلَاءً حَسَنًا ، لِيُوجِبَ لَكُمْ بِهِ الْجَنَّةَ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَيَحِلَّ بِكُمْ رِضْوَانَهُ ، وَاسْتَعِدُّوا بِأَحْسَنِ عُدَّتِكُمْ ، وَتَأَهَّبُوا بِأَكْمَلِ أَهْبَتِكُمْ ، فَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّ الْقَوْمَ نَزَلُوا بِدِي خُشْبٍ <sup>(١)</sup> وَمَعَهُمْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَاللَّهُ إِنْ شَاءَ مُهْلِكُكُمْ بِنَقْضِهِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عِنْدَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> . »

(١) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة . (٢) وذلك أن أهل المدينة كانوا قد أخرجوا مروان بن الحكم وكبراء بني أمية من المدينة ، وحلفوهم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردوهم عنهم إن استطاعوا ، فإن لم يستطيعوا مضوا إلى الشام ، ولم يرجعوا معهم ، فحلفوا لهم على ذلك .

فتصايح الناس ، وجعلوا ينالون منه ويسبونه ، فقال لهم : « إن الشتم ليس بشيء ،  
تصدقهم اللقأء ، والله ما صدق قوم قط إلا نصروا » ، ثم رفع يديه إلى السماء ، وقال :  
« اللهم إنا بك واثقون ، وعليك متوكلون ، وإليك ألقانا ظهورنا » ثم نزل .

( الإمامة والسياسة ۱ : ۱۵۴ )

### ۳۱۶ - خطبة مسلم بن عقبة يؤنب أهل الشام

وأقبل مسلم بجيشه إلى المدينة ، فحاصرها من جهة الحجر<sup>(۱)</sup> ، ودعا أهلها إلى الطاعة  
ومراجعة الحق ، وأجلهم ثلاثاً فلم يذعنوا لقوله ، ونشبت الحرب بين الفريقين ، وحملت  
خيل ابن حنظلة على أهل الشام فأنكشفوا ، وقتل صاحب رايتهم ، فأخذ مسلم  
الراية ، ونادى :

« يا أهل الشام ، أهدا القتال قتال قوم يريدون أن يدفعوا به عن دينهم ؟ وأن  
يعزوا به نصر إمامهم ؟ قببح الله قتالكم منذ اليوم ، ما أوجعه لقلبي ، وأغيبه لنفسي !  
أما والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تحرموا العطاء ، وأن تجمرؤا في أقاصي الثغور ، شدوا مع  
هذه الراية ، ترخ<sup>(۲)</sup> الله وجوهكم إن لم تعتبوا<sup>(۳)</sup> » . ( تاريخ الطبري ۷ : ۹ )

### ۳۱۷ - خطبة مسلم يحرضهم

ثم إن خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو ابن حنظلة ورجاله حتى دنوا منه ، وأخذ مسلم  
يسير في أهل الشام ويحرضهم ، ويقول :

« يا أهل الشام ، إنكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ، ولا أكثرها

(۱) الحرة : أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة . (۲) ترخ كفرح فرحا : حزن ،

وترحه تبريحا : أحزنه . (۳) أعتبه : أعطاه العتبي ( كقربي ) وهي الرضا ، أي إن لم ترضوني  
بصدقكم القتال .

عَدَدًا ، ولا أوسعها بَلَدًا ، ولم يَخْصُصْكُمْ اللهُ بِالَّذِي خَصَّكُمْ بِهِ مِنَ النِّصْرِ عَلَى عَدُوِّكُمْ ،  
وَحُسْنِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ أُمَّتِكُمْ ، إِلا بِطَاعَتِكُمْ وَاسْتِقَامَتِكُمْ ، وَإِنْ هُوَ لَاءَ الْقَوْمِ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنَ  
العرب غَيْرُوا : فَغَيَّرَ اللهُ بِهِمْ ، فَتَمَّوْا<sup>(۱)</sup> عَلَى أَحْسَنِ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ ، يُتَمِّمُ اللهُ  
لَكُمْ أَحْسَنَ مَا يُبْنِي لَكُمْ مِنَ النِّصْرِ وَالْفَلَجِ<sup>(۲)</sup> . « (تاريخ الطبري ۷ : ۹)

### ۳۱۸ - خطبة ابن حنظلة يحرّض أصحابه

وقام عبد الله بن حنظلة في أصحابه حين رأهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم ، فقال :  
« يَا هُوَ لَاءَ : إِنْ عَدُوِّكُمْ قَدْ أَصَابُوا وَجْهَ الْقِتَالِ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَقَاتِلُوهُمْ بِهِ ،  
وَإِنِّي قَدْ ظَنَنْتُ أَلَّا تَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً ، حَتَّى يَفْصِلَ اللهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ، إِمَّا لَكُمْ وَإِمَّا  
عَلَيْكُمْ ، أَمَّا لَكُمْ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ وَدَارِ الْمِجْرَةِ ! وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ رَبَّكُمْ أَصْبَحَ عَنْ أَهْلِ بَلَدٍ  
مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ بِأَرْضِي مِنْهُ عَنْكُمْ ، وَلَا عَلَى أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْعَرَبِ بِأَسْخَطَ مِنْهُ  
عَلَى هُوَ لَاءَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ ، إِنْ لَكُلِّ امْرَأٍ مِنْكُمْ مَيْتَةٌ هُوَ مَيْتٌ بِهَا ، وَاللَّهِ مَا مِنْ  
مَيْتَةٍ بِأَفْضَلَ مِنْ مَيْتَةِ الشَّهَادَةِ ، وَقَدْ سَأَقَى اللهُ إِلَيْكُمْ ، فَاغْتَنِمُوهَا ، فَوَاللَّهِ مَا كَلِمًا  
أَرْدْتُمُوهَا وَجَدْتُمُوهَا . »

ودارت الدائرة على أهل المدينة ، وقتل ابن حنظلة فيمن قتل ، ودخل مسلم المدينة<sup>(۳)</sup>  
وكانت وقعة الحرّة في ذي الحجة سنة ۶۳ هـ . (تاريخ الطبري ۷ : ۱۰)

(۱) تم على الأمر وتمم عليه كضرب : أي استمر عليه . (۲) الفلج : الظفر والنصر .

(۳) انظر ص ۱۹۵ .



# اضطراب الأمر بعد موت يزيد

٣١٩ - خطبة عبيد الله بن زياد بن أبيه

قام عبيد الله بن زياد بن أبيه خطيباً بعد موت يزيد بن معاوية - وهو يومئذ أمير العراق - فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل البصرة ، انسبوني ، فوالله ما مه أجراً أبي إلا إليكم ، وما مولدي إلا فيكم ، وما أنا إلا رجل منكم ، ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ، ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً ، وما أحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفاً ، واقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً<sup>(١)</sup> ، وما تركت لكم ذا ظنة<sup>(٢)</sup> أخافه عليكم ، إلا وهو في سجنكم هذا ، وإن أمير المؤمنين : يزيد بن معاوية قد توفى وقد اختلف أهل الشام ، وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً ، وأعرضه فناءً ، وأغناه عن الناس ، وأوسع بلاداً ، فاختروا لأنفسكم رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم ، يُجاهد عدوكم ، وَيُنصِف مظلومكم من ظالمكم ، وَيَكْف سُفهاءكم ، وَيَجْجِي لكم فيثكم ، وَيَقْسِمُهُ فيما بينكم ، فأنا أول راضٍ من رَضِيتموه وتابِع ، فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترتضونه ، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون ، وإن كرهتم ذلك كنتم على جدِ يلقاكم<sup>(٣)</sup> »

(١) وفي البيان والتبيين : « والله لقد وليتكم أبي وما مقاتلتكم إلا أربعون ألفاً ، فبلغ بها ثمانين ألفاً ، وما ذريتكم إلا ثمانون ألفاً ، وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف ، وأنتم أوسع الناس بلاداً ، وأكثره جنوداً وأبعد مقاداً ، وأغنى الناس عن الناس . . . الخ . . . » (٢) الظنة : التهمة . (٣) الجديلة : الطريقة ، يقال : مازال على جديلة واحدة ، أي على حال واحدة ، وطريقة واحدة .

حتى تُعْطُوا حاجتكم ، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجةً ، وما يستغنى  
الناس عنكم .

فقامت خطباء أهل البصرة ، فقالوا : قد سمعنا مقالتك أيها الأمير ، وإنا والله ما نعلم  
أحداً أقوى عليها منك ، فهلمّ فلنُبَايِعْكَ ، فقال : لا حاجة لي في ذلك ، فاختاروا  
لأنفسكم ، فأبوا عليه ، وأبى عليهم ، حتى كرّروا ذلك عليه ثلاث مرات ، فلما أبوا  
بسط يده فبايعوه .

فلما خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكتفهم بالحيطان وباب الدار ، ويقولون :  
ظن ابن مرّجانة أنا نوابه أمرنا في القرقة ، وأقام عبيد الله أميراً غير كثير ، حتى جعل  
سلطانه يضعف ، ويأمر بالأمر فلا يُقضى ، ويرى الرأي فيردّ عليه ، ويأمر بحبس  
المخيط فيحال بين أعوانه وبينه .

( تاريخ الطبري ۷ : ۱۸ ، والبيان والتبيين ۲ : ۶۵ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۰۵ )

### ۳۳۰ — خطبة أخرى له

وبلغه أن سامة بن ذؤيب يدعو الناس إلى ابن الزبير ، فأمر فنودي : الصلاة  
جامعةً ، فتجمع الناس ، فأنشأ عبيد الله يقصّ أول أمره وأمرهم ، وما قد كان دعاهم  
إلى من يرتضونه ، فيبايعه معهم ، وقال : « وإنكم أبئتم غيري ، وإنه بلغني أنكم مسختم  
أكتفكم بالحيطان وباب الدار ، وقلتم ما قلتم ، وإني أمر بالأمر فلا يُنفذ ، ويردّ على  
رأبي ، وتحوّل القبائل بين أعوانى وطلّبتى <sup>(۱)</sup> ، ثم هذا سامة بن ذؤيب يدعو إلى الخلاف  
عليكم ، إرادة أن يفرّق جماعتكم ، ويضرب بعضكم جباهة بعض بالسيف .  
فقال الأحنف بن قيس والناس جميعاً نحن نأتيك بسامة ، فأتوه فإذا جمعه قد كشف  
وإذا الفتق قد اتسع على الراتق ، وامتنع عليهم ، فقعّدوا عن ابن زياد فلم يأتوه .

(۱) طلبتك : ما طلبته .

وروى أنه قال في خطبته : « يا أهل البصرة ، والله لقد لبسنا الخبز وأيمنة<sup>(۱)</sup> واللبن من الثياب ، حتى لقد أجمنا<sup>(۲)</sup> ذلك ، وأجمته جلودنا ، فما بنا إلى أن نُعقبَ الحديدَ يا أهل البصرة ، والله لو اجتمعتم على ذنبٍ غيرِ لتيكسروهُ ما كسرتموهُ » .  
( تاريخ الطبري ۷ : ۲۰ )

### ۳۲۱ - خطبة عمرو بن حريث

ولما بايع أهلُ البصرة عبيدَ الله بن زياد - وكان خليفته على الكوفة عمرو ابن حريث - بعث وافدين من قبله إلى الكوفة : عمرو بن مسمع ، وسعد بن القرحاء<sup>(۳)</sup> التميمي ، ايعلم أهل الكوفة ما صنع أهلُ البصرة ، ويسألانهم البيعة لابن زياد ، حتى بصطوح الناس ، فجمع الناس عمرو بن حريث ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن هذين الرجلين قد أتياكم من قبل أميركم ، يدعوانكم إلى أمر يجمع الله به كلمتكم ، ويصلح به ذات بينكم ، فاسمعوا منهما ، واقبلوا عنهما ، فإنهما برُشدٍ ما أتياكم » .

### ۳۲۲ - خطبة عمرو بن مسمع

فقام عمرو بن مسمع ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وذكر أهل البصرة ، واجتماع رأيهم على تأمير عبيد الله بن زياد ، حتى يرى الناس رأيهم ، فيمن يولون عليهم وقال :

« قد جئناكم لنجمع أمرنا وأمركم ، فيكون أميرنا وأميركم واحدا ، فإنما الكوفة من البصرة ، والبصرة من الكوفة » .

(۱) البينة : برد يمني . (۲) أجمه : أراحه ، وأصله من أجم الفرس : ركبه فلم يركبه ففقه من تعبته ، والجمام بالفتح : الراحة . (۳) القرحاء في الأصل : الروضة في وسطها نور أبيض .

وقام ابن القرحاء ، فتكلم نحوًا من كلام صاحبه ، فقام يزيد بن الحارث الشيباني  
فحصبهما أول الناس ، ثم حصبهما الناس بعد ، ثم قال : أنحن نبائع لابن مرجانة ؟  
لا ولا كرامة ! ورجع الوفد إلى البصرة ، فأعلم الناس الخبر ، فقالوا : أهل الكوفة  
يخلمونه ، وأنتم تؤلّونه وتبايمونه ؟ فوثب به الناس ، فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي  
فأجاره ومنعه ، ثم خرج إلى الشام في خفارة رجال من الأزدي وبكر بن وائل .

( تاريخ الطبري ۷ : ۳۰ )

### ۳۳۳ - خطبة الأحنف بن قيس

واستخلف ابن زياد مسعود بن عمرو الأزدي على البصرة ، فقالت بنو تميم وقيس :  
لا نولى إلا رجلاً ترضاه جماعتنا ، فقال مسعود : قد استخلفني ، فلا أدع ذلك أبداً ،  
وبينا هو على المنبر يبائع من أتاه ، إذ رماه رجل من الخوارج فقتله ، فخرجت الأزدي  
إلى الخوارج ، فقتلوا منهم وجرّحوا ، وطردهم عن البصرة ، وجاءهم الناس ، فقالوا لهم :  
تعلمون أن بني تميم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو ؟ فبعثت الأزدي تسأل عن ذلك ،  
فإذا أناس منهم يقولونه ، فاجتمعت الأزدي عند ذلك ، وازدلفوا إلى بني تميم ، وخرجت  
مع بني تميم قيس ، وخرج مع الأزدي بكر بن وائل ، فالتقى القوم ، واقتلوا أشد القتال ،  
فقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، فقالت لهم بنو تميم : الله الله يا معشر الأزدي دماننا  
ودمائكم ، بيننا وبينكم القرآن ، ومن شئتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا  
بيئة أنا قتلنا صاحبكم ، فاختاروا أفضل رجل فينا ، فاقتلوه بصاحبكم ، وإن لم تكن  
لكم بيعة ، فإننا نحاف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ، ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً ، وإن لم  
تريدوا ذلك ، فنحن ندي صاحبكم بمائة ألف درهم ، فاصطلحوا ، فاتاهم الأحنف  
ابن قيس ، فقال :

« يا معشر الأزدي : أنتم جبرتنا في الدار ، وإخوتنا عند القتال ، وقد أتيناكم

في رحالكم ، لإطفاء حشيشتكم<sup>(١)</sup> ، وسَلَّ سَخِيمَتِكُمْ<sup>(٢)</sup> ، ولكم الحُكْمُ مُرْسَلًا<sup>(٣)</sup> ،  
فقولوا ، على أعلامنا وأموالنا ، فإنه لا يتعَاظَمُنَا<sup>(٤)</sup> ذهاب شيء من أموالنا كان فيه  
صلاح بيدنا » ، فقالوا : أتدُون صَاحِبِنَا عَشْرَ دِيَّاتٍ ؟ قال : هي لكم ، فانصرف الناس  
واصطلحوا<sup>(٥)</sup> .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذه الخطبة بصورة أخرى ، وها هي ذى :

قال بعد حمد الله والثناء عليه : « يا معشر الأزدِ وَرَبِيعَةَ ، أنتم إخواننا في الدين  
وشركاؤنا في الصَّحْرِ ، وأَشِقَاؤُنَا فِي النَّسَبِ ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ،  
وَاللَّهِ لَأَزِدُ الْبَصْرَةَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تَمِيمِ الْكُوفَةِ ، وَلَأَزِدُ الْكُوفَةَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تَمِيمِ  
الشَّامِ ، فَإِنْ اسْتَشْرَفَ شَنَا نُكُمُ<sup>(٦)</sup> ، وَأَبَى حَسَدُ صُدُورِكُمْ ، فِي أَمْوَالِنَا ، وَسَعَةَ  
أَعْلَامِنَا ، لَنَا وَلَكُمْ سَعَةٌ . »

( تاريخ الطبرى ٨ : ٣١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٦٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٧ )

(١) أى ناركم الموقدة . من حش النار : أوقدها ، فهى فعيلة بمعنى مفعولة ( وإن كانت لم ترد فى كتب  
اللغة بهذا المعنى ، لكن القياس لا يمنعها ، والوارد : الحشيشة طاقة الكلاذ ) . (٢) السخيمة : الحقد .  
(٣) أى مطلقا كما تشاءون . (٤) تعاضمه : عظم عليه . (٥) واجتمع أهل البصرة على  
أن يجعلوا عليهم منهم أميرا يصل بهم حتى يجتمع الناس على إمام ، فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهرا  
ثم جعلوا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - وهو بية - فصل بهم شهرين ، ثم قدم  
عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر من قبل ابن الزبير ، فكث شهرا ، ثم قدم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة  
المعروف بالقبياع ، ثم مصعب بن الزبير ، أما أهل الكوفة فإنهم لما ردوا وفد البصرة ولوا عليهم عامر  
ابن مسعود القرشى ، ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصارى من قبل ابن الزبير كما تقدم .  
(٦) استشرَف : انتصب ، أى زاد واستحکم ، والشنآن : البغض والكراهية .

## ٣٣٤ - خطبة روح بن زنباع الجذامي بالمدينة<sup>(١)</sup>

لما نَمَى هلاك يزيد بن معاوية إلى الحُصَيْن بن نُمَيْر - وهو على حرب ابن الزبير

(١) هو روح بن زنباع سيد جذام - إحدى قبائل اليمن - وقد خلفه مسلم بن عقبة المري ، على المدينة بعد فراغه من قتال أهلها - في وقعة الحرّة - وشخصه إلى مكة لقتال ابن الزبير - وقد نزل الموت بمسلم في الطريق ، وولى أمر الجيش الحُصَيْن بن نُمَيْر - ولما كانت انفتحة بعد موت معاوية الثاني ، دعا حسان بن مالك ابن بحدل الكلبي - وكان على فلسطين والأردن - روح بن زنباع فاستخلفه على فلسطين ، ونزل هو الأردن فوثب نائل بن قيس الجذامي على روح ، فأخرجه من فلسطين ، وباع لابن الزبير . « الطبري ج ٧ : ص ١٣ و ٣٤ ، والأغاني ١٧ : ١١١ » ، وكان لروح اليد الطولى في ظفر مروان بن الحكم بالخلافة ، قال صاحب العقد « ج ٢ : ص ٢٥٩ » لما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام كلهم ابن الزبير إلا أهل الأردن ، وباع أهل مصر أيضا ابن الزبير ، واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهري على أهل الشام ، فلما رأى ذلك رجال بني أمية وناس من أشرف الشام ووجوههم منهم روح بن زنباع وغيره ، قال بعضهم لبعض : إن الملك كان فينا أهل الشام ، فانتقل عنا إلى الحجاز لانرضى بذلك ، هل لكم أن تأخذوا رجلا منا فينظر في هذا الأمر ؟ فقال : استخبروا الله ، فأتوا عمرو بن سعيد بن العاص ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فأروه حدثا ، فجاءوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فأروه حدثا حريصا على هذا الأمر ، فلما خرجوا من عنده قالوا : هذا حديث فأتوا مروان بن الحكم ، فقالوا : يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الأمر ، فقال : استخبروا الله ، وأسأله أن يختار لأمة محمد صلى الله عليه وسلم خيرا وأعلما ، فقال له روح بن زنباع : إن معي أربعمئة من جذام ، فأنا أمرهم أن يتقدموا في المسجد غدا ، ومر أنت ابنك عبد العزيز أن يخاطب الناس ويدعوهم إليك ، فإذا فعل ذلك تنادوا من جانب المسجد : صدقت صدقت ! فينظن الناس أن أمرهم واحد ، فلما اجتمع الناس قام عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان ، كبير قریش وسيدها ، والذي نفسى بيده

لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر » فقال الجذاميون : صدقت صدقت ! فقال خالد بن يزيد : أمر دبر بلبل ! فبايعوا مروان بن الحكم . ومن أجل ذلك كان روح أثيرا عند عبد الملك بن مروان « كما يقول المبرد في الكامل ٢ : ١٢٢ » ، ويقول ابن نباتة في سرح العميون ص ١١٣ : « وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك » ويقول صاحب العقد : « وكان روح بن زنباع وزير عبد الملك » - ٢ : ٧٠ ، ٣ : ٦ - قال ابن طباطبا في الفخرى ص ١٣٦ : « والوزارة لم تتمه قواعدها ؛ وتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس =

بمكة - انصرف بجيشه إلى الشام ، فلما صاروا إلى المدينة ، جعل أهلها يَهْتَفُونَ<sup>(۱)</sup> بهم ، ويتوعدونهم ، ويذكرون قتلاهم بالحرة ، فلما أكثروا من ذلك وخافوا الفتنة وهيجها ، صعد رُوْح بن زِنْبَاع الجُدَامِي على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان في ذلك الجيش - فقال :

« يا أهل المدينة : ما هذا الإيعاد<sup>(۲)</sup> الذي توعدوننا ؟ إنا والله مادعونكم إلى « كَلْب » لمبايعة رجل منهم ، ولا إلى رجل من « بَلْقَيْن »<sup>(۳)</sup> ولا إلى رجل من « لَنْخَم » أو « جُدَام » ولا غيرهم من العرب ، ولكن دعوناكم إلى هذا الحَيِّ من قريش - يعني بني أمية - ثم إلى طاعة يزيد بن معاوية ، وعلى طاعته قاتلناكم ، فأبانا توعدون ؟ أمّا والله إنا لا أبناء الطعمن والطاعون ، وَفَضَلَاتُ الموتِ وَالْمَنُونِ ، فما شئتم<sup>(۴)</sup> ، ومضى القوم إلى الشام .

( مروج الذهب ۲ : ۱۰۴ ، والبيان والتبيين ۱ : ۲۰۸ )

= فأما قبل ذلك ، فلم تكن مقننة القواعد ؛ ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فإذا حدث أمر استشار ذوى الحجى والآراء الصائبة ، فكل منهم يجرى مجرى وزير ، فلما ملك بنو العباس تقرررت قوانين الوزارة ، وسمى الوزير وزيرا ، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً ، وأول وزير وزر لأول خليفة عباسى حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال وزير السفاح . ( ۱ ) بصيحوون .

( ۲ ) يقال : وعده خيراً وبه ، ووعدته شراً وبه - ومن هذا قوله تعالى :

« الْفَارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَدَسَ الْمَصِيرُ » فإذا أسقطوا الخير والشر ، قالوا فى الخير وعده فى الشر أوعده ، وقالوا أوعده خيراً وشراً بالألف أيضاً ، وأدخلوا الباء مع الألف فى الشر خاصة ، فقالوا أوعده بالسجن ونحوه . ( ۳ ) أصله بنو القين كما قالوا : بلحارث فى بنى الحارث ، وبلعنبر فى بنى العنبر . قال المبرد فى الكامل ۲ : ۱۸۳ « وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة ، فإنهم يجيزون معه حذف النون التى فى قولك ( بنو ) لقرب مخرج النون من اللام ، وذلك قولك فلان من بلحارث وبلعنبر وبلهجم » أى بنى الهجم كزبير . ( ۴ ) وروى الجاحظ أن روحاً خطب هذه الخطبة يدهو إلى بيعة يزيد بن معاوية ، وفى آخرها يقول : « وعندنا إن أجبتكم وأطعتم من المعونة والفائدة ما شئتم » .

## ۳۲۵ - خطبته يؤيد مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة

ولما اجتمع الرأي على البيعة لمروان بن الحكم ، قام رَوْح بن زِنْبَاع ، فحمد الله  
وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنكم تَذْكُرُونَ عبد الله بن مُعمر بن الخطاب ، وَصُحْبَتَهُ من  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَقَدَمَهُ في الإسلام ، وهو كما تذكرون ، ولكن ابن  
عمر رجل ضعيف ، وليس بصاحب أمة محمد الضعيف ؛ وأما ما يذكركم الناس من عبد الله  
ابن الزبير ، وَيَدْعُونَ إليه من أمره ، فهو والله كما يذكرون ، إنه لَأَبْنُ الزبيرِ : حَوَارِيٌّ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَأَبْنُ أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين ، وهو  
بعدُ كما تذكرون في قدمه وفضله ، ولكن ابن الزبير منافق ، قد خلع خليفتين : يزيد  
وابنه معاوية بن يزيد ، وَسَفَكَ الدماء ، وشقَّ عَصَا المسلمين ، وليس صاحبَ أمر أمة  
محمد صلى الله عليه وسلم المنافق ؛ وأما مروان بن الحكم ، فوالله ما كان في الإسلام صَدْعٌ  
قَطُّ ، إلا كان مروان ممن يَشْعَبُ <sup>(۱)</sup> ذلك الصَّدْع ، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين  
عثمان بن عفان يوم الدار <sup>(۲)</sup> ، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ، وإنا نرى  
للناس أن يُبايعوا الكبير ، ويستشَبِّوا <sup>(۳)</sup> الصغير - يعني بالكبير مروان بن الحكم ،  
وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية - .

فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان . ثم لخالد بن يزيد من بعده ، ثم لعمر بن

(تاريخ الطبري ۷ : ۳۸ .)

سعيد بن العاص من بعد خالد .

(۱) يصلح . (۲) يوم تسور الثوار عليه داره وقتلوه . (۳) ينتظروه حتى يشب .



## ۳۲۶ - خطبة الغضبان بن القبعثري يحض على قتل الحجاج

لما هلك بشر بن مروان ، وولي الحجاج العراق ، بلغ ذلك أهل العراق ، فقام الغضبان بن القبعثري الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل العراق ، ويا أهل الكوفة ، إن عبد الملك قد ولي عليكم من لا يقبل من محبتكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم ، الظالم العشوم<sup>(۱)</sup> الحجاج ، ألا وإن لكم من عبد الملك منزلة ، بما كان منكم من خذلان مصعب<sup>(۲)</sup> وقتله ، فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه ، فإن ذلك لا يعد منكم خلماً ، فإنه متى فعل على متن منبركم ، وصد سربكم ، وقاعة قصركم ، ثم قتلتموه عدلاً ، فأطيعوني وتغدوا به ، قبل أن يتعشى بكم . »

فقال له أهل الكوفة : « جئنت يا غضبان ، بل ننتظر سيرته ، فإن رأينا منكراً غيرناه » قال : ستملون ، فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقاتله ، فأمر به ، فأقام في حبسه ثلاث سنين .

( مروج الذهب ۲ : ۱۴۶ )

(۱) الظلوم . (۲) وذلك أن مصعب بن الزبير لما كان على العراق حج سنة ۷۱ ، فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير ، ومعه وجوه أهل العراق ، وسأله أن يعطيهم ، فأبى وقبض يده ، فلما حرمهم ابن الزبير ماعنده فسدت قلوبهم ، فراسلوا عبد الملك بن مروان ، حتى خرج إلى مصعب وقتله ، فافهو إلا أن التقوا حتى حولوا وجوههم ، وصاروا إلى عبد الملك ، وبقى مصعب في شردمة قليلة ، فجاءه عبيد الله ابن زبليان - وكان مع مصعب - فقال : أين الناس أيها الأمير ؟ فقال : قد غدرتم يا أهل العراق ! فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعباً ، فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة ، فنشب السيف في البيضة ، فجاء غلام لعبيد الله بن زبليان فضرب مصعباً بالسيف فقتله ، ثم جاء عبيد الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان ، فلما نظر إلى رأس مصعب خر ساجداً ، قال عبيد الله بن زبليان - وكان من فتاك العرب - ما ندمت على شيء قط ندمي على عبد الملك بن مروان ، إذ أتيت برأس مصعب فخر ساجداً ، أن لا أكون ضربت عنقه ، فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد .

( ۲۲ - جمهرة خطب العرب - ثان )

### ۳۲۷ - خطبة مطرف بن المغيرة بن شعبة

وقدم مُطَرِّفُ بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
« أيتها الناس : إن الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولاني عليكم ، وأمرني بالحكم  
بالحق ، والعدل في السيرة ، فإن عملتُ بما أمرني به ، فأنا أسعد الناس ، وإن لم أفعل  
فنفسي أوبقتُ ، وخطَّ نفسي ضيقتُ ، ألا إني جالس لـكم العصرين فارفعوا إليّ  
حوادثكم ، وأشيروا عليّ بما يصالحكم ويصلح بلادكم ، فإنني لن آلوكم خيرا ما استطعت »  
ثم نزل . ( تاريخ الطبري ۷ : ۲۵۹ )

### ۳۲۸ - خطبة مطرف بن المغيرة بن شعبة

وفي سنة ۷۷ هـ خرج المطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج وخلع عبد الملك بن  
مروان - وكان الحجاج قد استعمله على المدائن - وجمع إليه رؤوس أصحابه فذكر الله  
بما هو أهله وصلى على رسوله ثم قال لهم :  
« أما بعد - فإن الله كتب الجهاد على خلقه ، وأمر بالعدل والإحسان ، وقال فيما أنزل  
علينا ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ ) وإني أشهد الله أني قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف ،  
فمن أحب منكم صحبتي وكان على مثل رأيي فليتابعني ، فإن له الأُسوة وحسن الصحبة ،  
ومن أبي فليذهب حيث شاء ، فإنني لست أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد  
أهل الجور ، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى قتال الظلمة ، فإذا جمع الله لنا أمرنا  
كان هذا الأمر شوري بين المسلمين ، يرتضون لأنفسهم من أحبوا » .

( تاريخ الطبري ۷ : ۲۶۲ )

### ۳۲۹ - خطبة سعيد بن المجالد

خرج الجزل بن سعيد في طلب الخوارج الشيبية وأقبل حتى انتهى إلى النهر وان  
فأدركوه فلزمه عسكره وخندق عليه، وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة  
أميراً فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا أهل الكوفة ، إنكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتم عليكم أميركم ، أنتم في طلب  
هذه الأعراب العجف منذ شهرين وهم قد خربوا بلادكم ، وكسروا خراجكم ، وأنتم  
حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزايدونها ، إلا أن يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم  
ونزلوا بلاداً سوى بلدكم ، اخرجوا على اسم الله إليهم » فخرج وأخرج الناس معه .

( تاريخ الطبري ۷ : ۲۲۹ )

## فتنة ابن الأشعث

جهز الحجاج عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، وعشرين ألف رجل من أهل  
البصرة ، لمحاربة رُتَبِيلِ مَلِكِ التُّرْكِ (١) ، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث  
ابن قيس الكندي ، فخرج بهم حتى قَدِمَ سِجِسْتَانَ ( سنة ٨٠ هـ ) فجمع أهلها حين قَدِمَها  
وخطبهم فقال :

### ٣٣٠ - خطبة ابن الأشعث بسجستان

صَعِدَ المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
« أيها الناس ، إن الأمير الحجاج ولأني تُغَرِّكُم ، وأمرني بجهادِ عدوِّكم الذي  
استباح بلادكم ، وأباد خياركم ، فأياكم أن يتخلف منكم رجلٌ فيُجِلَّ بنفسه العُقُوبَةَ ،  
أخرُجوا إلى مُعَشِّركم فمسكرُوا به مع الناس » . ( تاريخ الطبري ٨ : ٤ )

\* \* \*

### ٣٣١ - خطبته يعرض على الجنود رأى الحجاج

فلما حاز من أرض رُتَبِيلِ أرضاً عظيمة ، وملاً يديه من الغنائم والأسلاب ، حبس  
الناس عن الوُغُولِ في أرضه ، وقال : نكتفي بما أصدناه العام من بلادهم ، حتى نَجْجِبِيهَا  
ونعرفها ويجتري المسلمون على طرقها ، ثم نعطى في العام المقبل ما ورائها ، ثم لم نزل

(١) انظر ص ٢٩٣ .

ننتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم ، ثم لا نزال بلادهم حتى يهلكهم الله ، وكتب  
إلى الحجاج بذلك . فورد عليه كتاب الحجاج يضعف رأيه ، ويأمره بالوغول في أرضهم ،  
ويتهدده بالعزل إن لم يفعل ، فدعا ابن الأشعث الناس إليه .  
فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إني لكم ناصح ، ولصلاحيكم محب ، ولكم - في كل ما يحيط بكم  
نفعه - ناظر ، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي ، أشتشرت فيه ذوى  
أحلامكم ، وأولى التجربة للحرب منكم ، فرضوه لكم رأياً . ورأوه لكم في العاجل  
والآجل صلاحاً ، وقد كتبتُ إلى أميركم الحجاج ، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني  
ويأمرني بتمعجيل الوغول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها  
بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم ، أمضى إذا مضيتم ، وآبى إذا أبيتكم . »

فتار إليه الناس ، فقالوا : لا ، بل نأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

( تاريخ الطبرى ٨ : ٨ )

### ٣٣٢ - خطبة عامر بن وائلة الكنانى

فقام عامر بن وائلة الكنانى - وكان أول متكلم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً -  
فقال بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه :

« أما بعد : فإن الحجاج وألله ما يرى بكم إلا مارأى القائل الأول ، إذ قال لأخيه :  
« احمل عبدك على الفرس ، فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك » . إن الحجاج والله ما يبالي  
أن يخاطر بكم ، فيقحمكم بلاداً كثيرة الأهوب<sup>(١)</sup> والأصوب<sup>(٢)</sup> ، فإن ظفرتتم فغنمتم

(١) الأهوب جمع لهب كحمل ، وهو مهواة ما بين كل جبلين ، أو الصدع في الجبل ، أو الشعب  
الصغير فيه ( والشعب كحمل : الطريق في الجبل ) . (٢) جمع لصب كحمل أيضاً ، وهو الشعب الصغير  
في الجبل أصيبق من الذهب وأوسع من الشعب .

أكل البلاد ، وحاز المال ، وكان ذلك زيادةً في سلطانه ، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عنّهم ، ولا يُبقي عليهم ، اخلعوا عدو الله الحجاج ، وبايعوا عبد الرحمن ، فإنى أشهدكم أنى أول خالع .

فنادى الناس من كل جانب : فعلنا فعلنا ، قد خلعنا عدو الله .

( تاريخ الطبرى ٨ : ٨ )

### ٣٣٣ - خطبة عبد المؤمن بن شبت بن ربيع

وقام عبد المؤمن بن شبت بن ربيع التميمي ثانياً ، فقال :

« عباد الله ، إنكم إن أطعتم الحجاج ، جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وجرمكم تجمير فرعون الجنود ، فإنه بلغنى أنه أول من جرّ البعوث ، ولن تعابنوا الأحبة فيما أرى أو يموت أكثركم ، بايعوا أميركم ، وانصرفوا إلى عدوكم ، فانفوه عن بلادكم ، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه .

( تاريخ الطبرى ٨ : ٨ )

### ٣٣٤ - خطبة ابن الأشعث بالمربد

ولما كانت الحرب بينه وبين الحجاج بالمربد<sup>(١)</sup> خطب الناس ، فقال :  
« أيها الناس : إنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة<sup>(٢)</sup> تضرب به يميناً وشمالاً ، فما تلبث إلا أن تموت<sup>(٣)</sup> . »

( البيان والتبيين ٢ : ٨٧ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢١ )

(١) موضع بالبصرة . (٢) الوزغة : سام أبرص ، سميت بها لخفتها وسرعة حركتها .

(٣) قال الجاحظ : فر به رجل من بني قشير فقال : « قبح الله هذا ورأيه ، يأمر أصحابه بقاءة الاحراس

ويعدمهم الأضاليل ، ويمنهم الباطل » وناس كبير يرون أن ابن الأشعث هو المحسن دون القشيري .

### ٣٣٥ - خطبته حين أراد عبد الملك أن يترضى أهل العراق

ولما نزل ابن الأشعث بدير الجاجم ، واجتمع أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وأهل الثغور والمسالح<sup>(١)</sup> بدير الجاجم والقراء من أهل المصرين ، واجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج ، جثمهم عليه بغضهم وكراهيتهم له - وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ، ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليتهم ، واشتد القتال بين الفريقين ، بعث عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله وأخاه محمداً ، وأمرهما أن يعرضاً على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن يجرى عليهم أعطياتهم ، كما تجرى على أهل الشام ، وأن ينزل ابن الأشعث أى بلد من العراق شاء ، يكون عليه والياً مادام حياً ، وكان عبد الملك والياً ، فعرضاً ذلك على أهل العراق ، فقالوا : نرجع العشيّة ، فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يبق قائداً ، ولا رأس قوم ، ولا فارس إلا أناه .

فحمد الله ابن الأشعث ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فقد أعطيتكم أمراً ، انتهزكم اليوم إياه فرصةً ، ولا آمن أن يكون على ذى الرأى غداً حسرةً ، وإنكم اليوم على النصف ، وإن كانوا اعتدوا بالزاوية ، فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم ، وأنتم أعزاء أفوياء ، والقوم لكم هائبون ، وأنتم لهم منتقصون ، فلا والله لا زلتهم عليهم أجرئاً ، ولا زلتهم عندهم أعزاء ، إن أنتم قبيلتم أبداً ما بقيتم . »

فوثب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلككم ، فأصبحوا في الأزل<sup>(٢)</sup> والضنك والمجاعة والقلة والذلة ، ونحن ذوو العدد الكثير ، والسعر الرفيع ، والمادة القريبة لا والله لا نقبل ، فأعادوا خلع عبد الملك ثانية ، وكان ما كان مما أسلفنا لك ذكره .

(تاريخ الطبرى ٨ : ١٥)

(١) جمع مسلحة بالفتح ، وهى الثغر . (٢) الضيق والشدة .

### ٣٣٦ - عامر الشعبي والحجاج

وكان عامر الشعبي<sup>(١)</sup> من خرج مع ابن الأشعث ؛ فلما أتى الحجاج بأشري الجماجم ،  
 أتى فيهم بالشعبي مؤثماً - وكان قد تقدم كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج  
 في أشري الجماجم أن يعرضهم على السيف ، فمن أقر منهم بالكفر في خروجهم علينا  
 فيخلى سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه - قال الشعبي : فلما جئت باب القصر  
 لقيني يزيد بن أبي مسلم كاتبه ، فقال : إنا لله يا شعبي ! لما بين دفتيك من العلم ،  
 وليس اليوم بيوم شفاعة . قلت له : فما المخرج ؟ قال : بؤ<sup>(٢)</sup> للأمير بالشرك والنفاق على  
 نفسك ، وبالحرى أن تنجو ، ثم لقيني محمد بن الحجاج ، فقال لي مثل مقالة يزيد ، فلما  
 دخلت على الحجاج قال لي : وأنت يا شعبي ممن ألب علينا مع ابن الأشعث ؟ أشهد على  
 نفسك بالكفر . قلت : « أصاح الله الأمير ، نبأ بنا المنزل<sup>(٣)</sup> ، وأجذب بنا الجناب ،  
 وأستجاسنا<sup>(٤)</sup> الخوف ، واكتحلنا السهر ، وضق المسلك ، وخبطتنا فتنة لم نكن  
 فيها بررة أتقيا ، ولا فجرة أفويا » قال : صدقت والله ما بررتم بخروجكم علينا ولا  
 قويتم ، خلوا سبيل الشيخ .

( مروج الذهب ٢ : ١٤٤ ، وللعقد الفريد ١ : ١٥١ - ٣ : ١٢ )

### ٣٣٧ - أيوب بن القريية والحجاج

وكان الحجاج قد بعث أيوب بن القريية<sup>(٥)</sup> رسولا إلى ابن الأشعث ، حين خلع  
 الطاعة بسجستان ، فلما دخل عليه ، قال له ، اتقومن خطيباً ، ولتخلعن عبد الملك ،

(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل ( بفتح الشين ) الشعبي ( نسبة إلى شعب ، وهو بطن من همدان )  
 وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم ، توفي سنة ١٠٥ هـ ، وكانت أمه من سبى جلولا .  
 (٢) ارجع . (٣) نبأ منزله به : لم يوافق . (٤) أي لم يفارقنا .  
 (٥) هو أبو سليمان أيوب بن زيد الهلالي ، والقريية جدته ، وكان أعرابيا أميا معدودا من جملة خطباء  
 العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة .



والتسبب الحجاج ، أو لأضر بن عتقك ، قال : أيها الأمير ، إنما أنا رسول ! قال : هو ما أقول لك ، فقام وخطب وخلع عبد الملك ، وشتم الحجاج ، وأقام هنالك ، فلما انصرف ابن الأشعث مهزوماً ، كتب الحجاج إلى عماله بالرعي وإصْبَهان وما بينهما ، يأمرهم ألا يَمُرُّ بهم أحد من قِبَل ابن الأشعث إلا بعثوا به أسيراً إليه ، وأخذ ابن القريّة فيمن أخذ .

فلما أدخل على الحجاج ، قال : أخبرني عما أسألك ؟ قال : سألني عما شئت ، قال : أخبرني عن أهل العراق ، قال : أعلمُ الناسَ بِحَقِّ وِباطِلٍ ، قال : فأهل الحجاز ، قال : أسرعُ الناسَ إلى فتنَةٍ ، وأعجزُهم فيها ، قال : فأهل الشام ، قال : أطوعُ الناسَ لخلفائهم ، قال : فأهل مصر ، قال : عبيدٌ لمن غلب ، قال : فأهل البحرين ، قال : نَبَطٌ<sup>(١)</sup> استعربوا ، قال : فأهل عُمان ، قال : عَرَبٌ استنَبَطُوا ، قال : فأهل الموصل ، قال : أشجعُ فرسان ، وأقتلُ للأقران ، قال : فأهل اليمن ، قال : أهل سمع وطاعة ، ولزومٍ للجماعة ، قال : فأهل اليمامة ، قال : أهل جفاء ، واختلافِ أهواء ، وأصبرُ عند اللقاء ، قال : فأهل فارس ، قال : أهل بأسٍ شديد ، وشرٌّ عتيد ، وريفٌ<sup>(٢)</sup> كبير ، وقرى يسير ، قال : أخبرني عن العرب ، قال : سألني ، قال : قریشٌ ، قال : أعظمُها أخلاقاً ، وأكرمُها مقاماً ، قال : فبنو عاصم بن صعصعة ، قال : أطولها رماحاً ، وأكرمُها صبايحاً ، قال : فبنو سليم ، قال : أعظمُها مجالسَ ، وأكرمُها محابسَ<sup>(٣)</sup> ، قال : فنقيف ، قال : أكرمُها جدوداً ، وأكثرها وفوداً ، قال : فبنو زبيد ، قال : ألزمُها للرايات ، وأدرَكُها للثرات<sup>(٤)</sup> ، قال : فقضاة ، قال : أعظمُها أخطاراً ، وأكرمُها نجاراً<sup>(٥)</sup> ، وأبعدها آثاراً ، قال : فالأنصار ، قال : أثبتها مقاما ، وأحسنها إسلاماً ، وأكرمُها أتياما ، قال : فتميم ، قال : أظهرها جلدًا ، وأثراها عددًا ،

(١) النبط : جيل من الناس ، كانوا ينزلون سواد العراق . (٢) الريف : أرض فيها زرع وخصب .

(٣) المحابس : جمع محبس كتمعد ، وهو الشجاعة . (٤) الثرات جمع ترة : وهي الثأر .

(٥) النجار : الأصل .

قال : قَبَكْر بن وائل ، قال : أثبتُّها صفوفا ، وأحدُّها سيوفا ، قال : فعبد القيس ، قال :  
 أسبقُها إلى الغايات ، وأصبرُها تحت الرّايات ، قال : فبنو أسد ، قال : أهل عدد و جد ،  
 وعُسْر وَنَكْد ، قال : فَلَخَم ، قال : مُلُوك ، وفيهم نُوك<sup>(١)</sup> ، قال : فَجُذام ، قال :  
 يُوقِدُون الحرب وَيَسْمَرُونها<sup>(٢)</sup> ، وَيُلْقِحُونها ثم يَمْرُونها<sup>(٣)</sup> ، قال : فبنو الحارث قال :  
 رُعاةٌ للقديم ، ومُحَمّاة عن الحريم ، قال : فَمَك ، قال : لُيُوثٌ جاهِدَة ، في قلوبِ فاسدة ،  
 قال : فَتَغْلِب ، قال : يَصُدُّقون - إذا لَقُوا - ضَرْبا ، وَيَسْمَرُونَ للأعداء حربا ، قال :  
 فَفَسَّان ، قال : أكرمُ العرب أحسابا ، وأثبتُّها أنسابا ، قال : فأى العرب في الجاهلية  
 كانت أَمْنَع من أن تُضامَ ؟ قال قريش ، كانوا أهل رَهْوَة<sup>(٤)</sup> لا يُسْتَطَاع ارتقاؤها ،  
 وَهَضْبَة لا يُرامُ انتزاؤها<sup>(٥)</sup> ، في بلدة حَمَى الله ذِمَارها ، ومنع جارها ، قال : فأخبرني عن  
 ما أثر العرب في الجاهلية ، قال : كانت العرب تقول : حَمِيرُ أرباب الملوك ، وَكِندَة أرباب  
 الملوك ، وَمَذْحِجُ أهل الطَّعَمَان ، وَهَمْدَانُ أَحْلَاس<sup>(٦)</sup> الخليل ، والأزد آساد الناس ، قال :  
 فأخبرني عن الأَرْضِين ، قال : ساني ، قال : الهند ، قال : بحرُها دُر ، وجبلُها ياقوت ،  
 وشجرُها عود ، وورقُها عِطْر ، وأهلُها طَغَام ، كَقَطِيعِ الحِمام<sup>(٧)</sup> ، قال : فَيخُرَّاسان ، قال :  
 ماؤها جامد ، وعدوها جاحد ، قال : فَعَمَّان ، قال : حَرَّها شديد ، وصيدها عَتِيد ، قال :  
 فالبحرين ، قال : كُنَاسَة بين المِصرين ، قال : فاليمن ، قال : أصل العرب ، وأهل  
 البُيُوتات وَالْحَسَب ، قال : فَمِكة ، قال : رجالها علماء جُفَاءة ، ونساؤها كِساء عُرَاة ،  
 قال : فالمدينة ، قال : رَسَخ العلم فيها ، وظهر منها ، قال : فالبصرة ، قال : شتاؤها جليد ،

(١) النوك بالضم والفتح : الحمق . (٢) سر الحرب كنع ، وأسعرها : أوقدها .

(٣) مري الناقة كرمي : مسح ضرعها لئلا . (٤) الرهوة : المسكان المرتفع ( والمنخفض

أيضا ، ضد ) . (٥) أي اعتلاؤها نزا نزوا ونزوانا : وثب ، وانتزى : افتعل من النزو ، وفي حديث

وائل بن حجر : « إن هذا انتزى على أرضي فأخذها » . (٦) كناية عن إدامتهم ركوبها .

(٧) الطغام : أوغاد الناس ورجال الطير ، والقطع بالكسر : اسم ما قطع من الشيء ، ويقال : ثوب

قطع وأقطع أي مقطوع ، أو هو قطع بالضم جمع قطع .

وحرها شديد ، وماؤها مِلْح ، وحر بها صُلْح ، قال : قال الكوفة ، قال : ارتفعت عن حرّ البحر ، وَسَفَلَتْ عن برّد الشام ، فطاب ايلها ، وكثُر خيرها ، قال : فواسط ، قال : جنة ، بين حماة وَكِنَّة ، قال : وما حماها وكنتها<sup>(١)</sup> ؟ قال : البصرة والكوفة يحسدانها ، وما ضرّها ، وَدَجَلَة والزّاب<sup>(٢)</sup> يتجار يان بإفاضة الخير عليها ، قال : فالشّام ، قال : عروس ، بين نسوة جُلوس ، قال : ثَكَلَتِكَ أمك يابن القريّة ، لولا اتباعتك لأهل العراق ! وقد كنت أنهاك عنهم أن يتبعهم ، فتأخذ من نفاقهم ، ثم دعا بالسيف ، وأوماً إلى السّيف أن أمسك ، فقال ابن القريّة : ثلاث كلمات أصلح الله الأمير كأنهن ركبٌ وقوف ، يَكْنُ مَثَلًا بعدى ، قال : هات ، قال : لكل جواد كِبْوَة ، ولكل صارم نَبْوَة ، ولكل حلیم هَفْوَة ، قال الحجاج : ليس هذا وقت المزاح ، يا غلام أوجب جرحه ، فَضْرِبْ عنقه .

وقيل إنه لما أراد قتله قال له : العرب تزعم أن لكل شيء آفة ، قال : صدقت العرب ، أصلح الله الأمير ، قال : فما آفة الحلم ؟ قال : الغضب ، قال : فما آفة العقل ؟ قال : العُجْب ، قال : فما آفة العلم ؟ قال : النسيان ، قال : فما آفة السخاء ؟ قال : المنّ عند البلاء<sup>(٣)</sup> ، قال : فما آفة الكرام ؟ قال : مجاورة اللئام ، قال : فما آفة الشجاعة ؟ قال : البغي ، قال : فما آفة العبادة ؟ قال : الفترّة ، قال : فما آفة الذّهن ؟ قال : حديث النفس ، قال : فما آفة الحديث ؟ قال : الكذب ، قال : فما آفة المال ؟ قال : سوء التدبير ، قال : فما آفة الكامل من الرجال ؟ قال : العُدْم ، قال : فما آفة الحجاج بن يوسف ؟ قال : أصلح الله الأمير ، لا آفة لِمَنْ كَرُمَ حَسْبُهُ ، وطاب نسبه ، وزكا فرعه ، قال : امتلأت شقاقا ، وأظهرت نفاقا ، اضر بوا عنقه ، فلما رآه قتيلا ندم ، وكان قتله سنة ٨٤ هـ .

\* \* \*

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ . (٢) الزاب الأسفل ، والزاب الأعلى : نهران يصبان في دجلة .

(٣) الإبلاء : الإنعام والإحسان بلوت الرجل ، وأبليت عنده بلاء حسنا ، وأبلاء الله بلاء حسنا .

وفي رواية أخرى أنه لما دخل على الحجاج ، قال له : يا ابن القرية ، ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « أصلح الله الأمير ، ثلاثة حروف ، كأنهن ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف ، قال : اخرج مما قلت ، قال : « أفعل ، أما الدنيا فمال حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، وأما الآخرة فميزان عادل ، ومشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فإن كان على اعترفت وإن كان لي اغترفت<sup>(١)</sup> » قال : أما لي فاعترف بالسيف إذا وقع بك ، قال : « أصلح الله الأمير ، أقلني عثرتي وأسفني ربي ، فإنه لا بد للجواد من كبوة ، والسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة<sup>(٢)</sup> » قال : كلا والله حتى أوردك جهنم ، ألسنت القائل برسة تمأباز : تغدوا الجدى قبل أن يتعشاكم ؟ قال : فأرخني فإني أجد حرها ، قال : قدمه يا حريسي فاضرب عنقه ، فلما نظر إليه يتشحط<sup>(٣)</sup> في دمه ، قال : لو كنا تركنا ابن القرية ، حتى نسمع من كلامه ! ثم أمر به فأخرج فرمى به<sup>(٤)</sup> .

( وفيات الأعيان ١ : ٨٣ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٩ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٣٧ )

### ٣٣٨ - كلمة لابن القرية

وقال ابن القرية : الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر : فالعاقل : الدين شريعته والحلم طبيعته ، والرأي الحسن سجيته ، إن سئل أجاب ، وإن نطق أصاب ، وإن سمع العلم وعى ، وإن حدث روى ؛ وأما الأحمق : فإن تكلم عجل ، وإن حدث وهل<sup>(٥)</sup> ، وإن استنزل عن رأيه نزل ، فإن حمل على القبيح حمل ؛ وأما الفاجر فإن ائتمنته خانك ، وإن حدثته شأنك ، وإن وثقت به لم برعك ، وإن استكتمتم لم يكتم ، وإن علم لم يعلم ، وإن حدث لم يفهم ، وإن فقه لم يفقه .

( زهر الآداب ٢ : ٨٦ )

(١) أي وأعطيت الناس منه . (٢) وفي رواية : « فإنه ليس جواد إلا له كبوة ، ولا شجاع إلا له هبوة » والهبوة : الغبرة . (٣) يضطرب . (٤) وروى أبو الفرج الأصبهاني أنه قيل : « ثلاثة لم يكونوا قط ، ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بني عامر » انظر الألفاني ج ١ ص ١٦٣ . (٥) ضعف وفرع .

## فتنة يزيد بن المهلب

٣٣٩ - أيوب بن سليمان بن عبد الملك يسأل عمه الوليد

أن يؤمن يزيد بن المهلب<sup>(١)</sup>

لما قرأ يزيد بن المهلب من سجن الحجاج وعذابه ( سنة ٩٠ هـ في خلافة الوليد ابن عبد الملك ) نزل على أخيه سليمان متهوداً به ، وكتب سليمان إلى الوليد يطلب له الأمان ، فكتب إليه يُقسم أنه لا يؤمنه حتى يبعث به إليه ، فأرسل ابنه أيوب معه ، وكتب معه كتاباً ، فلما دخل به على عمه ، قال :

« يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك ، لا تُخزِر<sup>(٢)</sup> ذمة أبي ، وأنت أحق من مَنعها ،

(١) وخبر ذلك أن الحجاج كان وفد على عبد الملك ، فر في منصرفه بدير فنزله ، فقيل له : إن في هذا الدير شيخاً من أهل الكتب عالماً ، فدعا به وسأله : أتعلم ما لي ، من يليه بعدى ؟ قال : رجل يقال له يزيد ، فوقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب ، إذ كان لا يرى من هو أهل لذلك سواء ، وكان يكرهه لما يرى فيه من النجاسة ، ويخشى منه ، وكان قد ولاء خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٢ ، فكتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ، ويتهمهم بأنهم زبيريّة الهوى ، ويخوفه غدرهم ، وما زال به حتى أجابه إلى ما سأله ، فعزل يزيد سنة ٨٥ ، وولى مكانه قتيبة بن مسلم ، وفي سنة ٨٧ حبس الحجاج يزيد وإخوته وعذبهم وأغرمهم ، وكان يزيد يصبر صبراً حسناً ، وكان الحجاج يغيظه ذلك ، فقيل له : إنه رمى بنشابة ، فثبت نصلها في ساقه ، فهو لا يمسه شيء إلا صاح ، فأمر أن يعذب ويدهق ساقه ( أى تغمر شديداً ) فلما فعل به ذلك صاح - وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج - فلما سمعت صياح أخيها صاحت وناحت فطلتها ، ثم إن يزيد وإخوته أعملوا الحيلة في الفرار من سجن الحجاج ( سنة ٩٠ ) ولحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به ، وكتب الحجاج إلى الوليد : إن آل المهلب خانوا مال الله ، وهربوا مني ، ولحقوا بسليمان ، واستشفع سليمان أخاه الوليد ، وما زال به حتى شفعه فيه ، فلما ولى الخلافة سليمان سنة ٩٦ ولى يزيد أمر العراق ، ثم ولاء خراسان سنة ٩٧ . (٢) خفر به كضرب ، وأخفاه : نقض هده وغدره .

ولا تقطع منا رجاء مَنْ رَجَا السَّلامَةَ في جِوارنا ، لِمَكانِنَا منك ، ولا تُذِلَّ  
مَنْ رَجَا العِزَّ في الانقطاع إلينا لِعِزِّنا بك «  
(تاريخ الطبري ٨ : ٧٣)

### ٣٤٠ - خطبة يزيد بين يدي الوليد

وتكلّم يزيد ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،  
ثم قال :

« يا أمير المؤمنين ، إنَّ بلاءكم عندنا أحسنُ البلاء ، فمن يَنسَ ذلكَ فلَسنا ناصيه ،  
ومن يَكفُرُ فلَسنا كافِريه ، وقد كان من بَلائِنَا أهلَ البيتِ في طاعتكم ، وَالطَّعْنِ  
في أعينِ أعدائِكُمْ ، في المواطنِ العِظَامِ ، في المشارقِ والمغاربِ ، ما إنَّ المِنَّةَ علينا  
فيها عظيمة . »

فأمّنه الوليد وكف عنه . (تاريخ الطبري ٨ : ٧٤)

### ٣٤١ - خطبة مخلد بن يزيد بن المهلب بين يدي

عمر بن عبد العزيز

ولما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب<sup>(١)</sup> ، أقبل ابنه مخلد من خراسان ،  
ودخل على الخليفة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) وسبب ذلك : أن يزيد بن المهلب لما فتح جرجان وطبرستان سنة ٩٨ ، كتب بالفتح إلى سليمان  
ابن عبد الملك ، وفي كتابه يقول : « وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين ، بعد أن صار إلى كل  
ذئب حق حقه من النهب والغنيمة ، ستة آلاف ألف ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله » وقد قال  
له كاتبه المغيرة بن أبي قرة : لا تكتب بتسمية مال ، فإنك من ذلك بين أمرين ، إما استكثره فأمرك بحمله ،  
وإما سخطت نفسه لك به فسوغك فتكلفت الهدية ، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله ، فكأن بك قد استفرقت  
ماسميت ، ولم يقع منه موقعا ، ويبقى المال الذي سميت مخلدا عندهم عليك في دواوينهم ، فإن ولي وال بعده =

« إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكن أشقى الناس بولايتك ، عَلَامَ تَحْبِسُ هذا الشيخ ؟ أنا أتحمّل ما عليه ، فَصَالِحِي عَلَى ما إِيَاهُ تَسْأَلُ »  
فقال عمر : لَا ، إِلَّا أَنْ تَحْمَلَ جَمِيعَ ما نَسَأَلُهُ إِيَاهُ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بَيْدَةٌ فَخُذْ بِهَا ، وإن لم تكن بَيْدَةٌ فَصَدِّقْ مَقَالَهَ يَزِيدَ ، وإلا فَاسْتَحْلِفْهُ ، فإن لم يفعل فَصَالِحِي ، فقال له عمر : ما أجد إلا أَخْذَهُ بِجَمِيعِ المَالِ .

( تاريخ الطبري ٨ : ١٢٢ )

= أَخْذَكَ بِهِ ، وَإِنْ وَلى مِنْ يَتَحَامَلُ عَلَيْكَ لَمْ يَرْضَ مِنْكَ بِأَضْعَافِهِ ؛ فَلَا تَمَضُ كِتَابَكَ ، وَلَسْكَنَ اكْتَبَ بِالْفَتْحِ ، وَسله القدوم ، فَتَشَافَهُ بِمَا أَحْبَبْتَ مَشَافَهُةً وَتَقْصِرُ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَقْصِرُ عَمَّا أَحْبَبْتَ أُحْرَى مِنْ أَنْ تَكْثُرَ ، فَأَبَى يَزِيدُ وَأَمْضَى الكِتَابَ ، فَلَمَّا وَلى عَمْرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ ( سَنَةَ ٩٩ ) - وَكَانَ عَمْرٌ يَبْغِضُ يَزِيدَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَيَقُولُ : هَذَا جَبَابِرَةٌ وَلَا أَحِبُّ مِثْلَهُمْ - دَعَا يَزِيدَ وَسَأَلَهُ عَنِ تِلْكَ الأَمْوَالِ الَّتِي كَتَبَ بِهَا إِلَى سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، فَقَالَ : كُنْتُ مِنْ سَلِيمَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَدْ رَأَيْتَ ، وَإِنَّمَا كَتَبْتُ إِلَى سَلِيمَانَ لِأَسْمَعَ النَّاسَ بِهِ ( وَالتَّسْمِيعُ : إِزَالَةُ الحَمُولِ ، بِنَشْرِ الذَّكْرِ ) ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سَلِيمَانَ لَمْ يَكُنْ لِيَأْخُذَنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتُ بِهِ ، وَلَا بِأَمْرٍ أَكْرَهُهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَجِدُ فِي أَمْرِكَ إِلَّا حَبْسَكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ ، وَأَدِّ مَاقْبَلَكَ ، فَإِنَّهَا حَقُوقُ المُسْلِمِينَ ، وَلَا يَسْعَى تَرْكُهَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُ فِي مَحَبَّتِهِ ، حَتَّى بَلَغَهُ مَرَضٌ عَمْرٌ ، فَأَخَذَ يَعْمَلُ لِلهَرَبِ مَخَافَةَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ عَذَّبَ أَصْهَارَهُ آلَ أَبِي عَقِيلٍ ( إِذْ كَانَتْ أُمُّ الحِجَاجِ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ أَخِي الحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، عِنْدَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، فَوُلِدَتْ لَهُ ابْنَةُ الوَايِدِ ) وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ قَدْ عَاهَدَ اللَّهَ أَنَّ أَمْكَنَهُ اللَّهُ مِنْ يَزِيدَ بْنِ المَهْلَبِ ، أَيَقْطَعَنَّ مِنْهُ طَابِقًا ( بِفَتْحِ البَاءِ وَكسرها أَي عَضْوًا ) فَخَشِيَ ذَلِكَ فَهَرَبَ مِنَ الحِجَازِ سَنَةَ ١٠١ ، وَمَاتَ عَمْرٌ وَأَفْضَتْ الخِلافةَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ وَالحَقَّ ابْنُ المَهْلَبِ بِالبَصْرَةِ ، فَغَلَبَ عَلَيْهَا ، وَأَخَذَ عَامِلَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ عَلَيْهَا ( وَهُوَ حُدَيْ بْنُ أَرْطَاةِ الفَزَارِيِّ ) فَحَبَسَهُ وَخَلَعَ يَزِيدَ ، فَسِيرَ إِلَيْهِ الخَلِيفَةُ العَبَّاسُ بْنُ الوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، وَمُسْلَمَةُ ابْنُ عَبْدِ المَلِكِ لِحَرْبِهِ فَقَتَلَ ابْنَ المَهْلَبِ فِي أَثْنَاءِ المَعْرَكَةِ سَنَةَ ١٠٢ هـ .

## ۳۴۲ - خطبة يزيد بن المهلب يحرض أصحابه على القتال

وقد سير يزيد بن عبد الملك العباس بن الوليد بن عبد الملك

ومسلة بن عبد الملك لقتاله

قام في أصحابه فحرضهم ورجبهم في القتال ، فكان فيما قال :

« إن هؤلاء القوم لن يردكم عن غيبتهم إلا الطعن في عيوسهم ، والضرب بالمشرفية<sup>(۱)</sup> على هامهم ثم قل : إنه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء - يعني مسلة بن عبد الملك - وعافر ناقة ثمود<sup>(۲)</sup> - يعني العباس بن الوليد - ( وكان العباس أزرق<sup>(۳)</sup> أحمر ، كانت أمه رومية ) والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه ، حتى كلمته فيه ، فأقره على نسبه ، فبلغني أنه ليس ههنا إلا التماسي في الأرض ، والله لو جاءوا بأهل الأرض جميعاً ، وليس إلا أنا ، ما برحت العرصة<sup>(۴)</sup> حتى تكون لي أولهم » ، قالوا : نخاف أن تعيننا<sup>(۵)</sup>

(۱) المشرفية : سيوف منسوبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تدنومن الريف ، والهام : جمع هامة ، وهي الرأس . (۲) هو قدار (كشجاع) بن سالف ، ويلقب بأحمر ، قال زهير في وصف الحرب :

فَتَنْتَجِحُ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشَامَ كُلِّهِمْ  
كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تَرْضِعُ فَتَنْطَمِ

( قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا ، لأن عافر الناقة ليس من عاد ، وإنما هو من ثمود ، وقال المبرد :

لا غلط ، لأن ثمود يقال لهم عاد الآخرة ، ويقال لقوم هود عاد الأولى ) ويضرب به المثل في الشؤم ، فيقال :

« أشام من أحمر عاد » لأن الله أهلك بفعله ثمود ، وذلك أنهم قالوا لنبيهم صالح حين دعاهم إلى الإيمان :

يا صالح إن كنت صادقاً فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ، وصفوها له ، فأخرجها الله بإذنه من الصخرة

( إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِعْتُهُمْ وَأِضْطَبِرْ ) . فآمن بعضهم عند ظهور هذه الآية ،

ثم قال لهم : ( هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ، وَلَا تَمْشُوا بِسُوءِ

فِيأَخَذَ كُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ) .

( والشرب : النصيب من الماء ) . (۳) أي أزرق العينين . (۴) العرصة : كل بقعة بن

الدور واسعة ليس فيها بناء . (۵) عناء : اتعبه .



كما عتانا عبد الرحمن بن محمد<sup>(۱)</sup> ، قال : إن عبد الرحمن فضّح الذّمار<sup>(۲)</sup> وفضّح حسّبه ،  
وهل كان يعدّو أجله ؟ ، ثم نزل . ( تاريخ الطبري ۸ : ۱۵۲ )

### ۳۴۳ - خطبة أخرى له

ورويت له خطبة أخرى في هذا الغرض ، وها كها :  
عن خالد بن صفوان قال : خطبنا يزيد بن المهلب بواسط ، حمد الله ، وأثنى عليه ،  
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :  
« أيها الناس : إني أسمع قول الرّعاع ، قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء  
أهل الشام ! وما أهل الشام إلا تسعة أسياف ، منها سبعة معي ، واثنان على ، وما مسلمة  
إلا جرّادة صفراء ، وأما العباس فنسطوس<sup>(۳)</sup> بن نسطوس ، أتاكم في برّابرة  
وصقالبة<sup>(۴)</sup> وجرّامقة وجرّاجمة<sup>(۵)</sup> ، وأقباط وأنباط<sup>(۶)</sup> ، وأخلاق من الناس ؛ إنما أقبل  
إليكم الفلاحون والأوباش كأشلاء<sup>(۷)</sup> اللحم ، والله ما أقوا قطّ حدّا كحدكم . ولا حديداً  
كديدكم ، أعبروني سواءدكم ساعة من نهار تصفّقون بها خراطيمهم<sup>(۸)</sup> ، فإنما هي غدوة  
أروحة ، حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين . »

( البيان والتبيين ۱ : ۱۶۰ ، العقد الفريد ۲ : ۱۵۵ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۷۷ )

(۱) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث السالف الذكر . (۲) مايلزمك حفظه وحمايته .  
(۳) هو في العقد ، ومروج الذهب بالباء ، وفي البيان والتبيين بالنون ، وليس من ألفاظ العربية ،  
وأقول : هو إما علم رومي ، فهو يشير إلى أصل العباس بن الوليد إذ كانت أمه رومية ، أو محرف عن  
« نسطوري بن نسطوري » أي نصراني نسطوري من النساطرة إحدى فرق المسيحية نسبة إلى نسطوريوس  
صاحب المذهب ، وكان أسقفاً بالقسطنطينية . توفي حول سنة ۴۵۰ م . (۴) البرابرة : جيل بالمغرب ،  
والصقالبة : جيل بلادهم تتاخم بلاد الخزر « شمالي بحر الخزر ، وهو بحر قزوين » أي جنوبي روسيا .  
(۵) الجرّامقة : قوم من المعجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام ، والجرّاجمة : قوم من المعجم بالجزيرة ،  
أو نبط الشام . (۶) أنباط : جمع نبط كجيل وقد تقدم . (۷) أشلاء : جمع شلو كحمل ، وهو العضو  
وكل مسلوخ أكل منه شيء ، وبقيت منه بقية . (۸) صفقه بالسيف : خربه ، والخراطيم : جمع خرطوم ،  
وهو الأنف .

## ۳۴۴ - خطبة أخرى له

وقال مُقَاتِل : سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط ، فقال :

« يا أهل العراق ، يا أهل السَّبْقِ وَالسَّبَاقِ ، ومكارم الأخلاق ، إن أهل الشام  
في أفواههم لُقْمَةٌ دَسِيمَةٌ ، قد رَتَبَتْ<sup>(۱)</sup> لها الأشداق ، وقاوا لها على ساقٍ ، وهم غيرُ  
تاركيها لكم بِالرَّاءِ وَالجِدَالِ ، فَالْبَسُوا لَهُمْ جُلُودَ النَّمُورِ<sup>(۲)</sup> . »

( البيان والتبيين ۱ : ۲۱۸ )

## ۳۴۵ - خطبة الحسن البصرى يثبِّط الناس عن يزيد بن المهلب

وكان مرزوان بن المهلب وهو بالبصرة ، يحث الناس على حرب أهل الشام ، ويسرّحهم  
إلى يزيد ، وكان الحسن البصرى يُثَبِّطُ الناس عنه ، وكان يقول في تلك الأيام :

« أيها الناس : الزموا رجالكم ، وكفّوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل  
بعضكم بعضاً على دُنْيَا زَائِلَةٍ ، وطمع فيها يسير ، ليس لأهلها بيقٍ ، وليس الله عنهم فيما  
كتسبوا براضٍ ، إنه لم يكن فتنةً إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء ،  
وأهل التَّيِّهِ وَالخِيَلَاءِ ، وليس يسلم منها إلا الجهول الخفيّ ، والمعروف التقيّ ، فمن كان منكم  
خفياً فليَلْزَمْ الحَقَّ ، وليحسب نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا ، فكما والله بمعرفة  
الله إياه بالخير شرفاً ، وكفى له به من الدنيا خَلْفًا ؛ ومن كان منكم معروفًا شريفًا ،  
فترك ما يتنافس فيه نُظْرَاؤُهُ من الدنيا - إِرَادَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ - فواهاً لهذا ، ما أَسْعَدَهُ  
وَأَرْشَدَهُ ، وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ ، وَأَهْدَى سَبِيلَهُ ! فهذا غدا - يعني يوم القيامة - الْقَرِيرُ عَيْنًا ،  
الكَرِيمُ عِنْدَ اللَّهِ مَا بَا . »

( تاريخ الطبرى ۸ : ۱۵۳ )

(۱) رتبت : أى ثبتت ولم تتحرك « وذلك لامتلاء الأفواه . » (۲) أى تنكروا لهم ، واستعدوا لمناصلتهم .

## ٣٤٦ - خطبة مروان بن المهلب

فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب ، قام خطيباً كما يقوم ، فأمر الناس بالجد والاحتشاد  
ثم قال لهم :

« قد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي - ولم يُسمَّه - يثبط الناس ، والله لو أن  
جاره نزع من خص داره قصبه ، أظَلَّ يرْعَفُ<sup>(١)</sup> أنفه ، أينكر علينا ، ودلى أهل  
مصرنا ، أن نطلب خيرنا ، وأن نُنكر مَظْلَمَتِنَا؟ أمَّا والله أيكفَنَ عن ذكرنا ، وعن  
جمعه إلينا سُقَاطَ الأَبْلَةِ<sup>(٢)</sup> ، وَعُلُوجَ فُرَاتِ البصرة ، قوما لبسوا من أنفسنا ، ولا بمن  
جرت عليه النعمة من أحدٍ منا ، أو لَأُنْحِيَنَّ عليه مِبْرَدًا خَشِنًا . »

فلما بلغ ذلك الحسن ، قال : والله ما أكره أن يُكْرِمَنِي اللهُ بهواه ، فقال ناس  
من أصحابه : لو أرادك ثم شئت لمنعناك ، فقال لهم : قد خالفتكم إذن إلى ما نهيتكم عنه ،  
أمرُّكم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دوني ؟  
فبلغ ذلك مروان بن المهلب ، فاشتدَّ عليهم وأخافهم ، وطلبهم حتى تفرقوا ، ولم يدع  
الحسن كلامه ذلك ، وكفَّ عنه مروان .

( تاريخ الطبري ٨ : ٥١٣ )

(١) رصف : خرج من أنفه الدم . (٢) جمع ساقط : وهو النيم في حبه ونفسه ، والأبلة :

موضع بالبصرة .

# خطب الأحنف بن قيس التميمي<sup>(١)</sup>

٣٤٧ - الأحنف ومعاوية

كان الأحنف بن قيس ، قد شهد مع الإمام عليّ ، كرم الله وجهه ، وقعة صفين ، فلما استقرّ الأمر لمعاوية ، دخل عليه يوماً ، فقال له معاوية : « والله يا أحنف ما أذكرك يوم صفين إلا كانت حزازة<sup>(٢)</sup> في قلبي إلى يوم القيامة » .  
فقال له الأحنف :

« يا أمير المؤمنين لم ترُدُّ الأمور على أعقابها ؟ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن مددت بشبر من غدر ، لنمدن باعا من ختر<sup>(٣)</sup> ، ولئن شئت لدمصفين كدّر قلوبنا بصفو حملك » ، قال معاوية : فإني أفعل .  
ثم قام وخرج ، وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه ، فقالت :  
يا أمير المؤمنين : من هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ قال : هذا الذي إذا غضب ، غضب اغضبه مائة ألف من بني تميم ، لا يدرون فيم غضب .

( وفيات الأعيان لابن خلدكان ١ : ٢٣٠ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٧ ، والعقد الفريد ٢ : ١١٨ )

(١) هو أبو بحر الضحاك بن قيس سيد بني تميم ، والمضروب به المثل في الحلم ، وهو من سادات التابعين ؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ؛ وشهد بعض فتوح خراسان في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ؛ وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين ؛ ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين ؛ وبقى إلى زمن مصعب بن الزبير ؛ فخرج معه إلى الكوفة ؛ فمات بها سنة ٦٧ هـ ( وقيل له الأحنف ؛ لأنه كان أحنف الرجل - مائلها - يطأ على وحشها ) . (٢) الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه .  
(٣) الباع : قدر مد اليدين ، والختر : أقبح الغدر .

## ٣٤٨ - الأحنف ومعاوية أيضا

جلس معاوية يوما ، وعنده وجوه الناس وفيهم الأحنف ، فدخل رجل من أهل الشام ، فقام خطيباً ، فكان آخر كلامه أن لعن علياً رضي الله عنه ، فأطرق الناس وتكلم الأحنف ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن هذا القائل ما قال آنياً ، لو علم أن رضاك في آمن المرسلين لعنهم ، فاتق الله ، ودع علياً ، فقد أتى الله ، وأُفرد في حُفرتِه ، وخلا بعمله ، وكان والله - ما علمنا - المبرز بشيقه<sup>(١)</sup> ، الطاهر في خلقه ، الميمون النقيبة<sup>(٢)</sup> العظيم المصيبة . »

قال معاوية : « يا أحنف ، لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت بغير ما ترى ، وإني لله لتصدن المنبر فلتلعننه طائماً أو كارهاً » فقال الأحنف : « إن تُعفني فهو خير ، وإن تجبرني على ذلك ، فوالله لا تجرى به شفتاي » ، فقال معاوية : قم فاصعد . قال : « أما والله لا نصيفنك في القول والفعل » ، قال معاوية : وما أنت قائل إن أنصفتني ؟ » ، قال : « أصدد فأحمد الله ، وأثني عليه وأصلي على نبيه ، ثم أقول : « أيها الناس : إن معاوية أمرني أن ألعن علياً ، إلا وإن علياً ومعاوية اختلفا وافتلا ، وادهمي كل واحد أنه مبعي عليهِ وعلى فئته ، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله ! » ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغية منهما على صاحبه ، والفئة الباغية على المبعي عليها ، اللهم العنهم لعناً كبيراً ، أمّنوا ، رحمكم الله » ، يامعاوية لا أزيد على هذا ، ولا أنقص منه حرفاً ، ولو كان فيه ذهابُ نفسي . فقال معاوية : « إذن نُعفيك يا أبا بحر » .

( نهاية الأرب ٧ : ٢٣٧ ، والمعقد الفريد ٢ : ١١٨ )

(١) الشق : الجانب ، ورواية المعقد « المبرز سيفه » وبرز تبريزاً : فاق أصحابه فضلاً أو شجاعة .

(٢) النقيبة : النفس .

### ٣٤٩ - قوله في مدح الولد

ودخل الأحنف على معاوية ، وبزبدُ بين يديه ، وهو ينظر إليه إعجاباً به ، فقال :  
يا أبا بحر ما تقول في الولد ؟ فعلم ما أراد ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، هم عمادُ ظمورنا ،  
وتمرّ قلوبنا ، وقرّة أعيننا<sup>(١)</sup> ، بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلفُ منا لمن بعدنا ،  
فكن لهم أرضاً ذليلة ، وسماً ظليلة ، إن سألوك فأعطهم ، وإن استعتبوك فأعتبهم<sup>(٢)</sup> ،  
لا تمنعهم رفقك<sup>(٣)</sup> ، فيمّلوا قرْبَكَ ، ويكرهوا حيانتك : ويستنبطوا وفانك » .  
فقال : لله درُّك يا أبا بحر ! هم كما وصفت . (الأمالي ٢ : ٤٣ )

### ٣٥٠ - شفاعته لدى مصعب بن الزبير

وأتى مصعبَ بن الزبير بكلمه في قوم حبسهم ، فقال : « أصلح الله الأمير ،  
إن كانوا حُبِسُوا في باطل ، فالحق يُخْرِجهم ، وإن كانوا حُبِسُوا في حق ، فالعفو  
يَسَعهم » ، فخلّاهم<sup>(٤)</sup> . (نهاية الأرب ٧ : ٢٣٨ )

### ٣٥١ - نصيحته لقومه

وقال بخراسان : « يا بني تميم نحأبوا تجتمع كلمتكم ، وتبأذلوا تعتدل أموركم ،  
وابدءوا بجهاد بطونكم وفرؤجكم ، يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا<sup>(٥)</sup> يسلم لكم  
جهدكم » . (نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٦ )

(١) تمرت عينه : بردت ، وانقطع بكاؤها ، أو رأت ما كانت متشوفة إليه . (٢) استعتبه :  
طلب إليه العتبي ( أي الرضا ) وأعتبه : أعطاه العتبي . (٣) الرغد : العطاء . (٤) وفي وفيات  
الأميان لابن خلسكان ١ : ٢٤٤ ، أن هذا القول للشعبي كالم به عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراق .  
(٥) أي لا تخونوا .

## ۳۵۲ - خطبته في قوم كانوا عنده

وحدّث رجل من بني تميم قال : حضرت مجلس الأحنف بن قيس ، وعنده قوم مجتمعون في أمر لهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الكرم يمنع الحرم<sup>(١)</sup> ، ما أقرب النعمة من أهل البغي ، لا خير في لذة تعقب ندما ، إن يهلك من قصد<sup>(٢)</sup> ، وإن يفتقر من زهد ، رب هزل قد عاد جدياً ، من أمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه ، دعوا المزاح ، فإنه يورث<sup>(٣)</sup> الضغائن ، وخير القول ما صدّقه الفعل ، احتملوا لمن أدل<sup>(٤)</sup> عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم . أطع أخاك وإن عصاك ، وصله وإن جفاك ، أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك ، وإياكم ومشاورة النساء ، واعلم أن كفر النعمة لوم ، وصحبة الجاهل شوم ، ومن الكرم الوفاء بالدمم ، ما أقبیح القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف<sup>(٥)</sup> ، والعداوة بعد الود ! لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل ، واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مشواك<sup>(٦)</sup> ، فأنفق في حق ، ولا تكونن خازناً لغيرك ، وإذا كان الغدر في الناس موجوداً ، فالثقة بكل أحد عجز ، اعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل . »

( الأماي ۲ : ۲۲ )

(١) الحرم : جمع حرمة بالضم ، وهي مالا يحل انتهاكه . (٢) القصد والاقتصاد : ضد الإفراط .

(٣) التآريث : إيقاد النار . (٤) تدلل . (٥) اللطف : اسم من اللطف بالضم .

(٦) آخرتك .

### ۳۵۳ - کلمات حکیمۃ للاُحنف

قال : فی ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر مُعتبر : ما دخلت بين اثنين قَطُّ حتى  
يُدْخِلَانِي بينهما ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء - يعنى الملوك - ما لم أَدْعَ إليه ،  
وما حَلَّتْ حُبُوتِي <sup>(۱)</sup> إلى ما يقوم الناس إليه . وقال : « ألا أدلكم على المَحْمَدِ  
بلا مَرَزِيئَةٍ <sup>(۲)</sup> ؟ الخلق السَّجِيح <sup>(۳)</sup> والكف عن القبيح ، ألا أخبركم بأذوئِ الداء ؟ الخلق  
الذنى ، واللسان البذى » ، وقال : « ما خان شريف ، ولا كذب عاقل ، ولا اغتاب  
مؤمن » . وقال : « ما ادخرت الآباء للأبناء ، ولا أبقت الموتى للأحياء ، أفضل من  
اصطناع معروف عند ذوى الأحساب والآداب » ، وقال : « كثرة الضحك تذهب الهيبة ،  
وكثرة المزاح تذهب المروءة ، ومن لزم شيئاً عُرف به » . وسمع رجلاً يقول : ما أبالى  
أمدحت أم ذممت . فقال له : « لقد استرحت من حيث تُعيب الكرام » ، وقال :  
« جنبوا مجلسنا ذكر الطعام والنساء ، فإنى لا بُغِضَ الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه ،  
وإن المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيهِ » . وكان يقول : إذا عَجِبَ الناس من  
حِلْمِهِ : « إني لأجد ما تجدون ولكنى صبور » . وكان يقول : « وجدت الحلم أنصر لي  
من الرجال » . وقال : « الكذب لاحيلة له ، والحسود لا راحة له ، والبخيل لا مروءة له ،  
والمول لا وفاء له ، ولا يسود سبب الأخلق ، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم  
ذلك ويتجمل » . وقال : « أربع من كُنَّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلق بخصلة منهن  
كان من صالحى قومه : دين يُرشدُهُ ، أو عقل يُسدِّدُهُ ، أو حسَب يَصُونُهُ ، أو حياء  
يَقْنَاهُ <sup>(۴)</sup> » . وقال : « المؤمن بين أربع : مؤمن يحسده ، ومنافق يُبغضُهُ ، وكافر يجاهده ،

(۱) احتبى الرجل : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، والامم : الحبوة بالفتح ويضم .

(۲) رزاه مرزئة : أصاب منه خيرا ، والشئ نقصه : أى دون أن تفرموا فى سبيلها مالا .

(۳) اللين السهل . (۴) قنى الحياء كرضى ورمى : لزمه كأتى .



وشيطان يفتنه ؛ وأربع ايس اقل منهم : اليقين ، والعدل ، ودرهم حلال ، وأخ في الله «  
وقال : « لأن أذعى من بعيد ، أحب إلى من أن أقصى من قريب » . وكان يقول :  
« إياك وصدر المجلس ، وإن صدرك صاحبه ، فإنه مجلس قلعة<sup>(۱)</sup> » . وقال : « من لم  
يصبر على كلمة سمع كلمات » . وقال : « رب غيظ تجرعتة مخافة ما هو أشد منه » . وقال :  
« من كثر كلامه كثرت سقطه ، ومن طال صمته كثرت سلامته » . وقال : « ثلاث  
لا أناة فيهن عندي » . قيل : « وما هن يا أبا بجر ؟ » . قال : « المبادرة بالعمل الصالح ،  
وإخراج ميتك ، وأن تنكح الكفء أئيك<sup>(۲)</sup> » . وكان يقول : « لأفنى تحكك  
في ناحية بيتي ، أحب إلى من أتم رددت عنها كفتا » .

(وفيات الأعيان ۱ : ۲۳۱ ، ومجمع الأمثال للميداني ۱ : ۱۴۸ ؛ والأمال)

۱ : ۲۳۶ ، والبيان والتبيين ۲ : ص ۲۷ ، ۵۸ ، ۱۰۱ ، ۱۰۴ ، ۱۰۵ )

### ۳۵۴ - صفية بنت هشام المنقرية تؤبن الأحنف

وروى أنه لما سُحِمَتْ جِنَازَةُ الأَحْنَفِ ، وَدُلِّيَ فِي قَبْرِهِ ، أَقْبَلَتْ ابْنَةُ عَمِّهِ صَفِيَّةُ بِنْتُ  
هشامِ المِنْقَرِيَّةِ عَلَى نَجِيبِ لَهَا مُخْتَصِرَةً<sup>(۳)</sup> ، فَوَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ ، فَقَالَتْ :  
« لِيهِ دَرَكٌ مِنْ جُنِّ فِي جُنِّ<sup>(۴)</sup> ، وَمُدْرَجٍ<sup>(۵)</sup> فِي كَفْنٍ ! إنا لله وإنا إليه راجعون !

(۱) مجلس قلعة : يحتاج صاحبه إلى أن يقوم مرة بعد مرة . (۲) الأيم : من لازوج ، لها بكرا  
أو ثيبا . قال الجاحظ : وكان يقال : « ما بعد الصواب إلا الخطاء ؛ وما بعد منعهم من الأكفاء ، إلا بذلن  
للسفلة والنوغاء » . (۳) النجيب : الجمل السريع الخفيف في السير القوي ؛ واختصر : أمسك المختصرة  
« والمختصرة كسكنة : عصا يمسكها الخليل يشير بها إذا خطب » ، وتختصر بالقضيب أيضا : أمسكه .  
وفي رواية الجاحظ : « وقامت فرغانة بنت أوس بن حجر على قبر الأحنف بن قيس وهي على راحلة  
فقالت . . . » ؛ وفي رواية أبي علي القالي : « جاءت امرأة من قومه من بني منقر عليها قبول من النساء ؛  
فوقفت على قبره فقالت . . . » — والقبول بالفتح ويضم : الحسن — . (۴) من أجنه : إذا ستره ؛  
والجنن : جمع جنة كقبة ، وهي الوقاية ؛ والجنن كسبب : القبر والكفن . (۵) مطوى .

نسأل الله الذي كَجَعَنَّا بِمَوْتِكَ ، وابتلانا بِفَقْدِكَ ، أن يُوسِّعَ لك في قبرك ، وأن يَغْفِرَ  
لك يوم حَشْرِكَ ، وأن يجعل سبيل الخير سبيلَكَ ، ودليل الرِّشَادِ دليلَكَ ، ثم أفبلت  
بوجهها على الناس ، فقالت : « مَعَشَرَ النَّاسِ ، إن أولياء الله في بلاده ، شُهُودٌ على عبادِهِ ،  
وإننا قائلون حَقًّا ، وَمُتَشَنِّونٌ صِدْقًا ، وهو أهلُ الحَسَنِ الثَّنَاءِ ، وطيبُ الدُّعَاءِ ؛ أما والذي  
كنتَ من أَجَلِهِ في عِدَّةٍ ، ومن المِضْمَارِ<sup>(١)</sup> إلى غَايَةٍ ، ومن الحَيَاةِ إلى نِهَايَةٍ ، الذي رفع  
عَمَلَكَ ، عند انقضاء أَجَلِكَ ، لقد عِشْتَ حميداً مَوْدوداً ، ولقد مِتَّ فقيداً سعيداً ، وإن  
كنتَ لَعَظِيمَ السَّلْمِ ، فَاضِلَ الحِلْمِ ، صحيحَ الأَدِيمِ<sup>(٢)</sup> ، مَنِيعَ الحَرِيمِ ، وَارِيَ الزَّنَادِ ،  
رفيعَ العِمَادِ ، وإن كنتَ في المحافلِ لشَريفاً ، وعلى الأرامِلِ لَعَطُوفاً ، وفي العَشِيرَةِ  
مُسَوِّدًا ، وإلى الخلفاءِ مُوفِّدًا ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيتُ مُتَّبِعِينَ » .  
ثم انصرفت . ( ذيل الأمال ص ٢٨ ، وبلاغات النساء ص ٥٥ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٦٠ )

(١) في الأمال : « ومن الضمان » ؛ وفي بلاغات النساء : « ومن الضمان » وأرى أن صوابه « ومن

المضمار » لقوله بعد : « إلى غاية » . (٢) الأديم : الجلد ؛ والمراد صحيح العرض .

# خطب الوفود

وما ألقى بحضرة الخلفاء والأمراء والرؤساء

الوافدون على معاوية

٣٥٥ - وفود الأحنف بن قيس والنمر بن قطبة على معاوية

دخل الأحنف بن قيس على معاوية وافداً لأهل البصرة ، ودخل معه النمر بن قطبة ، وعلى النمر عباءة قطوانية<sup>(١)</sup> ، وعلى الأحنف مدرعة<sup>(٢)</sup> صوف وشملة<sup>(٣)</sup> ، فلما مثلاً بين يدي معاوية افتحمتها<sup>(٤)</sup> عينه . فقال النمر : يا أمير المؤمنين إن العباة لانكلمك ، وإنما يكلمك من فيها ، فأومأ إليه فجلس ، ثم أقبل على الأحنف ، فقال : ثم مه ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، أهل البصرة عدد يسير ، وعظم كبير ، مع تقابع من المحول<sup>(٥)</sup> ، وانصال من الذحول<sup>(٦)</sup> ، فالكثير فيها قد أطرق ، والمقل قد أملق ، وبلغ منه الماخنق ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ، ويجبر الكسير ، وبسهل العسير ، وبصفح عن الذحول ، ويداوى المحول ، ويأمر بالمطاء ، ليكشف الجلاء ، ويزيل اللأواء<sup>(٧)</sup> ، وإن السيد من يعم ولا يخص ، ومن يدعو الجفلى<sup>(٨)</sup> ولا يدعو النقرى ، إن أحسن إليه شكر ،

(١) نسبة إلى قطوان : موضع بالكوفة من الأكسية . (٢) المدرعة : ثوب ولا يكون إلا من صوف . (٣) الشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به . (٤) ازدرتها . (٥) جمع محل كشمس : وهو القحط والجذب . (٦) جمع ذحل كشمس أيضاً : وهو النار . (٧) الشدة . (٨) الدعوة العامة ، والنقرى : الدعوة الخاصة .

وإن أسيء إليه غفر ، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عماداً ، يدفع عنهم الملأت ،  
ويكشف عنهم المعضلات ، فقال له معاوية : ها هنا يا أبا بحر ، ثم تلا : ( وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ  
فِي لَحْنِ الْقَوْلِ <sup>(١)</sup> ) . ( زهر الآداب ١ : ٥٧ )

### ٣٥٦ - وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الأحنف

ولما قدم وفد أهل العراق على معاوية ، وفيهم الأحنف ، خرج الآذن ،  
فقال : إن أمير المؤمنين يعزيم عليكم ألا يتكلم أحد إلا لنفسه ، فلما وصلوا إليه  
قال الأحنف :

« لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافّة <sup>(٢)</sup> دفت ، ونازلة نزلت ، ونايبة نابت ،  
ونايبة نبتت ، وكلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبرّه » ، فقال : حسبك  
يا أبا بحر فقد كفت الغائب والشاهد .

( نهاية الأرب ٧ : ٢٣٧ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٣ )

### وفد أهل العراق على معاوية ومعهم زياد وفيهم الأحنف

وفد أهل العراق على معاوية ، ومعهم زياد بن أبيه ، وفيهم الأحنف بن قيس ،  
فقال زياد :

### ٣٥٧ - خطبة زياد

« يا أمير المؤمنين : أشخصت إليك أقواماً الرغبة ، وأقعدت عنك آخرين العذر ،  
فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ما يجبر به المتخلف ، ويكافأ به الشاخص » .

(١) أى فى معناه وفجواه . (٢) الدافّة : الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد ، يقال : دفت  
علينا من بنى فلان دافّة ، والدافّة أيضاً : قوم من الأعراب يريدون مصر ، والدافّة : الجيش يدفون نحو العدو  
أى يدبون .

### ٣٥٨ - خطبة معاوية

فقال معاوية : « مرَّ حباً بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتم الرِّحِم ، إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حَفِظَ عليكم نسبكم بأن تخير لكم بلاداً يُجْتَازُ عليها المنازل ، حتى صَفَّأَكم من الأمم كما تُصَفَّى الفِضَّةُ البيضاء من خَبَثِهَا ، فَصُونُوا أخلاقكم ، ولا تُدَنِّبُوا أنسابكم وأعراضكم ، فإنَّ الحَسَنَ منكم أحسنُ لقربكم منه ، والقبيحُ منكم أقبحُ لبعدهم عنه . »

### ٣٥٩ - خطبة الأحنف بن قيس

فقال الأحنف : « والله يا أمير المؤمنين ما نَعَدَمُ منكم قائلاً جَزِيلاً<sup>(١)</sup> ، ورأياً أصيلاً ، ووَعْدًا جميلاً ، وإن أخاك زياداً لَمُتَّبِعٌ آثارَكَ فينا ، فنستمتع الله بالأمير والمأمور ، فإنكم كما قال زهير - فإنه ألقى على المداحين فُصُولُ القول - :

وما يَكُ من خَيْرٍ أتوه فإنما توارثه آباءُ آبائهم قَبْلُ  
وَهَلْ يُنْبِتُ الخَطَى إلا وشيجه وَتُغْرَسُ إلا في مَنَابِتِهَا النخْلُ<sup>(٢)</sup> »

( زهر الآداب ١ : ٥٨ )

### ٣٦٠ - وفد العراق على معاوية وفيهم دغفل النسابة

قدم وفد العراق على معاوية ، وفيهم دغفل<sup>(٣)</sup> ، فقال له معاوية : يا دغفل أخبرني عن ابني نزار : ربيعة ومضر ، أيهما كان أعزَّ جاهليةً وعالميةً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين مضر بن نزار كان أعزَّ جاهليةً وعالميةً . قال معاوية : وأيُّ مضر كان أعزَّ ؟ قال :

(١) الجزيل : العاقل الأصيل الرأي . (٢) الخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط : مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح لأنهم تبعوا به لانه منبتها ، والشيج : شجر الرماح جمع وشيجة . (٣) هو دغفل ابن حنظلة النسابة من بني شيبان .

بنو النَّضْر بن كِنَانَة ، كانوا أكثر العرب أَمْجَادًا ، وأَرْفَعَهُمْ عَمَادًا وَأَعْظَمَهُمْ رَمَادًا .  
 قال : فَأَيُّ بَنِي كِنَانَة كَانَ بَعْدَهُمْ أَعَزَّ ؟ قال : بنو مالك بن كِنَانَة ، كانوا يَعْلُونَ من  
 سَامَاهُمْ ، وَيَكْفُونَ من نَاوَاهُمْ ، وَيَصْدُقُونَ من عَادَاهُمْ . قال : فَمَنْ بَعْدَهُمْ ؟ قال :  
 بنو الْحَارِث بن عبد مَنَاءَ بن كِنَانَة ، كانوا أَعَزَّ بَنِيهِ وَأَمْنَعَهُمْ ، وَأَجُودَهُمْ وَأَنْفَعَهُمْ . قال :  
 ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ ؟ قال : بنو بكر بن عبد مَنَاءَ ، كان بِأَسْمِهِمْ مَرْهُوبًا ، وَعَدُوَّهُمْ مَنْكُوبًا ،  
 وَثَارَهُمْ مَطْلُوبًا . قال : فَأَخْبِرْنِي عن مالك بن عبد مَنَاءَ بن كِنَانَة ، وعن مُرَّةَ وَعَامِرِ  
 ابْنِي عبد مَنَاءَ . قال : كانوا أَشْرَافًا كَرَامًا ، وَلَيْسَ لِلْقَوْمِ أَكْفَاءٌ وَلَا نُظْرَاءُ . قال :  
 وَأَخْبِرْنِي عن بني أسد ؟ قال : كانوا يُطْعِمُونَ السَّدِيفَ <sup>(١)</sup> ، وَيُكْرِمُونَ الضِّيُوفَ ،  
 وَيَضْرِبُونَ فِي الزُّحُوفِ <sup>(٢)</sup> ، قال : فَأَخْبِرْنِي عن هُذَيْلٍ ، قال : كانوا قَلِيلًا أَكْيَاسَ <sup>(٣)</sup> ،  
 أَهْلُ مَنَعَةٍ وَبَاسٍ ، يَنْتَصِفُونَ من النَّاسِ ، قال : فَأَخْبِرْنِي عن بني ضَبَّةَ ؟ قال : كانوا  
 جَمْرَةً من جَمَرَاتِ الْعَرَبِ الْأَرْبَعِ <sup>(٤)</sup> ، لَا بُصْطَلَى بِنَارِهِمْ ، وَلَا يُفَاتُونَ بِنَارِهِمْ ، قال :  
 فَأَخْبِرْنِي عن مُزَيْنَةَ ، قال : كانوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَهْلُ مَنَعَةٍ ، وَفِي الْإِسْلَامِ أَهْلُ دَعَاةٍ . قال :  
 فَأَخْبِرْنِي عن تَمِيمٍ ، قال : كانوا أَعَزَّ الْعَرَبِ قَدِيمًا ، وَأَكْثَرَهَا عَظِيمًا ، وَأَمْنَعَهَا حَرِيمًا ،  
 قال : فَأَخْبِرْنِي عن قَيْسٍ ، قال : كانوا لَا يَفْرَحُونَ إِذَا أُدِيلُوا <sup>(٥)</sup> ، وَلَا يَجْزَعُونَ إِذَا أُبْتُلُوا ،  
 وَلَا يَبْخُلُونَ إِذَا سُئِلُوا ، قال : فَأَخْبِرْنِي عن أَشْرَافِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قال : غَطَفَانُ بن سعد  
 وَعَامِرُ بن صَعْصَعَةَ وَسُلَيْمُ بن منصور ؛ فَأَمَّا غَطَفَانُ فَكَانُوا كَرَامًا سَادَةً ، وَاللَّخْمِيُّ <sup>(٦)</sup>

(١) شحم السنام . (٢) مصدر زحف أو جمع زحف كشمس وهو الجيش يزحفون إلى العدو .

(٣) جمع كيس : وهو الهـاـقل . (٤) قال صاحب العقد : « جمرات العرب ، هم

بنو تميم بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد بن طابخة ، وبنو عيس

ابن بغيض ، وإنما قيل لهذه القبائل جمرات ، لأنها تجمعت في أنفسها ، ولم يدخلوا معهم غيرهم ، والتجمير :

التجميع ، ومنه قيل : جمرة العقبة لاجتماع الحصى فيها ، ومنه قيل : لا تجمروا المسلمين فتفتنوا ، وتفتنوا

نساءهم ، يعني لا تجمعوهم في المغازي . الخ - العقد ٢ : ٥٧ . (٥) أداله الله من عدوه : نصره عليه .

(٦) الخميس : الجيش . سمي بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ،

قادة ، وعن البيض ذادة<sup>(۱)</sup> ؛ وأما بنو عامر فكثير سادتهم ، مخشية سوطتهم ،  
ظاهرة نجدتهم ؛ وأما بنو سليم فكانوا يدركون النار ، ويمنعون الجار ، ويعظمون<sup>(۲)</sup>  
النار ، قال : فأخبرني عن قومك بكر بن وائل واصدقني ، قال : كانوا أهل عز قاهر ،  
وشرف ظاهر ، ومجد فاخر ، قال : فأخبرني عن إخوانهم تغلب ، قال : كانوا أسودا  
ترهب ، ويسمأ<sup>(۳)</sup> لا تقرب ، وأبطلا لا تكذب ، قال : فأخبرني كم أدلوا عليكم  
في قتلكم كليبًا ؟ قال : أربعين سنة ، لاننصف منهم في موطن نلقاهم فيه ، حتى كان  
يوم التحالف ، يوم الحرث بن عباد بعد قتله ابنه بجير ، وكان أرسله في الصلح بين القوم  
فقتله مهلهل ، وقال : بوئ بشع<sup>(۴)</sup> نعل كليب ، فقال الغلام : إن رضيت بهذا بنو بكر  
رضيت ، فباع الحرث ، فقال : نعم القليل قتيلا إن أصاح الله به بين بكر وتغلب وباء  
بكليب ، فقل له : إنما قال مهلهل ما قال (الكلمة<sup>(۵)</sup>) ، فتشمر الحرث للحرب ،  
وأمرنا بخلق رهوسنا أجمعين ، وهو يوم التحالف ، وله خبر طويل ، وقال :

قربا مربط النعامة منى لقيحت حرب وائل عن حبال<sup>(۶)</sup>  
لم أكن من جناتها - علم الله - وإني بحرّها اليوم صالي  
قربا مربط النعامة منى إن بيع الكرام بالشع غالي

فأدلنا عليهم يومئذ ، فلم نزل منهم ممتنعين إلى يومنا هذا . قال : فمن ذهب يذكر  
ذلك اليوم ؟ قال : الحرث بن عباد ، أسر مهلهلا في ذلك اليوم ، وقال له : دأني على  
مهلهل بن ربيعة ، قال : مالي إن دلتك عليه ؟ قال : أطلقك ، قال : على الوفاء ؟ قال :  
نعم ، قال له : أنا مهلهل ، قال : ويحك ! دأني على كفاء كريم ، قال : امرؤ القيس<sup>(۷)</sup>

(۱) البيضة : حوزة كل شيء وساحة القوم ، وبيضة الدار : وسطها .

(۲) كناية عن الكرم . (۳) جمع سم مثل السين . (۴) الشع : سير يشد به النعل .

(۵) هي قوله (بوئ بشع نعل كليب) . (۶) النعامة : اسم فرسه ، ولقيحت الناقة : قبلت اللقاح

وحالت حبالا : لم تلتق سنة ، أو سنتين ، أو سنوات . (۷) هو امرؤ القيس بن أبان التغلبي .

وأشار بيده إليه عن قُرب ، فأطلقه الحرث ، وانطلق إلى امرئ القيس فقتله ، وبكر كلها صَبَرَتْ وَأَبْلَتْ فحَسُنَ بِلَاؤُهَا ، إلاما كان من ابني لُجَيْمِ : حَذِيفَةَ وَعِجْلَ ، وَيَشْكُرُ ابن بكر ، فإن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ جدَّ طَرْفَةَ بن العبد ، هجاءم في ذلك اليوم ، فقال :

إِن لُجَيْمًا عَجَزَتْ كَلِّهَا      أَنْ يُرْفِدُونِي قَارِسًا وَاحِدًا<sup>(١)</sup>  
وَيَشْكُرُ الْعَامَ عَلَى خَتَرِهَا      لَمْ يَسْمَعْ النَّاسَ لَهَا حَامِدًا<sup>(٢)</sup>

وقال فيهم أيضًا :

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي      وَضَعْتَ أَرَاهِطًا فَاسْتَرَا حُوا<sup>(٣)</sup>  
إِنَّا وَإِخْوَتَنَا غَدًا      كَثَمُودَ حِجْرٍ يَوْمَ طَاحُوا<sup>(٤)</sup>  
بِالْمَشْرِفِيَّةِ لَا نَفِ      رَ وَلَا نُبَاحُ وَلَنْ تُبَاحُوا<sup>(٥)</sup>  
مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا      فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ<sup>(٦)</sup>

فقال معاوية : أنت والله يا دغفل أعلم الناس قاطبةً بأخبار العرب .

( ذيل الأمل ٢٦ )

(١) الإرفاد : الإعانة والإعطاء . (٢) الحتر : الغدر أو أقبجه . (٣) أراهط : جمع الجمع أراهط . (٤) الحجر : واد بين المدينة والشام : مساكن ثمود قوم صالح . (٥) مشارف الشام : قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المشرفية . وفي ذيل الأمل « ولا نباح ولن نباحوا » بالنون وقد أصلحته « ولن تباحوا » بالتاء على الالتفات من التكلم إلى الخطاب ، أي ولن تباحوا يا قوم مادنا لكم حماة ، وقال مصحح الأمل : « ولن نباحوا » كذا في الأصل ، وأمل هنا تحريفاً ، ووجه الكلام « كن يباح » . (٦) قولهم لا براح كقولهم لا ريب ، ويجوز رفعه فتكون لا بمنزلة ليس .



### ٣٦١ - دغفل وجماعة من الأنصار

ووقف جماعة من الأنصار على دغفل بعد ما كف ، فسلموا عليه ، فقال :  
مَنِ الْقَوْمُ ؟ قالوا : سَادَةُ الْبَيْنِ ، فقال : « أَمِنْ أَهْلِ مَجْدِهَا الْقَدِيمِ ، وَشَرَفِهَا الْعَمِيمِ ،  
كِنْدَةَ ؟ قالوا : لا ، قال : « فَأَنْتُمْ الطَّوَالِ قَصَبًا ، الْمُحَصَّنُونَ نَسَبًا ، بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ ؟ »  
قالوا : لا ، قال : « فَأَنْتُمْ أَقْوَدُهَا لِلزُّحُوفِ ، وَأَخْرُقُهَا لِلصَّفُوفِ ، وَأَضْرِبُهَا بِالسِّيُوفِ ،  
رَهْطُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ؟ » قالوا : لا ، قال : « فَأَنْتُمْ أَحْضَرُهَا قَرَاءً <sup>(١)</sup> ، وَأَطْيَبُهَا  
فِنَاءً ، وَأَشَدُّهَا لِقَاءً ، رَهْطُ حَاتِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؟ » قالوا : لا ، قال : فَأَنْتُمْ الْغَارِسُونَ لِلنَّخْلِ ،  
وَالْمَطْعَمُونَ فِي الْمَحَلِّ <sup>(٢)</sup> ، وَالْقَاتِلُونَ بِالْعَدْلِ ، الْأَنْصَارُ ؟ » قالوا : نعم .

( الأماك ٢ : ٢٨٧ )

### ٣٦٢ - وفد أهل العراق على معاوية وفيهم صعصعة بن صوحان

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : خَبِّرُونِي عَنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فِيهِمْ  
أَشَدُّ النَّاسِ ، وَأَسْخَى النَّاسِ ، وَأَخْطَبُ النَّاسِ ، وَأَطْوَعُ النَّاسِ فِي قَوْمِهِ ، وَأَحْلَمَ النَّاسِ ،  
وَأَحْضَرَمَ جَوَابًا .

قالوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا نَعْرِفُ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ ، وَلَسْكَنَ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ فِي قَرِيشٍ ،  
قال : لا ، قالوا : فِي فِئَةِ حَمِيرٍ وَمَلُوكِهَا ، قال : لا ، قالوا : فِي فِئَةِ مُضَرَ ، قال : لا ، قال مَصْقَلَةُ  
ابن رُقِيَّةِ الْعَبْدِيِّ : فَهِيَ إِذْنٌ فِي رَبِيعَةَ ، وَنَحْنُ هُمْ ، قال : نعم ، قال جُلَسَاؤُهُ : مَا نَعْرِفُ  
هَذَا فِي عَبْدِ الْقَيْسِ إِلَّا أَنْ نَخْبِرَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قال : نعم .

أَمَّا أَشَدُّ النَّاسِ ، فَحَكِيمُ بْنُ جَبَلٍ ، كَانَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) قرى الضيف كرى قرى بالكسر ، والقصر : وقراء بالفتح والمد : أضافه .

(٢) المحل : الجذب والشدة .

فَقَطَّعَتْ ساقه ، فضمها إليه ، حتى مرَّ به الذي قطعها ، فرماه بها فجدَّله<sup>(١)</sup> عن دابَّته ،  
ثم جثا إليه فقتله وانكأ عليه ، فرَّ به الناس ، فقالوا له : يا حكيم ، مَنْ قطع ساقك ؟  
قال : وسادي<sup>(٢)</sup> هذا ، وأنشأ يقول :

يَا سَاقُ لَا تُرَاعِي      إِنِّ مَعِيَ ذِرَاعِي      أُحْمِي بِهَا كُرَاعِي<sup>(٣)</sup>

وأما أسخى الناس فعبد الله بن سِوَار ، استعمله معاوية على السُّنْد ، فسار إليها  
في أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقدُ معه نار حَيْثُمَا سار ، فَيُطْعِمُ الناس ، فبينما هو  
ذات يوم إذ أبصر نارا ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ، اعتلَّ بعض أصحابنا ،  
فاشتهى خَبِيصًا<sup>(٤)</sup> ، فعملنا له ، فأمر خَبَّازَه ألاَّ يُطْعِمُ الناس إلاَّ الخَبِيص ، حتى صاحوا  
وقالوا : أصلح الله الأمير ، رُدُّنَا إِلَى الخبز واللحم ، فَسُمِّيَ مُطْعِمِ الخَبِيص .

وأما أطوع الناس في قومه ، فالجارُود بن بَشْر بن العلاء ، فإنه لما قبضَ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وارتدَّت العرب ، خطب قومه ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ مَاتَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَتَّى لَا يَمُوتَ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ ،  
فَمَنْ ذَهَبَ لَهُ فِي هَذِهِ الرَّذَّةِ دِينَارٌ أَوْ دَرَمٌ أَوْ بَعِيرٌ أَوْ شَاةٌ ، فَلَهُ عَلَيَّ مِثْلَاهُ » فما خالفه  
منهم رجل .

وأما أحضرُّ الناس جوابا ، فَصَعَصَعَةُ بن صُوحان ، دخل على معاوية في وفد أهل  
العراق ، فقال معاوية : مَرَّ حَبَابًا بِكُمْ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ ، قَدِمْتُمْ أَرْضَ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةَ ، مِنْهَا الْمَنْشَرُ ،  
وَالِإِيَّهَا الْمَحْشَرُ ، قَدِمْتُمْ عَلَى خَيْرِ أَمِيرٍ يَبْرُؤُ كَبِيرِكُمْ ، وَيَرْحَمُ صَغِيرِكُمْ ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ  
وَلَدَ أَبِي سَفْيَانَ لَكَانُوا حُلَمَاءَ عَقْلَاءَ ، فَأشار الناس إلى صعصعة فقام :

فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

(١) جدله : صرعه على الجدالة (كسحابة) وهي الأرض . (٢) الوساد : المتكأ ، والمخدة .  
كالوسادة ويثلث . (٣) لا تراعى : لا تفزعى ، والكراع : جماعة الخيل . (٤) الخبيص :  
نق الدقيق يخلط بالعمل ، والخبيصة : أخص منه ، وخبيص الخلواء كضرب ، وخبيصها : بالتشديد خلطها وعملها .

« أما قولك يا معاوية : إنا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمري ، ما الأرضُ تقدّسَ  
الناسَ ، ولا يقدّسَ الناسَ إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المنشر ، وإليها المحشر ،  
فلعمري ، ما ينفع قربها ، ولا يضرُّ بعذها مؤمننا ، وأما قولك : لو أن الناسَ كلهم ولدُ  
أبي سفيان لكانوا حُلَماءَ عقلاء ، فقد ولدَهم خيرٌ من أبي سفيان آدمُ صلوات الله عليه ،  
فمنهم الحلِيم والسفيه ، والجاهل والعالم » .

وأما أحلم الناس ، فإن ولدَ عبد القيسِ قدِموا على النبي صلى الله عليه وسلم بصِدقاتهم  
وفيهم الأشجُّ<sup>(١)</sup> ، ففرّقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول عطاء فرّقه في أصحابه ،  
ثم قال : يا أشجُّ ادنُ مني ، فدنا منه ، فقال : « إن فيك خلتين يحبهما الله : الأناة ،  
والحلم » وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداً ، ويقال : إن الأشجَّ لم يَغضب قطُّ<sup>(٢)</sup> .  
( العقد الفريد ٢ : ٥٦ )

### ٢٦٣ — وفود العرب ومعاوية

عن عمرو بن عُقبة بن أبي سفيان ، قال :  
عِقَمَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ عَمِّي ! شَهِدْتَهُ يَوْمًا ، وَقَدْ قَدِمَتِ عَلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ ،  
فَقَضَى حَوَائِجَهُمْ ، وَأَحْسَنَ جَوَازِمَهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ لِيَشْكُرُوهُ ، سَبَقَهُمْ إِلَى الشُّكْرِ ، فَقَالَ لَهُمْ :  
« جَزَاكُمْ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَنْ قَرِيْشٍ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ، بِتَقَدُّمِكُمْ إِيَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ ،  
وَتَقَدُّمِكُمْ لَهُمْ فِي السَّلَامِ ، وَحَقْنِكُمْ دِمَاءَهُمْ بِسَفْكِكُمْ مِنْكُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَا يُؤَثِّرُ عَلَيْكُمْ غَيْرَ كُمْ  
مِنْهُمْ حَازِمٌ كَرِيمٌ ، وَلَا يَرِغْبُ عَنْكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا عَاجِزٌ لَيْمٌ ، شَجَرَةٌ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ ،  
فَتَفَرَّعَ أَعْلَاهَا ، وَاجْتَمَعَ أَصْلُهَا ، عَضَدَ اللَّهُ مَنْ عَضَدَهَا ، فَيَا لَهَا كَلِمَةٌ لَوْ اجْتَمَعَتْ ! وَأَيْدٍ  
لَوْ ائْتَلَفَتْ ! وَلَسْكَنَ كَيْفَ بِإِصْلَاحِ مَا يَرِيدُ اللَّهُ إِفْسَادَهُ ؟ » . ( العقد الفريد ٢ : ٤١ )

(١) هو عبد الله بن عوف الأشج .

(٢) هذا المقال يزيد على العنوان الذي عنوانته به ، وقد أردت من ذلك استيفاء حديث عبد الملك .

## ٣٦٤ - وفود عبد العزيز بن زُرارة على معاوية

وفد عبد العزيز<sup>(١)</sup> بن زُرارة على معاوية ، وهو سيد أهل الكوفة ، فلما أذن له وقف بين يديه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين : لم أزل أهرُ ذوائِبَ<sup>(٢)</sup> الرِّحال إليك ، إذ لم أجد مَعَوَلاً إلا عليك ، أمتطى الليل بعد النهار ، وأسيم<sup>(٣)</sup> المَجَاهِلَ بالآثار ، يقودني إليك أمل ، وتسوقني بلوى ، والمجتهد يُعذّر ، وإذ بلغتكَ فَقَطِنِي<sup>(٤)</sup> » ، فقال معاوية : أخطُطُ عن راحلتك رَحَلَهَا .

وروى الجاحظ هذا القول بصورة أخرى ، فقال :

« ولما وصل عبد العزيز بن زُرارة إلى معاوية قال : « يا أمير المؤمنين ، لم أزل أستدِلُّ بالمعروف عليك ، وأمتطى النهار إليك ، فإذا ألوى<sup>(٥)</sup> بي الليل ، فقَبَضَ البصرَ ، وعَفَى الأثرَ ، أقام بدني ، وسافر أملِي ، والنفس تلوم ، والاجتهاد يَعذِرُ ، وإذ باغتك فَقَطِنِي » .

وخرج عبد العزيز بن زُرارة مع يزيد بن معاوية إلى الصَّائفة<sup>(٦)</sup> ، فهلك هناك ، فكتب يزيد إلى أبيه معاوية بذلك ، فقال معاوية لزُرارة : أتاني اليوم نَعْيُ سيد شباب العرب ، قال زُرارة : يا أمير المؤمنين هو ابني أو ابنتك ؟ قال : بل ابنتك ، قال : للموت ما تَلِدُ الوالدة .

( المقدم للفريد ١ : ١١٨ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٧ ، والبيان والتبيين ٢ : ٣٧ ، والأمال ١ : ٢٠١ )

(١) في صبح الأعشى « عبد العزى » وفي الأمال : « قال رجل لعبد الملك بن مروان . . . الخ » .  
(٢) جمع ذوايبة : وهي الجلدة المعلقة على آخرة الرجل ، وفي صبح الأعشى « ذوايب الرجاء » .  
(٣) وسمه بسمة : علمه بعلامة . (٤) فحسبى . (٥) المراد جن على ، وأحدثت بي ظلمته ، يقال : ألوى به : ذهب به ، وألوت به العنقاء : طارت به ، وألوى بما في الإناء : استأثر به .  
(٦) الصائفة : غزوة الروم ، لأنهم كانوا يفتنون صيفا لمسكان البرد والثلج .

## ٣٦٥ - وفود زيد بن منية على معاوية

قدم زيد بن منية على معاوية من البصرة ، ( وهو أخو يعلى بن منية<sup>(١)</sup> صاحب  
جمل عائشة ، ومتولى تلك الحروب ، ورأس أهل البصرة ، وكان عتبة بن أبي سفيان  
قد تزوج ابنة يعلى بن منية ) ، فلما دخل على معاوية شكاه إليه ديناً لزمه ، فقال : يا كعبُ  
أعطه ثلاثين ألفاً ، فلما ولى قال : وايوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى ، ثم قال له : الخلق  
بصهرك ، ( يعني عتبة ، وكان يومئذ عامل مصر ) فقدم عليه مصر ، فقال :  
« إني سرت إليك شهرين أخوضُ فيهما المتآلفَ ، ألبسُ أرديةَ الليل مرةً ،  
وأخوضُ في لججِ السراب<sup>(٢)</sup> أخرى ، موقراً<sup>(٣)</sup> من حُسن الظن بك ، وهارباً من  
دهرِ قَطَم<sup>(٤)</sup> ، ودينِ لَزِم<sup>(٥)</sup> ، بعد غنى جدّنا به أنوفَ الحاسدين ، فلم أجد إلا إليك  
مَهْرَباً ، وعليك مَعْوِلاً » ، فقال عتبة : « مرحباً بك وأهلاً ، إن الدهر أعاركم غنى ،  
وخالطكم بنا ، ثم استرد ما أمكنه أخذه ، وقد أبقى لكم منا مالا ضيقة<sup>(٦)</sup> معه ، وأنا  
واضع يدي ويدك بيد الله » ، فأعطاها ستين ألفاً كما أعطاه معاوية .

( العقد الفريد ١ : ١١٨ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٧ )

(١) في صبح الأعشى والعقد «منبه» بالباء وهو تصحيف والصواب «منية» وهو اسم أمه ، واسم أبيه أمية ،  
والتصحيف من تاريخ الكامل لابن الأثير . وكان يعلى عاملاً أميناً رضى الله عنه على اليمين ، فلما ولى على رضى الله عنه  
الخلافة عزله ، وولى على اليمين عبید الله بن عباس ، فانصرف يعلى إلى مكة ومعه مال كثير ، وانضم إلى السيد  
عائشة رضى الله عنها في قتال على في وقعة الجمل . (٢) المراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء .  
(٣) محملاً من الوقر بالكسر : وهو الحمل الثقيل أو أعم ، وأوقر الدابة إيقاراً .  
(٤) يروى بالفاء والقاف ، فطمه وقطمه : قطعه ، وضبط في صبح الأعشى بالقاف ، وبالطاء  
المكسورة وصف من قطع كفرح : اشتبه اللحم أو غيره . (٥) وفي صبح الأعشى : « ودين أزم »  
وأزم كضرب وفرح : عض بالفم كله شديداً . (٦) الضيقة : الفقر وسوء الحال ، ويفتح .

## ٣٦٦ - وفود ضرار بن حمزة الصدائي على معاوية

دخل ضرار بن حمزة الصدائي<sup>(١)</sup> (وكان من خواص علي كرم الله وجهه) على معاوية وافداً ، فقال له : يا ضرار ، صف لي علياً ، قال : أعفني يا أمير المؤمنين ، قال : لتصفينه ، قال : « أما إذ لا بد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى<sup>(٢)</sup> ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يُقلّب كفه ، ويخاطب نفسه ، يُعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كأحدنا ، يُجيبنا إذا سألناه ، ويُنبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يُعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ؛ لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييئس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله<sup>(٣)</sup> ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم<sup>(٤)</sup> ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرّى غيري ، ألي تعرّضت ، أم إلى تشوّقت ؟ هيهات هيهات اقد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فمُرك قصير ، وخطرك<sup>(٥)</sup> حقير ، آه من قلة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة الطريق ! » فبكي معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذُبِحَ وأحْدُها في حجرها .

(الأمالي ٢ : ١٤٩ ، ومروج الذهب ٢ : ٤٧ ، وشرح ابن

أبي الحديد م ٤ : ص ٢٧٦ ، وزهر الآداب ١ : ٤٧ )

(١) صداء كغراب : حتى باليمن . (٢) الغاية . (٣) السدول : جمع سدل بالضم والسكر ،

وهو الستر . (٤) السليم : الملدوغ ، وسمى بذلك تفاضلاً له بالسلامة ، كما تسمى البيداء مفازة :

تفاضلاً بالفوز . (٥) الخطر : القدر .

## الوافدات على معاوية

٣٦٧ - وفود سودة بنت عمارة على معاوية

وَفَدَّتْ سَوْدَةُ بِنْتُ عِمَارَةَ بْنِ الْأَشْتَرِ الْهَمْدَانِيَّةَ ، عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَلَّمَتْ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ أَنْتِ يَا بِنْتَ الْأَشْتَرِ ؟  
قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ لَهَا : أَنْتِ الْقَائِلَةُ لِأَخِيكَ يَوْمَ صَفَيْنَ ؟ :

شَمَّرُ كَفِعَلِ أَبِيكَ يَا بِنْتَ عِمَارَةَ يَوْمَ الطَّعَانِ وَمُلَّتَقَى الْأَقْرَانَ  
وَأَنْصُرَ عَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ وَأَقْصِدِ لِهِنْدٍ وَابْنَيْهَا سِهَوَانَ  
إِنَّ الْإِمَامَ أَخُو النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عِلْمُ الْهُدَى وَمَنَارَةُ الْإِيمَانِ  
فَقَدْ الْجِيُوشَ وَسِرَّ أَمَامَ لَوَائِهِ قُدُمًا بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ وَسِنَانٍ<sup>(١)</sup>

قالت : إى والله ، ما مثلى من رَغِبٍ عن الحق ، أو اعتذر بالكذب ، قال لها :  
فما حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قالت : حُبُّ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاتِّبَاعُ الْحَقِّ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَرَى  
عَلَيْكَ مِنْ أَثَرِ عَلَى شَيْئًا ، قَالَتْ : أَشَدُّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِعَادَةَ مَا مَضَى ، وَتَذْكَارَ  
مَا قَدْ نَسِيَ ، قَالَ : هِيَهَاتَ مَا مِثْلُ مَقَامِ أَخِيكَ يُنْسَى ، وَمَا لَقِيتُ مِنْ أَحَدٍ مَا لَقِيتُ  
مِنْ قَوْمِكَ وَأَخِيكَ ، قَالَتْ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا كَانَ أَخِي حَفِيَّ الْمَقَامِ ،  
ذَلِيلَ الْمَكَانِ ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَتِ الْخُدَسَاءُ :

وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتِيَهُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ<sup>(٢)</sup>

(١) القدم : الشجاع ؛ وفى بلاغات النساء : « فقه الختوف و سرر أمام لوائه » .

(٢) العلم : الجبل .

قال : صدقت ، لقد كان كذلك ، فقالت : مات الرأس وَبُتِرَ الذَّنْبُ ، وبالله  
أسأل أمير المؤمنين إغفائي مما استَغَفَيْتُ منه ، قال : قد فعلتُ ، فقولى حاجتك ،  
قالت : يا أمير المؤمنين ، إنك أصبحت للناس سيِّداً ، ولأموورهم مُتَقَلِّداً ، والله سَأَلْتُكَ  
عن أمرنا وما افترض عليك من حَقِّنا ، ولا تزال تُقدم علينا من يَنْهَضُ بِعِزِّكَ ، وَيَبْسُطُ  
سلطانك ، فيحصدنا حِصَادَ السَّنْبُلِ ، ويدوسنا دِباسَ<sup>(١)</sup> البقر ، وَيَسُومُنَا<sup>(٢)</sup> الخسيسة ،  
وَيَسْلُبُنَا الْجَلِيلَةَ ، هذا ابن أُرطاة<sup>(٣)</sup> قَدِيمِ بِلَادِي ، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعةُ  
لـكان فينا عِزٌّ وَمَنْعَةٌ ، فإِذَا عَزَلْتَهُ عَنَّا فَشَكَرْنَاكَ ، وإِذَا لَاقَعَرَفْنَاكَ ، فقال معاوية :  
إِيَّايَ تَهْدِدِينَ بِقَوْمِكَ ؟ والله لقد هممت أن أُحِلِّكَ على قَتَبِ<sup>(٤)</sup> أشرس فأردك إليه ،  
يُنْفِذُ فِيكَ حِكْمَهُ ، فَأَطْرَقَتْ تَبْكِي ، ثم أنشأت تقول :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى رُوحِ تَضَمَّنَهُ  
قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا  
قَدْ حَالَفَ الْحَقُّ لَا يَبْغِي بِهِ ثَمْنَا  
فَهَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانَ مَقْرُونًا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبي طالب ، رحمه الله تعالى ، قال : وما صنع بك  
حتى صار عندك كذلك ؟ قالت : أتيتته يوماً في رجل ولاء صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه  
ما بين الغث<sup>(٥)</sup> والسمين ، فوجدته قائماً يُصَلِّي ، فانفتل من الصلاة ، ثم قال برأفةٍ

(١) الدوس والدياس والدياسة : الوطء بالرجل . (٢) يكلفنا . (٣) هو بسر بن أُرطاة ،  
وقيل ابن أبي أُرطاة ، وكان معاوية في أيام على سيره إلى الحجاز واليمن ليقتل شيعة على ويأخذ البيعة له ، فسار  
إلى المدينة ، ففعل بها أفعلًا شنيعةً ، وسار إلى اليمن ؛ وكان عليها عبيد الله بن العباس من قبل على ، فهرب  
عبيد الله فنزلها بسر ، وذبح عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله وهما صغيران بين يدي أمهما عائشة بنت عبد المدان ؛  
فأصابها من ذلك حزن عظيم ؛ فأنشأت تقول :

يا من أحسن بنىي الذين هما كالدرتين تشظي عنهما الصدف  
يا من أحسن بنىي الذين هما سمى وقلبي ؛ فقلبي اليوم محتطف  
يا من أحسن بنىي الذين هما مخ العظام ؛ فخي اليوم مزدهف

(٤) القتب : الإكاف الصغير على قدر سنام البعير ، والمراد به هنا البعير لوصفه بالأشرس ففيه مجاز ؛

أو الأشرس : الحشن الغليظ . (٥) الغث : المهزول .



وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكي ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهم إنك أنت الشاهد علىّ وعليهم ، إنى لم أمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيها :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ <sup>(۱)</sup> ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَعْتُوا <sup>(۲)</sup> فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ، إِذَا تَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاحْتَفِظْ بِمَا فِي يَدِكَ مِنْ عَمَلِنَا ، حَتَّى يَأْتِي مِنْ يَقْبِضُهُ مِنْكَ وَالسَّلَامُ . »  
فأخذته منه والله ما خزمه بخزّام ، ولا ختمه بختم <sup>(۳)</sup> فقراءته ، فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها ، والعدل عليها ، فقالت : ألي خاصة ، أم لقومي عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله إذن الفحشاء واللوم ، إن لم يكن عدلا شاملا ، وَإِلَّا يَسْعَى مَا يَسْعَى قَوْمِي ، قال : هيات ا لمظكم <sup>(۴)</sup> ابن أبي طالب الجرّاة على السلطان فبطيئا ما تفظمون ، وغرّكم قوله :

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ أَدْخُلُوا بِسَلَامٍ

وقوله :

نَادَيْتُ هَمْدَانَ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَمِثْلُ هَمْدَانَ سَنَى فَتَحَةَ الْبَابِ <sup>(۵)</sup>

كَأَلْهِنْدُوَانِي لَمْ تُفَلِّحْ مَضَارِبُهُ وَجَهُ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَّابٍ <sup>(۶)</sup>

اكتبوا لها ولقومها . ( العقد الفريد ۱ : ۱۲۹ ، وبلاغات النساء ص ۳۵ )

(۱) القسط : العدل . (۲) عثا يعثو عثوا : أفعد . (۳) الخزام جمع خزيمة بالسكسر ، وهي في الأصل : حلقة تجدل في أحد جانبي منحري البعير ، وخزيمة النعل : سير رقيق يخزم بين الشراكين . الختام : الطين يختم به على الشيء ، ( والخاتم : ما يوضع على الطينة ) . (۴) التلمظ : التدوق ، وأن يحرك الإنسان لسانه في فمه بعد الأكل ، يتتبع به بقية من الطعام بين أسنانه ، ويخرجه فيسمح به شفثيه ، واسم ما بقى في الفم اللماظة بالضم ، ويقال : لمظ فلانا ( بالتشديد ) لماظته : أى شيئا يتلمظه ، ولمظه من حقه شيئا : أعطاه ( والعامة تبدل الظاء ضادا ) . (۵) سناه تسنية : سهله وفتحته . (۶) سيف هندرانى بكسر الهاء ، ويجوز ضمها إتباعا للدال منسرب إلى الهند ، ووجاب من وجب القلب وجيبا إذا خفق .

## ۳۶۸ - وفود أم سنان بنت خيثمة على معاوية

حبس مروان بن الحكم ، وهو والي المدينة ، في خلافة معاوية ، غلاما من بني ليث في جناية جناها ، فأتته جدة الغلام ، وهي أم سنان بنت خيثمة<sup>(۱)</sup> المذحجية ، فكلمته في الغلام فأغلظ لها مروان ، فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فانتسبت فعرفها ، فقال لها : مرَّ حَبَابًا بِكَ يَا بِنْتَ خَيْثَمَةَ ، مَا أَقْدَمَكَ أَرْضَنَا ، وَقَدْ عَاهَدْتُكَ تَشْتَمِينَنَا<sup>(۲)</sup> وَتَحْضِنُ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا ؟ قالت : إن ابني عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وأعلاما ظاهرة ، وأحلاما وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسهفون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ما سنَّ آباؤهم لأنت ، قال : صدقت ، نحن كذلك ، فكيف قولك ؟

عَزَبَ الرَّقَادُ ، فَمَقَلَّتِي لَا تَرُقُدُ وَاللَّيْلُ يُضْدِرُّ بِالْمُومِ وَيُورِدُ<sup>(۳)</sup>  
 يَا آلَ مَذْحِجٍ ، لَا مَقَامَ ، فَشَمَّرُوا إِنَّ الْعَدُوَّ لِيَالِ أَحْمَدَ يَقْصِدُ  
 هَذَا عَلَى كَلْمٍ لَلَّاحِ تَحْفَهُ وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعَدُ<sup>(۴)</sup>  
 خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ إِنَّ يَهْدِيكُمْ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا  
 مَا زَالَ مُذْ شَهِدَ الْحُرُوبَ مُظْفَرًا وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُفْقَدُ  
 قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفا بعده ، فقال  
 رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهي القائلة :  
 إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الحسين فلم تزلْ بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيَا مَهْدِيَا  
 فَاذْهَبْ ، عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ حَمَامَةٌ قُمْرِيَا<sup>(۵)</sup>

(۱) في صبح الأعشى « جشمية » ، وهو تحريف : وتحريره : ما ذكرنا . (۲) وفي بلاغات النساء : « تشنين قربي » أي تبغضين . (۳) عزب : بعد . (۴) سعود النجوم عشرة : سعد بلع ( بضم ففتح ) وسعد الأخبية ، وسعد الذابح ، وسعد السعود ، وهذه الأربعة من منازل القمر ، وسعد ناشرة ، وسعد الملك ، وسعد البهام ككتاب ، وسعد الهام كشجاع ، وسعد البارح ، وسعد مضر . وهذه الستة ليست من المنازل . (۵) ضرب من الحمام والجمع قارى .

قد كنت بعد محمد خلفاً كما أوصى إليك بنا ، فكنت وفياً  
واليوم لا خلفٌ يؤمل بعده هيات ناملُ بعده إنسياً

قالت : يا أمير المؤمنين لسان نطق ، وقول صدق ، واثن تحقق فيك ما ظننا ،  
لحظك الأوفر ، والله ما أورثك الشنآن<sup>(۱)</sup> في قلوب المسلمين إلا هؤلاء ، فأدحض  
مقاتلهم ، وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ، ومن المؤمنين  
حباً ، قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت : ياسبحان الله ، والله ما مثلك من مدح  
بباطل ، ولا اعتذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا ، كان والله  
على أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك قال : بمن ؟ قالت : من مروان  
ابن الحكم وسعيد بن العاص . قال : وبم استحققت ذلك عندك ؟ قالت بسعة حملك ،  
وكريم عفوك ، قال : وإنيهما يطمعان في ذلك ؟ قالت : هما والله لك من الرأي على مثل  
ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى<sup>(۲)</sup> . قال : والله لقد قاربت ، فما حاجتك ؟  
قالت : يا أمير المؤمنين إن مروان تبذرك<sup>(۳)</sup> بالمدينة تبذرك من لا يريد منها البراح ،  
لا يحكم بعدل . ولا يقضى بسنة ، يتتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ،  
حبس ابن ابني ، فأتيته ، فقال : كيت وكيت ، فألقمته أحسن من الحجر ، وألقمته  
أمر من الصبر ، ثم رجعت إلى نفسي باللائمة ، وقلت : لم لا أصرف ذلك إلى من هو  
أولى بالعفو منه ، فأنتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً ، وعليه معدياً<sup>(۴)</sup> ،  
قال : صدقت ، لا أسألك عن ذنبه ولا عن القيام بحجته ، اكتبوا لها بإطلاقه . قالت :  
يا أمير المؤمنين ، وأنى لي بالرجعة ، وقد نفذ زادي ، وكنت راحتي ، فأمر لها براحة  
موظاة ، وخمسة آلاف درهم .

(العقد الفريد ۱ : ۱۳۱ ، وصبح الأعشى ۱ : ۲۵۷ ، وبلاغات النساء ص ۶۷)

(۱) البغض . (۲) تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك كما كنت تأملها بعد عثمان . (۳) تبذرك  
به : أقام . (۴) أعداد عليه : نصره ، وأعانته ، وقواه .

## ٣٦٩ - وفود بكاره الهلالية على معاوية

استأذنت بكاره الهلالية على معاوية بن أبي سفيان ، فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة ،  
فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنّت ، وعشبي<sup>(١)</sup> بصرها ، وضعت قوتها ، ترعش  
بين خادمين لها ، فسلمت وجلست فردّ عليها معاوية السلام ، وقال : كيف أنت  
يا خالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : غيرك الدهر ، قالت : كذلك هو  
ذو غير<sup>(٢)</sup> ، من عاش كبير ، ومن مات قير ، قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة  
يا أمير المؤمنين :

يا زيدُ دونك فأحتقر من دارنا      سيفًا حُسامًا في التراب دفينًا  
قد كنتُ أذخره ليوم كربيّة      فاليوم أبرزه الزمانُ مَصُونًا

قال مروان : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أرى ابنَ هندٍ للخلافة مالكا      هيات ، ذاك - وإن أراد - بعيدُ  
مَنّتك نفسك في الخلاء ضلالة      أغراك عمرو للشقا وسعيدُ

قال سعيد بن العاص هي والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى      فوق المنابر من أمية خاطبا  
فاللهُ آخرُ مُدَّتني فتطاوات      حتى رأيت من الزمان عجائبها  
في كلِّ يومٍ للزمانِ خطيبُهم      بين الجميع لآل أحمد عابها

ثم سكت القوم ، فقالت بكاره : نبعثني كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتني ،  
فقصر محجبي<sup>(٣)</sup> ، وكثر عجبى ، وعشبي بصرى ، وأنا والله قائلة ما قالوا ، لا أدفعُ ذلك  
بتكذيب ، وما خفي عليك منى أكثر ، فامض لشأنك ، فلا خير في العيش بعد

(١) ضعف . (٢) ذو أحداث . (٣) تناوبتني وتداولتني ، والمهجن : للمصا المعطوفة الرأس .

أمیر المؤمنین ، فضحك معاوية وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك ، اذ كرى حاجتك ،  
قالت : أما الآن فلا .

وقيل : إنه قد قضى حوائجها وردّها إلى بلادها .

( المقدم الفريد ۱ : ۱۳۰ / ، وبلاغات النساء ص ۳۹ )

### ۳۷۰ - وفود أروى بنت الحرث بن عبد المطلب على معاوية

دخلت أروى بنت الحرث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبير ، فلما رآها  
معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا عمّة ، فكيف كنت بعدنا ؟ فقالت : « يا بن أخي ،  
لقد كفرت يدّ النعمة ، وأسأت لابن عمك الصّحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت  
غير حقتك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، ولقد كفرتم  
بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فأنعس الله منكم الجُدود<sup>(۱)</sup> ، وأضرع<sup>(۲)</sup> منكم  
الخدود ، وردّ الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا  
صلى الله عليه وسلم هو المنصور ، فوايتم علينا من بعده - وتحتجّون بقرابتكم من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، أقرب إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر - فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل  
في آل فرعون ، وكان على بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا صلى الله عليه وسلم بمنزلة  
هرون من موسى<sup>(۳)</sup> ، فغايبتنا الجنة ، وغابتكم النار » .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة ، وأقصرى من قولك ، وغضّى

(۱) جمع جد: وهو الحظ . (۲) أذل ، وفي بلاغات النساء « وأصمر » . (۳) ورواية  
بلاغات النساء : « فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ، وفصيباً وقدراً ، حتى قبض الله نبيه صل  
الله عليه وسلم ، مغفوراً ذنبه ، مرفوعاً درجته ، شريفاً عند الله مرضياً ، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم  
موسى من آل فرعون ، يذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا  
بمنزلة هرون من موسى حيث يقول : « يا بن أمّ إنّ النّوم استضعفوني ، وكادوا يقتلوني »  
ولم يجمع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شمل ، ولم يسهل لنا وعمر » .

من طَرَفِكَ، قالت : وَمَنْ أَنْتَ ، لا أَمَّ لَكَ ؟ قال : عمرو بن العاص ، قالت : يا ابن اللخناء (۱)  
 النابغة تتكلم ، وأُمَّكَ كانت أشهر امرأة تغنى بمكة ، وآخَذَهُنَّ لِأَجْرَةٍ ! اِرْبَعِ عَلَيَّ  
 ظَلَمَكَ ، وَاغْنِ بِشَأْنِ نَفْسِكَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ مِنْ قَرِيشٍ فِي الْأَبَابِ مِنْ حَسَبِهَا ، وَلَا كَرِيمٍ  
 مَنصِبِهَا ، وَاقْدَادُ عَاكَ خَمْسَةٌ (۲) نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ ، كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ أَبُوكَ ، فَسَنَاتُ أُمَّكَ  
 عَنْهُمْ ، فَقَالَتْ : كُلُّهُمْ أَتَانِي ، فَانظُرُوا أَشْبَهُهُمْ بِهِ ، فَأَلْحِقُوهُ بِهِ ، فَغَلَبَ عَلَيْكَ شَبَهُ الْعَاصِ  
 ابْنِ وَاثِلٍ ، فَلَحِقَتْ بِهِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أُمَّكَ أَيَّامَ مَنِيَّ بِمَكَّةَ مَعَ كُلِّ عَبْدٍ عَاهِرٍ (۳) ، فَأَتَمُّ بِهِمْ  
 فَإِنَّكَ بِهِمْ أَشْبَهُ .

فقال مروان : كَفَى أَيْتَاهَا الْعَجُوزُ ، وَأَقْصَرَى مَا جِئْتُ لَهُ ، سَاخَ بِصَرْكَ مَعَ ذَهَابِ  
 عَقْلِكَ ، فَلَا تَجُوزُ شَهَادَتِكَ ، فَقَالَتْ : وَأَنْتِ أَيْضًا يَا ابْنَ الزَّرْقَاءِ تَتَكَلَّمُ ؟ فَوَاللَّهِ لَأَنْتِ إِلَى  
 سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ أَشْبَهُ مِنْكَ بِالْحَكَمِ ، وَإِنَّكَ لَشَبَهُهُ فِي زُرْقَةِ عَيْنَيْكَ ، وَخُمْرَةِ  
 شَعْرِكَ ، مَعَ قِصْرِ قَامَتِهِ ، وَظَاهِرِ دِمَامَتِهِ (۴) ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَكَمَ مَا ذُو (۵) الْقَامَةِ ، ظَاهِرِ  
 الْإِمَةِ (۶) ، سَبَّطِ (۷) الشَّعْرَ ، وَمَا بَيْنَ يَدَيْكَمَا قَرَابَةٌ إِلَّا كَقَرَابَةِ الْفَرَسِ الضَّامِرِ مِنَ الْأَتَانِ  
 الْمُقْرَبِ (۸) ، فَاسْأَلِ أُمَّكَ تَخْبِرُكَ بِشَأْنِ أَبِيكَ إِنْ صَدَقَتْ ، ثُمَّ التَفَعَّتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَتْ :  
 وَاللَّهِ مَا جَرَأَ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ غَيْرُكَ ، وَإِنْ أُمَّكَ لِلْقَائِلَةِ يَوْمَ أُحُدٍ فِي قَتْلِ حِمْرَةَ رَحِمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ :  
 نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سَعْرِ (۹)  
 مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ أَبِي وَعَمِّي وَأَخِي وَصِهْرِي (۱۰)

(۱) رجل ألحن وأمة اللحناء : لم يخننا ، ولحن السقاء ، وغيره كفرح : أنتن ، والجوزة فسدت ،  
 ومن شتم العرب « يا ابن اللخناء » كأنهم يقولون يادني الأصل ، أو يالشم الأم ، والنابغة أم عمرو ، وقد  
 تقدمت - انظر ص ۲۵ . (۲) وفي بلاغات النساء « ستة » . (۳) فاجر . (۴) الدمامة : القبح .  
 (۵) ممتدا . (۶) الإمة بالسكرويضم : الشأن والنعمة والمهينة . (۷) طويلة . (۸) الأتان : الحمارة ،  
 والمقرب التي قرب ولادها فيكون بطنها كبيرا . (۹) السعير بالفتح مصدر سعير الحرب : أي أوقدها ،  
 وبالضم : الجنون . (۱۰) قتلوا أربعهم يوم بدر : أبوها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - قيل اشترك  
 في قتله علي ، وحمزة ، وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب - وعمها شيبه بن ربيعة - قتله حمزة - وأخوها  
 الوليد بن عتبة - قتله علي - وابن زوجها حنظلة بن أبي سفيان - وليست هندامه ، قيل اشترك في قتله حمزة ،  
 وعلى ، وزيد بن حارثة .

شَفَيْتَ (وَخَشِيٌّ) غَلِيلَ صَدْرِي      شَفَيْتَ نَفْسِي وَقَضَيْتَ نَذْرِي (۱)  
فَشُكْرُ وَخَشِيٍّ عَلَيَّ دَهْرِي      حَتَّى تَرِمَّ أُعْظَمِي فِي قَبْرِي (۲)

فأجبتها :

يَابْتَ جَبَّارٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ      خَزَيْتِ فِي بَدْرِ وَغَيْرِ بَدْرِ  
صَبَّحَكَ اللَّهُ قُبَيْلَ الْفَجْرِ      بِالْهَاشِمِيِّينَ الطَّوَالِ الزُّهْرِ (۳)  
بِكُلِّ قَطَاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي      حَمَزَةَ لَيْثِي ، وَعَلِيَّ صَقْرِي

فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما ! أنما عَضْتُمَانِي لَهَا ، وَأَسْمَعْتُمَانِي مَا أَكْرَهُ ،  
ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا عَمَّةُ اقْصِدِي قَصْدَ حَاجَتِكَ ، وَدَعِي عَنكَ أُسَاطِيرَ لِلنِّسَاءِ ، قَالَتْ :  
تَأْمُرُنِي بِأَنِّي دِينَارٌ ، وَأَلْفِي دِينَارٌ ، وَأَنِّي دِينَارٌ ، قَالَ : مَا تَصْنَعِينَ يَا عَمَّةُ بِأَنِّي دِينَارٌ ؟  
قَالَتْ : أَشْتَرِي بِهَا عَيْنًا خَرَّ خَارَةً (۴) فِي أَرْضِ خَوَّارَةَ (۵) ، تَكُونُ لَوْلَدِ الْحَارِثِ بْنِ  
عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، قَالَ : نَعِمُ الْمَوْضِعُ وَضَعْتِهَا ، فَمَا تَصْنَعِينَ بِأَنِّي دِينَارٌ ؟ قَالَتْ : أُزَوِّجُ بِهَا  
فَتِيمَانَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ مِنْ أَكْفَائِهِمْ ، قَالَ : نَعِمُ الْمَوْضِعُ وَضَعْتِهَا ، فَمَا تَصْنَعِينَ بِأَنِّي دِينَارٌ ؟  
قَالَتْ : أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى عُسْرِ الْمَدِينَةِ ، وَزِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، قَالَ : نَعِمُ الْمَوْضِعُ  
وَضَعْتِهَا ، هِيَ لَكَ نَعْمٌ وَكَرَامَةٌ (۶) ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ عَلَيَّ مَا أَمَرَ لَكَ بِهَا ،  
قَالَتْ : صَدَقْتَ ، إِنْ عَلِيًّا أَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَعَمِلَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَأَخَذَ بِهِ ، وَأَنْتِ ضِيَعْتَ  
أَمَانَتَكَ ، وَخُنْتَ اللَّهَ فِي مَالِهِ ، فَأَعْطَيْتَ مَالَ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ ، وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ  
الْحَقُوقَ لِأَهْلِهَا وَبَيْنَهَا ، فَلَمْ تَأْخُذْ بِهَا ، وَدَعَانَا (أَيَّ عَلِيٍّ) إِلَى أَخْذِ حَقِّنَا ، الَّذِي فَرَضَ

(۱) وحشي: غلام جبیر بن مطعم قاتل حمزة يوم أحد . (۲) رم العظم كضرب وأرم: بلى فهو رميم .  
(۳) الزهر: الحسان البيض الوجوه . (۴) الخرخار: الماء الجاري ، أي عين ماء جارية .  
(۵) المراد أرض سهلة تصلح للزراعة ، من قولهم: خوار العنان ، أي سهل المعطف ، كثير الجرى .  
(۶) يقال: نعم عين ونعمة ونعام ونعيم بفتحهن ، ونعمي ونعمائي ونعام ونعم ونعمة بضمهن ، ونعمة  
ونعام بكسرهما : أي أفل ذلك إنعاما لعينك وإكراما .

الله لَنَا فَشُغِلْ بِحَرْبِكَ عَنْ وَضْعِ الْأُمُورِ مَوَاضِعَهَا ، وَمَا سَأَلْتُكَ مِنْ مَالِكَ شَيْئًا فَتَمَنَّ بِه ،  
 إِنَّمَا سَأَلْتُكَ مِنْ حَقِّنَا ، وَلَا نَرَى أَخْذَ شَيْءٍ غَيْرِ حَقِّنَا ، أَتَذْكَرُ عَلِيًّا ؟ فَضَّ اللهُ فَاكَ (۱) ،  
 وَأَجْهَدَ بِلَاءَكَ ، ثُمَّ عَلَا بِكَأُوهَا وَجَعَلَتْ تَنْدُبَ عَلِيًّا ، فَأَمْرٌ لَهَا بِسِتَّةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَقَالَ  
 لَهَا : يَا عَمَّةُ : أَنْفِقِي هَذِهِ فِيمَا تَحْبِبِينَ ، فَإِذَا احْتَجَجْتِ فَأَكْتُبِي إِلَى ابْنِ أَخِيكَ يُحْسِنُ صَفَدَكَ (۲)  
 وَمَعُونَتِكَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ . (العقد الفريد ۱ : ۱۳۴ ، بلاغات النساء ص ۳۲)

### ۳۷۱ - أم البراء بنت صفوان ومعاوية

استأذنت أم البراء بنت صفوان على معاوية فأذن لها ، فدخلت عليه وعليها ثلاثة  
 دروع (۳) (بُرُودٍ) تسحبها ذراعا ، قد لائت (۴) على رأسها كوزًا كالمنسف ،  
 فسألت وجلست ، فقال لها معاوية : كيف أنتِ يَا بِنْتَ صَفْوَانَ ؟ قالت : بخير  
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قال : كيف حالك ؟ قالت ضعفت بعد جلد ، وَكَيْسَلْتُ بعد نشاط ،  
 قال : شَتَّانَ بَيْنَكَ الْيَوْمَ وَحِينَ تَقُولِينَ :

يَا زَيْدُ دُونَكَ صَارِمًا ذَا رَوْتَقِي عَضْبَ الْمَهْزَةِ لَيْسَ بِالْخَوَارِ (۵)  
 أَسْرِجُ جَوَادِكَ مُسْرِعًا وَمُشْمَرًا لِلْحَرْبِ غَيْرَ مُعَرِّدٍ لِفِرَارِ (۶)  
 أَجِبِ الْإِمَامَ وَذُبُّ نَحْتِ لَوَائِهِ وَالْقَ لِلْعَدُوِّ بِصَارِمٍ بَتَّارِ  
 يَا لَيْدَنِي أَصْبَحْتُ لَسْتُ قَعِيدَةً فَأَذُبُّ عَنْهُ عَسَاكِرَ الْفُجَّارِ  
 قالت : قد كان ذلك ، ومثلك من عفا ، والله تعالى يقول : « عَفَا اللهُ عَنْمَا سَلَفَ ،  
 وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ » قال : هيهات ، أما والله لو عاد لعُدَّتِ ، وإلكنه

(۱) تدعو عليه : أى نثر الله أسنانك . (۲) الصغد : العطاء . (۳) درع المرأة : قبضها  
 (مذكر) ودرع الحديد مؤنث وقد يذكر . (۴) اللوث : عصب العمامة ، والكور : لوث العمامة  
 وإدارتها ، والمنسف : ما ينفض به الحب ، شئ طويل منصوب الصدر أعلاه مرتفع . (۵) العضب :  
 السيف القاطع ، والخوار من خار : إذا ضعف وكل . (۶) مرد تعريدا ، وعرد كسبح : هرب .



اخْتَرِمَ<sup>(١)</sup> مِنْكَ ، قَالَتْ : أَجَلٌ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَعَلِي بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّي ، وَهَدَىٰ مِن أَمْرِي ،  
قَالَ : كَيْفَ كَانَ قَوْلُكَ حِينَ قُتِلَ ؟ قَالَتْ : أَنْسَيْتُهُ ، قَالَ بَعْضُ جَلَسَائِهِ : هُوَ وَاللَّهِ  
حِينَ تَقُولُ :

يَا لِرَجَالٍ لِعُظْمِ هَوْلٍ مَّصِيبَةٍ فَدَحَّتْ ، فَلَيْسَ مُصَابِرًا بِالْحَائِلِ<sup>(٢)</sup>  
الشمس كاسفةً لفقْدِ إمامنا خير الخلائق والإمام العادل  
يا خيرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمَنْ مَشَىٰ فوق الترابِ لِحَيْفٍ أَوْ نَاعِلِ  
حاشا النبيَّ لقد هَدَدَتْ قُوءَاءَنَا فَالْحَقُّ أَصْبَحَ خَاضِعًا لِلْبَاطِلِ<sup>(٣)</sup>

فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : قَاتِلِكَ اللهُ ! فَمَا تَرَكْتِ مَقَالًا لِقَائِلِ ، إِذْ كَرِمِي حَاجَتُكَ ، قَالَتْ :  
أَمَّا الْآنَ فَلَا ، وَقَامَتْ فَعَثَرَتْ ، فَقَالَتْ : تَمَسَّ شَأْنِي عَلَى<sup>(٤)</sup> ، فَقَالَ : زَعَمْتِ أَنْ لَا ،  
قَالَتْ هُوَ كَمَا عَلِمْتَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَعَثَ إِلَيْهَا بِجَائِزَةٍ ، وَقَالَ : إِذَا ضَيَعَتْ الْحِلْمُ  
فَمَنْ يَحْفَظُهُ ؟ ( صبح الأعمش ١ : ٢٦١ بلاغات النساء ص ٧٨ )

### ٣٧٢ - دارمية الحجونية ومعاوية

وَحَجَّ مَعَاوِيَةَ سَنَةً مِّن سِنِيهِ ، فَسَأَلَ عَنْ امْرَأَةٍ مِّن بَنِي كِنَانَةَ كَانَتْ تَنْزِلُ  
بِالْحَجُونَ<sup>(٥)</sup> ، يُقَالُ لَهَا دَارِمِيَّةُ الْحَجُونِيَّةُ ، وَكَانَتْ سُودَاءَ كَثِيرَةَ اللَّحْمِ ، فَأَخْبَرَ بِسَلَامَتِهَا ،  
فَبَعَثَ إِلَيْهَا فُجِيءًا بِهَا ، فَقَالَ : مَا حَالُكَ يَا بِنْتَ حَامِرٍ ؟ فَقَالَتْ : لَسْتُ لِحَامٍ إِنْ عِبْتَنِي ،  
إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ مِّن بَنِي كِنَانَةَ ، نَمَتَ مِنْ بَنِي أَبِيكَ ، قَالَ : مَدَقْتِ ، أَنْتِ بِنْتُ لِيْلِمٍ بَعَثْتُ  
إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ : بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ : عَلَامَ أَحْبَبْتِ عَلِيًّا  
وَأَبْغَضْتِنِي ، وَوَالِيَّتِهِ وَعَادِيَّتِنِي ؟ قَالَتْ : أَوْ تُعْفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا أُعْفِيكَ ،

(١) هلك . (٢) المتحول : المتغير . (٣) جمع القوة قوى ، وإنما قالت قواء بالمد للضرورة .

(٤) أى مبنضه . (٥) الحجون : جبل بعملاء مكة .

قالت : « أما إذ أبيت فإني أحببتُ علياً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتُك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطببتُك<sup>(۱)</sup> ما ليس لك بحق ؛ وواليتُ علياً على ما عهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء<sup>(۲)</sup> ، وعلى حبة المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقك العصا ، وجورك في القضاء ، وحكك بالهوى »

قال : ولذلك انتفخ بطنك ، وعظمُ ثدياك ، ورَبَّتْ عَجِيْزَتُكَ ، قالت : يا هذا بهنْدِ<sup>(۳)</sup> والله كان يُضرب المثل في ذلك لآبي ، قال معاوية : يا هذه اربعي<sup>(۴)</sup> ، فإننا لم نقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تمَّ خنق ولدها ، وإذا عظمُ ثديها ترَوَّى<sup>(۵)</sup> رضيها وإذا عظمت عَجِيْزَتُهَا رَزُنَ مجاسها ، فرجعت وسكنت ، فقال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت : إي والله لقد رأيتُه ، قال : فكيف رأيتُه ؟ قالت : رأيتُه والله لم يفتنه الملك الذي فتنتك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك ، قال : فهل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيت الطست من الصدأ ، قال . صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت . أو تفعل إذا سألتك ؟ قال . نعم ، قالت . تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها ، قل : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بالبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكتسب بها المسك ، وأصلح بها بين العشار ، قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أحلّ عندك محلّ عليّ بن أبي طالب ؟ قالت : ما ولا كصداء<sup>(۶)</sup> ،

(۱) الطلبة : الطلب . (۲) تشير إلى قوله : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .  
 (۳) هي أمه هند بنت عتبة . (۴) ربع : وقف وانتظر وتحبس . (۵) ارتوى .  
 (۶) صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها . ويروى عن ابنة هاني بن قبيصة : أنه لما قتل لقيط بن زرارة ( من دارم ) تزوجها رجل من أهلها ، فكان لا يزال يراها تذكر لقيطاً ، فقال لها ذات مرة : ما استحسنيت من لقيط ؟ قالت : كل أموره حسن ، ولكنني أحدثك أنه خرج إلى الصيد مرة وقد ابتنى بي ، فرجع إلى ، وبقيصه نضح من دماء صيد ، والمسك يضوع من أعطافه ، ورائحة الشراب من فيه ، فضمني ضمة ، وشعني شمة ، فليتني مت ثمة ، ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها ، وقال لها : أين أنا من لقيط ؟ قالت : ما ولا كصداء .

وَمَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ<sup>(١)</sup> ، وَفَتَى وَلَا كَالِكِ<sup>(٢)</sup> ، سَبَّحَانَ اللَّهِ أَوْ دُونَهُ ، فَأَنْشَأَ مَعَاوِيَةَ يَقُولُ :

إِذَا لَمْ أَعُدْ بِالْحَلْمِ مِنْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي بَعْدِي يُؤَمِّلُ لِلْحِلْمِ  
خُذِيهَا هَنِيئًا ، رَاذِ كَرِي فِعْلَ مَا جِدِ جَزَاكَ عَلَى حَرْبِ الْعِدَاوَةِ بِالسَّلْمِ  
ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ عَلَى حَيًّا مَا أَعْطَاكَ مِنْهَا شَيْئًا ، قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ  
وَلَا وَبَرَّةٍ وَاحِدَةً مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

(العقد الفريد ١ : ١٣٢ وصبح الأعشى ١ : ٢٥٩ وبلاغات النساء ص ٦٧)

### ٣٧٣ — شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ وَمَعَاوِيَةَ

وَأَمْرَ مَعَاوِيَةَ شَدَادِ بْنِ أَوْسِ الطَّائِيِّ أَنْ يَدْنُقَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي افْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَجَعَلَ رِضَاهُ عِنْدَ أَهْلِ التَّقْوَى آثَرَ مِنْ رِضَا خَلْقِهِ ، عَلَى ذَلِكَ مَضَى أَرْهَمُ ، وَعَلَيْهِ يَمُضَى آخِرُهُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْآخِرَةُ وَعَدُّ صَادِقٍ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ، وَإِنْ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَا كُلُّ مَنْهَا الْبُرِّ وَالْفَاجِرِ ، وَإِنْ السَّامِعُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ لَاحِجَّةٌ عَلَيْهِ ، وَإِنْ السَّامِعُ الْعَاصِيَّ لِلَّهِ لَاحِجَّةٌ لَهُ . وَإِنْ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ بِالْعِبَادِ صَلَاحًا عَمِلَ عَلَيْهِمْ صُدْحَاؤُهُمْ ، وَقَضَى بَيْنَهُمْ فِقْهَاؤُهُمْ ، وَمَلَكَ الْمَالِ سُمْحَاؤُهُمْ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِمْ شَرًّا ، عَمِلَ عَلَيْهِمْ سُفْهَاؤُهُمْ ، وَقَضَى فِيهِمْ جَهْلَاؤُهُمْ ،

(١) السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من أفضل مراعى الإبل ، ولا تحسن على نبت حسنها عليه ، وأوله من قال ذلك الحنساء بنت عمرو بن الشريد ، وذلك أنها أقبلت من الموسم ؛ فوجدت الناس مجتمعين على هند بنت عتبة بن ربيعة ؛ ففرجت عنها وهي تنشدهم مرأى في أهل بيتها ؛ فلما دنت منها قالت : على من تبكين ؟ قالت : أبكى سادة مضوا ؛ قالت : فأنشدني بعض ما قلت ؛ فأنشدها ، فقالت الحنساء : مرعى ولا كالسعدان ثم أنشدها ما رثت به أخاها صحرا . وقيل إن المثل لامرأة من طيبىء كان زوجها امرؤ القيس بن حجر السكندى وكان مفركا ( بفتح الراء تبيضه النساء ) فقال لها : ابن أنا من زوجك الأول ؟ فقالت : مرعى ولا كالسعدان . (٢) قاله متمم بن نويرة في أخيه مالك لما قتل في الردة . والأمثال الثلاثة تصرف للشيء يفضل على أقرانه .

وملك المالُ مُخْلَاؤُهُمْ ، وَإِنْ مِنْ صَلَاحِ الْوَلَاةِ أَنْ يَصْلُجَ قَرْنَائُهَا ، وَنَصَحَ لَكَ يَا مَعَاوِيَةَ مَنْ أَسْخَطَكَ بِالْحَقِّ ، وَغَشَّكَ مِنْ أَرْضَاكَ بِالْبَاطِلِ .

قال : اجلس رحمك الله قد أمرنا لك بمال ، قل : « إن كان من مالك الذي تعهدت بجمعه مخافة تبعته ، فأصبته حلالا ، وأنفقته إفضالا ، فنعم ، وإن كان مما شارك فيه المسلمون ، فاحتججته<sup>(١)</sup> دونهم ، فأصبته افترافا ، وأنفقته إسرافا ، فإن الله يقول في كتابه : « إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٠ )

\* \* \*

وروى أن معاوية قال له : « يا شداد ، أنا أفضل ، أم عليّ ؟ وأيننا أحبُّ إليك ؟ » ، فقال : « عليّ أقدمُ هجرةً ، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقاً ، وأشجعُ منك قلباً ، وأسلمُ منك نفساً ، وأما الحب ، فقد مضى عليّ ، فأنت اليوم عند الناس أرحبُ منه » .

( ميون الأخبار م ٢ : ص ٢١١ )

### ٣٧٤ - معاوية ورجل من أهل سبأ

وقال معاوية لرجل من أهل سبأ : « ما كان أجهل قومك ، حين ملكوا عليهم امرأة » ، فقال : « بل قومك أجهل ، قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحق ، وأراهم البيئات : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » ، ألا قالوا : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاهْدِنَا لَهُ ! » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٠ )

(١) احتجج المال : ضمه واحتواه .

## ۳۷۵ - حدیث معاویة مع عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان

سأل معاویة بعد الاستقامة<sup>(۱)</sup> عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان فقال له :

كيف علمك بقومك ؟ قال : كعلمي بنفسي ، قال : ما تقول في مراد ؟ قال : مذكر كوا  
الأوتار ، وحماة الذمار ، ومحرزوا الخطار<sup>(۲)</sup> ، قال : فما تقول في النخع ؟ قال : مانعو  
السرب<sup>(۳)</sup> ، ومُسعرُ الحرب ، وكاشفُ الكرب ، قال : وما تقول في بني الحرث ؟  
ابن كعب ؟ قال : فرأجو اللكك ، وفرسان العراك ، ولزاز الضكك ، تراك<sup>(۴)</sup>  
تراك ، قال : فما تقول في سعد العشيرة ؟ قال : مانعو الضيم ، وبأنو الريم ، وشافو  
الغيم<sup>(۵)</sup> قال : ما تقول في جعفي ؟ قال : فرسان الصباح<sup>(۶)</sup> ، ومعلمو الرماح ، ومبارزو  
الرياح ، قال : ما تقول في بني زبيد قال : كفاة أنجاد<sup>(۷)</sup> ، سادات أمجاد ، وقور عند  
الذیاد<sup>(۸)</sup> صبر عند الطراد ، قال : ما تقول في جنب ؟ قال : كفاة يمنعون عن الحریم ،  
ویفرجون عن الكظیم<sup>(۹)</sup> ، قال : فما تقول في صداء ؟ قال : سمام الأعداء ،

(۱) أي بعد استقامة الأمر له : عام الجماعة . (۲) جمع وتر : وهو الثار ؛ والذمار : ما يلزمك  
حفظه وحمايته ؛ والخطار : جمع خطر بالتحريك ، وهو السبق يتراهن عليه . (۳) السرب : مارعى  
من المال . (۴) اللكك : الزحام ؛ ومثلها الضكك ؛ ولزه كرده : شدة والصقه واللزاز  
ككتاب : خشبة يلز بها الباب ؛ وفلان لزاز العظامم : أي يلز بها ويقرن ليذالها ومنه قول أبيد :

إنا إذا التقت المجامع لم يزل منا لزاز عظيمة جسامها

وتراك : اسم فعل بمعنى اترك ، والأمر هنا للتعظيم ، أي دِع هؤلا ولا تتحدث بشأنهم ، فإنهم في اسمي  
مكان . (۵) الریم : الدرجة والفضل والزيادة ، والغيم : العطش . (۶) الغارة .

(۷) ضبط في الأمالى بفتح الزاي ، وهو خطأ ، زبيد كزبير : بطن من مذحج ، رهط عمرو بن معديكرب  
وكأمير : بلد باليمن ، وكفاة جمع كفي : وهو الشجاع أو لايس السلاح ، والأنجاد جمع نجد كشهم وكتف ورجل :  
الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . (۸) وقور جمع وقور ، وصبر جمع صبور ، والذیاد والذود : الدفع .

(۹) الكظیم والمسكطوم : المسكروب .

وَمَسَاعِيرُ الْهَيْجَاءِ<sup>(١)</sup> ، قال : فما تقول في رَهَاءٍ ؟ قال : يُنْمَنُّهُونَ<sup>(٢)</sup> عادية الفوارس ،  
رَبْرِدُونَ الموتَ وَرَدَّ الْخَوَامِسَ<sup>(٣)</sup> قال : أنت أعلم بقومك .

( الأما لي ١ : ١٦٠ )

### ٣٧٦ - حديث الخيار بن أوفى النهدي مع معاوية

دخل الخيار بن أوفى النهدي على معاوية ، فقال له : يا خيار كيف تجدك ،  
وما صنع بك الدهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، صدع الدهر قناتي ، وأثكلني لداتي<sup>(٤)</sup>  
وأوهى عمادي ، وشيب سوادى ، وأسرع في تيلادي<sup>(٥)</sup> ، ولقد عشتُ زمناً أصبى  
الكعاب<sup>(٦)</sup> ، وأسرت الأصباب ، وأجيد الضراب<sup>(٧)</sup> ، فبان ذلك عني ، ودنا الموت مني ،  
وأنشأ يقول :

غَبَرْتُ زَمَانًا يَرْهَبُ الْقِرْنَ جَانِبِي	كَأَنِّي شَدِيمٌ بَاسِلٌ الْقَلْبُ خَادِرٌ <sup>(٨)</sup>
يَخَافُ عَدُوِّي صَوَلَتِي وَيَهَابُنِي	وَبُكْرِمِي قِرْنِي وَجَارِي الْمَجَاوِرُ
وَتُصْبِي الْكِعَابَ لِمَتِي وَشِمَائِلِي	كَأَنِّي غُصْنٌ نَاعِمٌ النَّبْتُ نَاضِرٌ <sup>(٩)</sup>
فَبَانَ شِبَابِي وَاعْتَرَتْنِي رَثِيَّةٌ	كَأَنِّي قَنَاةٌ أَطْرَتْهَا الْمَآطِرُ <sup>(١٠)</sup>
أَدِبٌ إِذَا رُمْتُ الْقِيَامَ كَأَنِّي	لَدَى الْمَشْيِ قَرْمٌ قَيْدُهُ مُتَقَاصِرٌ <sup>(١١)</sup>
وَقَصْرُ الْفَتَى شَيْبٌ وَمَوْتٌ كَلَاهَا	لَهُ سَائِقٌ يَسْعَى بِذَاكَ وَنَاطِرٌ
وَكَيْفَ يَلْدُ الْعَيْشُ مَنْ لَيْسَ زَائِلًا	رَهِينَ أُمُورٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَادِرٌ

- (١) الهيجاء : الحرب ، وهو مسعر حرب (كدرهم) أى موقد نارها . (٢) يكفون .  
(٣) الخمس بالكسر : أن ترعى الإبل ثلاثة أيام ، وترد الرابع ، وهى إبل خوامس .  
(٤) اللدة : من ولد معك . (٥) التلاد : المال القديم .  
(٦) كعب ندى الجارية : نهد ، وهى كاعب وكعاب . (٧) ضرب الفحل ضراباً : فكح .  
(٨) القرن : كفؤك فى الشجاعة أو هام . والشتم : الأسد للعابس ، والخدر : أجمة الأسد . ومنه  
أسد خادر . (٩) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (١٠) الرثية : وجع المفاصل واليدين  
والرجلين . والأطر والتأطير : عطف الشيء ، وتأطر الرمح : تثنى واعوج . (١١) القرم : الفحل .

فقال معاوية : أحسنت القول ! واعلم أن لها مصادر ، فندسأل الله أن يجعلنا من  
الصادرين بخير ، فقد أوردنا أنفسنا موارد نرغب إلى الله أن يصدّرنا عنها وهو راض .  
(الأمال ٢ : ٩٤)

### ٣٧٧ - حديث عرابة بن أوس بن حارثة مع معاوية

قال معاوية لعرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري : بأي شيء سدت قومك يا عرابة ؟  
قال : أخبرك يا معاوية بأني كنت لهم كما كان حاتم لقومه . قال : وكيف كان ؟  
فأنشدته :

وأصبحتُ في أمرِ العشيرةِ كلِّها      كذبي الحلمُ برضى ما يقول ويعرف  
وذاك لأنني لأعادي مراءهم      ولا عن أخي ضرأهم أتفكف<sup>(١)</sup>  
وإني لأعطي سائلي ، ولرئماً      أكلفُ ما لا أستطيع فأكلفُ  
وإني لمذمومٌ إذا قيل : حاتم      نبا نبوةً ، إن الكريم يعنف  
ووالله إني لأعفو عن سفيهم ، وأحلمُ عن جاههم ، وأسى في حوائجهم ، وأعطي  
سائهم ، فمن فعل فإلى فهو مثلي ، ومن فعل أحسن من فإلى فهو أفضل مني ،  
ومن قصر عن فإلى فأنا خير منه ، فقال معاوية : لقد صدق الشماخ حيث  
يقول فيك :

رأيت عرابة الأوسى بسمو      إلى الخيرات منقطع القرين  
إذا ماراية رُفعت لمجدٍ      تلفأها عرابة باليمين  
(الأمال ١ : ٢٧٧)

(١) أي امتنع منه وأنف .

### ٣٧٨ - سعيد بن عثمان بن عفان ومعاوية

دخل سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه على معاوية ، وابنه يزيد إلى جانبه ، فقال له : « ائتمنك أبى واصطنعك ، حتى بأتك باصطناعه إياك المدى الذى لا يُجَارَى ، والغاية التى لا تُسَامَى ، فما جازبت أبى بالآله ، حتى قدّمت هذا على ، وجعلت له الأمر دونى - وأوما إلى يزيد - والله لأبى خير من أبيه ، وأمى خير من أمه ، ولأنا خير منه » ، فقال معاوية : « أمّا ما ذكرت يا بن أخى من تواتر آلائكم على ، وتظاهر نعمائكم لى ، فقد كان ذلك ، ووجب على المكافأة والمجازاة ، وكان شكركى إياه أن طلبتُ بدمه ، حتى كابدتُ أهوال البلاء ، وغشيتُ عساكر المفايا ، إلى أن شفيت حَزَازَاتُ الصدور ، ونجّيتُ تلك الأمور ، ولستُ لنفسى باللائم فى التشمير ، ولا الزارى<sup>(١)</sup> عليها فى التقصير ، وذكرتُ أن أباك خير من أبى هذا - وأشار بيده إلى يزيد - فصدقت ، لعمر الله لعثمانُ خير من معاوية ، أكرم كريماً وأفضل قديماً ، وأقرب إلى محمد صلى الله عليه وسلم رجحاً ، وذكرتُ أن أمك خير من أمه ، فلعمرى إن امرأة من قريش خير من امرأة من بنى كلب ، وذكرتُ أنك خير من يزيد ، فوالله يا بن أخى ما يسرنى أن الغوطة<sup>(٢)</sup> عليها رجال مثلُ يزيد .

فقال له يزيد : « مه يا أمير المؤمنين ، ابنُ أخيك استعمل الدالة عليك ، واستعقبك لنفسه ، واستزاد منك فزده ، وأجمل له فى ردك ، وأجمل على نفسك وواه خراسان بشفاعتى ، وأعنه بمال يُظهر به مؤروته » ، فولاه معاوية خراسان ، وأجازه بمائة ألف درهم فكان ذلك أعجب ما ظهر من حلم يزيد .

( صبح الأعشى ١ : ٢٥٦ والإمامة والسياسة ١ : ١٣٩ )

(١) زرى عليه : عابه . (٢) مدينة دمشق أو كورتها .



### ٣٧٩ - مصقلة بن هبيرة ومعاوية

مرض معاوية مرضاً شديداً ، فأرجف به مصقلة بن هبيرة ، وساعده قوم على ذلك ثم تمائل<sup>(١)</sup> ، وهم في إرجافهم ، فحمل زياد مصقلة إلى معاوية ، وكتب إليه أنه يجمع مرآقا من مرآق العراق ، فيرجفون بأمر المؤمنين ، وقد حملته إليه ليرى رأيه فيه ، فقدم مصقلة ، وجلس معاوية للناس ، فلما دخل عليه ، قال : ادن مني ، فدنا منه ، فأخذ بيده فذبّه فسقط مصقلة ، فقال معاوية :

أتى الحوادث من خيلك مثل جندلة المراحيم<sup>(٢)</sup>

صُلْباً إذا خار الرجا لُ أبل ممتنع الشكايم<sup>(٣)</sup>

قد رامى الأعداء قبلك فامتنت من المظالم

فقال مصقلة : « يا أمير المؤمنين ، قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك بطشاً وحلماً راجحاً ، وكلاً ومرعى لأويائك ، وسماً نافعاً لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين ، وأصبح الناس مسلمين وأنت أمير المؤمنين » وقام ، فوصله معاوية ، وأذن له في الانصراف إلى الكوفة ، فقبل له : كيف تركت معاوية؟ فقال : زعمت أنه كبير وضعف ، والله لقد غمزني غمزة كاد يحطمني ، وجدني جذبة كاد يكسر عضواً مني .  
( زهر الآداب ١ : ٥٧ والأمال ٢ : ٣١٥ )

### ٣٨٠ - روح بن زنباع ومعاوية

وولى معاوية روح بن زنباع ، فعتب عليه في جناية ، فكتب إليه بالقدوم ، فلما قدم أمر بضربه بالسياط ، فلما أقيم ليضرب قال : « نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهدي مني ركناً أنت بنيته ، أو أن تضع مني خسيصة أنت رفعتها أو تشمت بي عدوا أنت

(١) تمائل العليل : قارب البره . (٢) الجندل : الحجارة ، والواحدة جندلة .

(٣) الأبل : الممتنع ، والألد : الجدل ، والشكايم جمع شكيمة : وهي من اللجام الحديدية المعترضة

في فم الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أبي لاينقاد .

وَقَمْتَهُ<sup>(١)</sup> ، وَأَسَأَلْتُ بِاللَّهِ إِلَّا آتَى حِلْمُكَ وَعَفْوُكَ دُونَ إِفْسَادِ صِنَائِعِكَ » ، فَقَالَ مَعَاوِيَةَ :  
« إِذَا اللَّهُ سَنَى عَقْدَ أَمْرٍ تَيْسَّرًا » خَلُّوا سَبِيلَهُ .

( الأما لي ٢ : ٢٥٩ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٤ )

### ٣٨١ - مَخَاصِمَةُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ وَامْرَأَتِهِ بَيْنَ بَدِيِّ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ

جَرَى بَيْنَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ كَلَامٌ ، فِي ابْنِ كَانَ طَامِنَهُ ، وَأَرَادَ أَخْذَهُ مِنْهَا ، فَسَارَ إِلَى زِيَادٍ وَهُوَ وَالِي البَصْرَةِ .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : « أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، هَذَا ابْنِي ، كَانَ بَطْنِي وَعِجَابِي ، وَحِجْرِي فِنَاءَهُ ، وَتَدْبِي سِقَاءَهُ<sup>(٢)</sup> ، أَكَلَوُهُ<sup>(٣)</sup> إِذَا نَامَ ، وَأَحْفَظُهُ إِذَا قَامَ ، فَلَمْ أَزَلْ بِذَلِكَ سَبْعَةَ أَعْوَامَ ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَيْتُ فِصَالَهُ<sup>(٤)</sup> ، وَكَمَمْتُ خِصَالَهُ ، وَاسْتَوَكَمْتُ<sup>(٥)</sup> أَوْصَالَهُ ، وَأَمَلْتُ نَفْعَهُ ، وَرَجَوْتُ دَفْعَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي كَرهًا<sup>(٦)</sup> ، فَأَدِنِي<sup>(٧)</sup> أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، فَقَدَرَامَ قَهْرِي . وَأَرَادَ قَسْرِي<sup>(٨)</sup> » .

فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : « أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، هَذَا ابْنِي حَمَلْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ ، وَوَضَعْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَضَعَهُ ، وَأَنَا أَقُومُ عَلَيْهِ فِي أَدْبِهِ ، وَأَنْظُرُ فِي أَوْدِهِ ، وَأَمْنَحُهُ حِلْمِي ، وَأَلْهِمُهُ حِلْمِي ، حَتَّى يَكْمُلَ عَقْلُهُ ، وَيَسْتَحْكِمَ فَتْلَهُ » .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : « صَدَقَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، حَمَلْتُهُ خِفَاءً<sup>(٩)</sup> ، وَحَمَلْتُهُ ثِقَلًا ، وَوَضَعْتُهُ شَهْوَةً ، وَوَضَعْتُهُ كَرهًا » .

فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ : ارْدُدْ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلَدَهَا ، فَهِيَ أَحَقُّ بِه مِنْكَ ، وَدَعْنِي مِنْ سَجْعِكَ

أَوْ قَالَ : « إِنَّهَا امْرَأَةٌ عَاقِلَةٌ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ ، فَادْفَعْ ابْنَهَا إِلَيْهَا ، فَأَخْلِقْ أَنْ تُحْسِنَ أَدْبَهُ » .  
( الأما لي ٢ : ١٤ ، وَأَمَالِي السَّيِّدِ المَرْتَضَى ١ : ٢١٤ )

(١) وقته : قهره وأذله . وفي زهر الآداب : « كبتة » . (٢) السقاء : جلد المخلة يكون للماء واللبن . (٣) أرعاه . (٤) فطامه . (٥) اشتدت ومنتت . (٦) الإيباء والمشقة بالفتح والضم ، أو بالفتح : ما أكرهك غيرك عليه ، وبالضم ما أكرهت نفسك عليه . (٧) آداه على قلان : آداه وأعان . (٨) الإكراه . (٩) الحلف : الحليف .

## ٣٨٢ - صورة أخرى

وروى أحمد بن أبي طاهر طينور هذا الخبر بصورة أطول وهاكها :

قال أبو محمد القشيري : كان أبو الأسود الدؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلساً ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم ، فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشرف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي ، حتى حاذت معاوية ، وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ إن الله جعلك خليفة في البلاد ، ورفيقاً على العباد ، يُستسقى بك المطر ، وُستندبت بك الشجر ، ونُوِّف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف<sup>(١)</sup> ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فاسأل الله لك النعمة في غير تغبير ، والعافية من غير تعذير<sup>(٢)</sup> . قد أجانى إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاق على فيه المنهج ، وتفاقم على منه المخرج ، لأمر كرهت عاره<sup>(٣)</sup> ، لَمَّا خَشِبْتَ إظهاره ، فليُنصِفني أمير المؤمنين من الخصم ، فإني أعوذ بعقوته<sup>(٤)</sup> من العار الوبيل ، والأمر الجليل ، الذي يشتد على الحرائر ، ذوات البعول الأجار<sup>(٥)</sup> ، فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ، ومن فعله المشهر<sup>(٦)</sup> ؟ فقالت : هو أبو الأسود الدؤلي ، فالتفت إليه فقال : يا أبا الأسود : ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود : هي تقول من الحق بعضاً ، ولن يستطيع أحدٌ عليها نقصاً ؛ أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ، وأنا أخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق ، والله يا أمير المؤمنين ما طلقها عن ريبه

(١) المائل : الجائر . (٢) أي من غير نقص ، من عذر في الأمر تعليلاً : إذا قصر ولم يجتهد (أر من غير تشويه ، من عذر الشيء : لطمه بالعذرة كفرحة) . (٣) تسكنى بذلك عن طلاقها . (٤) العقوة : ماحول الدار . (٥) البعول والبعوات : جمع بعل وهو الزوج ، والأجار : جمع أجور ، أفضل تفضيل من جار . (٦) شهره كنهه ، وشهره بالتشديد : أظهره في شناعة .

ظهرت ، ولا لأى هفوة حضرت ، ولكنى كرهت شمائلها ، فقطعتُ عنى حباؤها ، فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟ قال : يا أمير المؤمنين : إنك مهيبها على بجواب عتيد<sup>(۱)</sup> ، ولسان شديد ، فقال معاوية : لا بُدَّ لك من محاورتها ، فاردد عليها قولها عند مراجعتها ، فقال أبو الأسود : « يا أمير المؤمنين ، إنها كثيرة الصخب ، دائمة الذرب<sup>(۲)</sup> ، مهيبة الأهل ، مؤذية للبعل ، مُسيئة إلى الجار ، مُظهرة للعار ، إن رأت خيرا كتمته ، وإن رأت شرا أذاعته » ، فقالت : « والله لولا مكانُ أمير المؤمنين ، وحضورُ من حضره من المسلمين ، لرددتُ عليك بوادِر كلامك ، بنوافذ أقرع بها كلَّ سهامك<sup>(۳)</sup> ، وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بَعلا ، ولأن تُظهر لأحد جهلا » ، فقال معاوية : عزمتُ عليك لما أُجبتِه ، فقالت : « يا أمير المؤمنين ، ما علمته إلا سَمُولا جَهُولًا ، مُدِحًا بخيلا<sup>(۴)</sup> ، إن قال فشرُّ قائل ، وإن سكت فذو دغائل<sup>(۵)</sup> ، ليث حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ، شحيح حين يُضاف<sup>(۶)</sup> ، إن ذكر الجود انقمع<sup>(۷)</sup> ، لما يعرف من قصر رشائه<sup>(۸)</sup> ، ولو لم آباه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ، لا يحفظ جاراً ولا يحمى ذماراً ، ولا يدرك ناراً ، أكرم الناس عليه من أهانه ، وأهونهم عليه من أكرمه » ، فقال معاوية : سبحان الله لما تأنى به هذه المرأة من السجع ! فقال

(۱) حاضر مهياً . (۲) الصخب : شدة الصوت ، والذرب : حدة اللسان وبذاته .

(۳) البوادِر : جمع بادرة ، وهى ما يبدو من حدثك فى الغضب من قول أو فعل ، بنوافذ أى بججج نافلة ماضية ، وكل السيف وغيره فهو كل وكليل : لم يقطع . (۴) وكان أبو الأسود معروفًا بالبخل .

ومن طريف ما يروى عنه أن رجلاً قال له : « أنت والله ظرف لفظ ، وظرف علم ، ووعاء حلم ، غير أنك بخيل » فقال : « وماخير ظرف لا يمسك ما فيه ؟ » وسلم عليه أعرابي يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال له : أنأذن فى الدخول ؟ قال : وراك أوسع لك ، قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمنى ، قال : عيال أحق منك ، قال : مارأيت الأم منك ! قال : نسيت نفسك . « أمالى المرتضى ۱ : ۲۱۴ » .

(۵) دغائل : جمع دغيلة كسفينة . والدغيلة والدغل بالتحريك : دخل فى الأمر مفسد .

(۶) ضافه يضيفه : زل عليه ضيفا . (۷) انقمع : دخل البيت مستخفياً .

(۸) الرشاء فى الأصل : الحيل .

أبو الأسود : أصلح الله أمير المؤمنين ، إنها مطلقة ، ومن أكثر كلاماً من مطلقة ؟ فقال لها معاوية : إذا كان رَوَاحًا<sup>(۱)</sup> فتعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت معها ابنتها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع ابنه منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود ، لا تعجل المرأة أن تنطق بحجتها ، قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابني منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود دعها تغل ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله ، ووضعتة قبل أن تضعه » ، فقالت : « صدق والله يا أمير المؤمنين : حمله خفاً ، وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوة ووضعتة كرهاً ، إن بطني لوعاؤه ، وإن ثديي أسقاؤه ، وإن حجري لفناؤه ، فقال معاوية : سبحان الله لما تأتينا به ! فقال أبو الأسود : إنها تقول الأبيات من الشعر فتجيدها ، فقال معاوية : إنها قد غلبتك في الكلام ، فتكلف لها أبياتاً لملك تغلبها ، فأنشأ أبو الأسود يقول :

مَرَحَبًا بِالتي تَجُورُ عَلَيْنَا      ثم مَهْلًا بِالْحَامِلِ الْمُحْمُولِ  
أَغْلَقْتُ بِأَبِهَا عَلِيٌّ وَقَالَتْ :      إن خَيْرَ النِّسَاءِ ذَاتُ الْبُعُولِ  
شَفَّاتِ نَفْسَهَا عَلِيٌّ فَرَاغًا      هل سَمِعْتُمْ بِالْفَارِغِ الْمَشْغُولِ ؟

فأجابته وهي تقول :

ليس من قال بالصَّوابِ وبالْحَقِّ      كَمَنْ جَارَ عَنِ مَنَارِ السَّبِيلِ  
كَانَ ثَدْيِي سِقَاءَهُ حِينَ يُضْحِي      ثم حَجْرِي فِنَاؤُهُ بِالْأَصِيلِ  
لَسْتُ أَبْنِي بِوَاحِدِي لِابْنِ حَرْبٍ      بَدَلًا مَا عَلِمْتُهُ وَالْخَلِيلِ<sup>(۲)</sup>

فأجابها معاوية :

ليس من غَدَاهُ حِينًا صَغِيرًا      وَسَقَاهُ مِنْ ثَدْيِهِ بِمَخْدُولِ

(۱) أى إذا كان الوقت رواحاً ، والرواح : العتى . (۲) أى أقسم بخليل الله وهو سيدنا محمد

صل الله عليه وسلم .

هِيَ أَوْلَى بِهِ وَأَقْرَبُ رُحْمًا مِنْ أَبِيهِ بِالْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ (١)  
أُمُّهُ مَا حَنَّتْ عَلَيْهِ وَقَامَتْ هِيَ أَوْلَى بِحَمَلِ هَذَا الضَّمِيلِ (٢)

فقضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنها وانصرفت . ( بلاغات النساء ص ٥٣ )

### ٣٨٣ - وفد أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير

لما قَدِمَ الأحنف في وجوه أهل البصرة ، إلى عبد الله بن الزبير ، تكلم أبو حاضر الأسيدي - وكان خطيباً جميلاً - فقال له عبد الله بن الزبير : اسكت فوالله لو ددت أن لي بكل عشرة من أهل العراق رجلاً من أهل الشام ، صرّفت الدينار بالدرهم ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن لنا ولك مثلاً ، أفتأذن في ذكره ؟ » قال : نعم ، قال : « مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الأعشى حيث يقول :

عُلِّقْتُمَا عَرَضًا وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ (٣)  
أحبّك أهلُ العراق ، وأحببتَ أهلَ الشام ، وأحب أهلُ الشام عبدَ الملك

( البيان والتبيين ١ : ١٦٤ )

ابن مروان .

### ٣٨٤ - كلام خطيب الأزدي بين يدي عبد الملك بن مروان

بعث الحجاج خطباً من الأحماس (٤) إلى عبد الملك بن مروان ، فتكلموا ، فلما

انتهى الكلام إلى خطيب الأزدي ، قام فقال :

قد علمت العرب أنا حيٌّ فعّال ، ولسنا بحَيٍّ مَقَال ، وَأَنَا نَجْزِي بِفِعْلِنَا عِنْدَ أَحْسَن

(١) الرحم : الرحمة والرفقة والتعطف . (٢) في الأصل : « أم ما حنت عليه . . . » وهو تحريف ،

إذ يختل وزن البيت . (٣) علق فلان امرأة ( بالبناء للمجهول مشدداً ) : أحبها . (٤) الحمس

كقفل : الأمكنة الصلبة جمع أحس ، ولقب به قريش ، وكنانة ، وجديلة ، ومن تابعهم في الجاهلية

اتحمسهم في دينهم ، أو لانتجائهم بالحمساء وهي الكعبة ، وأحماس العرب : من أمهاتهم من قريش ، وكانوا

يتشددون في دينهم ، وكانوا شجعان العرب لا يطاقون .

قولهم ، إن السيوف لتعرف أ كُفْنَا ، وإن الموت لَيْسَتْ مَعْدِبُ أرواحنا ، وقد علمت الحربُ  
الزُّبُونُ ، أَنَا نَقَرَعُ جِجَاحَهَا ، وَنَحْلِبُ صَرَاحَهَا<sup>(١)</sup> « ثم جلس<sup>(٢)</sup> .

( الأمل : ٢ : ٢٥٩ )

### ٣٨٥ - سؤال عبد الملك للعجاج وما أجاب به

ودخل العجاج<sup>(٣)</sup> على عبد الملك بن مروان ، فقال : يا عجاجُ : بلغني أنك لا تقدر  
على الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ قَدَرَ عَلَى تَشْيِيدِ الأَبْنِيَةِ ، أَمْ كُنْه إِخْرَابُ  
الأَخْبِيَةِ ، قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عِزًّا يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُظَلَّمَ ، وَإِنْ لَنَا  
حِلْمًا يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُظَلِّمَ ، فَعَلَّامَ الهِجَاءِ ؟ فقال : آكَلَمَاتُكَ أَشْعَرُ مِنْ شَعْرِكَ ! فَأَنَّى لَكَ  
عِزٌّ يَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ تُظَلِّمَ ؟ قال : الأدب البارع ، والفهم الناصع ، قال : فما الحِلم الذي  
يَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ تُظَلِّمَ ؟ قال : الأدب المُسْتَظَرَفُ ، والطَّبْعُ التَّالِدُ ، قال : يا عجاج لقد  
أصبحتَ حكيماً . قال : وما يمنعني وأنا نَجِيٌّ<sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين ؟ « .

( الأمل : ٢ : ٤٩ ، وزهر الآداب : ٢ : ٢٦٤ )

### ٣٨٦ - وفود العجاج بإبراهيم بن محمد بن طلحة

على عبد الملك بن مروان

لما ولى العجاج بن يوسف الحَرَمَيْنِ بعد قتله ابنَ الزبير ، استخَصَّ إبراهيم بن محمد  
ابن طَلْحَةَ ، فَقَرَّبَهُ وَعَظَّمْ مِنْزَلَتَهُ ، فَلَمْ تَزَلْ تَلِكْ حَالَهُ عِنْدَهُ ، حَتَّى خَرَجَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ  
مَرْوَانَ ، فَخَرَجَ مَعَهُ مُعَادِلًا ، لَا يَقْصُرُ لَهُ فِي بَرٍّ وَإِعْظَامٍ ، حَتَّى حَضَرَ بِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا

(١) الصرى : بقية البن . (٢) وفي رواية الجاحظ : « قالوا : ولما قدمت خطباء نزار عند معاوية ، فذهبت في الخطب  
كل مذهب ، قام صبرة بن شيمان فقال : يا أمير المؤمنين : إنا حي فعال ، ولنا حي مقال ، ونحن نبلغ  
بفعالنا أكثر من مقال غيرنا ( البيان والتبيين ١ : ١٦٤ ) ، وروى المبرد في الكامل هذا القول من صبرة  
أيضا - انظر تهذيب الكامل ١ : ١٦ - ، وقد تقدم لك أن صبرة بن شيمان من الأزدي - انظر الجزء  
الأول ص ٤٣٦ . (٣) هو العجاج بن ربيعة راجز مجيد مشهور ، مات سنة ٨٩٠ . (٤) مسار .

دخل عليه لم يبدأ بشيء بعد السلام ، إلا أن قال له : « قَدِمْتُ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَجُلِ  
 الْحِجَازِ ، لَمْ أَدْعُ لَهُ بِهَا نَظِيرًا فِي الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ ، وَالْمُرُوءَةِ ، وَحَسَنِ الْمَذْهَبِ ، مَعَ قَرَابَةِ  
 الرَّحِمِ ، وَوَجُوبِ الْحَقِّ ، وَعِظَمِ قَدْرِ الْأَبَوَةِ ، وَمَا بَلَوْتُ مِنْهُ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَحُسْنِ  
 الْمُؤَاظَرَةِ . وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ، وَقَدْ أَحْضَرْتَهُ بِأَبْكَ ، لِيَدَسَّهُلَ عَلَيْهِ إِذْنَكَ ،  
 وَتَعْرِفَ لَهُ مَا عَرَفْتَكَ » . فَقَالَ : أَذْكَرْتَنَا رَحِمًا قَرِيبَةً ، وَحَقًّا وَاجِبًا ، يَا غَلَامُ : إِذْنُ  
 لِإِبْرَاهِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَدْنَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى فِرَاشِهِ ،  
 ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا بَنَ طَلْحَةَ ، إِنْ أَبَا مُحَمَّدٍ ( الْحِجَاجِ ) ذَكَرْنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَعْرِفُكَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ  
 وَالْأَدَبِ ، وَالْمُرُوءَةِ ، وَحَسَنِ الْمَذْهَبِ ، مَعَ قَرَابَةِ الرَّحِمِ ، وَوَجُوبِ الْحَقِّ ، وَعِظَمِ قَدْرِ  
 الْأَبَوَةِ ، وَمَا بَلَآهُ مِنْكَ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَحَسَنِ الْمُؤَاظَرَةِ ، فَلَا تَدْعَنَّ حَاجَةً فِي خَاصَّةِ  
 نَفْسِكَ وَعَامَّتِكَ إِلَّا ذَكَرْتَهَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أَرُلَ الْحَوَائِجُ ، وَأَحَقَّ مَا قُدِّمَ  
 بَيْنَ يَدَيِ الْأُمُورِ ، مَا كَانَ اللَّهُ فِيهِ رِضًا ، وَلِحَقِّ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدَاءً ، وَلَكَ فِيهِ  
 وَجْهَةٌ الْمُسْلِمِينَ نَصِيحَةً ، وَعِنْدِي نَصِيحَةٌ لَا أَجِدُ بُدًّا مِنْ ذِكْرِهَا ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ  
 إِلَّا وَأَنَا خَالٍ ، فَأَخْلِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرِدُ عَلَيْكَ نَصِيحَتِي ، قَالَ : أَدُونَ أَبِي مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ :  
 نَعَمْ ، دُونَ أَبِي مُحَمَّدٍ ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لِلْحِجَاجِ قَمِ . فَلَمَّا خَطَرَ فِ (١) السُّتْرَ أَقْبَلَ عَلَى  
 إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : يَا بَنَ طَلْحَةَ قَلْ نَصِيحَتِكَ ، قَالَ : بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ عَهَدْتُ إِلَى  
 الْحِجَاجِ فِي تَغَطُّرُوسِهِ وَتَعَجُّرُوفِهِ ، وَبُؤْمَدِهِ مِنَ الْحَقِّ ، وَقُرْبِهِ مِنَ الْبَاطِلِ ، فَوَائِيقِهِ الْحَرَمِيِّينَ ،  
 وَهَامَا مَاهَا وَبِهِمَا مَنْ بِيهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالْمَوَالِي الْأَخْيَارِ ، يَسُومُهُمُ الْخَسْفُ (٢)  
 وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِغَيْرِ السُّنَّةِ ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ مِنْ سَفْكَ دِمَائِهِمْ ، وَمَا انْتَهَيْتُكَ مِنْ حُرْمَتِهِمْ ،  
 وَيَطَّوْمُ بِطَغَامِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَرَعَاعِ لَأَرْوِيَّةَ لَهُمْ فِي إِقَامَةِ حَقِّ ، وَلَا فِي إِزَاحَةِ بَاطِلِ ،  
 ثُمَّ تَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ يَنْجِيكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ؟ فَكَيْفَ بِكَ إِذَا جَاءَكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فِدًّا لِلْخِصُومَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ لَنْ تَنْجُو هُنَاكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ تَضْمَنُ لَكَ

(١) المراد أرخى ، من خطر ف جلد المرأة : إذا استرخى . (٢) يوليهم الذل .



النجاة ، فارتبَعُ على نفسك أو دَعُ ، وكان عبد الملك مُتَكَبِّراً ، فاستوى جالساً ، وقال :  
كذبتَ وَمِنْتِ<sup>(١)</sup> فيما حدث به ! واقد ظن بك الحجاج ظناً لم نجد فيه فيك ، وقد يُظان  
الخيرُ بغير أهله ، قم فانت المأسن الحاسد ! قال : فقامت والله ما أبصر شيئاً ، فلما خطر  
الستر لحقني لاحق ، فقال للحاجب : امنع هذا من الخروج . وأذن للحجاج ، فدخل  
فلبث مَلِيئاً ، ولا أشكُ أنهما في أمرى ، ثم خرج الإذن لى ، فدخلت ، فلما كشف لى  
الستر ، إذا أنا بالحجاج خارج ، فاعتنقنى ، وقبّل ما بين عينيّ ، وقال : أما إذا جرى الله  
المواخيين خيراً بفضل توأصليهما ، فجزاك الله عنى أفضلَ الجزاء ، فوالله لئن سلمتُ لك  
لأرفعنَّ ناظرىك ، ولأغلينَّ كعبك ، ولأتبعنَّ الرجالَ غبارَ قدميّك ، قال : فقلت  
فى نفسى إنه ليسخر لى ، فلما وصلت إلى عبد الملك أدنانى حتى أدنانى مجلسى الأول ،  
ثم قال : يا بن طلحة : هل أعلمت الحجاج بما جرى أو شاركك أحد فى نصيحتك ؟  
فقلت : لا والله ، ولا أعلم أحداً أظهرَ يداً عندى من الحجاج ، ولو كنت محابياً أحداً  
بدينى لكان هو ، ولكنى آثرتُ الله ورسوله والمسلمين ، قال : قد علمت أنك لم ترد  
الدنيا ، ولو أردتها لكانت لك فى الحجاج ، ولكن أردت الله والدار الآخرة ، وقد عزلته  
عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استقلالاً  
لهما ، ووليته العراقين وما هنالك من الأمور ، التى لا يُدحِضها إلا مثله ، وإنما قلت له ذلك  
ليؤدى ما يلزمه من ذمامك ، فإنك غير ذامٍ لصحبته مع يدك عنده ، فخرجت مع الحجاج  
وأكرمنى أضاف إكرامه . (العقد الفريد ١ : ١٢١ ، ومرح العيون ص ١١٩ )

(١) مان مينا : كلاب .

## ٣٨٧ - قدوم الحجاج مع أشرف المصرين على عبد الملك

لما فرغ الحجاج من دير الجماجم ، وقدم على عبد الملك ومعه أشرف أهل المصرين - البصرة والكوفة - أدخلهم عليه ، فبينما هم عنده ، إذ تذاكروا البلدان ؛ فقال محمد بن ابن عمير بن عطار : « أصلح الله الأمير ، إن الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحررها وعمقها<sup>(١)</sup> ، وسفأت عن الشام ووبأها ، وجاورها الفرات ، فعذب ماؤها ، وطاب ثمرها » ، فقال خالد بن صفوان الأهمي : « أصلح الله الأمير ، نحن أوسع منهم برية ، وأسرع منهم في السرية<sup>(٢)</sup> ، وأكثر منهم قنذا<sup>(٣)</sup> ، وعاجا ، وساجا<sup>(٤)</sup> ، وناسا<sup>(٥)</sup> ، ماؤنا صفو ، وخيرنا عفو ، لا يخرج من عندنا إلا قائد وسائق وناعق<sup>(٦)</sup> » ، فقال الحجاج : « أصلح الله أمير المؤمنين ! إني بالبلدين خبير ، وقد وطئتهما جميعاً » ، فقال له : قل فانت عندنا مُصدّق ، فقال : « أمّا البصرة فمجزز شطآن ، دفرآء ، بخراء ، أوتيت من كل حلي وزينة ؛ وأما الكوفة ، فشابة حسنة جميلة ، لاحتلها ولازينة » .  
فقال عبد الملك : فضلت الكوفة على البصرة .

(مروج الذهب ٢ : ١٤٨)

\*\*\*

وروى الجاحظ قال :

قال خالد بن صفوان<sup>(٧)</sup> - وسئل عن الكوفة والبصرة - : « نحن منأبئنا قصب ، وأنهارنا عجب ، وسمأونا رطب<sup>(٨)</sup> ، وأرضنا ذهب » .

(١) الغمق : ركوب الندى الأرض ، أرض عمقة كفرحة : ذات زدى وثقل ، أو قريبة من المياه ، وفي الأصل : « وعمقها » وهو تصحيف (٢) السرية : من خمسة أنفص إلى ثلثمائة ، أو أربعمائة ، والمراد في النهوض للقتال . (٣) القند : عسل قصب السكر . (٤) الساج : خشب أسود رزين يجلب من الهند ، ولا تكاد الأرض تبليه ، وهو يشبه الآبنوس . (٥) في الأصل : « وبناسا » بلباء ، وأراه بالنون . (٦) يريد بالسائق : الأمير ، وبالناعق : الخطيب . (٧) أي يصف البصرة ، وكذا ، بعده . (٨) السماء : كل ماعلاك ، يشير إلى كثرة النخيل في مشان البصرة ، « مشان كسحاب : قرية قريبة منها » ، وإن التمر لكثرت ووفرته يظللهم .

وقال الأحنف : « نحن أبعد منكم سَرِيَّةً ، وأعظم منكم تَجْرِيَّةً <sup>(١)</sup> ، وأكثر منكم ذُرِّيَّةً ، وأغذى منكم بَرِّيَّةً . »

وقال أبو بكر الهذلي : « نحن أكثر منكم ساجًا ، وعاجًا ، ودِيباجًا ، وخراجًا ، ونهراً عجاجًا <sup>(٢)</sup> . »  
(البيان والتبيين ٢ : ٤٦)

### ٣٨٨ - وفود مالك بن بشير على الحجاج بقتل الأزارقة

لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطري بن الفجاءة : صاحب الأزارقة . بعث إلى مالك بن بشير ، فقال له : إني مؤفدك إلى الحجاج ، فسير ، فإنما هو رجل مثلك ، وبعث إليه بجائزة فردها ، وقال : إنما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه ، فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بشير ، قال : مُلِّك وبشارة ! كيف تركت المهلب ؟ قال : أدرك ما أمل ، وأمن من خاف ، قال : كيف هو لجنده ؟ قال : والد رءوف ، قال : فكيف رضاهم عنه ؟ قال : وسعهم بالفضل ، وأقنعهم بالعدل ، قال : فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم ؟ قال : نلقاهم بجِدِّنا فنقطع فيهم ، وياقوتنا بجِدِّهم فيطمعون فينا ، قال : كذلك الجد إذا لقي الجد ؟ قال : فما حال قطري ؟ قال : كادنا ببعض ما كيدناه . قال : فما منعكم من اتباعه ؟ قال : رأينا المقام من ورائه خيراً من اتباعه ، قال : فأخبرني عن ولد المهلب ، قال : أعباء القتال بالليل ، حُماة السرح <sup>(٣)</sup> بالنهار ، قال : أيهم أفضل ؟ قال ذلك إلى أبيهم ، قال : لتقولن ، قال : هم كحلقة مضروبة لا يُعْرَف طرفاها ، قال : أقسمت عليك هل روأت <sup>(٤)</sup> في هذا الكلام ؟ قال : ما أطلع الله على غيبه أحداً ، فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

(العقد الفريد ١ : ١٢٢ ، ومروج الذهب ٢ : ١٤٨)

(١) تاجر كنصر تجرا ونجارة : اتجر ، وأرى أن « تجرية » مصدر صناعي لتجر يريد أن أهل البصرة أعظم راطول باءاً من أهل الكوفة في التجارة - لأن البصرة ثغر على الخليج للفارسي ، فهي متصلة ببلاد الهند والشرق . (٢) المعجاج : الصياح من كل ذي صوت . (٣) السرح في الأصل : المال المسمى . (٤) روا في الأمر : نظر فيه وتعقبه ، ولم يجعل بجواب .

## ٣٨٩ - وفود كعب الأشقرى على الحجاج

أوفد المهلب بن أبي صفرة كعب بن معدان الأشقرى - ومعه مروة بن تليد الأزدي - إلى الحجاج بعد هزيمة الأزارقة، وقتل أميرهم عبد ربّه الصغير، فلما دخلا عليه بدر كعب فأنشده قصيدته التي مطلعها :

يا حَفْصُ : إني عَدَا نِي عَمَّكَ السَّفَرُ . وقد سَرِيتُ فَاذَى عَيْنِي السَّهَرُ

فقال له الحجاج : أشاعر أم خطيب ؟ قال : كلاهما ، ثم أقبل عليه ، فقال له : أخبرني عن بني المهلب ، قال : « الْمَغِيرَةَ فَارِسُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ ، نَارِ ذَا كِيَّةٍ <sup>(١)</sup> ، وَصَعْدَةَ <sup>(٢)</sup> عَالِيَةَ ، وَكَفَى بِيَزِيدَ فَارِسًا شَجَاعًا ، لَيْثُ غَابِ ، وَبِحَرِّ جَمِّ عُبَابِ ، وَجَوَادُهُمْ وَسَخِيهِمْ قَبِيصَةَ ، لَيْثُ الْمَفَارِ <sup>(٣)</sup> ، وَحَامِي الدَّمَارِ ، وَلَا يَسْتَحْيِي الشُّجَاعُ أَنْ يَفِرَّ مِنْ مُدْرِكِ ، فَكَيْفَ لَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ الْحَاضِرِ ، وَالْأَسَدُ الْخَادِرُ ؟ وَعَبْدُ الْمَلِكِ سَمٌّ نَاقِعٌ ، وَسَيْفٌ قَاطِعٌ ، وَحَبِيبُ الْمَوْتِ الزُّعَافِ ، إِنَّمَا هُوَ طَوْدٌ شَامِخٌ ، وَفَخْرٌ بَاذِخٌ <sup>(٤)</sup> ، وَأَبُو عَيْبِنَةَ الْبَطَلِ الْهُمَامِ ، وَالسَّيْفُ الْحَسَامِ ، وَكَفَاكَ بِالْمَفْضَلِ نَجْدَةٌ ، لَيْثُ هَدَّارِ ، وَبِحَرِّ مَوَّارِ <sup>(٥)</sup> ، وَمُحَمَّدُ لَيْثُ غَابِ ، وَحُسَامُ ضِرَابِ ، قَالَ : فَكَيْفَ كَانُوا فِيكُمْ ؟ قَالَ : كَانُوا سَحَابَةَ السَّرْحِ نَهَارًا ، فَإِذَا أَلْيَلُوا <sup>(٦)</sup> فَفَرُّسَانِ الْبِيَاتِ ، قَالَ : فَأَيُّهُمْ كَانَ أَنْجَدُ ؟ قَالَ : كَانُوا كَالْحَلْقَةِ الْمَفْرَغَةِ : لَا يُدْرِي أَيْنَ طَرَفُهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ لَكُمْ الْمَهْلَبُ وَكُنْتُمْ لَهُ ؟ قَالَ : كَانَ لَنَا مِنْهُ شَفَقَةٌ الْوَالِدِ ، وَهُوَ مَنَّا بِرُّ الْوَالِدِ ، قَالَ : فَكَيْفَ جَمَاعَةُ النَّاسِ ؟ قَالَ : طَلَى أَحْسَنَ حَالٍ ، أَدْرَكُوا مَا رَجَوْا ، وَأَمِنُوا مِمَّا خَافُوا ، وَأَرْضَاهُمُ الْعَدْلُ ، وَأَغْنَاهُمُ النَّفْلُ <sup>(٧)</sup> ، قَالَ : فَكَيْفَ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعَدُوُّكُمْ ؟ قَالَ : كُنَّا إِذَا أَخَذْنَا عَفْوَنَا ، وَإِذَا أَحَدُوا يَتَسَنَّا مِنْهُمْ ،

(١) ذكت النار : اشتد لها . (٢) الصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك . (٣) أغار على

العدو إغارة ومغارا . (٤) الطود : الجبل ، وباذخ : حال . (٥) مار : ماج واضطرب .

(٦) أيلوا وألوا : دخلوا في الليل . (٧) الغنيمه والهبة .

وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم ، فقال الحجاج : إن العاقبة للمتقين ، قال : كيف أفلتكم قطري ؟ قال : كدناه ببعض ما كادنا به ، فصرنا منه إلى الذي نحب ، قال : فهلا اتبعتموه ؟ قال : كان الحد عندنا آثر من الفل<sup>(١)</sup> ، قال : أكنت أعددت لي هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، فقال : هكذا تكون والله الرجال ، المهلب كان أعلم بك حيث وجهك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان ، فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

( الكامل للمبرد ٢ : ٢٣٢ ، والأغانى ١٣ : ٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٠٥ ، وزهر

الآداب ٣ : ٩٣ )

### ٣٩٠ - سليك بن سلكة والحجاج

دخل على الحجاج سليك بن سلكة<sup>(٢)</sup> ، فقال :

« أصلح الله الأمير ! أعرني سمعك ، واغضض عني بصرك ، واكفف عني حزنك ؛ فإن سمعت خطأ أو زللاً فدونك والمعقوبة ، فقال : قل ، فقال : عصى عاص من عرض العشيرة ، فخلق على اسمي ، وهدمت داري ، وحرمت عطائي ، قال : هيات ، أما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجني عليك وربما      تُعدى الصّحاح مبارك الجرب<sup>(٣)</sup>  
وَرُبَّ مَأْخُودٍ بِذَنْبِ عَشِيرِهِ      وَنَجْمِ الْمُقَارِفِ صَاحِبِ الذَّنْبِ

(١) القوم المنهزمون . (٢) هو غير سليك بن سلكة الذي ضرب به المثل في العذر ، فقيل : « أعدى من السليك » ، فإن سليكا العداة جاهلي ، ( هو سليك بن عمرو التميمي ، والسلكة أمه ، وهي أمة سوداء ، وكان أحد صعاياك العرب واصوصهم العدائين الذين لا يلحقون ، ولا تتعلق بهم الخيل إذا عدوا ، وهم : السليك ابن السلكة ، والشنفرى ، وتابط شرا ، وعمرو بن براق ، ونفيل بن براق ) ، قال صاحب القاموس في مادة غرب : « وأغربة العرب سودانهم ، والأغربة في الجاهلية : عنزة ، وخفاف بن ندبة ، وأبو عمير بن الحباب ، وسليك بن السلكة ، وهشام بن عقبة بن أبي معيط ، إلا أنه مخضرم قد ولي في الإسلام ... الخ » ، وقال ابن نباتة في شرح العيون « وهو جاهلي قديم » - انظر ترجمته في شرح العيون ص ٨٠ والأغانى ١٨ : ١٣٣ - . (٣) في الأصل « جانيك من يجني عليك وقد » على أن العروض حذاء كالضرب وهو صحيح ، ولكن رأيت العروض في البيت الذي يليه تامة ، فوضعت « وربما » بدل « وقد » للمشاكلة بين العروضين .

قال أصلح الله الأمير، سمعتُ الله قال غير هذا، قال: وما ذاك؟ قال: قال: «يا أيها العزيز: إنَّ له أبا شيخاً كبيراً، فخذُ أحدنا مكانه، إننا نراك من المؤمنين» قال: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إننا إذا اظالمون.»

قال الحجاج: عليّ بيزيد بن أبي مسلم<sup>(١)</sup>، فأتى به فمَثَلَ بين يديه، فقال: فكلك لهذا عن اسمه، واصكك<sup>(٢)</sup> له بمطائه، وابن له منزله، ومر منادياً ينادى في الناس، صدق الله، وكذب الشاعر.

(العقد الفريد ٣ : ٦)

### ٣٩١ - جامع المحاربي والحجاج

شكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق. وتنقم مذهبهم، وتسخط طريقتهم، فقال له جامع المحاربي - وكان شيخاً صالحاً خطيباً لسنياً - : «أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شئتوك لنسبك، ولا لبلدك، ولا لذات نفسك، فدع ما يبعدهم منك، إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية ممن دونك، تُعْطَاهَا من فوقك، وليكن إبقاءك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك. قال الحجاج: «إني والله ما أرى أن أردُّ بني اللسكية إلى طاعتي إلا بالسيف»، فقال «أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخييار»، فقال الحجاج: «الخييار يومئذ لله»، قال: «أجل، ولكن لا تدري لمن يجعله الله»، فغضب الحجاج وقال: «يا هناه<sup>(٣)</sup> إنك من محارب»، فقال جامع:

وللحرب سُمِينَا، وكان محارباً إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرًا

(١) كاتب الحجاج. (٢) صكك له كقتل: كتب له صكاً، وهو الكتاب الذي يكتب في المعاملات: (الشيك).

(٣) هن: كلمة يكتن بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت مذكراً بغير التصريح باسمه قلت: ياهن أقبل،

وفد تزداد الألف والهاء في آخره في النداء خاصة، فيقال ياهناه أقبل، أي يافلان، وهذه الهاء تصير تاء

في الوصل، وتضم على تقدير أنها آخر الاسم وتسكّر لاجتماع الساكنين.

فقال الحجاج: « والله لَهَمَمْتُ أَنْ أَخْلَعُ لِسَانَكَ ، فَأَضْرِبَ بِهِ وَجْهَكَ » ، فقال جامع : « إِنْ صَدَّقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ غَشَّشْنَاكَ أَغْضَبْنَا اللَّهَ ، فَغَضِبُ الْأَمِيرُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ » قَالَ : أَجَلٌ ، وَسَكَنٌ ، وَشَغِلٌ الْحِجَابُ بِيَمِضِ الْأَمْرِ ، فَانْسَلْ جَامِعٌ ، فَمَرَّ بَيْنَ صَفُوفِ خَيْلِ الشَّامِ ، حَتَّى جَاوَزَ إِلَى خَيْلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ - وَكَانَ الْحِجَابُ لَا يَخْلِطُهُمْ فَأَبْصَرَ كَبْكَبَةَ<sup>(١)</sup> فِيهَا جِمَاعَةٌ مِنْ بَكْرِ الْعِرَاقِ ، وَتَمِيمِ الْعِرَاقِ ، وَأَزْدِ الْعِرَاقِ ، وَقَيْسِ الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَشْرَأَتْ بُوَا إِلَيْهِ ، وَبَلَغَهُمْ خُرُوجُهُ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا عِنْدَكَ ؟ دَافِعَ اللَّهُ لَنَا عَنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : وَيَنْحِكُمْ أَعْمُوهُ بِالْخَلْعِ كَمَا يَبْعَثُكُمْ بِالْعِدَاوَةِ ، وَدَعَاوِ التَّمَادِي مَا عَادَاكُمْ ، فَإِذَا ظَفِرْتُمْ بِهِ تَرَاجَعْتُمْ وَتَعَاقَبْتُمْ ، أَيُّهَا التَّمِيمِيُّ : هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ الْأَزْدِيِّ ، وَأَيُّهَا الْقَيْسِيُّ : هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ التَّغْلَبِيِّ ، وَهَلْ ظَفِرَ بَيْنَ نَاوَاهِ مِنْكُمْ إِلَّا بَيْنَ بَقِيٍّ مَعَهُ مِنْكُمْ ؟ » وَهَرَبَ جَامِعٌ مِنْ قَوْرِهِ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ ، فَاسْتَجَارَ بِزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ .

(البيان والتبيين ٢ : ٦٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥١ - ١ : ١٥٢ ،

وعيون الأخبار م ٢ ص : ٢١٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٣٠)

## ٣٩٢ - ليلي الأخيلية والحجاج

نَ مَوْلَى لَعْنَبَسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي قَالَ :

كُنْتُ أَدْخُلُ مَعَ عَنبَسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي إِذَا دَخَلَ عَلَى الْحِجَابِ ، فَدَخَلَ يَوْمًا ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِمَا ، وَوَلَدِي عِنْدَ الْحِجَابِ أَحَدٌ إِلَّا عَنبَسَةَ ، فَأَقْعَدَنِي ، فَجِيءَ الْحِجَابُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُطْبٌ ، فَأَخَذَ الْخَادِمُ مِنْهُ شَيْئًا فَجَاءَنِي بِهِ ، ثُمَّ جِيءَ بِطَبَقٍ آخَرَ ، حَتَّى كَثُرَتْ الْأَطْبَاقُ ، وَجَمَلٌ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَنِي مِنْهُ بِشَيْءٍ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ مَا بَيْنَ يَدَيَّ أَكْثَرُ مِمَّا عِنْدَهُمَا ، ثُمَّ جَاءَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : امْرَأَةٌ بِالْبَابِ ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَابُ : ادْخُلِيهَا ، فَدَخَلْتُ ، فَلَمَّا رَأَاهَا الْحِجَابُ طَاطَأَ رَأْسَهُ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ ذَقْنَهُ قَدْ أَصَابَ الْأَرْضَ ، فَجَاءَتْ حَتَّى قَعَدَتْ

(١) الككببة : الجماعة .

بين يديه ، فنظرتُ فإذا امرأة قد أسدت ، حسنة الخلق ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هي  
 ليلى الأخيلىة ، فسألها الحجاج عن نسبها ، فانتسبت له ، فقال لها : يا بلي ، ما أتى بك ؟  
 فقالت : « إخلافُ النجوم <sup>(١)</sup> ، وقلة الغيوم ، وكلب البرد <sup>(٢)</sup> ، وشدة الجهد ،  
 وكنتَ لنا بعد الله الرِّفْد <sup>(٣)</sup> » فقال لها : صفي لنا الفجاج <sup>(٤)</sup> ، فقالت : « الفججاج مُغبرة  
 والأرض مُقشعة ، والمبرك <sup>(٥)</sup> مُعتل ، وذو العيال مُختل <sup>(٦)</sup> ، والهالك للقل <sup>(٧)</sup> ،  
 والناس مُسنتون <sup>(٨)</sup> ، رحمة الله يرزجون ، أصابتنا سنونٌ مُجحفة مُبِلطة <sup>(٩)</sup> ، لم تدع لنا  
 هُبَّاً ولا رُبَّماً <sup>(١٠)</sup> ، ولا عافطة ولا نافطة <sup>(١١)</sup> ، أذهبت الأموال ، ومزقت الرجال ،  
 وأهلكت العيال » ، ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحجاجُ لا يُفألُ سلاحك ، إنها السمانيا بكفَّ الله حيثُ تراها <sup>(١٢)</sup>  
 أحجاج لا تُعطي العصاة مناهمُ ولا الله يُعطي للعصاة منهاها  
 إذا هبط الحجاجُ أرضاً مريضةً تتبعَ أقصى دأها فشفاها  
 شفاها من الداء العضال الذي بها غلامٌ إذا هزَّ القناة سقاها  
 سقاها فرّواها بِشربِ سِجّاله دماء رجالٍ حيثُ مال حشاها <sup>(١٣)</sup>

(١) أي أخلفت النجوم التي يكون بها المطر ، فلم تأت بمطر . (٢) كلب البرد : شدته ، وأصل  
 الكلب : السعار ( بالضم ) الذي يصيب الكلاب والذئاب . (٣) الرِّفْد ( بالفتح ) . المعونة ، مصدر  
 رفده كضربه : أعانه وأعطاه ، وبالسكسر : اللعطاء والصلة . (٤) الفججاج جمع فجج : بالفتح ، وهو  
 الطريق الواسع بين جبلين . (٥) أرادت به الإبل المباركة فيه . (٦) مختل : محتاج من الخلة  
 بالفتح وهي الحاجة . (٧) للقل : أي هالك من أجل القلة . (٨) أي مقحطون ، والسنة : القحط .  
 (٩) مجحفة : قاشرة ، ومبِلطة : ملزقة بالبلاط ، والبلاط : الأرض الملساء ، والحجارة التي تفرش  
 في الدار ، وأبِلط الرجل فهو مبِلط : إذا لزق بالأرض . (١٠) الهبج : الفصيل ينتج في الصيف  
 ( في آخر النتاج ) والربيع : الفصيل ينتج في الربيع ( وهو أول النتاج ) . (١١) العافطة : الضائنة  
 ( النعجة ) ، من العفظ ، وهو الضرط ، عفظت كضرب : ضرطت ، فهي عافطة ، والعفظ أيضا : نثر  
 للسان ، تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار ، والنافطة العنز ، من النفط ، نفطت العنز كضرب نثرت بأنفها ،  
 أو عطست ، فهي نافطة ، أو لأنها تنفط ببولها أي تدفعه دفعا ، أو النافطة إتباع للعافطة ، أو العافطة الأمة  
 للرعاية ، والنافطة الشاة . (١٢) السلاح مذكر ويؤنث كما في هذا البيت . (١٣) السجال : جمع  
 سجل كشمس ، وهو الدلو العظيم .



إذا سمِعَ الحِجَّاجُ رِزًّا كَتِيبَةً أَعَدُّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا<sup>(١)</sup>  
 أَعَدُّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارِسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلِبُونَ صَرَاهَا<sup>(٢)</sup>  
 فَمَا وَلَدَ الْأَبْكَارُ وَالْعُونُ مِثْلَهُ بِبَحْرِ وَلَا أَرْضٍ يَجِفُّ نَرَاهَا<sup>(٣)</sup>

قال : فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صفتي شاعر  
 منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : والله إنى لأعد للأمر  
 عسى أن لا يكون أبداً ، ثم التفت إليها فقال : حسبك ! قالت : إنى قد قلت أكثر  
 من هذا . قال : حسبك ويحك ! حسبك ، ثم قال : يا غلام اذهب إلى فلان فقل له :  
 اقطع لسانها ، فذهب بها ، فقال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها ، فأمر بإحضار  
 الحجاج ، فالتفت إليه ، فقالت : شكلك أمك ! أما سمعت ما قال ؟ إنما أمرك أن تقطع  
 لسانى بالصلة ، فبعث إليه يستثبته ، فاستشاط الحجاج غضباً ، وهم بقطع لسانه ، وقال :  
 أردها ، فلما دخلت عليه ، قالت : كاد وأمانة الله يقطع مقولى ! ثم أنشأت تقول :

حِجَّاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ<sup>(٤)</sup>

حِجَّاجُ أَنْتَ شِهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتَ وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَى يَبْقَدُ<sup>(٥)</sup>

ثم أقبل الحجاج على جلسائه ، فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ،  
 إلا أننا لم نر قط أفصح لساناً ، ولا أحسن محاوراً ، ولا أملح وجهاً ، ولا أرضن شعراً  
 منها ، فقال : هذه لبلى الأخيلية ، التي ماتت توبة الخفاجي من حبها ، ثم التفت إليها  
 فقال : أنشدينا يا لبلى بعض ما قال فيك توبة ، قالت : نعم أيها الأمير هو الذي يقول :

وَهَلْ تَبْكِينَ لِبَلَى إِذَا مِتُّ قَبْلَهَا وَقَامَ عَلَى قَبْرِ النِّسَاءِ النَّوْائِحُ ؟

(١) الرز : الصوت تسمعه من بعيد . (٢) الصرى : بقية اللبن . (٣) العون جمع عوان .

كسحاب ، وهى التى كان لها زوج . (٤) الصمد : الذى يصمد أى يقصد فى قضاء الحوائج .

(٥) لقيت : أصله من لقيت الناقة أى قبلت اللقاح ، والشهاب : شعلة من نار ساطعة ، ويقعد يتوقد .

كما لو أصاب الموت ليلي بكيتها  
 وأغبط من ليلي بما لا أناله  
 ولو أن ليلي الأخيلية سلمت  
 لسلمت تسليم البشاشة أو زقا  
 وجاد لها دمع من العين صافح<sup>(١)</sup>  
 بلي ، كل ماقرت به العين طامح  
 علي ، ودوني جندل وشفائح<sup>(٢)</sup>  
 إليها صدى من جانب القبر صائح<sup>(٣)</sup>

فقال : زيدنا من شعره يا ليلي ، قالت : هو الذي يقول :

حمامة بطن الواد بين ترنمي  
 أبيني لنا ، لا زال ريشك ناعما  
 وكنت إذا ما زرت أيلي تبرقت  
 وقد رابني منها صدود رأيت  
 وأسرف بالقور اليفاع لعني  
 يقول رجال : لا يضيرك نأيتها  
 بلي ، قد يضير العين أن تكثر البكا  
 وقد زعمت ليلي بأني فاجر  
 سفاك من الغر الغوادي مطيرها<sup>(٤)</sup>  
 ولا زات في خضراء غص نضيرها  
 فقد رابني منها الغداة سفورها  
 وإعراضها عن حاجتي وبسورها<sup>(٥)</sup>  
 أرى نار ايلي أو يراني بصيرها<sup>(٦)</sup>  
 بلي ، كل ماشف النفوس بضيرها  
 ويمنع منها نومها وسرورها  
 لنفسي تقاها ، أو عليها فجورها

فقال الحجاج : يا ليلي ، ما الذي رابه من سفورك ؟ فقالت : أيها الأمير ، كان  
 يلم بي كثيراً ، فأرسل إلي يوماً : إني آتيك ، وفطن الحى ، فأرصدوا له ، فلما أتاني  
 سقرت عن وجهي ، فعلم أن ذلك لشر ، فلم يزد علي التسليم والرجوع ، فقال : لله درك !

(١) صافح : منصب . (٢) الجندل : الحجارة ، والشفائح : حجارة القبر العراض .  
 (٣) زقا : صاح ، والصاي - وهو الهامة - طائر يخرج من رأس المقتول ، تزعم الأعراب أن  
 روح القتيل يخرج ، فتصير هامة إذا لم يدرك بثاره ، فتصيح على قبره : اسقوني اسقوني حتى يثار به ، وهذا  
 مثل يراد به تحريض ولي القتيل على طلب دمه ، فجعله الأعراب حقيقة . (٤) الغوادي : جمع غادية ،  
 وهي السحابة تنشأ غدوة . (٥) بسر كدخل : عبس وكلح . (٦) القور : جمع قارة ، وهي الجبيل  
 النضير ، المنقطع عن الجبال ، واليفاع : التل .

هل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ فقالت : لا والله الذي أسأله أن يصلحك ، إنه قال مرة  
قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأت أقول :

وذي حاجة قلنا له لا تبغ بها فليس إليها ما حبيت سبيل  
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب و خليل

فلا والله الذي أسأله أن يصلحك ، مارأيت منه شيئاً ، حتى فرّق الموت بيني وبينه ،  
قال : ثم مه ؟ قالت : نعم لم يلبث أن خرج في غزاة له ، فأوصى ابن عم له ، إذا أتيت  
الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنها ، هل أبيتن لي-له من الدهر لا يسري إلى خيالها ؟

وأنا أقول :

وعنه عفا ربّي وأحسن حاله فعزت علينا حاجة لا ينالها

قال : ثم مه ؟ قالت : نعم لم يلبث أن مات ، فأتانا نعيه ، فقال : أنشدينا بعض  
مراثيك فيه ، فأنشدت :

لتبك العذارى من خفاجة نسوة بماء شئون العبرة المتحدر<sup>(١)</sup>

قال لها : فأنشدينا ، فأنشدته :

كان فتى الفتيان توبة لم ينسخ قلائص يفحصن الحمى بالكر اكر<sup>(٢)</sup>

فلما فرغت من القصيدة ، قال محصن الفقهسي : - وكان من جلساء الحجاج -

(١) الشئون : جمع شأن ، وهو مجرى الدع إلى العين . وكتب مصحح الأمل قال : « قوله المتحدر

كذا في النسخ ، وكتب بهامش بعضها لعله المتحادر بالألف قبل الدال ، لتستقيم القافية ، وفي هامش بعض  
النسخ بعد البيت الآتي :

فتى لا تحطاه الرفاق ولا يرى لقدر عيالا دون جار مجاور » اهـ

(٢) القلائص جمع قلوص كصبور ، وهي الناقة الشابة ، أو الباقية على السير ، يفحصن : يقلبن ،

من فحص المطر التراب قلبه ، وفحص القطا التراب : اتخذ فيه أفحوصا وهو مجشمه ، والكر اكر : جمع كركرة  
بالسكر ، وهي زور البعير .

مَنْ الَّذِي تَقُولُ هَذِهِ هَذَا فِيهِ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأُظْهِرُكَ كَاذِبَةً، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا  
 الْأَمِيرُ إِنَّ هَذَا الْقَائِلُ لَوْ رَأَى تَوْبَةَ لِسِرِّهِ أَنْ لَا تَكُونَ فِي دَارِهِ عَذْرَاءَ إِلَّا هِيَ حَامِلٌ مِنْهُ،  
 فَقَالَ الْحِجَّاجُ: هَذَا وَأَبِيكَ الْجَوَابُ، وَقَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: سَتِنِي يَا ابْنِي  
 تُعْطِنِي، قَالَتْ: أُعْطِي، فَمَثَلُكَ أُعْطِي فَأَحْسَنَ، قَالَ: لَكَ عَشْرُونَ، قَالَتْ: زِدْ فَمَثَلُكَ  
 زَادَ فَأَجْمَلَ، قَالَ: لَكَ أَرْبَعُونَ، قَالَتْ: زِدْ، فَمَثَلُكَ زَادَ فَأَكْمَلَ، قَالَ: لَكَ ثَمَانُونَ،  
 قَالَتْ: زِدْ، فَمَثَلُكَ زَادَ فَتَمَّمْ، قَالَ: لَكَ مِائَةٌ، وَاعْلَمِي أَنَّهَا غَنَمٌ، قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ أَيُّهَا  
 الْأَمِيرُ، أَنْتَ أَجْوَدُ جُودًا، وَأَنْجَدُ مَجْدًا، وَأَوْزَى زِنْدًا، مِنْ أَنْ تَجْعَلَهَا غَنَمًا، قَالَ:  
 فَمَا هِيَ؟ وَيَنْحَكِ يَا لَيْلِي؟ قَالَتْ: مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ بَرُعَاتِهَا، فَأَصْرَلَهَا بِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَلَّاكَ  
 حَاجَةٌ بَعْدَهَا؟ قَالَتْ: تَدْفَعُ إِلَى النَّافَةِ الْجَعْدِي، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، وَقَدْ كَانَتْ تَهْجُوهُ  
 وَيَهْجُوهَا، فَبَاعَ النَّافَةُ ذَلِكَ، فَخَرَجَ هَارِبًا عَائِدًا بَعْدَ الْمَلِكِ، فَاتَّبَعَتْهُ إِلَى الشَّامِ، فَهَرَبَ  
 إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسَلِّمِ بْنِ خَرَّاسَانَ، فَاتَّبَعَتْهُ عَلَى الْبَرِيدِ بِكِتَابِ الْحِجَّاجِ إِلَى قُتَيْبَةَ، فَمَاتَتْ  
 بِقَوْمَسَ (١)، وَيُقَالُ بِحُلُوانَ.

(الأمالي ١ : ٨٦ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٦٥)

### ٢٩٣ الغضبان بن القبعثري والحجاج

وَرَدَ عَلَى الْحِجَّاجِ كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، بِأَمْرِهِ أَنْ يَبِيعَ إِلَيْهِ بِثَلَاثِينَ جَارِيَةً،  
 عَشْرًا مِنَ النَّجَائِبِ، وَعَشْرًا مِنْ قَعَدِ النِّكَاحِ، وَعَشْرًا مِنْ ذَوَاتِ الْأَحْلَامِ، فَلَمَّا نَظَرَ  
 إِلَى الْكِتَابِ لَمْ يَدْرِ مَا وَصَفَهُ مِنَ الْجَوَارِي، فَعَرَضَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ، فَقَالَ لَهُ  
 بَعْضُهُمْ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ هَذَا مَنْ كَانَ فِي أَوْلِيَّتِهِ بَدُويًا، فَلَهُ مَعْرِفَةُ  
 أَهْلِ الْبَدُو، ثُمَّ غَزَا فَلَهُ مَعْرِفَةُ أَهْلِ الْغَزْوِ، ثُمَّ شَرِبَ الشَّرَابَ، فَلَهُ بَدَاءُ أَهْلِ الشَّرَابِ،  
 قَالَ: وَأَيْنَ هَذَا؟ قِيلَ: فِي حَبْسِكَ، قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قِيلَ: الْغَضْبَانُ الشَّيْبَانِيُّ، فَأَحْضَرَ

(١) قَوْمَسَ: صَقْعٌ كَبِيرٌ بَيْنَ خَرَّاسَانَ وَبِلَادِ الْجَبَلِ.

فلما مثل بين يديه ، قال : أنت القائل لأهل الكوفة يتغدّون بي قبل أن أتعشى بهم<sup>(١)</sup> ؟  
 قال : أصلح الله الأمير : ما نفعت من قالها ، ولا ضرت من قيلت فيه ، قال : إن  
 أمير المؤمنين كتب إلى كتاباً لم أذر ما فيه ، فهل عندك شيء منه ؟ قال : يُقرأ على ،  
 فقرأ عليه ، فقال : هذا بين ، قال : وما هو ؟ قال : « أما النجيبية من النساء : فالتى  
 عظمت هامتها ، وطال عنقها ، وبعُد ما بين منكبيها وئديها ، واتسعت راحتها ،  
 ونحنت ركبها ، فهذه إذا جاءت بالولد جاءت به كالليث ؛ وأما قعد النكاح ، فهن  
 ذوات الأعجاز ، مُنكسرات الثدي ، كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض ،  
 فأولئك يشين القرم<sup>(٢)</sup> ويروين الظمان ؛ وأما ذوات الأحلام ، فبنات خمس وثلاثين  
 إلى الأربعين<sup>(٣)</sup> .

قال الحجاج : أخبرنى بشر النساء ، قال : أصلح الله الأمير : شرهن الصغيرة  
 النقة<sup>(٤)</sup> ، الحديدية الرثبة ، السريعة الوثبة ، الواسطة<sup>(٥)</sup> فى نساء الحى ، التى إذا  
 غضبت غضب لها مائة ، وإذا سمعت كلمة قالت لا والله لا أنتهى حتى أقرها قرارها ،  
 التى فى بطنها جارية ، ويتبعها جارية ، وفى حجرها جارية ، قال الحجاج : على هذه  
 لعنة الله ، ثم قال : ويحك ، فأخبرنى بخبر النساء ، قال : خيرهن القريبة القامة من السماء  
 الكثيرة الأخذ من الأرض ، الودود الودود ، التى فى بطنها غلام ، وفى حجرها غلام ،  
 ويتبعها غلام ، قال : ويحك فأخبرنى بشر الرجال ، قال : شرهم السنوط الربوط<sup>(٦)</sup> ،  
 المحمود فى حرّم الحى ، الذى إذا سقط لإحداهن دلو فى بئر انحط عليه حتى يخرج ،

(١) انظر خطبتى فى ص ٢٢٧ . (٢) القرم محرّكة : شدة شهوة اللحم ، وكثر حتى قيل فى الشوق

إلى الحبيب . (٣) هنا سطر أسقطناه ، فلينظره فى الأصل من شاء . (٤) الوجه .

(٥) وسطهم (كوعد) : جلس وسطهم ، كتوسطهم . (٦) السنوط : الذى لاشعر فى وجهه

البتة « الكوسج » كجعفر ، وفى الأصل « السبوط » بالباء ، ولم أجده فى كتب اللغة ، وإنما الذى فيها من

هذه المادة : « أسبط بالأرض : لصق » فالوصف منه « مسبط » ومعناه على هذا : السكل المتقاعد عن السعى ،

والربوط ، يريد به الملازم لبيته الذى لا يخرج منه للتصرف والعمل كانه قد ربط نفسه فيه .

فهن زينه الخير ، ويقلن عاقى الله فلاناً ، قال : على هذا لعنة الله ، فأخبرني بخير الرجال ؟  
قال : خيرهم الذى يقول فيه السماخ التغابى :

فتى ليس بالراضى بأذنى معيشة ولا فى بيوت الحى بالمتواج<sup>(١)</sup>  
فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه ويضرب فى رأس الكمي المدجج<sup>(٢)</sup>  
فقال له : حسبك ، كم حبسنا عطاءك ؟ قال : ثلاث سنين ، فأمر له بها

وخلى سبيله . ( مروج الذهب ٢ : ١٤٧ )

### ٣٩٤ - ابن القرية يعدد مساوى المزاح

وقال الحجاج بن يوسف لابن القرية : ما زالت الحكماء تذكره المزاح وتنهى عنه ،  
فقال : « المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب : المزاح أوله فرح وآخره  
ترح ، المزاح نقائص السفهاء كالشعر نقائص الشعراء ، والمزاح يؤغر صدر الصديق ،  
وينفر الرفيق ، والمزاح يبدي السرائر ، لأنه يظهر المعابر ، والمزاح يسقط المروءة ، ويبدي  
الحنأ ، لم يجز المزاح خيراً وكثيراً ما جرّ شراً ، الغالب بالمزاح واتر ، والمغلوب به نأر ،  
والمزاح يجلب الشتم صغيره ، والحرب كغيره ، وليس بعد الحرب إلا عفو بعد قدرة » ،  
فقال الحجاج : « حسبك ، الموت خير من عفوٍ معه قدرة » .

( زهر الآداب ٢ : ٨٥ )

(١) الداخل .

(٢) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع ، يكنى عن كرمه ، والمدجج : الشاك في السلاح .

## ٣٩٥ - يزيد بن أبي مسلم وسليمان بن عبد الملك

لَمَّا وَلى سليمان بن عبد الملك ، أتى يزيد بن أبي مسلم : مولى الحجاج ، في جامعة<sup>(١)</sup> ، وكان رجلاً دميماً تقطع<sup>(٢)</sup> العين ، فلما رآه سليمان قال : لعن الله امرأً أجرك رَسَنَكَ<sup>(٣)</sup> ، وولى مثلك ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني والأمر عني مُذبر ، ولو رأيتني والأمر على مُقبل ، لاستعظمت من أمرى ما استصغرت ، ولا استجَلَلت ما استحققت ، فقال له سليمان : « أين ترى الحجاج ، أيهوى في النار ، أم قد استقر في قعرها ؟ » ، فقال : « يا أمير المؤمنين : لا تقل هذا ، إن الحجاج قمع لكم الأعداء ، ووطأ لكم المقابر ، وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس ، وبعد فإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك ، وشمال أخيك الوليد ، فضعه من النار حيث شئت » ، فصاح سليمان : اخرج إلى لعنة الله ، ثم التفت إلى جلسائه ، فقال : قبَّحه الله ما كان أحسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه ، ولقد أحسن المكافأة ، أطلقوا سبيله .

( أمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٥ ، والمعقد الفريد ١ : ١٥٠ ،

ومروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، والبيان والتبيين ١ : ٢١٠ )

---

(١) الجامعة : القيد . (٢) قزدرية . (٣) الرسن : الحبل ، وأجره رسنه : تركه يصنع ماشاء ، يعنى الحجاج ، وكان سليمان يكتب إلى الحجاج في أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كتباً فلا ينظر له فيها ، فحمد عليه ، وكتب إليه كتاباً شديد اللهجة ، وفيه يقول « وأيم الله لن أمكنني الله منك لأدوسنك دوسة تلين منها فرائصك ، ولأجعلنك شريداً في الجبال ، تلوذ بأطراف الشمال » ويقول : فرويدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك إن كانت بي وبك مدة أتعلق بها » فرد عليه الحجاج بكتاب يقول فيه : « ولعمري إنك نصبي حديث السن تعذر بقلة عقلك ، وحدائث سنك ، ويرقب فيك غيرك » ويقول : « جمعت أمورا دلاك فيها الشيطان على أسوأ أمرك ، فكان الجفاء من خليقتك ، والحدق من طبيعتك ، وأقبل الشيطان بك وأدبر . . . الخ » انظر المعقد الفريد ج ٣ ص ١٦ ، وقد مات الحجاج قبل أن يتولى سليمان الخلافة بسنة .

## ٣٩٦ - وفود العراق على سليمان بن عبد الملك

وقدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك بعد ما استخلف ، فأمرهم بشتم الحجاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم : « إن عدو الله الحجاج كان عبداً زبانياً<sup>(١)</sup> ، قنور بن قنور<sup>(٢)</sup> ، لا نسب له في العرب » قال سليمان : أى شتم هذا ! إن عدو الله

(١) بائع زبيبي ، قيل إنه كان يبيع الزبيب بالطائف ، وذكروا أنه كان أول أمره يعلم الصبيان مع أبيه بالطائف - ويسمى كليبا - وفيه يقول الشاعر :

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكور ؟  
رغيف له فلك دائر وآخر كالقمر الأزهر

« يشير إلى خبز المعلمين ، فإنه مختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان » ويقول آخر :

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبداً من عبدة إباد  
زمان هو العبد المقر بذله يروح صبيان القرى ويغادى

« راحهم وروحهم : ذهب إليهم رواحا » ، ثم صار دباغاً كما يدل على ذلك هجاء كعب الأشقرى له ، وذلك أن المهلب بن أبي صفرة لما أطال قتال الأزارقة ، كتب إليه الحجاج يستبطئه ويضعفه ويعجزه في تأخير مناجزتهم ، فقال المهلب لرسوله : قل له : إن الشاهد يرى مالا يرى الغائب ، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى ، فإن امكنتني الفرصة انهنزتها ، وإن لم تمكني فأذا أدبر ذلك بما يصلحه ، وإن أردت مني أن أعمل برأيك وأنت غائب ، فإن كان صواباً فلك ، وإن كان خطأ فعلى ، فابعث من رأيك مكانى » وقام كعب الأشقرى إلى المهلب ، فأنشده بحضرة رسول الحجاج أبياتا منها :

إن ابن يوسف غره من غزوكم خفض المقام بجانب الأمصار  
لو شاهد الصفين حين تلاقيا ضاقت عليه رحبة الأقطار  
ورأى معارضة الدباغ غنيمة أزمان كان محالف الإقتار

فبلغت أبياته الحجاج ، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرى إليه ، فأعلم المهلب كعباً بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك من ليلته ، وكتب إليه يستوجه منه ، فقدم كعب على عبد الملك واستنشده ؛ فأعجبه ما سمع منه ، فأوفده إلى الحجاج ، وكتب إليه يقسم عليه أن يعفو عنه ، فلما دخل عليه قال : إيه يا كعب ، « ورأى معارضة الدباغ غنيمة » ! فقال له : أيها الأمير ، والله لقد وددت في بعض مشاهدته في تلك الحروب رأوماتها ، وما يوردناه المهلب من خطرها ، أن أنجو منها ، وأكون حججاً ، أو حائكاً ، فقال له الحجاج : أول لك ، لولا قدم أمير المؤمنين لما نفعلك ما أسمع ، فالحق بصاحبك ، وبعض الرواة ينكر هذا القول ، ويقول : هذه من أكاذيب الشعراء : - انظر الأغاني ج ١٣ ص ٥٧ ، وشرح العيون ص ١١٢ ، والعقد الفريد ٣ : ٦ . (٢) القنور : الشرس الصعب من كل شيء ، وكسنور : العبد .



الحجاج كتب إلى : « إنما أنت نقطة من مداد ، فإن رأيت في ما رأى أبوك وأخوك كفت لك كما كفت لهما ، وإلا فأنا الحجاج وأنت النقطة ، فإن شئت محوتك ، وإن شئت أثبتك » فالعنوه لعنه الله ، فأقبل الناس يلعنونه ، فقام ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا نخبرك عن عدو الله بعلم » قال : هات ، قال : « كان عدو الله بتزوين تزوين المومسة<sup>(١)</sup> ، ويصعد المنبر فيتمكلم بكلام الأخيار ، فإذا نزل عمل عمل الفراعنة ، وأكذب في حديثه من الدجال » ، فقال سليمان لرجاء بن حيوة : « هذا وأبيك الشتم ، لا ما تأتى به السفلة<sup>(٢)</sup> » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١١ )

### ٣٩٧ - كلام أبي حازم لسليمان بن عبد الملك

حج سليمان بن عبد الملك ، فلما قدم المدينة للزيارة بعث إلى أبي حازم الأخرج ، وعنده ابن شهاب ، فلما دخل قال : تكلم يا أبا حازم . قال : فيم أتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال : في المخرج من هذا الأمر . قال : يسير إن أنت فعلته . قال : وما ذاك؟ قال : لا تأخذ الأشياء إلا من حيلها ، ولا تضعها إلا في أهلها . قال : ومن يقوى على ذلك؟ قال : من قلده الله من أمر الرعية ما قلده ، قال : عظمى أبا حازم . قال : اعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من كان قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك . قال : يا أبا حازم أشر على ، قال إنما أنت سوق ، فما نفق<sup>(٣)</sup> عندك حيل إليك من خير أوشر ، فاختر أيهما شئت . قال : مالك لا تأتينا؟ قال : وما أصنع بإنيمانك يا أمير المؤمنين؟ إن أدنيتني فتدنيتني ، وإن أقصيتني أخزيتني ، وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندي

(١) امرأة موسى ومومسة : فاجرة ، أو مجاهرة بالفجور « من الومس كوعد : وهو احتكاك الشيء بالشيء حتى ينجرد؟ وأومست : أمكنت من الومس » . (٢) سفلة الناس كنعمة وفرحة : أسافلهم وغوغاؤهم . (٣) راج .

ما أخافك عليه : قال : فارفع إلينا حاجتك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ،  
فما أعطاني منها قِبَلْتُ ، وما منعتني منها رَضِيْتُ .

( العقد الفريد ١ : ٣٠٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٧٢ )

### ٣٩٨ - أبو حازم وسليمان بن عبد الملك أيضاً

ودخل عليه أبو حازم الأعرج ، فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ فقال :  
لأنكم عمرتم دنياكم ، وأخرتكم آخرتكم ، فأنتم تـكـرـهـون النـقـلـة من العـمـرـان إلى  
الخراب ، قال : فأخبرني ، كيف القـدوم على الله ؟ قال : أما المـجـسـن فكـالغـائب يأتى  
أهله مسروراً ؟ وأما المـسـيء فكـالعبـد الـآبـق<sup>(١)</sup> يأتى مولاه محزوناً ، قال : فأى الأعمال  
أفضل ؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال : فأى القول أعدل ؟ قال : كلمة  
حق عند من تخاف وترجو ، قال : فأى الناس أعقل ؟ قال : من عمل بطاعة الله ، قال :  
فأى الناس أجهل ؟ قال : من باع آخرته بدنيا غيره ، قال : عـظـمى وأوجـز ، قال :  
يا أمير المؤمنين ، نزهه ربك ، وعظمه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ،  
فبكى سليمان بكاء شديداً ، فقال له بعض جاسائيه : أسرفتَ وَيْحَكَ على أمير المؤمنين ،  
فقال له أبو حازم : أسكت فإن الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيدنه للناس  
ولا يكتبونه ، ثم خرج فلما صار إلى منزله بعث إليه سليمان بمال ، فردّه وقال للرسول :  
قل له : والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك ، فكيف أرضاه لنفسى ؟

( مروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٧ )

(١) الآبق : المارب .

### ٣٩٩ - وفد أهل الحجاز عند عمر بن عبد العزيز

لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، قدّم عليه وفود أهل كل بلد ، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فأشرب منهم غلاماً للكلام ، فقال عمر : مهلاً يا غلام ، ليتكلم من هو أسنُّ منك ، فقال الغلام : مهلاً يا أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استجد له الحليّة ، ولو كان التقدم بالسنّ لكان في هذه الأمة من هو أحقّ بمجالسك منك ، فقال عمر : صدقت ، تكلم ، فهذا السّحر الحلال ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن وفد الهنئة لا وفد المرزنة<sup>(١)</sup> ، قدّمنا إليك من بلدنا ، نحمد الله الذى منّ بك علينا ، لم يُخرجنا إليك رغبةً ولا رهبةً ، لأننا قد أمنا في أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا ، فقال : عظنا يا غلام وأوجز ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن أناساً غرّم حِلْمُ الله عنهم ، وطولُ أمليهم ، وحسنُ ثناء الناس عليهم ، فلا يفرّونك حِلْمُ الله عنك ، وطولُ أملاك ، وحسنُ ثناء الناس عليك ، فتزلّ قدمك ، فنظر عمر في سن الغلام ، فإذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة<sup>(٢)</sup> ، فأنشأ عمر يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالماً      وليس أخو علم كمن هو جاهل  
وإن كبير القوم لا علمَ عنده      صغيرٌ إذا التفت عليه المحافل

(مروج الذهب ٢ : ١٦٩ ، وزهر الآداب ١ : ٩)

(١) رزاه ماله كجعل وعلم : أصاب منه شيئاً ، ورزاه مرزنة : أصاب منه خيراً ، أى لساناً وافدين للمطاء.

(٢) وفى زهر الآداب : « فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر سنين ».

## ٤٠٠ - خالد بن صفوان يعزى عمر بن عبد العزيز ويهنئه

وعزى خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز وهنأه بالخلافة ، فقال :  
 « الحمد لله الذى من على الخلق بك ، والحمد لله الذى جعل موتكم رحمة ، وخلافتكم  
 عِصمة ، ومصائبكم أسوة ، وجعلكم قدوة »  
 (زهر الآداب ٣ : ٣٤٧)

## ٤٠١ - خطبة عبد الله بن الأهم

دخل عبد الله بن الأهم على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - مع العامة ، فلم  
 يفجأ عمر إلا وهو مائل بين يديه يتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
 « أما بعد ، فإن الله خلق الخلق ، غنيًا عن طاعتهم ، آمنًا من معصيتهم ، والناس  
 يومئذ في المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشر تلك المنازل ، أهل الوتر وأهل المدر ،  
 تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاغة<sup>(١)</sup> عيشتها ، مئيتهم في النار ، وحبهم أعمى ، مع  
 ما لا يخلصى من المرغوب عنه ، والمزهود فيه ، فلما أراد الله أن يندشر فيهم رحمة ، بعث  
 إليهم رسولاً منهم « عزيرٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالموؤمنين رهوفٌ رحيمٌ » ،  
 فلم يمدحهم ذلك أن جرحوه في جسمه ، ولقبوه في اسمه<sup>(٢)</sup> ، ومعه كتاب من الله لا يرحل  
 إلا بأمره ولا ينزل إلا بإذنه ، واضطروه إلى بطن غار ، فلما أمر بالعزيمة أسفر لأمر الله  
 لونه ، فأفدج<sup>(٣)</sup> الله حجته ، وأعلى كلمته ، وأظهر دعوته ، ففارق الدنيا نقيًا نقيًا ،  
 صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم قام بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فسلك سنته وأخذ سبيله ،  
 وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا الذى كان قابلاً منهم ،

(١) الرفافة والرفاغية : سعة للعيش والخصب .  
 (٢) فوصفوه بأنه ساحر ، وكذاب ،  
 وكاهن ، وشاعر . (٣) نصر .

فانتضى السيوف من أغمادها ، وأوقد النيران من شعاعها ، ثم ركب بأهل الحق أهلَ الباطل ، فلم يَبْرَحْ يفصل أوصالهم ، ويسقي الأرضَ دماءهم ، حتى أدخاهم في الذي خرجوا منه ، وقرّرهم بالذي نفرّوا منه ، وقد كان أصاب من مال الله بَكْرًا<sup>(١)</sup> يرتوى عليه ، وحبشية تُرَضِّع ولداً له ، فرأى ذلك غصّة عند موته في حلقه ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وَبَرِيْهُ إِلَيْهِمْ مِنْهُ ، وفارق الدنيا نقيماً تقيماً ، على منهاج صاحبه ، رضى الله تعالى عنه . ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمصرّ الأُمصار ، وخاط الشدة باللين ، فحسّر عن ذراعيه ، وشمّر عن ساقيه ، وأعدّ الأمور أقرانها<sup>(٢)</sup> ، وللحرب آلتها ، فلما أصابه قِن<sup>(٣)</sup> المغيرة بن شعبة ، أمر ابن عباس يسأل الناس : هل يُثبتون قاتله ؟ فلما قيل له قِن المغيرة ، استهل<sup>(٤)</sup> بحمد الله أن لا يكون أصابه ذو حق في الفء ، فيستجِلّ دمه بما استجِلّ من حقه ، وقد كان أصاب من مال الله بضعاً وثمانين ألفاً ، فكسر بها رِباءه<sup>(٥)</sup> ، وكره بها كغفالة أهله وولده ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا نقيماً تقيماً على منهاج صاحبه ، رضى الله تعالى عنهما ، ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدها إلا على ظُلْم<sup>(٦)</sup> ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ، ولدتك ملوكها ، وألقتك ثديها ، فلما وُلِيَتْها ألقيتها حيث ألقاها الله ، فالحمد لله الذى جلا بك حَوْبَتها<sup>(٧)</sup> ، وكشف بك كُرْبَتها ، امضِ ولا تلتفت ، فإنه لا يذِلّ على الحق شيء ، ولا يعزّ على الباطل شيء ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات ، ولما أن قال : « ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدها إلا على ظُلْم » سكت الناس كلهم إلا هشاماً فإنه قال : « كذبت » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٩ . والعقد الفريد ٢ : ١٤٣ . وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٠٩ . وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٣٦ ) .

- (١) الفقى من الإبل . (٢) أسبابها التى تقاد بها ، جمع قرن كسبب : وهو الحبل يجمع به البعيران . (٣) القن : عبد ملك هو وأبوه ، أو الذى ولد عندك ولا تستطيع إخراجه عنك (٤) صاح . (٥) الرباع جمع ربيع كشمس : وهو الدار . (٦) جمع ظالم : وهو المتهم والمائل ، وأصله من ظلم البهر كنع : غمز فى شيء . (٧) الحوبة : ألهم والحاجة .

## ٤٠٢ - مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز

قام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز ، فقال :

« إنما الدنيا سوق من الأسواق ، فمنها خرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ، وكم من قوم قد غرهم مثل الذي أصبَحنا فيه ، حتى أتاهم الموت فاستوعبهم ، فخرجوا من الدنيا مُرَمِلِينَ<sup>(١)</sup> ، لم يأخذوا ما أحبوا من الآخرة عُدَّةً ، ولا لما كرهوا جنةً ، واقتسم ما جمعوا من لم يَحْمَدِهم ، وصاروا إلى من لا يَعْذِرهم ، فانظر الذي تحب أن يكون معك إذا قَدِمْتَ ، فَقَدِّمه بين يديك حتى تخرج إليه ، وانظر الذي تكره أن يكون معك إذا قَدِمْتَ ، فابتغ به البَدَلَ ، حيث يجوز البَدَل ، ولا تذهبن إلى سِلعة قد بَارَتْ على غيرك ، ترجو جوازها عنك . يا أمير المؤمنين ، افتح الأبواب ، وسهّل الحِجَاب ، وانصر المظلوم ، وَرُدِّ الظالم » .

( عيون الأخبار م ٢ ص ٣٤٣ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٣٤ )

## ٤٠٣ - وفد أهل الحجاز على هشام بن عبد الملك

وفد أهل الحجاز من قريش على هشام بن عبد الملك بن مروان ، وفيهم محمد ابن أبي الجهم<sup>(٢)</sup> بن حذيفة العدوي ، وكان أعظمهم قدراً ، وأكبرهم سناً ، وأفضلهم رأياً وحِلماً ، فقام متوكِّئاً على عصا ، فقال :

أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك فأطنبت ، وأئننت عليك فأحسنت ، ووالله ما باغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى مُثدِّبهم فضلك ، أفتأذن لي في الكلام؟ قال : تكلم ، قال : أفأؤجز أم أطنب ؟ قال : بل أؤجز ، قال : « تولاك الله أمير المؤمنين

(١) أرمل : نفذ زاده وافتقر . (٢) في الأمال « إسماعيل بن أبي الجهم » .

بالحسنى ، وزينتك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ، إن لى حوائج أفاد كرها ؟  
 قال : هاتها ، قال : كبرت سننى ، وضعفت قواى ، واشتدت حاجتى ، فإنت رأى  
 أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وَيَنْفِي فَقْرِي ه ، قال : يابن أبى الجهم ، وما الذى يجبر  
 كسرك ، وينفى فقرك ؟ قال : ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار ، فأطرق هشام  
 طويلاً ، ثم قال : هيهات يابن أبى الجهم ، بيتُ المال لا يحتمل ما سألت ! فقال : أما  
 إن الأمر لو احد ، ولكن الله آثرك لمجاسك ، فإن تمطينا فحقنا أدبت ، وإن تمنعنا نسأل  
 الذى بيده ما حوت ، إن الله جعل العطاء محبةً ، والمنع مَبَغْضَةً ، ولأن أحبُّ أحبُّ  
 إلى من أن أبغضك ، قال : فألف دينار لماذا ؟ قال : أفضى بها ديناً قد حم<sup>(١)</sup> قضاؤه ،  
 وفدحنى<sup>(٢)</sup> سخله ، وأرهمنى<sup>(٣)</sup> أهله ، قال : نعم المسلك أسلكتها ، ديناً قضيت ، وأمانة  
 أدبت ، وألف دينار لماذا ؟ قال : أزوج بها من أدرك من ولدى ، فأشد بهم عضدى  
 ويكثر بهم مددى قال : ولا بأس أغضضت طرفاً ، وحصنت فرجاً ، وأمرت<sup>(٤)</sup>  
 نسلاً ، وألف دينار لماذا ؟ قال : اشتري بها أرضاً يعيش بها ولدى ، وأستعين بفضلها  
 على نواب دهرى ، وتكون ذخراً لمن بعدى ، قال : ولا بأس ، أردت ذخراً ،  
 ورجوت أجراً ، ووصلت رحماً ، قد أمرنا لك بما سألت ، قال : فالحمد لله على ذلك ،  
 وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً ، وخرج ، فقال هشام : تالله ما رأيت رجلاً  
 ألطف فى سؤال ، ولا أرفق فى مقال من هذا ، هكذا فليكن القرشى ، وإنا لعرف  
 الحق إذا نزل ، ونكره الإسراف والبخل ، وما نعطى تبذيراً ، ولا نمنع تقثيراً ،  
 وما نحن إلا خزائن الله فى بلاده ، وأمناؤه على عباده ، فإن أذن أعطينا ، وإذا منع أبدينا ؛  
 ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ماجبهننا<sup>(٥)</sup> قائلًا ، ولا رددنا سائلاً ،  
 فنسأل الذى بيده ما استحفظنا أن يجريه على أيدينا ، فإنه يبسط الرزق لمن يشاء

(١) حم الأمر : قضى وقدر . (٢) أثقلنى . (٣) الإرهاق : أن تحمل الإنسان هل  
 مالا يطيقه . (٤) كثرت . (٥) جبهه كنهه : اتقىه بما يكره .

وَيَقْدِرُ<sup>(١)</sup> ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لقد تكلمت فأبغمت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت ، فقال : إنه مبتدى ، وليس المبتدى كالمقتدى .  
( صبح الأعشى ١ : ٢٦٤ ، والآمال ١ : ١٤٧ ، والمعقد الفريد ٢ : ٢٨٥ )

## ٤٠٤ — مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد بن صفوان : وفدت على هشام فوجدته قد بدأ يشرب الدُّهْن ، وذلك في عام باكرٍ وسميَّه ، وتتابع وليُّه<sup>(٢)</sup> ، وأخذت الأرض زُخْرُفًا ، فهي كالزُّرَابِي<sup>(٣)</sup> المَبْثُوثَة ، والقَبَاطِي<sup>(٤)</sup> المنشورة ، وَثَرَاها كالكَافور ، لو وُضِعَتْ به بَضْعَةٌ<sup>(٥)</sup> لم تُتْرَب<sup>(٦)</sup> ، وقد ضُرِبَتْ له سُرادِقَات حَبْر<sup>(٧)</sup> ، بعث بها إليه يوسف بن عمر من اليمن ، تتلألاً كالعَقِيَّانِ<sup>(٨)</sup> ، فأرسل إليَّ ، فدخلت عليه ، ولم أزل واقفاً ، ثم نظر إليَّ كالمستنطق لي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتمَّ الله عليك نِعْمَه ، ودفع عنك نِقْمَه ، وجعل ما قلَّ لك من هذا الأمر رُشْدًا ، وعاقبة ما يثول إليه خُجْدًا ، وأخلصه لك بالثَّقَى ، وكثُر له بالثَمَاءُ ، ولا كدَّر عليك منه ما صَفَا ، ولا خالط سُرُورَه بالرَّدى ، فلقد أصبحتَ للمؤمنين ثِقَةً ومُسْتَرَاحًا ، إليك يقصدون في مظالمهم ، ويفزعون في أمورهم ، هذا مقام زَيْنَ الله به ذِكْرِي ، وأطاب به نَشْرِي<sup>(٩)</sup> ، إذ أراني وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامي هذا شيئاً هو أفضل من أن أنبئه أمير المؤمنين امضل نعمة الله عليه ، ليحمد الله على ما أعطاه ،

(١) يقبض ويقبض . (٢) الوسمى : مطر الربيع الأول ، سمي بذلك لأنه يسم الأرض ، والولي : المطر بعد الوسمى . (٣) جمع زربي بالكسر ويضم : النمارق والبسط ، أو كل ما بسط واتكى عليه ( والنمارق : الرسائل الصغيرة ) . (٤) قباطي بضم الأول مع تشديد الآخر ، وقباطي بفتح الأول مع تخفيف الآخر جمع قبضية بالضم على غير قياس ، وقد تكسر : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل في مصر . (٥) البضعة وقد تكسر : القطعة من اللحم . (٦) أتربه وتربه : جعل عليه التراب . (٧) حبر جمع حبرة كعنبه : ضرب من برود اليمن . (٨) العقيان : الذهب . (٩) النشر : الرائحة الطيبة .



ولا شيء، أحضر من حديث سلف ملك من ملوك العجم، إن أذن لي فيه حديثه به، قال: هات، قلت: «كأن رجل من ملوك الأعاجم جمع له فتاه<sup>(١)</sup> السن، وصحة الطباع، وسعة الملك، وكثرة المال، وذلك بالخوزنق، فأشرف يوماً، فنظر ما حوله، فقال لمن حضره: هل علمتم أحداً أوتي مثل الذي أوتيت؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجّة: إن أذنت لي تكلمت. فقال: قل، فقال: أرايت ما جمع لك، شيء هو لك، لم يزل ولا يزول، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه، وصار إليك، وكذلك يزول عنك؟ قال: لا. بل شيء كان لمن قبلي، فزال عنه، وصار إليّ، وكذلك يزول عنى، قال: فسرت بشيء تذهب لذته، وتبقى تبعته، تكون فيه قليلاً، وترتهن به طويلاً؟ فبكي وقال: أين المهرب؟ قال: إلى أحد أمرين: إما أن تُقيم في ملكك، فتعمل فيه بطاعة ربك، وإما أن تُلقني عليك أمساحاً<sup>(٢)</sup>، ثم تلحق بجبل، تعبد فيه ربك. حتى يأتي عليك أجلك، قال: فمالى إذا أنا فعلت ذلك؟ قال: حياة لا تموت، وشباب لا يهرم، وصحة لا تسقم، وملاك جديد لا يبلى، قال: فإذا كان السحر فافرع على بابى، فإني مختار أحد الرأيين، فإن اخترت ما أنا فيه، كنت وزيراً لا يعصى، وإن اخترت فلوات الأرض وقفر البلاد، كنت رقيقاً لا يخالف، ففرع عليه عند السحر بابه، فإذا هو قد وضع تاجه، وخلع أطماره، ولبس أمساحه، وتهبأ للسياحة، فلزما والله الجبل، حتى أتاهما أجلهما»، وأنشده قول عدي بن زيد:

وتفكر رب الخوزنق إذا أصبح يوماً وللهدى تفكير  
سرّه حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير<sup>(٣)</sup>  
فارعى قلبه، فقال: وما غبطة حتى إلى الممات بصير؟<sup>(٤)</sup>

فبكي هشام وقام ودخل، فقال لي حاجبه: لقد كسبت نفسك شراً، دعاك أمير المؤمنين.

(١) الفتاه كساء: الشباب. (٢) الأمساح جمع مسح كحمل: وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان.

(٣) معرضاً: من أمرض الشيء إذا ظهر وبرز. (٤) الغبطة: المسرة.

لَمُحَدِّثِهِ وَتُلْهِمِيهِ ، وَقَدْ عَرَفْتَ عِلَّتَهُ ، فَمَا زِدْتَ عَلَيَّ أَنْ نَعَيْتَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ ، فَأَقَمْتَ أَيَّامًا أَنْتَ تَتَوَقَّعُ  
الشَّرَّ ، ثُمَّ أَتَانِي حَاجِبُهُ ، فَقَالَ : قَدْ أَمَرَ لَكَ بِجَائِزَةٍ ، وَأَذِنَ لَكَ فِي الْإِنْعِرَافِ .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٤١ ؛ الأغاني ٢ : ٣٣ )

## ٤٠٥ - خالد بن صفوان يصف جريراً والفرزدق والأخطل

قال هشام بن عبد الملك لِشَيْبَةَ بْنِ عِقَالٍ - وَعِنْدَهُ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ ، وَهُوَ  
يَوْمَئِذٍ أَمِيرٌ - أَلَا تَخْبِرُنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ مَزَّقُوا أَعْرَاضَهُمْ ، وَهَتَكُوا أَسْتَارَهُمْ ،  
وَأَغْرَوْا بَيْنَ عَشَائِرِهِمْ ، فِي غَيْرِ خَيْرٍ وَلَا بَرٍّ وَلَا نَفْعٍ ، أَيُّهُمْ أَشْعَرُ ؟ فَقَالَ شَيْبَةُ : « أَمَّا جَرِيرٌ  
فَيَغْرِفُ مِنَ الْبَحْرِ ، وَأَمَّا الْفَرَزْدَقُ فَيَنْجَحُ مِنْ صَخْرٍ ، وَأَمَّا الْأَخْطَلُ فَيُجِيدُ الْمَدْحَ وَالْفَخْرَ » ،  
فَقَالَ هِشَامٌ : مَا فَسَّرْتَ لَنَا شَيْئًا نَحْصَلُهُ ، فَقَالَ : مَا عِنْدِي غَيْرَ مَا قُلْتَ . فَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ :  
صَفْهِمُ لَنَا يَا بْنَ الْأَهْمِ ، فَقَالَ :

« أَمَا أَعْظَمُهُمْ فَخْرًا ، وَأَبْعَدَهُمْ ذِكْرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ عُذْرًا ، وَأَسِيرَهُمْ مَثَلًا ، وَأَقْلَهُمْ  
غَزَلًا ، وَأَحْلَامَهُمْ عِلَلًا ، الطَّامِي إِذَا زَخَرَ ، وَالْحَامِي إِذَا زَارَ<sup>(١)</sup> ، وَالسَّامِي إِذَا خَطَرَ ، الَّذِي  
إِنْ هَدَرَ قَالَ ، وَإِنْ خَطَرَ صَالَ ، الْفَصِيحُ الْإِسَانُ ، الطَّوِيلُ الْعِنَانُ ، الْفَرَزْدَقُ ؛ وَأَمَّا أَحْسَنُهُمْ  
نَعْمًا ، وَأَمْدَحُهُمْ بَيْتًا ، وَأَقْلَهُمْ فَوْتًا ، الَّذِي إِنْ هَجَا وَضَعَ ، وَإِنْ مَدَحَ رَفَعَ ، فَالْأَخْطَلُ ؛  
وَأَمَّا أَغْزَرُهُمْ بِحْرًا ، وَأَرْقَهُمْ شِعْرًا ، وَأَهْتَكَهُمْ لَعْدُوهُ سِتْرًا ، الْأَغْرِيُّ الْأَبْلَقُ ، الَّذِي إِنْ  
طَلَبَ لَمْ يُسَبِّقْ ، وَإِنْ طَابَ لَمْ يُبَاحِقْ ، فَجَرِيرٌ ، وَكَلَهُمْ ذِكِّي الْفَوَادِ ، رَفِيعُ الْعِمَادِ ،  
وَارِي الزَّنَادِ » .

فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِكَ يَا خَالِدُ فِي الْأَوَّلِينَ ، وَلَا رَأَيْنَا فِي الْآخِرِينَ ،  
وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَحْسَنُهُمْ وَصَفَا ، وَالْيَنِيبُ عِطْفًا ، وَأَعْفَهُمْ مَقَالًا ، وَأَكْرَمَهُمْ فَعَالًا .  
فَقَالَ خَالِدٌ : « أَمَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ، وَأَجْزَلَ لَدَيْكُمْ قِسْمَةً ، وَأَنْسَ بِكُمْ الْغُرْبَةَ ،

(١) وفي رواية زهر الآداب : « إِذَا ذَعَرَ » .

وفرج بكم الكربة ، وأنت والله ما علمت أيها الأمير كريم الغراس ، عالم بالناس ، جواد في المجل<sup>(١)</sup> ، بسام في البذل ، حليم عند الطيش ، في ذروة قر يش ، وأبواب عبد شمس ، ويومك خير من أمس .

فضحك هشام وقال : « ما رأيت كتحملك يا بن صفوان في مدح هؤلاء وروصهم ، حتى أرضيتهم جميعاً ، وسليت منهم » .

( الأغاني ٧ : ٦٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٦٣ )

## ٤٠٦ - خالد بن صفوان وبلال بن أبي بردة

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي : كان بلال بن أبي بردة<sup>(٢)</sup> جلدًا حين أبتلي ، أحضره يوسف بن عمر في قيوده ، لبعض الأمر ، وهم بالحيرة ، فقام خالد بن صفوان ، فقال ليوسف : « أيها الأمير ، إن عدو الله بلالاً ضربني وحبسني ، ولم أفارق جماعة ، ولا خلعتُ بدأ من طاعة » ، ثم التفت إلى بلال فقال : « الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهدأ أركانك ، وأزال جمالك ، وغير حالك ، فوالله لقد كنت شديد الحجاب ، مستخفياً بالشريف ، مظهرًا للعصبيّة<sup>(٣)</sup> » .

فقال بلال : « يا خالد ، إنما استطلت عليّ بثلاث ، هن معك عليّ ، الأمير مُقبل عليك ، وهو عني مُعرض ؛ وأنت مُطلق ، وأنا مأسور ؛ وأنت في طينتك وأنا غريب » ، فأخمه .

وكان سبب ضرب بلال خالدًا في ولايته ، أن بلالًا مرَّ بخالد في مؤكب عظيم ، فقال خالد : سحابة صيف عن قليل تقشع<sup>(٤)</sup> ، فسمعه بلال ، فقال : والله لا تقشع أو يصيبك منها شوبوب<sup>(٥)</sup> برد ، وأمر بضربه وحبسه .

( زهر الآداب ٣ : ١٩٠ )

(١) القحط والجذب . (٢) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري .

(٣) وكان أصله من العرب البياضين . (٤) تنكشف وتنفرق . (٥) الشوبوب : الدفعة من المطر .

## ٤٠٧ - خطبة الكميّ بن زيد بين يدي هشام يستعطفه

روى صاحب العقد قال :

كَانَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ يَمْدَحُ بَنِي هَاشِمٍ وَيَعْرِضُ بِبَنِي أُمَيَّةٍ ، فَطَلَبَهُ هِشَامُ ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَشْرِينَ سَنَةً<sup>(١)</sup> ، لَا يَسْتَقِرُّ بِهِ الْقَرَارُ ، مِنْ خَوْفِ هِشَامٍ ، وَكَانَ مَسْأَلَةً بِنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَهُ عَلَى هِشَامٍ حَاجَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَقْضِيهَا لَهُ ، وَلَا يَرُدُّهُ فِيهَا ، فَلَمَّا خَرَجَ مَسْأَلَةً يَوْمًا إِلَى بَعْضِ صُيُودِهِ ، أَتَى النَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، وَأَتَاهُ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ فَيَمْنُ أُنَى ، فَقَالَ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، أَمَا بَعْدُ :

قِفْ بِالْدِيَارِ وَقُوفَ زَائِرٍ وَتَأَنَّ ، إِنَّكَ غَيْرُ صَاحِرٍ<sup>(٢)</sup>

حتى انتهى إلى قوله :

يَا مَسْلَمَ بْنَ أَبِي الْوَلِيدِ لِمِيتٍ إِنْ شِئْتَ نَاشِرٍ<sup>(٣)</sup>  
عَلِمَتْ حِبَالِي مِنْ حَبَا لِكَ ذِمَّةِ الْجَارِ الْجَارِ  
فَالآنَ صِرْتُ إِلَى أُمَيَّةَ ، وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ  
وَالآنَ كُنْتُ بِهَ الْمَصِيبِ كَهْتَدٍ ، بِالْأَمْسِ حَائِرٍ

فقال مسامة : سبحان الله ! من هذا الهندكي<sup>(٤)</sup> الجاحب<sup>(٥)</sup> ، الذي أقبل من أخريات الناس ، فبدأ بالسلام ، ثم أمّا بعد ، ثم الشعر ؟ قيل له : هذا الكميّ بن زيد ، فأعجب به لفصاحته وبلاغته ، فسأله مسامة عن خبره ، وما كان فيه طول غيبته ، فذكر له سُخْطَ أمير المؤمنين عليه ، فضمن له مسامة أمانه ، وتوجّه به حتى أدخله على هشام - وهشام لا يعرفه - فقال الكميّ : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ،

(١) يلاحظ أن مدة خلافة هشام كانت عشرين سنة من سنة ١٠٥ - إلى سنة ١٢٥ هـ . (٢) صاغر : ذليل

(٣) نشره وأنشره : أحياه . (٤) رجل هندي : من أهل الهند ، ( وهو هنا على التشبيه ) .

(٥) الجاحب : الشيخ الكبير ، والفضخم الأجلح ، ( والأجلح : الذي انحصر الشعر من جانبي رأسه ) .

الحمد لله ، قال هشام : نعم . الحمد لله ، ما هذا ؟ قال الكهيت : مبتدئ الحمد ومبتدعاه ،  
الذي خص بالحمد نفسه ، وأمر به ملائكته ، جعله فاتحة كتابه ، ومنتهى شكره ،  
وكلام أهل جنّته ، أحده حمد من علم يقيناً ، وأبصر مستبيناً ، وأشهد له بما شهد به  
لنفسه « قائماً بالقسط<sup>(١)</sup> » وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده العربي ،  
ورسوله الآتي ، أرسله والناس في هفوات حيرة ، ومدلهمات ظلمة ، عند استمرار أبيه<sup>(٢)</sup>  
الضلال ، فبلغ عن الله ما أمر به ، ونصح لأمة ، وجاهد في سبيله ، وعبد ربه ، حتى  
أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم .

ثم إنى يا أمير المؤمنين ، نهت في حيرة ، وحرت في سكرة ، ادلّام<sup>(٣)</sup> بي خطرهما ،  
وأهاب<sup>(٤)</sup> بي داعيها ، وأجابني غاويها ، فاقطوطيت<sup>(٥)</sup> إلى الضلالة ، واتسكمت<sup>(٦)</sup>  
في الظلمة والجهالة ، جائراً عن الحق ، قائلاً بغير صدق ، فهذا مقام العائذ<sup>(٧)</sup> ، ومنطق  
التائب ، ومبصر الهدى بعد طول العمى ، يا أمير المؤمنين كم من عائر أفلمت عثرته ،  
ومجترم<sup>(٨)</sup> عفوت عن جرّمه .

فقال له هشام - وأيقن أنه الكهيت - وَيُنْحَك ! مَنْ سَنَّ لَكَ الْغَوَايَةَ ، وَأَهَابَ بِكَ  
فِي الْعَمَايَةِ<sup>(٩)</sup> ؟ قال : الذي أخرج أبي آدم من الجنة : فذسي ولم يجد له عزماً ،  
وأمر المؤمنين كريح رحمة أثارت سحاباً متفرقاً ، فلذقت<sup>(١٠)</sup> بعضه إلى بعض ، حتى التحم  
فاستحك هذر<sup>(١١)</sup> رَعْدَه ، وتألّو برقه ، فنزل الأرض فرويت ، واخضلت<sup>(١٢)</sup>

(١) العدل . (٢) الأبهة : العظمة والبهجة والكبر . (٣) ادلّام الليل : ادلّهم أى اسود  
وأظلم ، وفى الأصل « ادلّام » وهو تصحيف . (٤) أى دعانى ؛ وفى الأصل « وأهب » وهو تحريف ؛  
(ويقال أيضاً هببت به أى دعوته لينزو) . (٥) اقطوطى : قارب فى مشيه إسراراً .  
(٦) تسكمت : مشى مشياً متعسفا لا يدرى أين يأخذ من بلاد الله ، وتحير . (٧) اللاجى : المستجير .  
(٨) جرم فلان وأجرم واجترم : أذنب . (٩) العماية : الغواية . (١٠) من لعق الثوب  
كضرب : ضم شقته إلى أخرى فخطاهما . (١١) من هذر البعير كضرب هدرا وهديرا : صوت ؛ وفى  
الأصل « هدار » وهو تحريف . (١٢) ابتلت .

واخضرت ، وأسقيت ، فروى ظمآنها ، وامتلاً عطشانها ، فكذلك نعدك أنت  
يا أمير المؤمنين ، أضاء الله بك الظلمة الداجية<sup>(١)</sup> بعد العموس<sup>(٢)</sup> فيها ، وحقن بك  
دماء قوم أشعر خوفك قلوبهم<sup>(٣)</sup> ، فهم يبكون لما يعلمون من حزمك وبصيرتك ،  
وقد علموا أنك الحرب وابن الحرب إذا احمرت الخدق ، وعصت المغافر<sup>(٤)</sup> بالهام ،  
عز بأسك ، واستربط جأشك<sup>(٥)</sup> ، مسعار هتان ، وكاف<sup>(٦)</sup> بصير بالأعداء ، مغرى  
الخيال بالنكراء<sup>(٧)</sup> ، مستغن برأيه عن رأى ذرى الألباب ، برأى أريب ، وحلم مصيب  
فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء ، ونعم عليه النعماء ، ودفع به الأعداء ، فرضى عنه هشام  
وأمر له بجائزة .

وروى صاحب الأغاني خطبة السكيت<sup>(٨)</sup> فقال :

(١) المظلمة . (٢) في الأصل : « العموس » بالغين ؛ وهو تجريف ، والصواب « العموس »  
من عمس ككرم وفرح عماسة وعموسا : اشتد واسود وأظلم . (٣) أشعر الخوف والهم قلبى :  
أزق به ، ركل ما ألزقت به شئ : أشعرت به . (٤) المغفر كنبر ، وبهاء ؛ وكسكتابة : زرد من الدرع  
يلبس تحت القلنسوة ؛ أو حلق يتقنع بها المتسلح . (٥) أى صار رابطا من ربط جأشه رباطة  
(بالسكر) اشتد قلبه . (٦) فلان مسعر حرب ومسعار : أى موقد نار الحرب ، ومطر هتان :  
دطال ، ووكاف كذلك ، وهما كناية عن الجود .

(٧) النكراء : الأمر الشديد . (٨) وكان سبب غضب هشام على السكيت : أن حكيم بن عباس  
الكلبي كان ولعا بهجاء مضر والسكيت مضرى - فكانت شعراء مضر تهجوه ويحجبهم ، وكان السكيت يقول  
هو والله أشعر منكم ، قالوا فأجب الرجل ، قال إن خالد بن عبد الله القسرى - والى العراق وهو يبنى - محسن  
إلى ، فلا أقدر أن أرد عليه ، قالوا فاسمع بأذنك ما يقول فى بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ،  
وأشدوه ذلك فحمى السكيت لعشيرته ؛ فقال قصيدته المذمبة ؛ وبلغ ذلك خالد فقال والله لأقتله ، ثم اشترى  
ثلاثين جارية بأعلى ثمن ؛ وتخيرهن نهاية فى حسن الوجوه والكمال والأدب ؛ فرواهن الهاشميات - وهى  
قصائد ق لها السكيت فى مدح بنى هاشم ، وكان معروفا بالتشيع لهم مشهورا بذلك ، وتمت هذه القصائد من جيند  
شعره ومختاره وهى مطبوعة مشهورة - ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك ، فاشتراهن جميعا ، فلما أنس  
بهن استنطقهن ، فرأى فصاحة وأدبا ، فاستقرأهن القرآن فقرأن واستنشدهن الشعر ، فأشدنه قصائد  
السكيت الهاشميات ؛ فقال : ويا سكين ! من قائل هذا الشعر ؟ قلن السكيت بن زيد الأسدى ، قال وفى أى بلد =

حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « أما بعد : فإني كنت أتدهدى ،  
في غمرة<sup>(١)</sup> ، وأعووم في بحر غواية ، أخنى على خطئها ، واستفزني وهلمها<sup>(٢)</sup> ، فتجبرت  
في الضلالة ، وتسكمت في الجهالة ، مهرعا عن الحق ، جائراً عن القصد ، أقول الباطل  
ضلالاً ، وأفوه بالبهتان وبالأبلا ، وهذا مقام العائذ ، مُبصر الهدى ، ورائض العماية ،  
فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحوبة<sup>(٣)</sup> بالتوبة ، واصفح عن الزلة ، واعف عن  
الجرمة<sup>(٤)</sup> » ، ثم قال :

كم قال قائلكم لعاً لك ، عند عثرته لعاً<sup>(٥)</sup>  
وغفرتم لذوى الذنوب من الأكبـر والأصاغـر

= هو ؟ قلن : في العراق ثم في الكوفة . فكتب إلى خالد عاملاً بالعراق : ابعث إلى برأس الكميت ، فبعث إليه  
خالد في الليل ، فأخذه وأودعه السجن ، وعزم لينفذ أمر الخليفة فيه ، وأعمل الكميت الخيلة في الفرار ،  
فبعث إلى زوجته حبسى ( بضم ففتح الباء المشددة ) فلما دخلت عليه لبس ثيابها ، وتنقب ثيابها ، وأقامها  
مكانه ، وخرج متنكراً ، وظل متوارياً مدة ، حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه ، خرج ليلاً في جماعة من  
بنى أسد ، وما زال يسير حتى بلغ الشام ؛ واستجار بمسلمة بن عبه الملك ، فأجاره واحتال له في عفو الخليفة عنه ،  
فقال له : إن معاوية بن هشام مات قريباً ؛ وقد جزع عليه جزءاً شديداً ، فإذا كان الليل فاضرب رواقك على  
قبره ، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق ، فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بشيائك ،  
ويقولوا : هذا استجار بقبر أبينا ، ونحن أحق من أجاره ؛ فأصبح هشام على عادته متطعناً من قصره إلى  
القبر ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : لعله مستجير بالقبر ؛ فقال : يجاز من كان إلا الكميت فإنه لا جوار له ،  
فقيـل : فإنه الكميت ، قال : يحضر أعنف إحضار ، فلما دعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه ، فلما نظر  
هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر ، وهم يقولون : يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا ، وقد مات ومات  
حظه من الدنيا ، فاجعله هبة له ولنا ؛ ولاتفضحنا فيمن استجار به ، فسكى هشام حتى انتحب ؛ ثم أقبل على  
الكميت ؛ فقال له : يا كيت : أنت القائل كذا وكذا - بما أورده في هاشمياته؟ - فقال : لا والله ؛ ولا أذن  
من أتى الحجاز وحشية ؛ ثم خطب بين يديه يستمطفه ، فعفا عنه وأجاره ، وتوفى الكميت سنة ١٢٦ هـ .

(١) دهدى الحجر فتدهدى : دحرجه ، كدهده ، والغمرة : الانهماك في الباطل ، والشدة .

(٢) الوهل : الضعف والفرع . (٣) الحوبة : الإثم . (٤) الجرمة ككلمة : الجريمة .

(٥) يقال للعائر : لعالك ، وهو دعاء له بأن ينتعش .

أَبْنِي أُمِّيَّةَ : إِنَّكُمْ أَهْلُ الْوَسَائِلِ وَالْأَوَامِرِ  
ثِقَتِي لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وَعَشِيرَتِي دُونَ الْعَشَائِرِ  
أَنْتُمْ مَعَادِنُ لَلْخِلَا فَوَ كَأَبْرَأُ مِنْ بَعْدِ كَأَبْرُ  
بِالتَّسْمِيَةِ الْمُتَتَابِعِينَ خِلَافًا وَبِخَيْرِ عَاشِرٍ (١)  
وإلى القيامة لا تزا لُ إِشَافِعُ مِنْكُمْ وَوَاتِرُ

ثم قطع الإنشاد ، وعاد إلى خطبته فقال : « إغضاه أمير المؤمنين وسماحته وصباحته (٢) ،  
ومناط المنتجعين بحبله ، مَنْ لَا تُحَلُّ حُبُوتُهُ لِإِسَاءَةِ الْمَذْنِبِينَ ، فَضْلًا عَنْ اسْتِشْاطَةِ غَضْبِهِ  
بِجَهْلِ الْجَاهِلِينَ ، فَقَالَ لَهُ : وَيَلِّكَ يَا كَمِيتُ ! مِنْ زَيْنَ لَكَ الْغَوَايَةِ ، وَدَلَاكَ فِي الْعَمَايَةِ ؟  
قَالَ : الَّذِي أَخْرَجَ أَبَانَا مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَنْسَاهُ الْعَهْدَ ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا » فَرَضَى عَنْهُ ، وَأَمَرَ  
لَهُ بِجَائِزَةٍ . (العقد الفريد ١ : ١٥٤ ، والأغانى ١٥ : ١١٣ )

## ٤٠٨ — مَخَاصِمُ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ لِامْرَأَتِهِ عِنْدَ شَرِيحِ الْقَاضِي

دَخَلَ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ عَلَى شَرِيحِ (٣) الْقَاضِي يَخَاصِمُ امْرَأَتَهُ لَهُ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ،  
قَالَ : وَعَلَيْكُمْ ، قَالَ : اسْتَمِعْ مِنِّي ، قَالَ : قُلْ أَسْمِعْ ، قَالَ : إِنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشُّأْمِ ،  
قَالَ : مِنْ مَكَانٍ سَحِيقٍ ، قَالَ : وَإِنِّي قَدِمْتُ إِلَى بِلَادِكُمْ هَذَا ، قَالَ : خَيْرٌ مَقْدَمٌ ، قَالَ :  
وَإِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ، قَالَ : بِالرِّفَاءِ (٤) وَالْبَيْنِينَ ، قَالَ : وَإِنِّهَا وَلَدَتْ غُلَامًا ، قَالَ :  
إِيَّاهُنَّكَ الْفَارِسُ ، قَالَ : وَقَدْ كُنْتُ شَرِطْتُ لَهَا صَدَاقَهَا ، قَالَ : الشَّرْطُ أُمَّلَكَ ، قَالَ :

(١) هشام بن عبد الملك هو عاشر خلفاء بني أمية . (٢) الصباحة : الجمال ، صبح كسكرم فهو صبيح .  
(٣) هو أبو أمية شريح بن الحارث السكندی ، كان من كبار التابعين ، وأدرك الجاهلية ، واستقضاء  
عمر بن الخطاب على الكوفة ، وقد أقام قاضيا نحسا وسبعين سنة ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة  
وفكاه ، ومعرفة ، وعقل ، وإصابة ، توفي سنة ٨٧ هـ ، وهو ابن مائة سنة ، وقيل ابن مائة وعشرين .  
(٤) أي بالالتئام وجمع الشمل ، رفا الثوب كنع : لأم خرقه ، وضم بعضه إلى بعض .



وقد أردت الخروج بها إلى بلدي ، قال : الرجل أحقُّ بأهله ، قال : فاقضِ بيننا . قال :  
قد فعلت ، قال : فعلى مَنْ حكمتَ ؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة مَنْ ؟ قال بشهادة  
ابن أختِ خالتك . ( البيان والنبين ٣ : ٢٣٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٤ )

## ٤٠٩ - كلمة لعمر و بن عتبة بن أبي سفيان

وقد تشاحُّ بنو هاشم ، و بنو أمية في ميراث بينهم  
عن سفيان بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان قال : وقع ميراث بين بنى هاشم و بين  
بنى أمية ، تشاحُّوا فيه ، وتضايقوا ، فلما تفرقوا أقبل علينا أبو ناعمر ، فقال :  
« يا بني : إن أقرش درجًا تزلُّ عنها أقدامُ الرجال ، وأهالًا تخشع لها رقابُ  
الأموال ، وغاياتٍ تقصر عنها الجيادُ المسومة<sup>(١)</sup> ، وألسنًا تكِلُّ عنها الشفار المشحودة  
ولو اختلفت الدنيا ما تزيبت إلا بهم ، ولو كانت لهم ضافت بسمة أخلاقهم ، ثم إنه  
ليخيل إلى أن منهم ناسًا تحلقوا بأخلاق العوامِّ ، فصار لهم رفق في اللؤم ، وخرق<sup>(٢)</sup>  
في الحرص ، ولو أمكنهم لقاسموا الطير في أرزاقها ، إن خافوا مكارهاً تعجلوا له  
الفقر ، وإن مجلت لهم نعمة أخرُّوا عليها الشكر ، أولئك أنضاء<sup>(٣)</sup> الفـكـر ، وعجزة  
حالة الشكر . » ( الأمالي ٢ : ٢٣٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٤٠ )

(١) الخيل المسومة : المرسله وعليها ركبانيها ، أو المعلمة ، أى التى جعل عليها سومة ( بالضم ) أى سمة  
وعلامة ، أو المرعية . (٢) كقفل وسبب : ضد الرفق ، وأن لا يحسن الرجل العمل والتصرف فى الأمور .  
(٣) جمع نضوك حمل : وهو المهزول .

## ٤١٠ - خطبة دينار

وكان سماك بن عبيد العباسي في حصار نهاوند ( سنة ٢١ هـ ) أسر رجلا من أهلها  
يسمى دينار فأتى - حذيفة بن اليمان فصالحه على الخراج - فنسبت إليه ماه .  
وكان يواصل سماكا ويهدي له ويوافي الكوفة كلما كان عمله إلى عامل الكوفة  
فقدم الكوفة في إمارة معاوية فقام في الناس بالكوفة فقال :  
« يا معشر أهل الكوفة ، أنتم أول ما مررتم بذا ، كفتم خيار الناس ، فعمرتم بذلك  
زمان عمر و عثمان ؛ ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع : بنخل وخب<sup>(١)</sup> وغدر وضيق ،  
ولم يكن فيكم واحدة منهن ، فرمقتكم فإذا ذلك في مولديكم ، فعلت من أين أنيتم ،  
فإذا الحب من قبل النبط ، والبنخل من قبل فارس ، والغدر من قبل خراسان ، والضيق  
من قبل الأهواز » .

( تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٥ )

## ٤١١ - رجل يمدح خالد بن عبد الله القسري

وقال رجل لخالد بن عبد الله القسري : « والله إنك لتبذل ما جَلَّ ، وتَجْبُر ما انقلَّ ،  
وتُكثِر ما بقلَّ ، ففضلك بديع ، ورأيك جميع ، تحفظ ما شذَّ ، وتوَلَّف ما ندَّ » .  
( زهر الآداب ٣ : ١٦٧ )

(١) الحب : الخداع .

# خطب الخوارج وما يتصل بها

٤١٢ - خطبة حيان بن ظبيان السلمي

روى ابن جرير الطبري في تاريخه قال :

كَانَ حَيَّانُ بْنُ ظَبْيَانَ السُّلَمِيُّ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ - وَكَانَ مِمَّنْ ارْتَثَ<sup>(١)</sup> يَوْمَ النَّهْرَوَانَ ، فَعَفَا عَنْهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي الْأَرْبَعَاءَةِ الَّذِينَ كَانُوا عَفَا عَنْهُمْ ، مِنَ الْمُرْتَثِينَ يَوْمَ النَّهْرِ - فَكَانَ فِي أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ : فَلَبِثَ شَهْرًا أَوْ نَحْوَهُ ، ثُمَّ لَمَّ لَهُ خُرُوجٌ إِلَى الرَّيِّ ، فِي رَجَالٍ كَانُوا يَرَوْنَ ذَلِكَ الرَّأْيَ ، فَلَمْ يَزَالُوا مَقِيمِينَ بِالرَّيِّ حَتَّى بَلَغَهُمْ قَتْلُ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، فَدَعَا أَصْحَابَهُ أَوْلِيَاءَهُ ، وَكَانُوا بِضِعْمَةِ عَشْرِ رَجُلًا ، فَأَتَوْهُ ، فَحَمَدَ اللَّهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَبِهَا الْإِخْوَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَخَاكُمْ ابْنَ مُلْجَمٍ أَخَا مُرَادٍ قَعَدَ لِقَتْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ أَغْبَاشِ<sup>(٢)</sup> الصَّبِيحِ ، مُقَابِلَ السُّدَّةِ<sup>(٣)</sup> الَّتِي فِي الْمَسْجِدِ مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ ، فَلَمْ يَبْرَحْ رَاكِدًا يَنْتَظِرُ خُرُوجَهُ ، حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِ حِينَ أَقَامَ الْمُقِيمِ الصَّلَاةَ : صَلَاةَ الصَّبِيحِ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ ، فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا لَيْلَتَيْنِ حَتَّى مَاتَ » .  
فَقَالَ سَالِمُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَبْسِيُّ : لَا يَقْطَعِ اللَّهُ يَمِينًا عَلَّتْ قَدَّالَهُ<sup>(٤)</sup> بِالسَّيْفِ ، فَأَخَذَ الْقَوْمُ بِحَمْدِ اللَّهِ هَلِيَّ قَتْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا رَضِيَ عَنْهُمْ وَلَا رَحِمَهُمْ ،  
ثُمَّ إِنَّ حَيَّانَ بْنَ ظَبْيَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ :

(١) ارتث : حمل من المعركة رثيثا ، أى جريحاً وبه رمق . (٢) أغباش جمع غباش بالتحريك : وهو ظلمة آخر الليل . (٣) السدة : باب الدار ، وهى هنا ما يبق من الطاق المسدود . (٤) القذال : جماع مؤخر الرأس .

« إنه والله ما يَبْقَى على الدهر باقٍ ، وما يلبثُ الليالي والأيامُ ، والسَّنونُ والشهورُ على ابن آدمَ ، حتى تُذيقَهُ الموتَ ، فيفارقَ الإخوانَ الصالحينَ ، ويدعَ الدنيا التي لا يبكي عليها إلا العَجْزَةُ ، ولم تزل ضارَّةً لمن كانت له هَمًّا وشَجَنًا<sup>(١)</sup> ، فانصرفوا بنا رَحِمَكُم اللهُ إلى مِصْرِنَا ، فَلَمَّاتِ إِخْوَانِنَا ، فَلَمَّذَعُهُمُ إِلَى الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ ، والنَهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وإلى جِهَادِ الأَحْزَابِ ، فَإِنَّهُ لَا عُذْرَ لَنَا فِي القَعُودِ ، وَوَلَاتُنَا ظَالِمَةٌ ، وَسُنَّةُ المُهْدَى مَتْرُوكَةٌ ، وَتَأْرُنَا<sup>(٢)</sup> الذِّينَ قَتَلُوا إِخْوَانِنَا فِي المَجَالِسِ آمِنُونَ ، فَإِنْ يُظْفِرْنَا اللهُ بِهِم نَعْمِدُ بَعْدُ إِلَى التِّي هِيَ أَهْدَى وَأَرْضَى وَأَقْوَمُ ، وَيَشْفِي اللهُ بِذَلِكَ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ نُقْتَلُ فَإِنَّ فِي مَفَارِقَةِ الظَّالِمِينَ رَاحَةً لَنَا ، وَلَنَا بِأَسْلَافِنَا أُسُوةٌ . »

فَقَالُوا لَهُ : كُنَّا قَاتِلٌ مَا ذَكَرْتَ ، وَحَامِدٌ رَأَيْكَ الَّذِي رَأَيْتَ ، فَرِذْنَا المِصْرَ ، فَإِنَّا مَعَكَ رَاضُونَ بِهُدَاكَ وَأَمْرِكَ ، فَخَرَجَ وَخَرَجُوا مَعَهُ مَقْبِلِينَ إِلَى الكَوْفَةِ ، حَتَّى نَزَلَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قَدِمَ مَعَارِيَةَ ، وَبَعَثَ المَغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ وَاليَّأَ عَلَى الكَوْفَةِ .  
(تاريخ الطبري ٦ : ٩٩)

(٢) الثَّأْرُ : قَاتِلُ حَمِيكَ .

(١) الشَّجْنُ : الأَلمُ والحِزْنُ .

## اثمار الخوارج

ثم إن الخوارج في أيام المغيرة فزِعُوا إلى ثلاثة نفرٍ منهم : المستورد بن علفة التيمي ، وحيان بن ظبيان السلمي ، ومعاذ بن جوبن بن حصين الطائي ، فاجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان ، فتشاوروا فيمن يؤثون عليهم ، فقال لهم المستورد :

### ٤١٣ - مقال المستورد بن علفة

« يا أيها المسلمون والمؤمنون ، أراكم الله ما تحببون ، وعزل عنكم ما تكرهون ، ولوا عليكم من أحببتهم ، فوالذي يعلم خائنة الأعين<sup>(١)</sup> وما تخفي الصدور ، ما أبالي من كان الوالي على منكم ، وما شرف الدنيا تريد ، وما إلى البقاء فيها من سبيل ، وما تريد إلا الخلود في دار الخلود . »

### ٤١٤ - مقال حيان بن ظبيان

فقال حيان بن ظبيان : « أما أنا فلا حاجة لي فيها ، وأنا بك وبكل امرئ من إخواني راض ، فانظروا من شتم منكم فسمّوه ، فأنا أول من يبايعه . »

(١) بمسارقتها النظر إلى المحرم .

## ٤١٥ - مقال معاذ بن جوين

فقال لهم معاذ بن جوين : « إذا قاتما أنما هذا ، وأنما سيدا المسلمين ، وذوّا أنسابهم ، في صلاحكما ودينكما وقدركما ، فمن يرأس المسلمين ؟ وليس كلكم يصالح لهذا الأمر ، وإنما ينبغي أن يبلى على المسلمين - إذا كانوا سواء في الفضل - أبصرهم بالحرب ، وأفقهم في الدين ، وأشدّهم اضطلاماً<sup>(١)</sup> بما حُمل ، وأنما بحمد الله ممن يرضى لهذا الأمر ، فليتوّله أحدكما » :

قالا : فتوّله أنت : فقد رضييناك ، فأنت - والحمد لله - الكامل في دينك ورأيك ، فقال لهما : أنما أسنّ مني ، فليتوّله أحدكما ، فقال حينئذ جماعة من حضر : قد رضيينا بكم أيها الثلاثة ، فولّوا أيكم أحببتهم ، وكانت خاتمة ذلك النقّاش أن بايعوا المستورد ، واتعدوا أن يتجهزوا ويتيسروا ويستعدّوا ، ثم يخرجوا هلال شعبان سنة ٤٣ هـ .  
( تاريخ الطبري ٦ : ١٠٠ )

## ٤١٦ - خطبة المغيرة بن شعبه أمير الكوفة

يحذر أهلها من إيواء الخوارج ونصرتهم  
وَنَمَى إِلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ الْخَوَارِجَ خَارِجَةٌ عَلَيْهِ ، فَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ ،  
وَأَنَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :  
« أما بعد ، فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل أحبّ لجماعتكم العافية ، وأكفّ عنكم الأذى ، وإني والله لقد خشيتُ أن يكون ذلك أدبَ سوءٍ إسفهاثكم ، فأما الخُلَمَاءُ الأتقياء فلا ، وإيمُ الله لقد خشيتُ أن لا أجدُ بدءاً من أن يُعصَبَ الخليمُ التقيّ ، بذنَبِ

(١) أي قوة على حمله .

السفيه الجاهل ، فكفوا أيها الناس سفهاءكم ، قبل أن يشمل البلاء عوامكم ، وقد ذكر لي أن رجلاً منكم يريدون أن يظهروا في مصر بالشقاق والخلاف ، وأيم الله لا يخرجون في حتى من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدتهم ، وجعاتهم نكالا لمن بعدهم ، فنظر قوم لأنفسهم قبل الندم ، فقد قت هذا المقام إرادة الحجّة والإعذار .

ثم نزل ، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم ، ثم قال لهم :

« إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم ، وقد قلت ما قد سمعتم ، فليكنفني كل امرئ من الرؤساء قومه ، وإلا فوالذي لا إله غيره لأتحوآن عما كنتم تعرفون ، إلى ما نذكرهون وعما تحبون إلى ما تكروهون ، فلا يلم لأئيم إلا نفسه ، وقد أعذر من أنذر .»

فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم ، فنادى الله والإسلام إلا دأوم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة ، أو يفارق جماعة ، وجاء صعصعة بن صوحان ، فقام في عيد القيس ، فقال :

### ٤١٧ - خطبة صعصعة بن صوحان

« يا معشر عباد الله : إن الله - وله الحمد كثيراً - لما قسم الفضل بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم ، فأجبتكم إلى دين الله ، الذي اختاره الله لنفسه ، وارتضاه لملائكته ورسله ، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلف الناس بعده ، فبنت طائفة ، وارتدت طائفة ، وأذهنت طائفة ، وتربصت طائفة ، فلزمت دين الله إيماناً به وبرسوله ، وقانتم المرتدين ، حتى قام الدين ، وأهلك الله الظالمين ، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كل شيء ، وطى كل حال ، حتى اختلفت الأمة بينها ، فقالت طائفة : نريد طلحة والزبير وعائشة ، وقالت طائفة : نريد أهل المغرب<sup>(١)</sup> ، وقالت

(١) أي معاوية ، وكان والياً على الشام ، وهى بالنسبة للعراق في المغرب .

طائفة : نريد عبد الله بن وهب اراسبي : راسب الأزد ، وقتلتم أنتم : لا نريد إلا أهل البيت ، الذين ابتدأنا الله من قبائهم بالكرامة ، تسديداً من الله لكم وتوفيقاً ، فلم تزلوا على الحق لازمين له ، آخذين به ، حتى أهلك الله بكم ، وبين كان على مثل هداكم ورأيكم ، النا كثرين يوم الجمل ، والمارقين يوم النهروان ، ( وسكت عن ذكر أهل الشام لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم ) ، ولا قوم أعدى لله وألهم ، ولا أهل بيت نبيكم ، ولجماعة المسلمين ، من هذه المارقة الخاطئة ، الذين فارقوا إمامنا <sup>(١)</sup> . واستحلوا دماءنا ، وشهدوا علينا بالكفر ، فإياكم أن تؤثروهم في دوركم ، أو تكتنموا عليهم ، فإنه ليس ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم ، وقد وألله ذكركم لي أن بعضهم في جانب من الحي ، وأنا باحث عن ذلك وسائل ، فإن كان حكي لي ذلك حفاً ، تقربت إلى الله تعالى بدمائهم ، فإن دماهم خلال ، ثم قال : يا معشر عبد القيس : إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم ، فلا تجعوا لهم عليكم سبيلاً ، فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم .

وأقبل أصحاب المستورد يأتونه ، فليس منهم رجل إلا يُخبره بما قام به المغيرة بن شعبة في الناس ، وبما جاءهم رؤسائهم وقاموا فيهم ، وقالوا له : اخرج بنا فوالله ما نأمن أن تؤخذ في عشايرنا ، فخرج بهم من الكوفة ، ووجه المغيرة لقنائلهم معقل بن قيس ارياحي فلما علم المستورد تمسير معقل إليه جمع أصحابه .

( تاريخ الطبري ٦ : ١٠٦ )

(١) أي علياً عليه السلام .



## ٤١٨ - خطبة المستورد

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن هذا الخريف معقل بن قيس قد وُجِّه إليكم ، وهو من السَّبْيِيَّة<sup>(١)</sup> المعتريين الكاذبين ، وهو الله ولكم عدو ، فأشيروا على برايكم . فقال له بعضهم : والله ما خرجنا نريد إلا الله ، وجهاد من عادى الله ، وقد جاءونا فأين نذهب عنهم ؟ بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين ، وقالت طائفة أخرى : بل نعتزل ونتحجى ، ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء .

فقال : « يا معشر المسلمين : إني والله ما خرجت ألتبس الدنيا ، ولا ذكرها ، ولا فخرها ، ولا البقاء ، وما أحبُّ آتياً لي بخذافيرها ، وأضعاف ما يُتفاَس فيه منها ، بقبال<sup>(٢)</sup> نَعلى ، وما خرجت إلا التماس الشهادة ، وأن يَهْدِيَنِي اللهُ إِلَى السَّكْرَامَةِ ، بهوان بعض أهل الضلالة ؛ وإني قد نظرت فيما استشرتكم فيه ، فرأيت أن لأقيم لهم حتى يقدّموا على ، وهم حامون متوافرون ، ولكن رأيت أن أسير حتى أمين ، فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طابنا ، ففقطموا وتبدّدوا ، فعلى تلك الحال ينبغي لنا قتالهم ، فاخرجوا بنا على اسم الله عز وجل . »

(١) السبئية : أتباع عبد الله بن سبأ ، وهو يهودى من صنعاء ، أسلم زمن عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، وغلا في على ، وزعم أنه نبي . ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة وأتى قوم منهم إلى على فقالوا له : أنت هو ، قال : ومن هو ؟ قالوا : أنت الله ، فاستعظم الأمر ، وأمر بنار فأججت في حفرتين ، وأحرقهم بها ، فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار : الآن صح عندنا أنه الله ، لأنه لا يعذب بالنار إلا الله ، ثم إن عليا خاف من إحراق البائين منهم ثمانئة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فبنى ابن سبأ إلى ساباط المدائن ، فلما بلغه مقتل على قال : لو أتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ، وزعم أن المقتول لم يكن عليا ، وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة على ، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم ، ومن ابن سبأ انشعبت أصناف الغلاة . (٢) قبالة النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها .

فخرجوا فمضوا على شاطئ دجلة ، فعبروها ومضوا في أرض جُوخَى ، حتى بلغوا  
المَذَارَ فأقاموا فيها ، وأقبل معقل بن قيس ، فأقام بالمدائن ثلاثاً ، ثم جمع أصحابه ، فقال :  
( تاريخ الطبري ٦ : ١١٠ )

### ٤١٩ — خطبة معقل بن قيس

« إن هؤلاء المارقة الضلال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم ، إرادة أن تعجلوا  
في آثارهم ، فتنقطعوا وتتبددوا ، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تعبتم ونصبتم<sup>(١)</sup> ، وإنه ليس شيء  
يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله » فخرج في آثارهم حتى لحقهم بالمذار مقيمين .  
ودارت بينهما رحى الحرب بشدة ، ودعا المستورد معقلاً للمبارزة فتبارزا ، وطعنه  
المستورد حتى خرج سنان الرمح من ظهره ، وضربه معقل بالسيف حتى خالط سيفه  
أمّ الدماغ ، فوقع ميتاً ، وقتل معقل ، وشد أصحابه على الخوارج ، فما لبثوا أن قتلوهم .  
( تاريخ الطبري ٦ : ١١١ )

### ٤٢٠ — كلمات حكيمة للمستورد

كان المستورد يقول : إذا أفضيتُ بسيرى إلى صديقي فأفشاه لم أُلْمُه ، لأنى كنت  
أولى بحفظه ، ويقول : لا تنفس إلى أحدٍ سرّاً وإن كان مخلصاً إلا على جهة المشاورة ،  
ويقول : كن أحرص على حفظ سِرِّ صاحبك ، منك على حقن دمك ، ويقول : أوّل  
ما يدُلُّ عليه عائبُ الناس معرفته بالعيوب . ولا يعيب إلا عيباً ، ويقول : المال غير  
باق عليك ، فاشتر من الحمد ما يبقى عليك ، ويقول : بذلُ المال في حقه استدعاء  
للمزيد من الجواد<sup>(٢)</sup> ، وكان يُكثِرُ أن يقول : لو ملكتُ الأرض بجزايرها ،  
ثم دُعيت إلى أن أستفيد بها خطيئة ما فعلت .

( الكامل للمبرد ٢ : ١٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٥٣ )

(٢) أى من المولى الكريم جل وعلا .

(١) تعبتم .

## اثمار الخوارج ثانية

٤٢١ - خطبة حيان بن ظبيان

فلما كانت سنة ٥٨ هـ ، جمع حَيَّان بن ظبيان السَّامِي أصحابه إليه ، ثم إنه حَمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال لهم :

« أما بعد ، فإن الله عزَّ وجلَّ كتب علينا الجهاد ، فَمِنَّا مَنْ قَضَى نَجْبَهُ <sup>(١)</sup> ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَظِرُ ، وأولئك الأبرارُ الفائزون بفضلهم ، ومن يكن مِنَّا مَنْ يَنْتَظِرُ فهو من سَلَفِنَا القاضينَ نَجْبَهُم ، السابقين بإحسان ، فمن كان منكم يريد الله ونوابه ، فَلْيَسْلُكْ سَبِيلَ أصحابه وإخوانه ، يُؤْتِهِ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ، وَاللهُ مَعَ الْمُحْسِنِينَ »

٤٢٢ - خطبة معاذ بن جوين

قال مُعَاذُ بن جُوَيْنِ الطَّائِي : « يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ : إنا والله لو علمنا أننا إذا تركنا جهادَ الظَّالِمَةِ ، وإِنْكَارَ الجورِ ، كان لنا به عند الله عُذْرٌ ، لكان تركهُ أيسرَ علينا وأخفَ من ركوبه ، ولَكنا قد علمنا واستيقنا أنه لا عُذْرَ لنا ، وقد جعل لنا القلوبَ والأسماعَ ، حتى نُنْكِرَ الظلمَ ، ونغيِّرَ الجورَ ، ونجاهدَ الظالمينَ » . ثم قال أبسطُ يدك نبياعك ، فبايعه ، وبايعه القومُ ، فضرَبوا على يد حَيَّان فبايعوه ، وذلك في إمارة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثَّقَفِيِّ <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

(١) النجب : الأجل والنذر . (٢) وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان .

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل مُماذ بن جوين ، فقال لهم حيان :  
 عباد الله ، أشيروا برأيكم ، أين تأمسونني أن أخرج ؟ فقال مُماذ : إني أرى أن تسير بنا  
 إلى حُلوان<sup>(١)</sup> حتى ننزلها ، فإنها كورة بين السهل والجبل ، وبين المِصر والثغر  
 - يعني بالثغر ارمى - فمن كان يرى رأينا من أهل المِصر والثغر والجبال والسواد<sup>(٢)</sup>  
 لحق بنا .

### ٤٢٣ - رد حيان بن ظبيان

فقال له حيان : « عَدُوُّكَ مُعَا جِلُّكَ قَبْلَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَيْكَ ، لَعَمْرِي لَا يَتْرُكُونَكَ  
 حَتَّى يَجْتَمِعُوا إِلَيْكَ ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَيْتَ أَنْ أُخْرَجَ مَعَكُمْ فِي جَانِبِ الْكُوفَةِ وَالسَّبَخَةِ ،  
 أَوْ زُرَّارَةَ<sup>(٣)</sup> وَالْحَبِيرَةَ ، ثُمَّ نَقَاتَهُمْ حَتَّى نَلْحَقَ بِرَبَا ، هَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ  
 - وَأَنْتُمْ دُونَ الْمِائَةِ رَجُلٍ - أَنْ تَهْزِمُوا عَدُوَّكُمْ ، وَلَا أَنْ يَشْتَدَّ نَكَابَتِكُمْ فِيهِمْ ، وَلَكِنْ  
 مَتَى عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ قَدْ أَجْهَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ وَعَدُوَّكُمْ ، كَانَ لَكُمْ بِهِ الْعُذْرُ ،  
 وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ » قَالُوا : رَأَيْنَا رَأْيَكَ .

### ٤٢٤ - مقال عتريس بن عرقوب

فقال لهم عتريس بن عرقوب : ولكن لا أرى رأي جماعتكم ، فانظروا في رأي  
 لكم ، إني لا أخالكم تجهلون معرفتي بالحرب ، وتجربتي للأموار ، فقالوا له : أجن ،  
 أنت كما ذكرت ، فما رأيك ؟ قال : ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمِصر ، إنكم قليل  
 في كثير ، والله ما تزيدون على أن تحزروم<sup>(٤)</sup> أنفسكم ، وتقرؤوا أعينهم بقتلكم ،  
 وليس هكذا تكون المكابدة ، إذا آثرتم أن تخرجوا على قومكم ، فكيدوا عدوكم

(١) بلد بفارس . (٢) أي سواد العراق . (٣) محلة بالكوفة . (٤) أي تملكوهم .

ما يضرهم» قالوا : فما الرأي ؟ قال : تسيرون إلى الكورة التي أشار بنزولها معاذ ابن جوبين ، يعني حلوان ، أو تسيرون بنا إلى عين التمر ، فنقيم بها ، فإذا سمع بنا إخواننا أتونا من كل جانب وأوب<sup>(١)</sup> .

### ٤٢٥ - رد حيان

فقال له حيان : « إيك والله لو سيرت بنا أنت وجميع أصحابك نحو أحد هذين الوجهين ، ما اطمانتم به حتى يباحق بكم خيول أهل مصر ، فأني تشفون أنفسكم ؟ فوالله ما عدتكم بالكثيرة ، التي ينبغي أن تطمعوا معها بالنصر في الدنيا على الظالمين المعتدين ، فاخرجوا بجانب من مصركم هذا ، فقاتلوا عن أمر الله من خالف طاعة الله ، ولا ترَبَّصُوا ولا تنظروا ، فإنكم إنما تبادرون بذلك إلى الجنة ، وتخرجون أنفسكم بذلك من الفتنة » قالوا : أما إذا كان لابد لنا ، فإننا لن نخالفك ، فاخرج حيث أحببت .

### ٤٢٦ - خطبة حيان

ثم إن أصحاب حيان بن ظبيان اجتمعوا إليه ، فقال لهم : يا قوم : إن الله قد جمعكم تلخير ، وعلى خير ، والله الذي لا إله غيره ، ما سررت بشيء قط في الدنيا بعد ما أسلمت سروري لمخرجي هذا على الظلمة الأتمة ، فوالله ما أحب أن الدنيا يخذافيرها لي ، وأن الله حرمني في مخرجي هذا الشهادة ، وإنني قد رأيت أن نخرج حتى ننزل جانب دار جرير فإذا خرج إليكم الأجزاء ناجزتموم .

فقال عتريس بن عرقوب : أمّا أن نقاتلهم في جوف مصر ، فإنه يقاتلنا الرجال ،

(١) الأوب : الطريق والجهة .

وتصعد الذساء والصدبيان والإمام فيرموننا بالحجارة ، فقال لهم رجل منهم : انزلوا بنا  
إذن من وراء المصر الجسر - وهو موضع زُرارة ، وإنما بنيت زُرارة بعد ذلك إلا أحياناً  
يسيرة كانت منها قبل ذلك - فقال لهم معاذ بن جوين : لا . بل سيروا بنا فلننزل  
بأنقياً<sup>(١)</sup> ، فما أسرع ما يأتكم عدوكم ، فإذا كان ذلك استقبلنا القوم بوجوهنا ،  
وجعلنا البيوت في ظهورها ، فقاتلناهم من وجرة واحد ، فخرجوا ، فبعث إليهم جيش ،  
فقتلوا جميعاً .  
( تاريخ الطبري ٦ : ١٧٢ )

## ٤٢٧ - خطبة مسلم بن عبيس

### حين خرج لقتال الأزارقة

لما ملك نافع بن الأزرق - زعيم الأزارقة<sup>(٢)</sup> - بلاد الأهواز ، وفشا عماله في السواد  
ارتاع لذلك أهل البصرة ، فاجتمعوا إلى الأحنف بن قيس ، فشكروا ذلك إليه ، وقالوا :  
ليس بيننا وبين العدو إلا ليلتان ، وسيرتهم ماترى ، فقال الأحنف : إن فعلهم  
في مصركم إن ظفروا به كفعلهم في سوادكم ، فجدوا في جهاد عدوكم ، فاجتمع إليه  
عشرة آلاف ، فأتى عبد الله بن الحرث بن نوفل أمير البصرة ، فسأله أن يؤمر عليهم  
فاختار لهم مسلم بن عبيس ، وكان ديناً شجاعاً ، فأمره عليهم وشيعه .

(١) بأنقياً : ناحية من نواحي الكوفة . (٢) قدمناك في «مناظرة عبد الله بن الزبير للخوارج» أن  
الخوارج كانوا قد مضوا إلى مكة سنة ٦٤ ليمنعوا الحرم من جيش يزيد ، وناصروا ابن الزبير ،  
وقاتلوا معه ، ثم ناظروه : فلم يرقهم ما سمعوا منه ، ففترقوا عنه ، وصارت طائفة كبيرة منهم إلى  
البصرة ، وبايعوا نافع بن الأزرق الحنفي ، وسموه أمير المؤمنين ، وخرج بهم إلى الأهواز ،  
فغلبوا عليها وعلى ما وراءها من أرض فارس وكرمان ، ونسبوا إليه فقبل لهم : الأزارقة ، وهذه الفرقة من  
أشد فرق الخوارج بأساً ، وأصلها عودا ، وأكثرها عدداً وأحفلها حوادث وأنباء .

فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال : « إني ما خرجت لامتيار<sup>(١)</sup>  
ذهب ولا فضة ، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورمحهم ،  
فن كان شأنه الجهادَ فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع » .

فلما صاروا « بدُولَابَ » خرج إليهم نافع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل في المعركة  
ابن عبيس وابن الأزرق سنة ٦٥ هـ : ( الكامل للمبرد ٢ : ١٨٠ )

(١) أى جلب ، وأصله من انتار لأهله : جلب لهم الميرة بالكسر ، وهى الطعام .

# خطب المهلب بن أبي صفرة

٤٢٨ - خطبته في حث جنده على قتال الأزارقة

وكان المهلب بن أبي صفرة - وهو على قتال الأزارقة - يأمر أصحابه بالتحريز  
ويخوفهم التبيات ، وإن بعد منهم العدو ، ويقول : « احذروا أن تُكادوا كما  
تكيدون ، ولا تقولوا هزَمنا وغلبنا . فإن القوم خائفون وجِلون ، والضرورة تفتح  
باب الحيلة ، ثم قام فيهم خطيباً فقال : « يا أيها الناس ، إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء  
الخواارج ، وأنهم إن قدرُوا عليكم فقتلواكم في دينكم ، وسفكوا دماءكم فقاتلواكم  
على ما قاتل عليه أوَّلهمُ عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقد آتاهم قبلكم الصابر  
المحتسب مسلم بن عبيد ، والعجّل المفرط عثمان بن عبيد الله<sup>(١)</sup> ، والمعصي الخائف

(١) هو أخو عمر بن عبيد الله بن معمر للذي ولاه ابن الزبير البصرة ( قولها بعد عبد الله بن الحرث  
ابن نوفل ) . وولى عثمان محاربة الأزارقة بعد مسلم بن عبيد ، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً ، فلما عبروا  
إليهم دجيلاً نهض إليهم الخوارج - وذلك قبيل الظهر - فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر : أما الخوارج  
إلا ما أرى ؟ فقال له حارثة : حسبك هؤلاء ، فقال : لا جرم ، والله لا أتعدى حتى أناجزهم ، فقال له  
حارثة : إن هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف ، فأبق على نفسك وجندك ، فقال : أبيت أهل العراق إلا جبناً ؛  
وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب ؟ أنت والله بغير هذا أعلم ( يعرض له بالشراب ) فغضب حارثة فاعتزل  
وحاربهم عثمان يومه إلى أن غابت الشمس ، فأجلت الحرب عنه قتيلاً ، وانهمز الناس ، وولى حربهم بعده  
حارثة بن بدر فهزموه أيضاً ، فهرب يركض حتى أتى دجيلاً ؛ فركب سفينة هو وجماعة من أصحابه ، وأتاه  
رجل من بني تميم ، وعليه سلاحه ، والخوارج وراءه ، فصاح به : يا حارث ليس مثلي ضيع ، فقال للملاح :  
قرب ، فقرب إلى جرف ، فطفر بسلاحه في السفينة ، فساخت بالقوم جميعاً ، فاتوا غرقاً ، وتوجه الخوارج  
نحو البصرة ، فضج الناس ، وخافوهم خوفاً شديداً ، واختاروا لقتالهم المهلب بن أبي صفرة ، فولاه القباع  
( وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، والى البصرة من قبل ابن الزبير بعد عمر بن عبيد الله ) .



حارثة بن بدر ، فقتلوا جميعاً وقتلوا ، فألفوهم بجدٍ وحدٍ فإنما هم مهنتكم<sup>(١)</sup> وعبيدكم ،  
وعارٌ عليكم ، ونقصٌ في أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيثكم ، ويظنوا حريةكم .  
( السكامل للمبرد ٢ : ١٨٩ ؛ وشرح ابن أبي الحديد م ١ ص : ٢٨٥ )

### ٤٢٩ - خطبة أخرى له في جنده

وخطب أصحابه ، وقد مال الخوارج بأجمعهم على العسكر ، وانهزم الناس  
بسؤلآف فقال :

« وألله ما بكم من قلة ، وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف ، والطمع والطبع<sup>(٢)</sup>  
فإن يمتسكنكم قرح<sup>(٣)</sup> فقد مس القوم قرح مثله ، فسيروا إلى عدوكم على بركة الله » .  
( السكامل للمبرد ٢ : ١٩١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ ص : ٣٨٦ )

### ٤٣٠ - نص آخر

وروى الطبري خطبة المهلب في أصحابه يوم هزموا فقال :

ثم إن الخوارج شدت على الناس بأجمعها شدة منكرة ، فأجفل الناس ، وانصابوا<sup>(٤)</sup>  
منهزمين ، لا تلوي<sup>(٥)</sup> أم على ولد ، حتى بلغ البصرة هزيمة الناس وخافوا السباء<sup>(٦)</sup> ،  
وأسرع المهلب حتى سبهم إلى مكان يفاع<sup>(٧)</sup> ، في جانب عن سنن المنهزمين ، ثم إنه  
نادى الناس : إلى إلى عباد الله ، فتاب إليه جماعة من قومه ، فاجتمع إليه منهم  
نحو من ثلاثة آلاف ، فلما نظر إلى من قد اجتمع رضي جماعتهم ، فحمد الله ، وأثنى  
عليه ، ثم قال :

(١) جمع ما هن ، وهو العبد والخدم . (٢) الشين والعيب . (٣) القرع ويضم : عض السلاح  
ونحوه مما يخرج باليد ، أو بالفتح : الآثار ، وبالضم : الألم . (٤) انصاع : انفتل راجعاً ممرعاً .  
(٥) مر لايلوي على أحد : أي لايقف ولاينتظر . (٦) السبى . (٧) اليفاع : ما ارتفع  
من الأرض .

« أما بعد : فإن الله ربنا يَكِلُ الجمع الكثير إلى أنفسهم قِيَهُزْمُونَ ، وَيُنزِلُ النصر على الجمع اليسير فَيُظْهِرُونَ ، ولعمري ما بكم الآن من قِلَّةٍ ، إني لجماعةكم لراضٍ ، وإنكم لأنتم أهل الصبر وفُرسان أهل المِضر ، وما أحبُّ أن أحداً ممن انهزم معكم ، فإنهم لو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خَبالاً<sup>(١)</sup> ، عَزَمْتُ على كل امرئٍ منكم لما أخذ عشرة أحجار<sup>(٢)</sup> ، ثم امشوا بنا نحو عسكرهم ، فإنهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيأهم في طلب إخوانكم ، فوالله إني لأرجو ألا ترجع إليهم خيأهم ، حتى تستبيحوا عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم » .

( تاريخ الطبري ٧ : ٨٨ )

### ٤٣١ - خطبته في جنده وقد استخلف عليهم ابنه المغيرة

ولما كتب إليه مُصْعَبُ بن الزبير أن أقدم على ، واستخلف ابنك المغيرة ، جمع الناس فقال لهم : « إني قد استخلفت عليكم المغيرة ، وهو أبو صغيركم : رِقَّةٌ ورِحمةٌ ، وابنُ كبيركم : طاعةٌ وبرٌّ وتبجيلاً ، وأخو مثله : مؤاساةٌ ومناصحةٌ ، فلتَحْسُنْ له طاعتكم ، ولتِلِنْ له جانبكم ، فوالله ما أردت صواباً قط إلا سَبَقَنِي إليه » ثم مضى إلى مصعب .

( الكامل للمبرد ٢ : ١٩٨ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٨٩ )

(١) فساداً . (٢) وفي الكامل للمبرد : وقال المهلب لأصحابه : أعدوا مخالي فيها حجارة ، وارموا بها في وقت الغفلة ، فإنها تصد الفارس ، وتصرع الراجل ، وقال رجل من الخوارج :  
أنا بأحجار ليقتلنا بها وهل تقتل الأبطال وبحك بالحجر ؟

## ٤٣٢ - خطبة الزبير بن علي في الأزارقة

وكان نافع بن الأزرق قبل قتله استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي ،  
 وقتل ابن الماحوز يوم سلى وسلبرى<sup>(١)</sup> ، فاجتمعت الخوارج بأرجان ، فبايعوا  
 الزبير بن علي السليطي ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، وضعفأ بيئنا ، فقال لهم : اجتمعوا .  
 فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل عليهم فقال :  
 « إن البلاء للمؤمنين تمحيصاً وأجرٌ ، وهو على الكافرين عقوبة وخزى ،  
 وإن يصب منكم أمير المؤمنين ، فما صار إليه خير مما خلف ، وقد أصبتم منهم مسلم  
 ابن عبيس ، وربيعاً الأجدم<sup>(٢)</sup> ، والحجاج بن باب ، وحارثة بن بدر ، وأشجيبم  
 المهلب ، وقتلتم أخاه المعارك<sup>(٣)</sup> ، والله يقول لإخوانكم من المؤمنين « إن يمسسكم  
 قرحٌ فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثله » ، ونيلك الأيام نداولها بين الناس » فيوم سلى  
 كان لكم بلاء وتمحيصاً ، ويوم سولاف<sup>(٤)</sup> كان لهم عقوبة ونكالا ، فلا تغابن علي  
 الشكر في حينه ، والصبر في وقته ، وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض ، والعاقبة للمتقين .»

( الكامل للمبرد ٢ : ١٩٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٨٨ )

(١) مجموع اللفظين موضع واحد بالأهواز قرب جند يسابور ، وقعت فيها وقعة بين الخوارج والمهلب ،  
 وقتل فيها ابن الماحوز رئيس الخوارج ، وفي ذلك يقول رجل منهم :

بسلى وسلبرى مصارع فتية كرام وجرحى لم توسد خدودها

(٢) كان مسلم بن عبيس تقدم إلى أصحابه « يوم دولاب » فقال : إن أصبت فأمركم الربيع بن عمرو  
 الأجدم ، فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية ، فلم يزل يقاتلهم نيفا وعشرين يوماً حتى قتل ، ثم أخذها  
 الحجاج بن باب الحميري ، فلم يزل يقاتلهم زهاء شهر حتى قتل أيضاً ، التقى هو وعمران بن الحارث الراسبي  
 فاختلفا ضربتين ، فسقطا ميتين . (٣) وكان ابن الماحوز وجه بعض جيشه إلى نهر تبرى ؛ وبها المعارك  
 ابن أبي صفرة ، فقتلوه وصابوه ، فمضى الخبر إلى المهلب ، فوجه ابنه المغيرة ، فدخل نهر تبرى ، فاستنزه  
 ودفنه ، وسكن الناس ، واستخلف بها ورجع إلى أبيه . (٤) وفي ذلك اليوم يقول رجل من الخوارج :

وكانن تركنا يوم سولاف منهم أسارى وقتل في الجحيم مصيرها

### ٤٣٣ - خطبة عتاب بن ورقاء الرياحي وقد طال عليه الحصار

وانحط الزبير بن عليّ بن عليّ أصفهان<sup>(١)</sup> ، فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحي سبعة أشهر ، وعتاب يحار به في بعضهن ، فلما طال به الحصار ، وأصابه الجهد الشديد ، دعا أصحابه ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : أيها الناس ما تنتظرون وقد أصابكم من الجهد ما قد ترون ؟ فوالله إن<sup>(٢)</sup> بقي مع هذا الحصار إلا أن يموت أحدكم على فراشه ، فيجىء أخوه فيدفنه إن استطاع ، وبالحرى أن يضعف عن ذلك ، ثم يموت هو ، فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه ، فانقوا الله ، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم ، وإن فيكم لقرسان أهل مصر ، وإنكم لصلحاء من أنتم منه ، ولقد حاربتموهم سرايا فانتصتم منهم أخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم ، وبكم حياة وقوة ، قبل أن لا يستطيع رجل منكم أن يمشى إلى عدوه من الجهد ، وقبل أن لا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءتته ، فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق ، فوالله إني لأرجو إن صدقتموهم أن يظفركم الله بهم ، وأن يظهركم عليهم .

فما أصبح الغد صلى بهم الصبح ، ثم خرج إلى الخوارج ، وهم غارون ، فلم يشعروا بهم حتى غشواهم ، فقاتلهم بجدي لم ير الخوارج منهم مثله ، فمقرّوا منهم خلقاً ، وقتلوا رئيسهم الزبير بن عليّ ، وانهمزمت الخوارج .

ثم أدار الخوارج أمرهم بينهم ، فولّوا عليهم قطريّ بن الفجاءة المازنيّ وبايعوه (تاريخ الطبري ٧ : ١٦٦ ، والكامل للمبرد ٢ : ٢٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٩١)

(١) أصفهان : بفتح الهمزة والباء ، وقد تسكر همزتها ، وقد تبدل باؤها فاء .

(٢) إن هنا فافية .

## ٤٣٤ - نصيحة عرهم العدوى لخالد بن عبد الله

ولما بعث خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد<sup>(١)</sup> أخاه عبد العزيز لقتال الأزارقة<sup>(٢)</sup> قام إليه عرهم أخو بني العدوية ، فقال :

« أصلح الله الأمير ، إن هذا الحى من تميم تئيط<sup>(٣)</sup> بقريش منهم رجم داسة مائة ، وإن الأزارقة ذؤبان العرب وسباعها ، وليس صاحبهم إلا المباكر المناكير ، المجرّب<sup>(٤)</sup> المجرّب ، الذى أرضعته الحرب بلبانها ، وجرسته<sup>(٥)</sup> وضرسته ، وذلك أخو الأزدي المهلب بن أبي صفرة ، والله إن غنك أحب إلينا من سمينه ، ولكي أخاف عدوات الدهر وغدره ، وليس المجرّب كمن لا يعلم ، ولا الناصح المشفق ، كالغاش المتهم » ، قال له خالد : اسكت ، ما أنت وذا ؟ وقد هزمت الأزارقة عبد العزيز ، وأحدوا امرأته<sup>(٦)</sup> وفرها .

( ذيل الأمالى ص ٢٣ )

(١) كان والى البصرة وأعمالها من قبل عبد الملك بن مروان من سنة ٧١ إلى سنة ٧٤ ( انظر ص ٢٢٣ ) .  
 (٢) قال أبو العباس المبرد فى الكامل ( ٢ : ٢٠٧ ) : « ومضى قطرى إلى كرمان ، فأنصرف خالد إلى البصرة ، فأقام قطرى بكرمان أشهرا ، ثم عد لفارس ، وخرج خالد إلى الأهواز ، وندب للناس رجلا فجعلوا يطلبون المهلب ، فقال خالد : « ذهب المهلب بحظ هذا المصر ، إني قد وليت أخى قتال الأزارقة » فولى أخاه عبد العزيز ، واستخلف المهلب على الأهواز فى ثلاثمائة ، ومضى عبد العزيز فى ثلاثين ألفا ، فجعل عبد العزيز يقول فى طريقه : « يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلب فسيعلمون ! » إلى أن قال : فنادىهم عبد العزيز ، فوافقوه ساعة ، ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم ، فقال له الناس : لا تتبعهم فإننا على غير تعبئة فأبى ، فلم يزل فى آثارهم حتى افتحموا عقبه ، فافتحمها وراءهم ، والناس ينهونه ويأبى وكان لهم فى بطن العقبة كين ، فلما صاروا وراءهم خرج عليهم الكين ، وانحاز عبد العزيز ، واتبعهم الخوارج يقتلونهم كيف شاءوا . (٣) أصله من أط الرجل أطيظا : صوت .  
 (٤) من حرب السنان : حده . (٥) التجريس : التحكيم والتجربة ، وضرسته الحرب تضريسا : جربته وأحكته أيضا . (٦) وكان عبد العزيز قد خرج بامراته أم حفص بنت المنذر بن الجارود ، فسبى الخوارج النساء يومئذ وكأنت أم حفص ممن سبى ، قال ابن عبد ربه فى العقد للفريد ( ٢ : ٧٥ ) : « فأقاموها =

## ٤٣٥ - خطبة قطري بن الفجاءة<sup>(١)</sup>

وصعد قطريُّ بن الفجاءة منبر الأزارقة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
 « أما بعد : فإني أحذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة<sup>(٢)</sup> ، حفت<sup>(٣)</sup> بالشهوات ،  
 وراقت<sup>(٤)</sup> بالقليل ، وتحببت بالعاجلة<sup>(٥)</sup> ، وحليت<sup>(٦)</sup> بالآمال ، وتزيّنت بالغرور ،  
 لا تدوم خبرتها<sup>(٧)</sup> ، ولا تؤمن فجمعها ، غرارة ضرارة ، خوانة غدّارة ، وحائلة<sup>(٨)</sup>  
 زائلة ، ونافذة<sup>(٩)</sup> بائدة ، أكالة غوالة<sup>(١٠)</sup> ، بدالة نقالة ، لا تعدو إذا هي تناهت إلى  
 أمنيّة أهل الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن تكون كما قال الله تعالى : « كء أنزلناه من

= في السرق حاسرة بادية المحاسن ، فاعترضوها وقلبوها ، وكانت من أكمل الناس كمالاً وحسناً ، فتزايدت فيها  
 العرب والموالي ، حتى بلغوها تسعين ألفاً ، فأقبل رجل من الخوارج من عبد القيس من خلفها ، فضرب  
 عنقها ، فأخذوه ورفعوه إلى قطري بن الفجاءة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسعين ألفاً من بيت  
 المال ، وقتل أمة من إمام المؤمنين : فقال له : ماتقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت هؤلاء قد تنازعوا  
 عليها ؛ حتى ارتفعت الأصوات ؛ واحمرت الحدق ؛ فلم يبق إلا الخبط بالسيوف ؛ فرأيت أن تسعين ألفاً  
 في جنب ماخشيت من الفتنة بين المسلمين هينة ، فقال قطري : خلوا عنه ، عين من عيون الله أصابها « ا ه .  
 (١) أورد الشريف الرضي رحمه الله هذه الخطبة في نهج البلاغة ؛ وعزاها إلى الإمام علي كرم الله وجهه  
 وكذلك القضاعي في دستور معالم الحكم ؛ وقال ابن أبي الحديد في شرحه ( م ٢ : ص ٢٤٢ ) : « وهذه  
 الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين ؛ ورواها لقطري بن الفجاءة ؛ والناس يروونها لأمر  
 المؤمنين عليه السلام ، وقد رأيتها في كتاب المونق لأبي عبيد الله المرزباني ، مروية لأمر المؤمنين عليه السلام  
 وهي بكلام أمير المؤمنين أشبه وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب  
 أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقي قطري أكثرهم » .

(٢) أي ناضرة ، من خضر الزرع كفرح ، فهو أخضر وخضر وهو من كلام رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم - انظر خطبته في الجزء الأول ص ١٥١ : (٣) أي أطافت بها الشهوات . (٤) أعجبت أهلها  
 بمتاع قليل ليس بدائم . (٥) أي ونحبت إليهم بالذلة العاجلة ، ( والنفس مولعة بحب العاجل ) .  
 (٦) حليت المرأة فهي حال وحالية كتحلت . وفي رواية : « ونحلت » . (٧) الخبرة : المرور .  
 وفي رواية : « لاتقوم نضرتها » ؛ لاتقوم : لانتثبت . والنصرة : النعمة والغنى والحسن .  
 (٨) أي متحولة متغيرة من حال يحول . وفي رواية « خاتلة » أي محادمة . (٩) أي هالكة فانية  
 من نفذ ينفذ كفرح . (١٠) أي مهلكة من غاله يفوله .

السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، وَأَصْبَحَ حَشِيماً<sup>(١)</sup> تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ، مع أن امراً لم يكن منها في حبرة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق من سرّاها بطناً ، إلا منجته من ضرّاها ظهراً<sup>(٢)</sup> ، ولم تطله غيثة<sup>(٣)</sup> رخاء ، إلا هطلت<sup>(٤)</sup> عليه ، زنة بلاء ، وحرى إذا أصبحت له منتصرة ، أن تسمى له خاذلة متكررة ، وإن جانب منها اعتذوب واحتوى<sup>(٥)</sup> ، أمر عليه منها جانب وأوبى<sup>(٦)</sup> ، وإن أنت امرأ من غضارتها<sup>(٧)</sup> ورفاهتها نعمة ، أرهقته من نوائبها تعباً ، ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن ، إلا أصبح منها على قوادم<sup>(٨)</sup> خوف ، غرارة غرور ما فيها ، فانية ، فإن ما عليها ، لا خير في شيء من زادها إلا التقوى ، من أقل منها استكثر ، يؤمنه ، ومن استكثر منه استكثر مما يؤبه<sup>(٩)</sup> ، وبطيل حزنه ، ويبيكيه ، كم واثق بها قد فجمته ، وذى طمأنينة إليها قد صرعه<sup>(١٠)</sup> ، وذى اختيال<sup>(١١)</sup> فيها قد خدعته ، وكم من

- (١) المشيم : ماتهم وتحطم ، وتذروه : أى تطيه . (٢) كنى بالبطن والظهر عن إقبالها عليه وإدبارها عنه لأن الملاقى لك بالصدر ملاق بالوجه ، فهو مقبل عليك ، والمعطيك ظهره مدبر عنك .
- (٣) طله السحاب يطله : إذا أمطره مطراً قليلاً ، وربما كانت « غيثة » مصحفة عن « غيبة » والغيبة بفتح الغين : المطرة غير الكثيرة ، وفي رواية « ديمة » والديمة بالكسر : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق .
- (٤) هطلت السماء كجلس هطلا : تتابع مطرها ، وفي رواية : « هتنت » هتنت السماء كجلس أيضاً هتنا : انصبت ، أو هو فوق الهطل ، والمزنة : السحابة أو ذات الماء .
- (٥) أى صار عذبا حلوا . (٦) أمر : صار مرا وأوبى : مسهل عن أوبأ ، أى صار وبيثا ، وبنت الأرض كفرح وكرم وعنى ، وأوبأت : صارت كثيرة الوباء ، وهو الطاعون أو كل مرض عام . (٧) الضارة : النعمة والسعة والخصب ، وأرهقه : حمله على مالا يطيقه ، وفي رواية : « لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا » والرغب بالتحريك ما ترغب فيه ، وفي رواية : « فإن أنت امرأ من غصونها ورقا » ، وفي رواية : « وإن لبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعمة ، أرهقته من نوائبها غما » .
- (٨) القوادم : أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح ، الواحدة قادة ، وخص الخوف بالقوادم لأنها مقادير الريش ، والراكب عليها بمرض سقوط قريب . (٩) بها-كه . (١٠) وفي رواية : « وذى حكم ثنته إليها قد صرعه » . (١١) الاختيال : السكر والعجب ، والأبهة : العظمة ، والبهجة والسكر والنخوة .

ذِي أُهْقَرٍ فِيهَا قَدْ صَيَّرْتَهُ حَقِيرًا ، وَذِي نَحْوَةٍ قَدْ رَدَّتَهُ ذَلِيلًا ، وَكَمْ مِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّتَهُ <sup>(١)</sup> لِلدِّينِ وَالْفِطْرِ ، سُلْطَانَهَا دُولٌ ، وَعَيْشُهَا رَنْقٌ وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ ، وَحُلُوهَا صَبِيرٌ ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ <sup>(٢)</sup> وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ <sup>(٣)</sup> ، وَقِطَاعُهَا سَلَعٌ <sup>(٤)</sup> ، حَبِثًا بِعَرَضِ مَوْتٍ ، وَصَحِيحًا بِعَرَضِ سُقْمٍ ، وَمَنْيَعُهَا بِعَرَضِ اهْتِصَامٍ ، مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَسَلِيْمُهَا مَنَكُوبٌ ، وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ <sup>(٥)</sup> ، مَعَ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ ، وَهَوْلِ الْمَطْلَعِ ، وَالْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْمَدْلِ « لِيَجْزِيَ الدِّينَ أَهْلُوهَا بِمَا عَمَلُوا ، وَيَجْزِيَ الدِّينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » .

الَسْتَمُ فِي مَسَاكِنَ مِنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَارًا ، وَأَعْدُّ عَدِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا ، وَأَعْتَدَ عِتَادًا <sup>(٦)</sup> ، وَأَطْوَلَ عِمَادًا ، تَعَبَّدُوا <sup>(٧)</sup> لِلدُّنْيَا أَيْ تَعَبَّدُوا وَآثَرُهَا أَيْ إِثَارًا ! وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكَرْهِ وَالصَّغَارِ ! فَهَلْ بَاغَتْكُمْ أَنْ الدُّنْيَا تَمَحَّتْ لَهَا نَفْسًا بَغْدِيَّةً ، أَوْ أَعْنَتَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَهْلَكْتَهُمْ بِخَطْبِ <sup>(٨)</sup> ؟ بَلْ قَدْ أَرَهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ <sup>(٩)</sup> ، وَضَفَضْتَهُمْ بِالْفَوَائِبِ ، وَعَقَرْتَهُمْ بِالْمَصَائِبِ <sup>(١٠)</sup> ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرُهَا

(١) صرعتته وقلبتته . (٢) رنق الماء كفرج ونصر : كدر ، فهو رنق كعدل وكتف وجبل ، وأجاج : ملح مر ، وسمام جمع سم مثلث السين . (٣) أسباب جمع سبب : وهو الحبل ، ورمام : بالية ، حبل أرمام ، ورمام : أى بال . (٤) السلع : شجر مر ، أو سم : أو ضرب من الصبر ، أو بقلة خبيثة الطعم . (٥) مسلوب : من حربه حربا كطابه طلبا : سلب ماله فهو محروب وحريب ، وفي رواية : « وجارها محروب » . (٦) العتاد : العدة ، وقد عتد ككرم عتادا فهو عتيد : أى حاضر مهيا معد ، وفي رواية : « وأعدت عنودا » من عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عنودا : أى مال ، وفي رواية : « وأشد عقودا » . (٧) أى استعبدتهم الدنيا ، تعبدوا : اتخذوا عبدا . (٨) أى بشأن وأمر . (٩) الفوادح : النوائب المثقلة ، من فدحه الدين إذا أثقله ، وفي رواية : « القوادح » والقوادح جمع قادح : وهو أكال يقع في الشجر والأسنان ، وفي رواية : « وأرهقتهم » أى جعلتهم في الودق بفتح الهاء وتسكينها : وهو حبل كالطول . (١٠) وفي رواية : « وعقرتهم بالفجائع » وفي رواية « وعقرتهم للمناخر ، ووطنهم بالمناخم » ، عقرتهم للمناخر : الصقت أنوفهم بالعقر (كسبب ويسكن) وهو التراب والمناخر جمع منخر بفتح الميم والخاء ، وبكسرهما ، وبضمهما وكجلس : الأنف ، والمناخم جمع منخم كجلس وهو خف البعير .



لَمَنْ دَانَ<sup>(١)</sup> لَهَا ، وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ ، إِلَى آخِرِ الْمُسْنَدِ<sup>(٢)</sup> ،  
 هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغْبَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَحْلَتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ  
 إِلَّا الْغَدَامَةَ ؟ أَمْ هَذِهِ تُؤَثِّرُونَ ، أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ؟ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ  
 ذِكْرُهُ : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْنِهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا  
 لَا يُبْخَسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَى لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا  
 وَبَاطِلٌ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » فَبَدَّتْ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى  
 وَجَلٍ مِنْهَا .

فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - أَنْكُمْ تَارِكُوهَا لِأَبَدٍ ، فَإِنَّمَا هِيَ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِاللَّيْبِ وَاللَّهُوِ  
 وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « أَتَدْبِنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ  
 لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ<sup>(٤)</sup> » ، وَاتَعَطَّوْا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا :  
 « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ؟ » ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنزِلُوا الْأَجْدَاثَ  
 فَلَا يُدْعَوْنَ<sup>(٥)</sup> ضِيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّرِيحِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ ،  
 وَمِنَ الرِّفَاتِ جِيرَانٌ<sup>(٦)</sup> ، فَهِيَ حَيْرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْفًا ، وَلَا يَبَالُونَ  
 مَنْدَبَةً<sup>(٧)</sup> ، إِنْ أَخْصَبُوا<sup>(٨)</sup> لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قَحِحُوا<sup>(٩)</sup> لَمْ يَقْنَطُوا ، جَمْعٌ وَهُمْ آحَادٌ ،  
 وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْيَادٌ ، مَتَنَاهُونَ لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ ، حُلَمَاهُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْفَانُهُمْ ، وَجُهْلَاهُ

(١) أَى خَضَعَ لَهَا وَذَلَّ ، وَفِي رَوَايَةٍ : « لَمَنْ رَادَهَا » أَى طَلَبَهَا : رَوَدَا ، وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا : مَالٌ .

(٢) الْمُسْنَدُ : الدَّهْرُ ، وَفِي رَوَايَةٍ هِيَ إِلَى آخِرِ الْأَمَدِ . (٣) الْجُوعُ ، وَفِي رَوَايَةٍ :

« الشَّقَاءُ » وَالضَّنْكَ : الضِّيقُ . (٤) نَزَاتٌ فِي عَادَ قَوْمِ هُودٍ ، الرِّيْحُ : الْمُرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ ، آيَةٌ :

أَى أَبْنِيَّةٌ وَقُصُورٌ يَفْتَخِرُونَ بِهَا ، وَيَعْبَثُونَ بِالْفُقَرَاءِ ، وَيَتَطَاوَأُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِهَا ، وَالْمَصَانِعُ : الْمَبَانِي مِنَ

الْقُصُورِ وَالْحُصُونِ . (٥) وَفِي رَوَايَةٍ « فَلَا يَرْعَوْنَ » أَى فَلَا يَرْعَاهُمْ أَحَدٌ . (٦) الْأَكْفَانُ جَمْعٌ

كُنَّ بِالْكَسْرِ : وَهُوَ وَقَاءُ كُلِّ شَيْءٍ وَسْتَرُهُ . وَالصَّرِيحُ : الْقَبْرُ أَوْ الشَّقُّ وَسَطُهُ ، وَفِي رَوَايَةٍ : « وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ

الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ » وَالْأَجْنَانُ جَمْعٌ جَنَّ كَسَبٌ : وَهُوَ الْقَبْرُ ، وَالصَّفِيحُ : الْحِجَارَةُ الْعَرَاضُ ، وَالرِّفَاتُ :

الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ . (٧) الْمَنْدَبَةُ : النَّدْبُ عَلَى الْمَيْتِ . (٨) « إِنْ جِيدُوا » مِنْ جَادَهُمُ الْغَيْثُ إِذَا

أَمَطَرُوا . (٩) قَحِحَ النَّاسُ كَمَسَّ ، وَقَحِحُوا وَأَقْحَطُوا مَبْنِيَيْنَ لِلْمَجْهُولِ ( قَلِيلَتَانِ ) ، وَبِكُلِّ رَوَى .

قد ماتت أحقادهم ، لا يُخشى فِجَهُمْ ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ، وكما قال الله تعالى :  
 « فَعَيْتِكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ » ،  
 استبدلوا بظهر الأرض بطنًا ، وبالسَّعَةِ ضَيْقًا ، وبالأهل غُرْبَةً ، وبالنور ظُلْمَةً ، ففارقوها  
 كما دخلوها ، حُفَاةَ عُرَاةٍ فُرَادَى ، غير أن ظلمنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، وإلى  
 خلود الأبد ، يقول الله تعالى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِنْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »  
 فاحذروا ما حذرکم الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله ، عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ  
 وَرِزْقِنَا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

( البيان والتبيين ١ : ٦٣ . وصبح الأعشى ١ : ٢٢٣ . والعقد الفريد  
 ٢ : ١٦٠ . وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٠ . ونهاية الأرب ٧ :  
 ٢٥٠ . ونهج البلاغة ١ : ١٢٢ . دستور معالم الحكم ص ٥١ )

### ٤٣٦ - خطبة عبد ربه الصغير

ولما دبَّت عقاربُ الخِلافِ بين الأزارقة ، وامت بهم يد الشقاق ، خلموا قَطْرِيَّ  
 ابن الفجاءة ، وَوَلَّوْا عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرَ ، فانفصل إلى عبد ربه أكثر من <sup>(١)</sup> الشَّطْرُ ،  
 ونشبت الحرب بينه وبين المهلب ، فأجَلَّتِ الوقعةُ عنه قَتِيلًا ، وقد جمع أصحابه في الليلة  
 التي قتل في صَدِيحَتِهَا ، فقال :

« يامعشر المهاجرين : إن قَطْرِيًّا وَعُبَيْدَةَ <sup>(٢)</sup> هَرَبَا طَلَبَ البَقَاءَ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ،  
 فَاتَّقُوا عَدُوَّكُمْ ، فَإِنْ غَلِبَكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ ، فَلَا يَغْلِبُنَّكُمْ عَلَى الْمَوْتِ ، فَتَلْقُوا الرِّمَاحَ بِنَحْوِكُمْ  
 وَالسِّيُوفَ بِوُجُوهِكُمْ ، وَهَبُّوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا ، يَهَبُّهَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ » .  
 (الكامل للمبرد ٢ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٠٥ )

(١) أما قطري فقد ارتحل ومن معه إلى طبرستان فوجه الحجاج إليه جيشا عليه سفيان بن الأبرد  
 فقاتلوه ، وتفرق عنه أصحابه وقتل سنة ٧٨ هـ ، وبقتله انتهت حروب الأزارقة . (٢) هو هبيلة  
 ابن هلال اليشكري من كهراء الأزارقة .

## ٤٣٧ - خطبة صالح بن مسرّح<sup>(١)</sup>

وروى الطبري في تاريخه قال :

كان صالح بن مُسَرَّح يري رأى الصُّفْرِيَّةَ<sup>(٢)</sup> ، وكان رجلاً ناسكاً مُخْبِئاً<sup>(٣)</sup> ، مصفراً الوجه ، صاحب عبادة ، وكان بِدَارًا<sup>(٤)</sup> وأرض المَوْصِلِ والجزيرة ، له أصحاب يُقْرَأُهم القرآن ، ويفقههم وَيَقْصُّ عليهم ، وكان قصصه :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَعْدِلُ بِكَ ، وَلَا نَحْفِدُ<sup>(٥)</sup> إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ ، لَكَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَمَنْكَ النِّفْعُ وَالضَّرُّ ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَهُ ، وَرَسُولُكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ وَارْتَضَيْتَهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَاتِكَ ، وَنَصِيحَةِ عِبَادِكَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الرِّسَالَهَ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ ، وَدَعَا إِلَى الْحَقِّ ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ ، وَنَصَرَ الدِّينَ ، وَجَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أُرْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَفِرَاقِ الْفَاسِقِينَ ، وَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا تَرْغَبُ الْعَبْدَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ ،

(١) هو صالح بن مسرّح أحد بني امرئ القيس ، وهو زعيم فرقة من الخوارج الصفورية ، تسمى : « الصالحية » نسبة إليه : وقد خرج على بني أمية سنة ٧٦ هـ ، فبعث إليه محمد بن مروان أمير الجزيرة جيشاً بقيادة عدى بن عدى بن عميرة فهزمه صالح ونزل عسكره وحوى مافيه ، وبعث محمد بن مروان إليهم جيشاً آخر فقاتلهم ، فخرجوا من أرض الجزيرة إلى الموصل ، فسرح إليهم الحجاج جيشاً يقوده الحارث بن عميرة فحاربهم وقتل في المعركة صالح . (٢) الصفورية : فرقة من الفرق الرئيسية الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصغر ، وقيل نسبوا إلى عبد الله بن صفار ، وقيل لأنهم نهكتم العبادة أو خللوه من الدين وليس هذا موضع تفصيل عمائدهم . (٣) أخبت لله : خشع وتواضع . (٤) دارا : بلد بين نصيبين ومزديين من أرض الجزيرة . (٥) حفد كضرب : خف وأسرع .

وتفرغ بدنه لطاعة الله ، وإن كثرة ذكر الموت تخيف العبد من ربه ، حتى يجاز (١)  
إليه ويستكين له ، وإن فراق الفاسقين حق على المؤمنين ، قال الله في كتابه :  
« وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ » ، وإن حب المؤمنين للسبب الذي يُنال به آرامة الله ورحمته  
وجنته ، جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين ، ألا إن من نعمة الله على المؤمنين أن  
بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، فسلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ، وفقهم  
في دينهم ، وكان بالمؤمنين رءوفا رحيمًا ، حتى قبضه الله ، صلوات الله عليه ، ثم ولي الأمر  
من بعده التقى الصدق ، على الرضا من المسلمين ، فاقتدى بهديه ، واستن بسنته ،  
حتى لحق بالله رحمه الله ، واستخلف عمر فولاه الله أمر هذه الرعية ، فعمل بكتاب الله ،  
وأحيا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يُحنق في الحق على جرته (٢) ، ولم يخف  
في الله لومة لائم ، حتى لحق به رحمة الله عليه ، وولى من بعده عثمان ، فاستأثر بالنيء ،  
وعطل الحدود ، وجار في الحكم ، واستذل المؤمن ، وعزّر المحرم ، فسار إليه المسلمون  
فقتلوه ، فبرى الله منه ورسوله وصالح المؤمنين ، وولي أمر الناس من بعده علي  
ابن أبي طالب ، فلم ينشأ أن حكم في أمر الله الرجال ، وشك في أهل الضلال ،  
وركن (٣) وأذهن ، فنحن من علي وأشياعه برآء ، فتيستروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب  
المتحزبة ، وأئمة الضلال الظلمة ، وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء ، واللحاق  
بإخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة ، وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله  
في العاقبة ، ولا تجزعووا من القتل في الله ، فإن القتل أيسر من الموت ، والموت نازل بكم  
— غير ما ترضي الظنون — ففرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم وحلائدكم ودنياكم ،

(١) جار إليه كنع : رفع صوته بالدعاء ، وتضرع واستغاث . (٢) أحنق الصلب : لزع  
بالبطان . والبحرة : ما يخرج البعير من جوفه ويمضغه ، كنى بذلك عن عدم إظهاره الحقد والدغل .  
(٣) ركن إليه : مال .

وإن اشتد ذلك كرهكم وحزكم ، ألا فبيعوا الله أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا  
الجنة آمنين ، وتعتاقوا الحور العين ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين اذا كرين ،  
الذين يهدون بالحق وبه يعدلون .

( تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٠٩ )

### ٤٣٨ - خطبة أخرى له

وروى الطبرى أيضاً قال :

« بيذا أصحابُ صالح يختلفون إليهم ، إذ قال لهم ذات يوم : ما أدرى ما تنتظرون ؟  
وحتى متى أنتم مُقيمون ؟ هذا الجور قد فشا ، وهذا العدل قد عمأ ، ولا تزداد هذه  
الولاية على الناس إلا غلوا وعتوا ، وتباعدا عن الحق ، وجروا على الرب ، فاستعدوا ،  
وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحق ، مثل الذى  
تريدون ، فيأتوكم ففلتقى ، وننظر فيما نحن صانعون ، وفى أى وقت إن خرجنا نحن  
خارجون . »

( تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٠٩ )

### ٤٣٩ - خطبة أخرى

وقال لأصحابه ليلة خرج : « اتقوا الله عباد الله ، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من  
الناس إلا أن يكونوا قوماً يريدونكم وينصبون<sup>(١)</sup> إياكم ، فإنكم إنما خرجتم غضباً  
لله ، حيث انتهكت تحارمه ؟ وعشى فى الأرض ، فسفكت الدماء بغير حياها ، وأخذت  
الأموال بغير حقها ، فلا تعبيراً هلى قوم أعمالاً ثم تعملوا بها ، فإن كل ما أنتم عاملون ،

(١) أى يبادونكم .

أنتم عنه مسئولون ، وإن عظمكم رجالة ، وهذه دوابُّ لمحمد بن مروان في هذا الرستاق<sup>(١)</sup> ، فابدءوا بها فشدُّوا عليها ، فاحملوا أرجلكم ، وتقوُّوا بها على عدوكم .  
( تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٠ )

### ٤٤٠ - خطبة زائدة بن قدامة

وخلف على رياسة الخوارج الصُّفريَّة بعد مقتل صالح بن مُسَرِّح أحد أصحابه ، وهو شبيب بن يزيد الشيباني ، فكتب الحجاج لقتاله الكتاب ، وكان أميرها في بعض الوقعات زائدة بن قدامة ، وجاء شبيب حتى وقف مُقابل القوم ، فخرج زائدة يسير بين الميمنة والميسرة ، يحرِّض الناس ويقول :  
« عباد الله ، إنكم الطيبون الكثيرون ، وقد نزل بكم الخبيثون القليلون ، فاصبروا جمعت لكم الفداء إنها حُمَّلتان أو ثلاث ، نعم هو النصر ليس دونه شيء ، ألا ترؤسهم والله لا يكونون مائتي رجل ؟ إنما هم أكلة رأس ، وهم السُّراق المُرَّاق ، إنما جاءوكم ابَّهريقوا دماءكم ، وياخذوا فيئسكم ، فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أهل فرقة ، وأنتم أهل جماعة ، غضُّوا الأبصار ، واستقبلوهم بالأسنة ، ولا تحمِلوا عليهم حتى أمركم » ، فما برح يقاتلهم مُقبلاً غير مُدبر ، حتى قتل .  
( تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٥ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٥ )

### ٤٤١ - خطبة الحجاج بن يوسف

ولما هزم شبيب الجيش الذي كان الحجاج وجَّهه إليه مع عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، أقبل نحو المدائن ، وبلغ ذلك الحجاج ، فقام في الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) الرستاق . يستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم ، ( معرب ) .

« أيها الناس : والله لَتَقَاتِلَنَّ عن بلادكم وعن فيئكم ، أو لَأَبْعَثَنَّ إلى قومٍ هم أطوع وأسمع ، وأصبر على اللأواء والغيظ منكم ، فيقاتلون عدوكم ، ويأكلون فيئكم - يعني جند الشام - . »

فقام إليه الناس من كل جانب ، فقالوا : نحن نقاتلهم ، ونُعْتَبِ الأير ، فليندُ بنا الأمير إليهم ، فإننا حيث سره .

( تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤١٨ )

## ٤٢٢ - خطبة أخرى للحجاج

وبعث الحجاج إلى عتّاب بن ورقاء ليأتيه - وكان مع المهلب - ووجهه في جيش لقتال شيب ، وخطب الناس حين وجهه فقال :

« يا أهل الكوفة اخرجوا مع عتّاب بن ورقاء بأجمعكم ، لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلا رجلاً قد وليناه من أعمالنا ، إلا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة ، ألا وإن لنا كل الهارب الهوان والجفوة ، والذي لا إله غيره إن فعلتم في هذا الموطن ، كفعلكم في الموطن التي كانت ، لأوليئكم كنفاً خشناً ، ولأعزكم بكملاً كل ثقيل » ، ثم نزل .

( تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٥ )

## ٤٤٣ - خطبة شيب بن يزيد الشيباني

وعرض شيب أصحابه بالمدائن فكانوا ألف رجل ، فخطبهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر المسلمين : إن الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان ، وأكثر من ذلك قليلاً ، وأنقص منه قليلاً ، وأنتم اليوم ميثون ومثون ، إلا إنني مصلى الظم ، ثم سائر بكم إن شاء الله . »

( تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤١٩ )

## ٤٤٤ - خطبة عتاب بن ورقاء

ولما تواقف الفريقان للقتال ، جعل عتاب يسير فيما بين الميمنة إلى اليسرة ، يمرّ بأهل راية راية ، فيحثهم على تقوى الله وبأمرهم بالصبر ، ويقص عليهم قصصاً كثيراً منه قوله : « يا أهل الإسلام : إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ، ألا ترون أنه يقول : « وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » ، فمن حمد الله فعله فما أعظم درجته ، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ، ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه؟ لا يرون إلا أن ذلك لهم قرابة عند الله ، فهم شرار أهل الأرض ، وكلاب أهل النار . »

فلم يجبه أحد ، فقال : أين القصص بقصون على الناس ويحرضونهم ؟ فلم يتمكلم أحد ، فقال : أين من يروى شعر عنتره فيحرك الناس ؟ فلم يجبه أحد ، ولا رد عليه كلمة ، فقال : إنا لله والله الكأني بكم وقد فررتم عن عتاب بن ورقاء ، وتركتموه تسفي في استي الریح ، وحمل عليه شبيب فتفرق عنه كثير من أصحابه وخذلوه ، وثبت في عصابة قليلة صبرت معه ، وقابل حتى قتل .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٢٠)

## ٤٤٥ - خطبة الحجاج

ولما رأى الحجاج تجزأ أهل الكوفة عن قتال شبيب في مواطن كثيرة ، في كل ما يقتل أمرأهم ، ويفل جنودهم ، كتب إلى عبد الملك يستمده ، فبعث إليه سفيان بن الأبرد الكلابي ، في أربعة آلاف ، وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ألفين ، ودخلا فيمن معهما من أهل الشام الكوفة ، فشدوا للحجاج ظهره ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبرها ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :



« أما بعد : يا أهل الكوفة ، فلا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنا ، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالحيرة ، فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا ، ومن لم يكن شهيدا قتال عتّاب ابن ورقاء<sup>(١)</sup> . » ( تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٢٠ )

## ٤٦ — خطبة عبد الله بن يحيى الإباضي<sup>(٢)</sup>

لما استولى عبد الله بن يحيى الكندي على بلاد اليمن سنة ١٢٩ ، خطب الناس ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ووعظ وذكر وحذر ، ثم قال :

« إنا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ، وإجابة من دعا إليهما ، الإسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال حلالا ، لا نبغى به بدلا ، ولا نشترى به تمنا قليلا ، وحرّمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ، ولا حول

(١) ولم تنه شبيب عن القتال ، وقد هاجم الكوفة ودخلها ، ونهض الحجاج لمدافته ، فشنت جموعه فانصرف عن الكوفة ، وأتبعه الحجاج جيشا عليه سفيان بن الأبرد فالتقياعلى حمر دجيل ، وحمل بينهما وطيس القتال حتى جن الليل ، فقتل شبيب لأصحابه : اعبروا معاشر المسلمين ، فإذا أصبحنا باكرناهم ، فعبروا أمامه وزا حافر فرسه عن حرف السفينة ، فسقط في الماء ، وكان هلاكه سنة ٥٧٧ (٢) هو عبد الله بن يحيى الكندي ، وكان من حضر موت ، وكان مجتهدا عابدا من رؤساء الخوارج الإباضية : (والإباضية فرقة من فرق الخوارج الرئيسية تنسب إلى زعيمها عبد الله بن إباض - بكرم الغمزة - ) وقد خرج ابن يحيى باليمن في أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، إذ رأى جورا ظاهرا وعمقا شديدا ، وسيرة في الناس قبيحة فقال لأصحابه إنه لايجل لنا المقام على ما ترى ولا الصبر عليه . وكتب إلى جماعة من الإباضية بالبصرة وغيرها يشاورهم في الخروج فوافقوه ، وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ، وبلغ بن عقبة المسعودي في رجال من الإباضية فحرضوه على الخروج ، وكثر جمعه وسموه طالب الحق ، وتوجه إلى صنعاء سنة ١٢٩ (وكان عامل مروان على صنعاء القاسم بن عمر) فجرت بينه وبين ابن يحيى حروب ومناوشات كانت النصر فيها لابن يحيى ، فدخل صنعاء ، وأحرز ما فيها من الخزائن والأموال .

( ٣٥ - جمهرة خطب العرب - ثان )

ولا قوّة إلا بالله ، وإلى الله المُشْتَكَى ، وعليه المَعْوَل ، من زنى فهو كافر ، ومن سرق  
فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، ومن شك في أنه كافر فهو كافر ، ندعوكم إلى  
فرائض بيّنات ، وآيات مُحْكَمَات ، وآثار مُقْتَدَى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وَعَدَ ،  
عَدْلٌ فيما حَكَمَ ، وندعو إلى توحيد الرب ، واليقين بالوعيد والوَعْد ، وأداء الفرائض ،  
والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، والمدارة لأعداء الله .

أيها الناس : إن من رحمة الله أن جعل في كلّ فِتْرَةٍ بقايا من أهل العلم ، يدعون  
من ضلّ عن الهدى ، ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى ، يُقْتَلُونَ على الحق  
في سالف الدهور شهداء ، فما نسيهم ربُّهم ، وما كان ربُّك نسيًّا . أوصيكم بتقوى  
الله ، وحسن القيام على ما وكل-كم الله بالقيام به ، فأبْلُوا الله بلاءً حسنًا في أمره  
وذكره ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

( الأغانى ٢٠ : ٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٥٥ )

# خطب أبي حمزة الشاري

٤٤٧ - خطبته حين دخل المدينة

ولما دخل أبو حمزة المدينة<sup>(١)</sup> سنة ١٣٠ ، رقى المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :  
« يا أهل المدينة : سأناكم عن ولاتكم هؤلاء ، فأسألكم - لعمر الله - فيهم القول ،  
قلتم والله ما فيهم الذي يعلم ، أخذوا المال من غير حيلة ، فوضعوه في غير حقه ، وجاروا  
في الحكم ، فحكوا بغير ما أزل الله ، واستأثروا بفتننا ، فجعلوه دولةً بين الأغنياء

(١) بعد أن استولى عبدالله بن يحيى على اليمن سنة ١٢٩ ، أقام بصنعاء أشهراً يحسن السيرة في الناس ويلين  
جانبه لهم ، ويكف الأذى عنهم فكثرت جمعه وأتته الشراة من كل جانب ( والشراة كقضاة جمع شاركوا  
وهم الخوارج ، من شرى يشري كرمى : أى باع ، سموا بذلك لقولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله : أى بعناها  
وهبناها ، أخذنا من قوله تعالى :

« وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُبْتِغَاءً مَرَضًا لِلَّهِ » أو لقولهم : شرينا الآخرة بالدنيا ،  
أى اشتريناها ) فلما كان وقت الحج وجه ابن يحيى أبا حمزة « وهو المختار بن عوف الأزدي ثم السلمى من  
أهل البصرة » إلى مكة ، فأقبل إليها يوم التروية « وهو ثامن ذى الحجة » وعليها وعلى المدينة عبد الواحد  
ابن سليمان بن عبد الملك ، فكره عبد الواحد قتالهم ، ثم خلى مكة لهم ، فدخلها أبو حمزة بغير قتال ، ومضى  
عبد الواحد إلى المدينة ، فجهز جيشاً لقتالهم أمر عليه عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ،  
فسار حتى نزل قديداً « وقديد كزبير » وبلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينة إليه ، فاستخلف على مكة ، وشخص  
إليهم ، وبعث إليهم يسألهم أن يكفوا عنهم ، ويقول لهم : خلوا سبيلنا إلى الشام لنسير إلى من ظلمكم ،  
وجار في الحكم عليكم ، ولا تجملوا حدنا بكم ، فإننا لانريد قتالكم ، فشتهم أهل المدينة وقالوا : يا أعداء  
الله : أنحن نخليكم ونضعكم تفسدون في الأرض ؟ فقال الخوارج : يا أعداء الله أنحن نفسد في الأرض ؟ إنما  
خرجنا لنكف أهل الفساد ، ونقاتل من قاتلنا ، واستأثر بالنفوس ، فانظروا لأنفسكم ، واخلموا من لم يجعل الله  
له طاعة ، فإنه لاطاعة لمن عصى الله ، فادخلوا في السلم ، وعاونوا أهل الحق ، فأبوا عليهم ، ونشب القتال  
بينهم ، فهزمهم أبو حمزة هزيمة لم يبق بعدها منهم باقية ، وقد بلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً ،  
منهم من قریش أربعمائة ونحسون ، ودخل أبو حمزة المدينة لثلاث عشرة بقية من صفر سنة ٥١٣٠ ، وهرب  
عبد الواحد بن سليمان إلى الشام .

منهم ، وَجَعَلُوا مَقَاسِمَنَا وَحُتُوقَنَا فِي مَهْرِ النِّسَاءِ ، وَفُرُوجِ الْإِمَاءِ (١) ، فَقُلْنَا لَكُمْ : تَعَالَوْا  
 نَحْنُ وَأَنْتُمْ إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُواكُمْ ، وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ ، فَحُكْمًا بغير مَا أُنزِلَ اللهُ  
 نُنَاشِدُهُمُ اللهُ أَنْ يَتَنَجَّحُوا عِنَّا وَعِنْدَكُمْ ، لِيَخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ، فَقُلْتُمْ : لَا يَفْعَلُونَ ، فَقُلْنَا  
 لَكُمْ : تَعَالَوْا نَحْنُ وَأَنْتُمْ نَقَاتِلُهُمْ ، فَإِنْ نَظَرَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ نَأْتِ بِمَنْ يُقِيمُ فِينَا وَفِيكُمْ  
 كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُمْ : لَا نَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ، فَقُلْنَا لَكُمْ :  
 فَخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ نَظَرَ نَعْدِلُ فِي أَحْكَامِكُمْ ، وَنَحْمِلُكُمْ عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَقْسِمُ فِيكُمْ بَيْنَكُمْ ، فَأَبَيْتُمْ وَقَاتَلْتُمُونَا دُونَهُمْ ، فَقَاتَلْنَاكُمْ وَقَتَلْنَاكُمْ ،  
 فَأَبْعَدَكُمْ اللهُ وَأَسْحَقَكُمْ .

( تاريخ الطبرى ٩ : ١٠٧ ، والأغانى ٢٠ : ١٠٣ ، وشرح  
 ابن أبى الحديد ١ : ص ٤٥٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٦٢ )

### ٤٤٨ - خطبة أخرى له

وروى أنه لما دخل المدينة قام فخطب ، فقال في خطبته :  
 « يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَرَرْتُ بِكُمْ فِي زَمَنِ الْأَحْوَالِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ أَصَابَتْكُمْ  
 عَاهَةٌ بِمَارِكُمْ ، وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ تَسْأَلُونَهُ أَنْ يَضَعَ خَرَاجَكُمْ عَنْكُمْ ، فَكُتِبَ إِلَيْكُمْ بِوَضْعِهِ  
 عَنْ قَوْمٍ مِنْ ذَوِي الدِّسَارِ مِنْكُمْ ، فزَادَ الْغَنِيَّ غِنًى ، وَزَادَ الْفَقِيرَ فَقْرًا ، فَقُلْتُمْ : جَزَاكَ اللهُ  
 خَيْرًا ، فَلَا جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا ، وَلَا جَزَاكَ خَيْرًا . »

( تاريخ الطبرى ٩ : ١٠٨ ، والأغانى ٢٠ : ١٠٣ ، وشرح ابن أبى الحديد ١ : ص ٤٥٨ )

(١) وفي رواية : « وسألناكم ، هل يقتلون بالظن ؟ فقلتم : نعم ، وسألناكم : هل يستحلون المال الحرام

والفرج الحرام ؟ فقلتم : نعم . »

## ٤٤٩ - خطبته وقد بلغه أن أهل المدينة يعيبون صحابه<sup>(١)</sup>

وبلغ أبا حمزة أن أهل المدينة يعيبون أصحابه ، لخدانة أسنانهم ، وخيفة أحلامهم ، فصعد المنبر ، وعليه كساء غليظ ، وهو متنكب قوساً عربية ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم قال :

« يا أهل المدينة ، قد بلغتني مقاتبكم لأصحابي ، ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم ، لأحسنت أدبكم ، ونحکم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب ، وبيّن له فيه السنن ، وشريع له فيه الشرائع ، وبيّن له فيه ما يأتي وما يذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، ولا يُحجّم إلا عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم ، وقد أدى الذي عليه ، وعلم المسلمين معالم دينهم ، ولم يدعهم من أمرهم في شبهة ، ودلى أبا بكر صلاتهم ، فولاه المسلمون أمر دنياهم ، حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر دينهم ، فعمل بالكتاب والسنة ، وقاتل أهل الردّة ، وشمر في أمر الله ، حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضون رحمة الله عليه ومغفرته ، ثم ولي بعده عمر بن الخطاب فسار بسيرة صاحبه ، وعمل بالكتاب والسنة ، وجند الأجناد ، ومصر الأمصار ، وجبى النّية ، وفرض الأعطية ، وشمر عن ساقه ، وحسّر عن ذراعه ، وجلّد في الحجر ثمانين ، وجمع الناس في شهر رمضان<sup>(٢)</sup> ، وغزا العدو في بلادهم ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان ، فسار ست سنين بسيرة صاحبيه - وكان دونهما - ثم سار في الست الأواخر بما أحبّط به الأوائل ، واضطرب جبل الدين بعدها ، فطلبها<sup>(٣)</sup> كل امرئ

(١) روى الجاحظ أن هذه الخطبة كانت بمكة ، وذكر أن اسم أبي حمزة « يحيى بن المختار » .

(٢) أي لصلاة القيام ، وفي رواية : « وقام في شهر رمضان » .

(٣) أي الخلافة ، يشير إلى تطلع طلحة والزبير إليها ، وطمع معاوية فيها .

لنفسه ، وأَسَرَ كل رجل منهم سريرةً أبداها الله عنه ، حق مضوا على ذلك ، ثم ولي  
 علي بن أبي طالب ، فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً ، ثم مضى لسبيله :  
 ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن لعينه<sup>(١)</sup> ،  
 وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤلف طليق . فسفك الدم الحرام ، وأخذ  
 عباد الله خوفاً<sup>(٢)</sup> ، ومال الله دولاً<sup>(٣)</sup> ، وبغى دينه عوجاً ودغلاً<sup>(٤)</sup> ، وأحل الفرج  
 الحرام ، وعمل بما يشتهي ، حتى مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله ، ثم ولي بعده ابنه يزيد ،  
 يزيد الخمر ، ويزيد الصقور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القروود<sup>(٥)</sup> ،

(١) انظر ص ٢٣ و ٢٤ . (٢) عبداً . (٣) جمع دولة بالضم : أى متداولاً بين عشيرته  
 دون سائر المسلمين . (٤) الدغل : الفساد كالدخل . (٥) روى المسعودى فى مروج الذهب -  
 ج ٢ : ص ٩٤ - قال :

« وكان يزيد صاحب طرب ، وجوارح ، وكلاب ، وقروود ، وفهود ، ومنادمة على الشراب ؛ وجلس  
 ذات يوم على شرابه ، وعن يمينه ابن زياد - وذلك بعد قتل الحسين - فأقبل على ساقيه ، فقال :

اسقى شربة تروى مشائى      ثم صل فاسق مثلها ابن زياد  
 صاحب السر والأمانة عندى      ولتسديد مغنمى وجهادى

( والمشائى كغراب : النفس والطبيعة ) ، ثم أمر المغنين فغنوا ، وغلب على أصحاب يزيد وعماهم ما كان  
 يفعله من الفسوق ، وفى أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة ، واستعملت الملاهى ، وأظهر الناس شرب الشراب ،  
 وكان له قرد يكنى بأبي قيس ؛ يحضره مجلس منادته ؛ ويطرح له متكناً ، وكان قرداً خبيثاً ، وكان يحمله  
 على أذان وحشية ؛ قد ريفت وذلت ذلك بمرج ولجام ، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة ، فجاء فى بعض الأيام  
 سابقاً فتناول القصبه ، ودخل الحجرة قبل الخيل ، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشهور  
 ( مخطط ) وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق ( أى مصبغة بمهل الشقائق ) وعلى الأتان سرج من  
 الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من الألوان فقال فى ذلك بعض شعراء الشام فى ذلك اليوم :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها      فليس عليها إن سقطت ضمان  
 ألا من رأى القرد الذى سبقت به      جياذ أمير المؤمنين أتان !

وروى ابن طباطبا فى الفخرى ص ٤٩ قال : « كان يزيد بن معاوية أشد الناس كلفاً بالصيد لا يزال لاهياً  
 به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب ، والجلال المنسوجة منه « الجلال بالسكمر جمع جل بالضم  
 والفتح : ما نلبسه الدابة لتصان به » ويهب لكل كلب عبداً يخدمه ، قيل إن عبداً لله بن زياد أخذ من بعض =

الفاسق في بطنه ، المأبون<sup>(١)</sup> في فرجه ، يخالف القرآن ، واتبع الكهان ، ونادم القرد ، وعمل بما يشبهه ، حتى مضى على ذلك لعنه الله ، وفعل به وفعل ، ثم ولي مروان بن الحكم ، طر يد أعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وابن لعينه ، فاسق في بطنه وفرجه ، فالعنوه والعنوا آباءه .  
ثم تداولها بنو مروان بعده ، أهل بيت اللعنة ، طرداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وقوم من الطلقاء ، ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولا التابعين بإحسان ، فأكلوا مال الله كلاً ، ولعبوا بدين الله لعباً ، واتخذوا عباد الله عبيداً ، يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر ، فيا لها أمة ! ما أضيعها وأضعفها ! والحمد لله رب العالمين ، ثم مضوا على ذلك من سي أعمالهم ، واستخفوا بهم بكتاب الله تعالى ، قد نبذوه وراء ظهورهم لعنهم الله ، فالعنوهم كما يستحقون ، وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز ، فبلغ ولم يكذ وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله - ولم يذكره بخير ولا شر - .

ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه ، غير مأبون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده<sup>(٢)</sup> ، ولم يؤانس رُشدُه ، وقد قال الله عز وجل : « فَإِنْ آ نَسَمُ

= أهل الكوفة أربعمائة ألف دينار جباية وجعلها في خزائن بيت المال ، فرحل ذلك الرجل من الكوفة ، وقصد دمشق ليشكو حاله إلى يزيد ، وكانت دمشق في تلك الأيام فيها سرير الملك - فلما وصل إلى ظاهر دمشق سأل عن يزيد فعرفوه أنه في الصيد ، فكره أن يدخل دمشق ، وايس يزيد حاضراً فيها ، فضرب مخيمه ظاهر المدينة ، وأقام به ينتظر عود يزيد من الصيد ، فبينما هو في بعض الأيام جالس في خيمته ، لم يشعر إلا بكلية قد دخلت عليه ، وفي قوائمها الأساور من الذهب ، وعليها جل يساوي مبلغاً كبيراً ، وقد بلغ منها العطش والتعب ، وكادت تموت ، فعلم أنها ليزيد وأنها قد شذت منه ، فقام إليها وقدم لها ماء وتمهد لها بنفسه ، فاشعر إلا بشاب حسن الصورة على فوس جميل ، وعليه زى الملوك ، وقد علت غيرة ، فقام إليه ، وسلم عليه ، فقال له أرايت كلبة عابرة هذا الموضع ؟ فقال : نعم يامولانا ، هاهي في الخيمة ، قد شربت ماء واستراحت وقد كانت على غاية من العطش والتعب ، فلما سمع يزيد كلامه نزل ودخل الخيمة ، ونظر إلى الكلبة وقد استراحت ، فجذب بجبلها ليخرج ، فشكا الرجل إليه حاله وعرفه مأخذ منه ابن زياد ، فطلب دواة وكتب إليه برد ماله وخلعة سنية ، وأخذ الكلبة وخرج ، فرد الرجل من ساعته إلى الكوفة ، ولم يدخل دمشق .

(١) أبوه بشي كنصر وضرب : أتهمه ، فهو مأبون ، بخير أو شر ، فإن أطلقت فقلت مأبون فهو للشر والأبنة كعقدة : العيب . (٢) بلغ أشده : أي قوته ، وهو ما بين ثمانين عشرة إلى ثلاثين سنة ، وقد اختلف المؤرخون في مقدار سن يزيد ، فقيل إنه توفي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وقيل ابن سبع وثلاثين ، وكانت ولايته أربع سنين وشهرا ، والمراد أنه لم يبلغ أشده لعنه وعكوفه على اللذات والشهوات .

مِنْهُمْ رُشْدًا فَأَذْفَمُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ<sup>(١)</sup> ، فَأَمْرُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ فِي أَحْكَامِهَا وَفُرُوجِهَا وَدِمَائِهَا  
 أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ، غَلَامٌ مَأْبُونٌ فِي بَطْنِهِ وَفَرْجِهِ ،  
 يَشْرَبُ الْحَرَامَ ، وَيَأْكُلُ الْحَرَامَ ، وَيَلْبَسُ الْحَرَامَ ، يَلْبَسُ بُرُودَيْنِ قَدْ حَيَّكْتَا لَهُ ، وَقَوْمًا  
 عَلَى أَهْلِهِمَا بِالْفِ دِيَارٍ ، وَأَكْثَرَ وَأَقْلَ ، قَدْ أَخَذَتْ<sup>(٢)</sup> مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا ، وَصُرِفَتْ فِي غَيْرِ  
 وَجْهِهَا ، بَعْدَ أَنْ ضُرِبَتْ فِيهَا الْأَبْشَارُ<sup>(٣)</sup> ، وَحُلِقَتْ فِيهَا الْأَشْعَارُ ، وَهَتَكَتْ فِيهَا الْأَسْتَارَ ،  
 وَاسْتُحِيلَ مَا لَمْ يُحِيلِ اللَّهُ لِعَبْدٍ صَالِحٍ ، وَلَا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ ، نَمَّ يُجْلِسُ حَبَابَةَ عَنْ يَمِينِهِ ،  
 وَسَلَامَةَ عَنْ شِمَالِهِ ، تَغْفِيَانَهُ بِزَامِيرِ الشَّيْطَانِ ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ الصَّرَاحَ الْحَرَامَةَ نَصَابًا بَعِينَهَا ،  
 حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مِنْهُ مَا خَذَهَا ، وَخَالَطَتْ رُوحَهُ وَلَحْمَهُ وَدَمَهُ ، وَغَلَبَتْ سَوْرَتَهَا عَلَى عَقْلِهِ ،  
 مَزَّقَ حُلَّيْنِهِ ، ثُمَّ التَفَتْ إِلَيْهِمَا فَقَالَ : أَنْتَاذِنَانِ لِي أَنْ أُطِيرَ<sup>(٤)</sup> ؟ نَعَمْ ، فَطَرْنَا إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ،  
 وَحَرِيقِ نَارِهِ ، وَأَلِيمِ عَذَابِهِ ، طَرْنَا إِلَى حَيْثُ لَا يَرُدُّكَ اللَّهُ .

(١) الآية الكريمة في اليتامى ، وأولها : « وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ  
 آسَمْتُمْ . . . » . (٢) أى الدنازير . (٣) فيها : أى فى تحصيلها . والأبشار : جمع بشر ، وهو  
 جمع بشرة : ظاهر الجلد ، والمراد ضرب الناس فى جباية الأموال . (٤) ذكر ذلك ابن طباطبائي الفخرى  
 ص ١١٧ قال : « كان يزيد بن عبد الملك خليف بنى أمية شغف بجاريتين أمم إحداهما سلامة ، والأخرى حباية  
 فقطع معهما زمانه ، قالوا : فغنت يوما حباية :

بين التراقى واللهاة حرارة  
 ما نطمئن ولا تسوغ فتبرد

فأهوى يزيد اي طير ، فقالت : يا أمير المؤمنين لنا فيك حاجة ، فقال : والله لأطيرن ، قالت : فملى  
 من تدع الأمة ؟ قال : عليك وقبل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول : « سخنت عينك فا أسخنك »  
 وروى أبو الفرج الأصبهاني فى الأغاني « ج ١٣ ص ١٤٨ » قال : « كانت حباية مولاة من مولدات المدينة ،  
 حلوة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء ؛ وقد قال يزيد بن عبد الملك : ماتقر عيني بما أوتيت من الخلافة حتى  
 اشتري سلامة وحباية ، فأرسل فاشتريتا له ، فلما اجتمعتا عنده قال : أنا الآن كما قال القائل :

فأقت عصاها واستقر بها النوى  
 كما قر عينا بالإياب المسافر

وذكروا أن مسلمة بن عبد الملك أقبل على يزيه يلووه فى الإلحاح على الغناء والشراب ، وقال له : إنك  
 وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله ، وقد تشاغلت بهذه الأمة من النظر فى الأمور ، والوفود ببابك ،



ثم ذكر بنى أمية وأعمالهم وسيرهم فقال: « أصابوا إمرة ضائعة ، وقوماً طعاماً جهلاً ، لا يقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرون أن بنى أمية أرباب لهم ، فأسكوا الأسر ، وتسلطوا فيه تسلط رؤوبية ، بطشهم بطش الجبارة ، يحكمون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، يأخذون بالظنة ، ويعطلون الحدود بالشفاعات ، ويأمنون الخونة ، ويقصون ذوى الأمانة ، يأخذون الفريضة من غير موضعها ، ويضعونها في غير أهلها ، وقد بين الله أهلها ، فجعلهم ثمانية أصناف ، فقال : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْعَارِمِينَ

= وأصحاب الظلمات يصيحون ، وأنت غافل عنهم ، فقال : صدقت والله وأعتبه ، وهم بترك الشراب ، ولم يدخل على حيازة أياما ، فدرت حيازة إلى الأحوص أن يقول أبياتا في ذلك ، وقالت له : إن رددته عن رأيه ، فلك ألف دينار ، فقال :

ألا لاتلمه اليوم أن يتبلدا	فقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكي الصبا جهدى فن شاء لأمى	ومن شاء آمى فى البكاء وأسعدا
وإنى وإن فندت فى طلب الغنى	لأعلم أنى لست فى الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى	فكن حجرا من يابس الصخر جللدا
فا العيش إلا ماثلذ وتشتهى	وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

ومكث يزيد جمعة لابرى حيازة ، ولا يدعو بها ، فلما كان يوم الجمعة ، قالت لبعض جواربها : إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلمينى ، فلما أراد الخروج أعلمتها ، فتلقتها وأعوذ فى يدها ، فغنت البيت الأول ، فغطى وجهه ، وقال : مه لاتفعلى ، ثم غنت : فا العيش إلا ماثلذ وتشتهى : فعدل إليها ، وقال : صدقت راقه ، فمبج الله من لأمى فىك ، يا غلام مر مسلمة أن يصلى بالناس ، وأقام معها يشرب وتغنيه ، وعاد ما كان فيه ، ثم قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص ، فأحضره ثم انشده قصيدة مدحه فيها ، فقال له : ارفع حوائجك ، فكتب إليه فى نحو أربعين ألف درهم من دين وغيره ، فأمر له بها ، انظر أيضا تاريخ الطبرى ٨ : ١٧٩ ، ومروج الذهب ج ٢ : ص ١٧٥ ، وما ذكره المسعودى : أن حيازة اعتلت فأقام يزيد أياما لا يظهر للناس ، ثم ماتت ، فأقام أياما لا يدفنها حتى جيفت فقيل له : إن الناس يتحدثون بجزعك وإن الخلافة تجل عن ذلك ، فدفنها وأقام على قبرها ، فقال :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى • فبالياس تساو النفس لا بالتجلد

ثم أقام بعدها أياما قلائل ومات .

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ<sup>(١)</sup> « فَأَقْبِلْ صِنْفٌ تَاسِعٌ لَيْسَ مِنْهَا ، فَأَخَذَ كُلُّهَا : تَلَكُمُ  
الْفِرْقَةُ الْحَاكِمَةُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، فَالْعَنُومُ لِعَنَمِ اللَّهِ .

وأما إخواننا من هذه الشيعة - وليسوا بإخواننا في الدين ، اسكنى سمعت الله  
عزَّ وجلَّ قال في كتابه : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » فإنها فرقة تظاهرت بكتاب الله ، وأعلنت الفرية على الله ،  
لا يرجعون إلى نظرٍ نافذٍ في القرآن ، ولا عقلٍ بالغٍ في الفقه ، ولا تفتيشٍ عن حقيقة  
الصواب ، قد قلدوا أمورهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم العصبية لحزب لزوم ، وأطاعوه  
في جميع ما يقوله لهم ، غيياً كأن أرشداً ، ضلالةً أو هدى ، ينتظرون الدؤل في رجعة  
الموتى<sup>(٢)</sup> ، وبؤمِنون بالبعث قبل الساعة ، ويدعُونَ علمَ الغيب لمخلوق ، لا يعلم أحدهم  
ما في بيته ، بل لا يعلم ما ينطوى عليه ثوبه ، أو يحويه جسمه ، ينقمون المعاصي على أهلها  
ويعملون إذا ولّوا بها ، يُصِرُّون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ؛ جفاةً في دينهم ،

(١) الصدقات : الزكاة . العاملین علیها : الساعین فی تحصيلها وجمعها . والمؤلفة قلوبهم : الذين  
أسلموا ودينهم ضعيف في الإسلام ، فتستألف قلوبهم . وفي الرقاب : أى وفي فك رقاب المكاتبين ، فيعاونون  
بشيء منها . والغارين : أى المدينين لأنفسهم في غير معصية ، ومن غير إصراف إذا لم يكن لهم وفاء .  
(٢) كان بعض الشيعة يعتقدون في أنهم الذين ماتوا ، أنهم أحياء لم يموتوا ، إلا أنهم غائبون عن  
أعين الناس ؛ فالشيعة الكيسانية يقولون إن محمد بن الحنفية رضى الله عنه لم يموت ، وإنه في جبل رضوى  
( بالحجاز ) بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، وإنه يعود بعد الغيبة فيملأ  
الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وفيه يقول كثير من أبيات :

يفيب ولا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عدل وماء

انظر الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٥٥ والفصل لابن حزم ٤ : ١٣٧ والفرق بين الفرق ص ٢٨  
والاثنا عشرية « وهى إحدى فرقتى الشيعة الإمامية ، سماها بذلك لوقوفهم عند الإمام الثانى عشر وهو محمد  
ابن الحسن العسكرى ، ويلقبونه بالمهدى المنتظر » يزعمون أنه دخل في سرداب بسر من رأى ، وغاب هناك ،  
وأنه يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً وهم ينتظرونه - ويسمونه المنتظر لذلك - ويقفون في كل ليلة  
بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركباً فيهتفون باسمه ، ويدعونه للخروج ، حتى تشبه  
النجوم ، ثم ينفذون ويرجعون الأمر إلى الليلة الآتية - انظر مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٠ - .

قليلة عقولهم<sup>(١)</sup> ، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم ، وزعموا أن مؤالآتهم لهم  
تُنْفِئهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنْجِيهم من عقاب الأعمال السيئة ، قاتلهم الله أنى  
يؤفكون<sup>(٢)</sup> .

فأى هؤلاء الفرق بأهل المدينة تتبعون ، أم بأى مذاهبهم تفتدون ؟ وقد بلغنى  
أنكم تنتقصون أصحابى ! قاتم هم شباب أحداث ، وأعراب جفاة ، ويحككم بأهل المدينة !  
وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله المذكورون فى الخير إلا شبابا  
أحداثاً ؟ أما والله إنى لعالم بنتابعكم فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم  
ما تركت الأخذ فوق أيديكم شباباً والله مُكْتَبِلُونَ<sup>(٣)</sup> فى شبابهم ، غَضِيضَةٌ عن  
الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاه<sup>(٤)</sup> عبادة ، وأطلاح مَهَرَّ<sup>(٥)</sup> ، باعوا  
أنفساً تموت غداً ، بأنفس لا تموت أبداً ، قد نظر الله إليهم فى جوف الليل ، منحنية  
أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا  
مر بآية من ذكر النار شهق شهقةً ، كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض  
رُكَبَهُم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، ووصلوا كلال<sup>(٦)</sup> الليل بكلال النهار ، مُصْفَرَّة  
ألوانهم ، ناحلة أجسامهم ، من طول القيام ، وكثرة الصيام ، مستقلون لذلك فى جنب  
الله ، مُؤْفُونَ بهد الله ، مُنْجِزُونَ لوعده الله ، حتى إذا رأوا سهام العدو وقد فُوِّت<sup>(٧)</sup> ،  
ورماحهم وقد أَشْرَعَت<sup>(٨)</sup> ، وسيوفهم وقد انتضبت<sup>(٩)</sup> ، وَبَرَفَتِ الكَتِيبَةُ وَرَعَدَتِ  
بصواعق الموت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد

(١) وفى البيان والتبيين « جفاة عن القرآن ؛ أتباع كهان » . (٢) أفكه عنه كضرب : صرفه  
وقلب رأيه . (٣) أى قد أحرزوا رزانة الكهول وسداد رأيهم . (٤) جمع نضو كحمل ، وهو  
المهزول . (٥) جمع طلع وهو كنضو وزنا ومعنى . (٦) الكلال : التعب والإعياء .  
(٧) فرق السهم : جعل له فوقاً ( بالضم ) وهو موضع الوتر من السهم ؛ أى أعدت للرمى .  
(٨) سددت . (٩) استلت .

الكتيبة ، وَاَتَقُوا شَبَابًا<sup>(١)</sup> الْأُسِنَّةَ ، وشائك السهام ، وظببات السيوف بنحورهم ،  
 ووجوههم وصدورهم ، ففضى الشاب منهم قُدُماً ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ،  
 واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وُعْفِرَ<sup>(٢)</sup> جَبِينُهُ بِالْأَثْرِى ، وانحطت عليه طير السماء ،  
 وتمرقت سباع الأرض ، فطوبى لهم وحسن مآب ، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى  
 بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله ، وكم من يد قد أبيت عن ساعدها ، طالما  
 اعتمد عليها صاحبها راعياً وساجداً ، وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق<sup>(٣)</sup> ، قد فلق  
 بعمد الحديد ، ثم بكى ، وقال : آه ، آه على فراق الإخوان ، رحمة الله على تلك الأبدان ،  
 وأدخل أرواحهم الجنان .  
 الأغانى ٢٠ : ١٠٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٥٩ ،  
 والبيان والتبيين ٢ : ٦١ ، والمقد الفريد ٢ : ١٦١ .

## ٤٥٠ - خطبة أخرى

ورقى المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :  
 « أُرْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
 وَصَلَةِ الرَّحْمِ ، وَتَعْظِيمِ مَا صَغُرَتْ الْجَبَابِرَةُ مِنْ حَقِّ اللَّهِ ، وَتَصْغِيرِ مَا عَظُمَتْ مِنَ الْبَاطِلِ ،  
 وَإِيمَانِ مَا أَحْيَوْا مِنَ الْجَوْرِ ، وَإِحْيَاءِ مَا أَمَاتُوا مِنَ الْحَقِّ ، وَأَنْ يُطَاعَ اللَّهُ ، وَيُبْعَثَ  
 الْعِبَادُ فِي طَاعَتِهِ ، فَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلِأَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالطَّاعَةُ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، نَدْوَى  
 إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَالْقَسْمِ بِالسُّوْبَةِ ، وَالْعَدْلِ فِي أَرْعِيَةِ ، وَوَضْعِ الْأَخْسَاسِ فِي  
 مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ<sup>(٤)</sup> بِهَا ، تَعْلَمُونَ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَنَّا لَمْ نَخْرُجْ مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا أَشْرَأَ

(١) جمع شباة : وهي حد كل شيء ؛ والظبات : جمع ظبة ؛ وهي حد السيف . (٢) أصابه العفر :

وهو التراب . (٣) كريم .

(٤) قال الله تعالى : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ » .

وَلَا بَطْرًا ، وَلَا عَبَثًا ، وَلَا لَهْوًا ، وَلَا لِدَوْلَةِ مُلْكٍ نَزِيدَ أَنْ نَخْوِضَ فِيهِ ، وَلَا لِنَارِ قَدِيمِ نَيْلٍ مَنَا  
 وَلَكِنَّمَا رَأَيْنَا مَصَابِيحَ الْحَقِّ قَدْ أُطْفِئَتْ ، وَمَعَالِمَ الْعَدْلِ قَدْ عُطِّلَتْ ، وَكَثُرَ الْإِدْعَاءُ فِي  
 الدِّينِ وَعَمِلَ بِالْهَوَى ، وَعُتِفَ الْقَائِلُ بِالْحَقِّ ، وَقَتِلَ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ ، ضَاقَتْ عَلَيْنَا الْأَرْضُ  
 بِمَا رَحِبَتْ ، وَسَمِعْنَا دَاعِيًا <sup>(١)</sup> يَدْعُو إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ، وَحُكْمِ الْقُرْآنِ ، فَأَجَبْنَا دَاعِيَ اللَّهِ  
 وَمَنْ لَا يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ <sup>(٢)</sup> فِي الْأَرْضِ ، فَأَقْبَلْنَا مِنْ قَبْلِ شَتَّى ،  
 الْفَرِّ <sup>(٣)</sup> مَنَا عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ ، عَلَيْهِ زَادُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، يَتَعَاوَرُونَ لِحَائِنًا وَاحِدًا ، قَالِيلُونَ  
 مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ، فَأَوَانَا اللَّهُ وَأَيْدِنَا بِنَصْرِهِ ، وَأَصْبَحْنَا وَاللَّهِ جَمِيعًا بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ،  
 وَحَلَى الدِّينَ أَعْوَانًا ، ثُمَّ لَقِينَا رِجَالًا كَمْ بَقْدِيدٍ ، فَدَعَوْنَهُمْ إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ، وَحُكْمِ الْقُرْآنِ ،  
 وَدَعَوْنَا إِلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ ، وَحُكْمِ مَرْوَانَ وَآلِ مَرْوَانَ ، فَشَتَّانَ لِعَمْرِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الْغَى  
 وَالرَّشْدِ ثُمَّ أَفْبَلُوا يُهْرَعُونَ وَزَفُونٌ <sup>(٤)</sup> ، قَدْ ضَرَبَ الشَّيْطَانُ بِجِرَانِهِ <sup>(٥)</sup> ، وَغَلَّتْ بِدِمَائِهِمْ  
 مَرَاجِلُهُ ، وَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ، وَأَقْبَلَ أَنْصَارُ اللَّهِ عَصَائِبَ وَكُتَابَ ، بِكُلِّ مَهْمَدٍ  
 ذِي رَوْنَقٍ ، فَدَارَتْ رِحَانًا وَاسْتَدَارَتْ رِحَامٌ بِضَرْبِ يَرْتَابٍ مِنْهُ الْمُبْطَلُونَ .

وَأَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِنْ تَنْصَرُوا مَرْوَانَ وَآلَ مَرْوَانَ يُسْحِقَنَّكُمْ <sup>(٦)</sup> اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ  
 عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ، وَبَشَفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِنْ أَوْلَيْتُمْ خَيْرَ أَوْلٍ ،  
 وَآخِرَكُمْ شَرًّا آخِرًا ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : النَّاسُ مَنَا وَنَحْنُ مِنْهُمْ ، إِلَّا مُشْرِكًا عَابِدًا وَثَنًا ، أَوْ كَافِرًا  
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، أَوْ إِمَامًا جَائِرًا أَوْ شَادَا حَلَى عَضُدِهِ ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ  
 تَعَالَى كَلَّفَ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا ، أَوْ سَأَلَهَا مَا لَمْ يُؤْتِهَا ، فَهُوَ لِلَّهِ عَدُوٌّ وَلَنَا حَرْبٌ <sup>(٧)</sup> .

(تاريخ الطبري ٩ : ١٠٨) ، الأغاني ٢٠ : ١٠٤ ، وشرح

ابن أبي الحديد ١ ص ٤٥٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٦١ )

(١) يزيد عبد الله بن يحيى الكندي . (٢) أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته .

(٣) النفر : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة . (٤) زف الظلم وغيره كضرب زفا وزفيفا

وزفوقا ، وأزف : أسرع . (٥) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره : أي استولى عليهم .

(٦) أسحت : استأصله . (٧) روى أنه قال عقب ذلك : « يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية

أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القرى ، على حبه للضعيف ، فجاء تاسع ، ليس له منها ولا سهم واحد ، =

## ٤٥١ - خطبة له في سب أهل المدينة وتقرير عنهم

وخطب المدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل المدينة : مالي رأيت رَسْمَ الدين فيكم ، قِيًّا ، وآثاره دارسةً ، لا تقبلون عظمتَه ولا تَفَقَّهون من أهله حُجَّةً ، قد بايت فيكم حَدِيثُهُ ، وانطمت عنكم سُنَّتُهُ ، تَرَوْنَ معروفَه منكراً ، والمنكر من غيره معروفًا ، إذا انكشفت لكم العبر ، وأوضحت لكم النذر<sup>(١)</sup> ، عميت عنها أبصاركم ، وصمَّت عنها أسماعكم ، ساهين في غمرة ، لاهين في غفلة ، تنبسطوا لولاكم للباطل إذا نُشِر ، وتنقبص عن الحق إذا ذكر ، مستوحشة من العلم ، مستأنسة بالجهل ، كما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نُفورًا ، تحملون قلوبًا في صدوركم كاللحجارة أو أشد قسوة من الحجارة ، أو لم تَلين لكتاب الله الذي لو أُزِل على جبل لرأيتَه خاشعًا مُتَّصِدًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، يا أهل المدينة ، ما تُتَنِي عنكم صحة أبدانكم إذا سِقُمَت قلوبكم ، إن الله قد جعل لكل شيء سببًا غالبًا ينقاد له ، ويطيع أمره . وجعل القلوب غالبًا على الأبدان ، فإذا ماتت القلوب ميلاً ، كانت الأبدان لها تبعًا ، وإن القلوب لا تَلين أهلًا إلا بصحتها ، ولا يصحَّحها إلا المعرفة بالله ، وقوة النية ، ونفاذ البصيرة ، ولو استشعرت تقوى الله قلوبكم ، لاستعملت في طاعة الله أبدانكم ، يا أهل المدينة : داركم دارُ الهجرة ، ومَثْوَى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نَدَبَتْ به داره ، وضاق به قراره ، وآذاه الأعداء وتجهمت<sup>(٢)</sup> له ، فنقله الله إليكم ، بل إلى قوم لم يَكُونُوا أمثالكم ، مُتَوَازِرِينَ مع الحق على الباطن ، مختارين الآجل على الآجل ، يصبرون للصَّراء رجاء ثوابها ، فنصروا الله ، وجاءدوا في سبيله ، وآووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه ، واتبعوا النور

= فأخذ جميعها لنفسه مكابرا محاربا لربه ، ما تقولون فيه وفيمن صاونه على فعله ؟ يا أهل المدينة بلغني أنكم

تنتصرون أصحابي ... الخ » وقد حدثته هنا لوروده في الخطبة السالفة .

(١) النذر : جمع نذير ، وهو المنذر . (٢) تجهمه وتجهم له : استقبله بوجه كريمة .

الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ ، وَآثَرُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ<sup>(١)</sup> . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى  
لَأَمْنَاهُمْ وَلَمَنْ أَهْتَدَى بِهِدَاهُمْ : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، وَأَنْتُمْ  
أَبْنَاؤُهُمْ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ خَلْقِهِمْ ، تَتْرَكُونَ أَنْ تَقْتَدُوا بِهِمْ ، أَوْ تَأْخُذُوا بِسِتْمِهِمْ ، تُغْمَى الْقُلُوبُ ،  
صُمُّ الْآذَانِ ، اتَّبَعْتُمْ الْهَوَى ، فَأَزْدَاكُمْ عَنِ الْهُدَى وَأَسْهَأَكُمْ ، فَلَا مَوَاعِظُ الْقُرْآنَ تَزْجُرْكُمْ  
فَتَزْجُرُونَ ، وَلَا تَعِظْكُمْ فَتَعْتَبِرُونَ ، وَلَا تُوقِظْكُمْ فَتَسْتَيْقِظُونَ ، ابْتَدَأَ الْخَلْفَ أَنْتُمْ مِنْ  
قَوْمٍ مَضَوْا قَبْلَكُمْ ، مَا سِرْتُمْ بِسِرَّتِهِمْ ، وَلَا حَفِظْتُمْ وَصِيَّتَهُمْ ، وَلَا احْتَذَيْتُمْ مِثْلَهُمْ ، لَوْ شِئْتُمْ  
عَنْهُمْ قَبُورُهُمْ ، فَعُرِضْتُمْ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَكُمْ ، لَعَجِبُوا كَيْفَ صُرِفَ الْعَذَابُ عَنْكُمْ !  
( الْأَغْنَى ٢٠ : ١٠٥ ، وَشَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ م ١ : ح ٤٥٨ )

\* \* \*

وجاء في رواية العقد الفريد :

« يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : أَوْلَاكُمْ خَيْرٌ أَوَّلٌ ، وَآخِرُكُمْ شَرٌّ آخِرٌ ، إِنَّكُمْ أَطْعَمْتُمْ قُرْآنَكُمْ  
وَفَقَّهْتُمْ ، فَاخْتَنَانُكُمْ<sup>(٢)</sup> عَنْ كِتَابِ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ ، بِتَأْرِيْلِ الْجَاهِلِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطَلِينَ ،  
فَأَصْبَحْتُمْ عَنِ الْحَقِّ نَائِبِينَ<sup>(٣)</sup> ، أَمْوَانًا غَيْرَ أَحْيَاءَ وَمَا تَشْعُرُونَ ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : يَا أَبْنَاءَ  
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمُ بِإِحْسَانٍ ، مَا أَصْحَحَّ أُمَّتَكُمْ ، وَأَسْقَمَ فِرْعَاطُكُمْ ! كَانِ  
أَبَاؤُكُمْ أَهْلَ الْيَقِينِ ، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالدِّينِ ، وَالْبَصَائِرِ النَّافِذَةِ ، وَالْقُلُوبِ الْوَاعِيَةِ ، وَأَنْتُمْ  
أَهْلُ الضَّلَالَةِ وَالْجَهْلَةِ ، اسْتَعْبَدْتُمْ الدُّنْيَا فَأَدَلَّتْكُمْ ، وَالْأَمَانِيَّ فَأَضَاعَتْكُمْ فَتَحَّ اللَّهُ لَكُمْ  
بَابَ الدِّينِ فَسَدَّدْتُمُوهُ ، وَأَغَاقَ عَنْكُمْ بَابَ الدُّنْيَا فَتَحْتَمُّوهُ ، مِرَّاعٌ إِلَى الْعِتَّةِ ، بَطَّالًا  
عَنِ السُّنَّةِ ، تُعْمَى عَنِ الْبِرْهَانِ ، صُمُّ عَنِ الْعِرْفَانِ ، عَبِيدُ الطَّمَعِ ، خُلَفَاءُ الْجَزَعِ ، نِعَمٌ  
مَا وَرَّثَكُمْ آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ ، وَبُدْسٌ مَا تَوَرَّثُونَ أَبْنَاءَكُمْ إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ ، نَصَرَ اللَّهُ  
أَبَاءَكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ، كَانَ عِدَدُ آئَاتِكُمْ قَلِيلًا طَيِّبًا ، وَعِدَدُكُمْ كَثِيرًا

(١) الخصاصية : الفقر . (٢) خانوكم . (٣) أي عادلين عنه منصرفين .

خبيث ، اتبعتم الهوى ، فأزداكم ، واللهو فأسهاكم ، ومواعظُ القرآن تزجركم  
فلا تزددجرون ، وتعبركم<sup>(١)</sup> فلا تعقبرون «  
(العقد الفريد ٢ : ١٦١)

## ٤٥٢ - خطبة أخرى

وخطب فقال : « أما بعد ، فإنك في ناثي فِتْنَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وقائد ضلالة ، قد طال  
جُثُومها ، واشتدَّ عليك عُقُومُها ، وتلوَّنت<sup>(٣)</sup> مَصَايِدُ عدو الله فيها ، وما نَصَبَ من  
الشَّرِكِ لأهل الغفلة عَمَّا في عواقبها<sup>(٤)</sup> ، فلن يَهْدِيَ عَمُودَهَا ، ولن يَنْزِعَ أوتادَهَا ،  
إلا الذي بيده ملك الأشياء ، وهو الله الرحمن الرحيم ، ألا وإن لله بقايا من عباده  
لم يتحيروا في ظلمها ، ولم يُشايِعُوا أهالها على شُبهها ، مَصَابِيحُ النور في أفواههم تَزْهُو ،  
وَأَسْنَتُهُمْ بِحُجَجِ السُّكُوتِ تنطق ، ركبوا مَنَهْجَ السَّبِيلِ ، وقاموا على العَلَمِ<sup>(٥)</sup> الأعظم ،  
هم خُصَمَاءُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بهم يُصْلِحُ اللهُ البلادَ ، وَيَدْفَعُ عن العباد ، فطُوبَى لهم  
وللمستصبحين<sup>(٦)</sup> بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم<sup>(٧)</sup> . »

(العقد الفريد ٢ : ١٦٢)

(١) المراد : تعظيكم ، من العبرة ؛ ولم أجده في كتب اللغة بهذا المعنى ، وإنما الذي فيها : « عبر  
الدرهم : وزنها » . (٢) من إضافة الصفة للموصوف أي في فتنة ناشئة ، أي حية شابة .  
(٣) تعددت وصارت ذات ألوان : أي نصب المدير لنا المصايد ، ودبر المكاييد للإيقاع بنا .  
(٤) أي ولسنا منهم . (٥) العلم : الجبل ، والمراد أنهم لا يستخفون في دعوتهم .  
(٦) أي المستضيئين . (٧) ذكر الجاحظ هذه الخطبة ، وقال : ذهب عنى إسنادها ؛ وهي لأبي  
حمزة كما في العقد الفريد .



### ٤٥٣ - خطبته حين خرج من المدينة

وخطب حين خرج من المدينة ، لقتال جيش مروان<sup>(١)</sup> فقال :  
« يا أهل المدينة : إنا خارجون لحرب مروان ، فإن نظهر نعدّل في أحكامكم ،  
ونحمدكم على سنة نبيكم ، ونقسم بينكم فيكم ، وإن يكن ما تمنّون لنا : فسيفلم  
الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون » .

( تاريخ الطبرى ٩ : ١١٠ ، والأغانى ٢٠ : ١١٠ وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٦١ )

### ٤٥٤ - عمران بن حطان والحجاج

ولما ظفر الحجاج بعمران<sup>(٢)</sup> بن حطان الشّامى . قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ،  
فقال عمران : لبئس ما أدّبك أدلك يا حجاج ! كيف أمّنت أن أجيبك بمثل  
ما لقيتني به ؟ أبعد الموت منزلة أصانمك عليها ؟ فأطرق الحجاج أستحجاء وقال : خلّوا عنه ،  
فخرج إلى أصحابه ، فقالوا : والله ما أطلقك إلا الله ، فارجع إلى حربته معنا ،  
فقال : هيهات ! غلّ يداً مُطدّهما ، وأسرَ رقبةً مُعتقها .

( زهر الآداب ٣ : ١٧٨ )

(١) وذلك أن مروان بن محمد جهز جيشاً من أهل الشّام ، واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية ،  
وأمره أن يمضى فيقاتلهم ، فإن هو ظفر بهم مضى حتى يبلغ اليمن ، ويقاقل عبد الله بن يحيى ، فصار إليهم ،  
وخرج أبو حمزة للقائه ، فقاتلهم ابن عطية حتى قتلهم ، وقتل أبا حمزة ، وبعث برأسه إلى مروان ، وصلبه  
هو وكبار أصحابه ( سنة ١٣٠ ) ولم يزالوا مصلبين حتى أفضى الأمر إلى بنى العباس ، ثم سار ابن عطية إلى  
اليمن ، فقاتل عبد الله بن يحيى وقتله ، وبعث برأسه إلى مروان .

(٢) كان رأس القعد من الخوارج الصفرية وخطيبهم وشاعرهم .

# الخطب الوعظية والوصايا

٤٥٥ - خطبة سحبان بن زفر الواصل<sup>(١)</sup> (توفي سنة ٥٥٤ هـ)

خطب فقال :

« إن الدنيا دارُ بلاغ ، والآخرة دار قرّار ، أيها الناس : فخذرا من دار تمرّكم  
لدار مقرّكم ، ولا تهتّبكوا أستاذكم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا  
من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، فيها حبيبتهم وأغيرها خيلقتهم ، إن الرجل  
إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ رقات الملائكة ما قدم لله ؟ قدّموا بعضاً يكون  
لكم ، ولا تخلفوا كلاً يكون عليكم . »

(شرح العيون ص ٩٥)

(١) هو سحبان بن زفر الواصل ، وقد ضرب به المثل في المصاححة والبيان ، فقيل : « أخطب من سحبان  
واصل » ومع ذلك لم يؤثر عنه إلا هذه الخطبة الموجزة ، على أنها تعزى إلى الإمام علي - انظر نهج البلاغة  
١ . ٢٦٠ - وذكر المبرد في الكامل عن الأصمعي أن أعرابياً خطبها بالبادية - تهذيب الكامل ١ : ٢٨ -  
وكذا ذكر أبو علي القالي - في الأمالي ١ : ٢٥٨ - وابن عبد ربه - في العقد الفريد ٢ : ١٦٤ -  
وأبو الفضل الميداني - في مجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، وابن قتيبة في عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٣ -  
والخصري - في زهر الآداب ٢ : ٤ - قال ابن أبي الحديد : « وأكثر الناس على أن هذا الكلام لأبي المؤمنين  
علي عليه السلام ، ويجوز أن يكون الأعرابي حفظه ، فأورده كما يورد الناس كلام غيرهم » - م ٣ : ص ٢ .  
وقد روى ابن نباتة في شرح العيون أنه قدم على معاوية وفد من خراسان ، فيهم سعيد بن عثمان بن عفان ،  
فطلب سحبان فلم يوجد في منزله ، فانتصب من ناحية اقتضابا ، وأدخل عليه ، فتكلم منذ صلاة الظهر إلى  
أن قامت صلاة العصر ، ماتنحج ، ولا سئل ، ولا توقف ، ولا ابتداء في معنى ، فخرج منه ، وقد بقي عليه  
منه شيء ، فزال تلك حاله حتى أشار معاوية بيده ؛ فأشار إليه سحبان أن لا تقطع كلامي ، فقال معاوية :  
الصلاة ، قال : هي أمامك : نحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعيد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ،  
فقال سحبان : « والمعجم والجن والإنس » اه ، ولعل هذه الإطالة هي التي عاقت الرواة عن حفظ ما يقول .

## ٤٥٦ - خطبة معاوية

وخطب معاوية بدمشق ، فقال :

أيها الناس : سافروا بأبصاركم في كَرِّ الجديدين<sup>(١)</sup> ، ثم ارجعوا كليلة عن بلوغ  
الأمَل ، فإن الماضي عِظَةٌ للباقي ، ولا تجعلوا الفرورَ سبيل العجز عن الجدِّ ، فَيَنْقَطِعَ  
حجبتكم في مَوْقِفِ اللهِ سائِلُكم فيه ، ومحاسِبُكم فيما أسلفتم ، أيها الناس : أَمْسِ شَاهِدُ  
فاحذروه ، واليوم مؤدَّب فاعرفوه ، وغداً رسولٌ فأكرموه .

(مواسم الأدب ٢ : ١١٦)

## ٤٥٧ - خطبة عبد الملك بن مروان

وخطب عبد الملك بن مروان ، فقال :

« أيها الناس : اعملوا لله رغبةً ورهبةً ، فإنكم نبات نعمته ، وحصيدِ نعمته ،  
ولا تغرس لكم الآمالُ ، إلا ما تجتنيه الآجالُ ، وأقلوا الرغبة فيما يورث العطبَ ،  
فكل ما تزرعه العاجلةُ ، تقلعه الآجلةُ ، واحذروا الجديدين ، فهما بكران عليكم ،  
إن عُقْبَى من تَقَى لِحُوقِ بِنِ مَضَى ، وعلى أثرٍ من سلف ، يمضي من خلف ،  
فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » .

(مواسم الأدب ٢ : ١١٨)

(١) الجديدان : الليل والنهار .

## ٤٥٨ - خطبة لعمر بن عبد العزيز<sup>(١)</sup>

قال أبو العباس المبرد: حَدَّثْتُ فِي بَعْضِ الْأَسَانِيدِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ

فِي خُطْبَةٍ لَهُ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ ، وَأَجَلٌ مُنْتَقِصٌ ، وَبِلَاغٌ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا ،  
وَسَيْرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا فَكَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ ،  
وَرَأَى رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ ، وَنَوَّرَ قَلْبَهُ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ أَبَاكُمْ قَدْ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ  
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ رَبُّكُمْ وَعَدَ عَلَى التَّوْبَةِ ، فَلْيَكُنْ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَنْبِهِ عَلَى وَجَلٍ ،  
وَمَنْ رَبَّهُ عَلَى أَمَلٍ » .

(تهذيب الكامل ١ : ٢٧)

(١) هذه الخطبة مختلف في قائلها أيضا ، فقه هزاه المبرد إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كما ترى

وروى الميداني في مجمع الأمثال ( ٢ : ٢٧٧ ) الشطر الأول منها ، وعزاه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

# كلام الحسن البصرى

(المتوفى سنة ١١٠ هـ)

٤٥٩ - خطبة له

قال الحسن البصرى رحمه الله (١) :

« يا بن آدم : بيع دنياك بأخرتك ترَبِّحُهُمَا جميعاً ، ولا تبِعْ آخِرَتَكَ بدنياك  
فَتَخْسِرَهَا جميعاً . يا بن آدم : إذا رأيت الناس في الخير فنافِسْهُمْ فيه ، وإذا رأيتهم  
في الشرِّ فلا تَغِيبْهُمْ عليه ، الثَّوَاءُ (٢) هاهنا قليل ، والبقاء هناك طويل ، أُمَّتِكُمْ  
آخر الأُمم ، وأنتم آخر أُمَّتِكُمْ ، وقد أُسْرِعَ بِمُخَارَكِكُمْ ، فماذا تنتظرون ؟ المعاينة ؟ فكان  
قد ، هيهات هيهات ! ذهبت الدنيا بحايلها (٣) ، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم .  
فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ! أما إنه والله لا أُمَّة بعد أُمَّتِكُمْ ، ولا نبي بعد  
نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وإنما يُنْتَظَرُ  
بأولكم أن يُلْحَقَهُ آخِرُكُمْ ، من رأى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فقد رآه غادياً ورائحاً ،  
لم يضع لَبِنَةً على لبنة ، ولا نَصْبَةً على قصبه ، رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ (٤) ، فَالْوَحَاءُ الْوَحَاءُ (٥) »

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يasar البصرى ، من سادات التابعين ، وأورع العباد والمتنسين  
وإمام أهل العلم والرأى في عصره ، وأستاذ واصل بن عطاء شيخ المعتزلة . (٢) الإقامة .  
(٣) أى بزمنها الحالى ، من حليت المرأة كرضى فهى حال وحالية : لبست الحل ، والمعنى ذهبت  
بزخرفها الذى تزيفت به للناس فأضللتهم وأغوتهم ، وهى فى نسخة : « بحال بما لها » وفى أخرى : « بحال بالها »  
وهو تحريف . (٤) وفى نسخة : « فدما إليه » . (٥) الوحا وبمد : للمجلة والإسراع .

وَالنَّجَاءَ النِّجَاءَ ، عَلَامَ تَعْرِجُونَ ؟ أَرَبَيْتُمْ وَرَبَّ السَّكْبَةِ اِقْدَ اَسْرِعْ بِخِيَارِكُمْ : وَأَنْتُمْ كُلُّ يَوْمٍ تَرُدُّونَ (١) ، فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ ؟ إِنْ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ ، اخْتِقَارِهِ لِنَفْسِهِ ، وَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، وَكَانَ صَهْوَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَرَسُولُهُ إِلَى عِبَادِهِ ، ثُمَّ وَضَعَهُ مِنَ الدُّنْيَا مَوْضِعًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَرْضِ (٢) ، وَأَتَاهَا مِنْهَا قُوْتًا وَبُلْغَةً ، ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » . فَرَغِبَ أَقْوَامٌ عَنْ عَيْشِهِ ، وَسَخِطُوا مَا رَضِيَ لَهُ رَبُّهُ ، فَأَبْعَدَهُمُ اللهُ وَأَسْحَقَهُمْ (٣) .

يَا بَنَ آدَمَ : طَا الْأَرْضَ بِقَدَمِكَ ، فَإِنَّهَا عَنْ قَائِلِ قَبْرِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي هَدْمِ عَمْرِكَ مُنْذُ سَقَطْتَ مِنْ بَطْنِ أُمَّكَ . رَحِمَ اللهُ رَجُلًا نَظَرَ فِتْنَةَ كَرٍّ ، وَتَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَأَبْصَرَ فَصَبَرَ ، فَقَدْ أَبْصَرَ أَقْوَامٌ وَلَمْ يَصْبِرُوا ، فَذَهَبَ الْجَزَعُ بِقُلُوبِهِمْ ، وَلَمْ يُدْرِكُوا مَا طَلَبُوا ، وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى مَا فَارَقُوا .

يَا بَنَ آدَمَ : إِذْ كَرَّ قَوْلُهُ : « وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ » (٤) فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ، أَقْرَأُ كِتَابَكَ ، كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا . عَدَلَ وَاللَّهِ عَلَيْكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ ، خَذُوا صِفَا الدُّنْيَا ، وَذَرُّوا كَدْرَهَا ، فَلَيْسَ الصَّفْوُ مَا عَادَ كَدْرًا ، وَلَا الْكَدْرُ مَا عَادَ صَفْوًا ، دَعُوا مَا يُرِيْبُكُمْ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكُمْ ، ظَهَرَ الْجَمَاءُ وَقَلَّتِ الْعُلَمَاءُ ، وَعَفَّتِ (٥) الْأُسْنَةُ ، وَشَاعَتِ الْبِدْعَةُ ، لَقَدْ صَحِبْتُ أَقْوَامًا مَا كَانَتْ صَحْبَتُهُمْ إِلَّا قُرَّةَ الْعَيْنِ ، وَجِلَاءَ الصَّدُورِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا كَانُوا - مِنْ حَسَنَاتِهِمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ - أَشْفَقَ (٦) مِنْكُمْ - مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ تُعَذَّبُوا عَلَيْهَا - ، وَكَانُوا فِيهَا أَحْلَى اللهُ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِيهَا حَرَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا ، مَا لِي أَسْمَعُ حَسِيسًا ، وَلَا أَرَى

(١) أَي تَصِيرُونَ أَرْدَالًا جَمَعَ رَذَلٌ : وَهُوَ الدُّوْنُ الْحَسِيسُ . (٢) أَي مَوْضِعًا سَامِيًا .

(٣) أَي أَبْعَدَهُمْ ، وَفِي نَسْخَةِ : « وَسَحَقَهُمْ » أَي أَهْلَكَهُمْ . (٤) أَي عَمَلُهُ يَحْمَلُهُ فِي عُنُقِهِ ،

وَالتَّعْبِيرُ بِهِ لَمَّا كَانُوا يَتِيمُونَ وَيَتَشَامُونَ بِالطَّائِرِ السَّانِعِ وَالْبَارِحِ ، اسْتَعِيرَ لَمَّا هُوَ سَبَبُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

(٥) مَحِيَتْ . (٦) أَخَوْفٌ .

أنياساً ، ذهب الناس وبقى الذَّنَسَانِسُ<sup>(١)</sup> ، لو تفكاشفتم ما تدافنتم ، تهاديتم الأطباق ، ولم تهادوا النصائح ، قال ابن الخطاب : « رَحِمَ اللهُ أَمْرًا أَهْدَى إِلَيْنَا مَسَاوِينَنَا » أعدوا الجواب ، فإنكم مستولون ، المؤمن من لم يأخذ دينه عن رأيه ، ولكنه أخذ من قبل ربه ، إن هذا الحق قد جهّد أهله ، وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصبر عليه إلا من عرف فضله ، ورجا عاقبته ، فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس بكره لقاء الله إلا مُقِيمٌ عَلَى سُخْطِهِ .

يا بن آدم : الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ، ولكنه ما وقر في القلوب ، وصدقه العمل .

( البيان والتبيين ٣ : ٦٨ وحيون الأخبار ٢ م ٢ ص ٣٤٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٦٩ )

## ٢٦٠ - خطبة أخرى

وكان إذا قرأ : « أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ<sup>(٢)</sup> » قال :  
 عمّ ألهاكم ؟ عن دار الخلود ، وجنة لا تبديد<sup>(٣)</sup> ، هذا والله فضح التورم ، وهتك  
 الستر ، وأبدى العوار<sup>(٤)</sup> ، تنفق مثل دينك في شهواتك سرّفاً ، وتمنع في حق الله  
 دِرْهَمًا ! ستعلم يا ألكع<sup>(٥)</sup> ، الناس ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق ؛ فأما المؤمن : فقد  
 ألجمه الخوف وقومه ، ذكر العرض ؛ وأما الكافر : فقد قعمه السيف ، وشرده الخوف ،  
 فادعن بالجزية ، وسمح بالصربية ؛ وأما المنافق : ففي الحجرات والطرقات ، يسرون  
 غير ما يعلنون ، ويضمرون غير ما يظهرون ، فاعتبروا إنكارهم ربهم ، بأعمالهم  
 الخبيثة ، وبلك ؟ قتلت رايه ، ثم تمنى عليه جنّته ؟ . (البيان والتبيين ٣ - ٦٩)

(١) في حديث أبي هريرة رضى الله عنه : « ذهب الناس وبقى النسناس » قيل : فالنسناس ؟ قال :  
 « الذين يتشبهون بالناس ، وليسوا من الناس » ولهم في تفسير النسناس كلام كثير ، منه : أنهم خلق على صورة  
 الناس خالفهم في أشياء ، وليسوا منهم .

(٢) التباهى بالكثرة . (٣) لانفى . (٤) العوار مثل العين : العيب .

(٥) الكع : التيم والأحق .

## ٤٦١ - خطبة أخرى

وكان يقول : « رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله ، فعرض عليه نفسه ، فإن وافقه حمد ربه ، وسأله الزيادة من فضله ، وإن خالفه أعتب وأتاب ، وراجع من قريب ، رحم الله رجلاً وعظ أخاه وأهله فقال : « يا أبا علي : صلاتكم صلاتكم ، زكاتكم زكاتكم ، جيرانكم جيرانكم ، إخوانكم إخوانكم ، مما أبتكم مما كبتكم ، لعل الله يرحمكم ، فإن الله تبارك وتعالى أتني على عهد من عباده ، فقل : « وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا » . يا ابن آدم : كيف تكون مسلماً ولم يسلم منك جارُك ، وكيف تكون مؤمناً ولم يأمنك الناس ؟ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٦٩ )

## ٤٦٢ - خطبة أخرى

وكان يقول : « لا يستحق أحد حقيقة الإيمان ، حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ولا يأمر بإصلاح عيوبهم ، حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه ، فإنه إذا فعل ذلك لم يصاح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي له أن يصلحَه ، فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره ، وإنك ناظر إلى عمالك بوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئاً من الخير وإن صغر فإنك إذا رأيت سرك مكانه ، ولا تحقرن شيئاً من الشر وإن صغر فإنك إذا رأيت ساءك مكانه » .

( البيان والتبيين ٣ : ٧٠ )



## ٤٦٣ - خطبة أخرى

وكان يقول : « رَحِمَ اللهُ عَبْدًا كَسَبَ طَيِّبًا ، وَأَنْفَقَ قَصْدًا ، وَقَدَّمَ فَضْلًا ، وَجَهَّوْا هَذِهِ الْفُضُولَ <sup>(١)</sup> حَيْثُ وَجَّهَهَا اللهُ ، وَضَمَّوْهَا حَيْثُ أَمَرَ اللهُ ، فَإِنْ مِنْكُمْ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنَ الدُّنْيَا بِلَاغَتِهِمْ ، وَيُؤْتِرُونَ بِالْفُضْلِ ، أَلَا إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ قَدْ أَضْرَبَ بِالدُّنْيَا فَفَضَحَهَا ، فَلَا وَاللَّهِ مَا وَجَدَ ذُو أُبٍّ فِيهَا فَرَحًا ، فَإِذَا كَمَّ وَهَذِهِ السُّبُلَ الْمُتَفَرِّقَةَ ، الَّتِي جِئَتْهَا الضَّلَالَةُ ، وَمِيعَادُهَا النَّارُ ، أَدْرَكَتُ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمًا كَانُوا إِذَا جَنَّتْهُمُ اللَّيْلُ فَقِيَامَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ ، يَفْتَرِشُونَ خُدُودَهُمْ ، تَجْرِي دِمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ ، يَنَاجُونَ مَوْلَاهُمْ فِي فِكَكَ رِقَابِهِمْ ، إِذَا عَمِلُوا الْحَسَنَةَ سَرَّتَهُمْ ، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَهَا مِنْهُمْ ، وَإِذَا عَمِلُوا سَيِّئَةً سَاءَتْهُمْ ، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَهَا لَهُمْ ، يَا بَنَ آدَمَ : إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ ، فَلَيْسَ هَاهُنَا شَيْءٌ يُغْنِيكَ ، وَإِنْ كَانَ يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ ، فَالْقَائِلُ مِنَ الدُّنْيَا يَكْفِيكَ ، يَا بَنَ آدَمَ : لَا تَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ الْحَقِّ رِيَاءً ، وَلَا تَتْرِكْهُ حِيَاءً . »

( البيان والتبيين ٣ : ٧٠ )

## ٤٦٤ - خطبة أخرى

وكان يقول : « إِنْ الْعُلَمَاءُ كَانُوا قَدْ اسْتَفْتَوْا بَعْلَهُمْ عَنِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَكَانُوا يَقْضُونَ بَعْلَهُمْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، مَا لَا يَقْضِي أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ فِيهَا ، وَكَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا يَبْذُلُونَ دُنْيَاهُمْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ رَغْبَةً فِي عِلْمِهِمْ ، فَاصْبَحَ لِلْيَوْمِ أَهْلُ الْعِلْمِ يَبْذُلُونَ عِلْمَهُمْ لِأَهْلِ الدُّنْيَا رَغْبَةً فِي دُنْيَاهُمْ ، فَرَغِبَ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ عَنْهُمْ ، وَزَهَدُوا فِي عِلْمِهِمْ ، لَمَّا رَأَوْا مِنْ سَوْءِ مَوْضِعِهِمْ عِنْدَهُمْ ، وَكَانَ يَقُولُ : لَا أَذْهَبُ إِلَى مَنْ يُوَارِي

(١) جمع فضل : وهو الزيادة من المال وغيره .

غنى غناه ، وببدي لي فقره ، ويغلق دوني بابه ، ويمعني ما عنده ، وأدع  
من يفتح لي بابه ، وببدي لي غناه ، ويدعوني إلى ما عنده .  
( البيان والتبيين ٣ : ٧٠ )

### ٤٦٥ - خطبة أخرى

وكان يقول : « يا بن آدم ، لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك  
من الآخرة أفقر ، مؤمن مهمم ، وعليج اغتم ، وأعرابي لا فقه له ، ومنافق مكذب ،  
ودنياوي<sup>(١)</sup> مترف ، نعنق هم ناعق فاتبعوه ، فراش نار<sup>(٢)</sup> ، وذبان طمع ، والذي نفس  
الحسن بيده ، ما أصبح في هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموماً حزيناً ، وليس لمؤمن  
راحة دون لقاء الله ، الناس ما داموا في عافية مستورون ، فإذا نزل بلاء صاروا إلى  
حقائقهم ، فصار المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه ، أي قوم : إن نعمة الله عليكم  
أفضل من أعمالكم ، فسارعوا إلى ربكم ، فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ،  
ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٧٠ )

### ٤٦٦ - خطبة أخرى

وقال في يوم فطر - وقد رأى الناس رهيباً بهم - : إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان  
مضماراً لخلقته ، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخرون  
فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب ، في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه  
المبطلون ، أما والله أن لو كشف الغطاء ، أشغل محسن بإحسانه ، ومسيء بإساءته ،  
عن ترجيل<sup>(٣)</sup> شعر ، أو تجديد ثوب .  
( البيان والتبيين ٣ : ٧١ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٠٣ )

(١) نسبة إلى دنيا .  
(٢) أي هم كالفراس يتهاقت على النار يحسبها زافعة له فتحرقه .  
(٣) وفي رواية الكامل : « برد : » ترطيل « بالطاء ، والترطيل : تليين الشعر بالدهن وتكبيره وإرخاؤه وإرساله .

## ٤٦٧ - مقام الحسن البصرى عند عمر بن هبيرة

لما ولى عمر بن هبيرة الفزارى العراق - وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك - استدعى الحسن البصرى ، ومحمد بن سيرين ، والشَّعْبِيَّ ، سنة ثلاث ومائة ، فقال لهم : إن يزيد خليفة الله ، استخلفه على عبادته ، وأحد علمهم الميثاق بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولّاني ما ترّون ، فيكتب إلى بالأمر من أمره ، أعرف في تنفيذه الهلكة ، فأخاف إن أطعته غصبَ الله ، وإن عصيته لم آمن سَطوته ، فما ترّون ؟ فقال ابن سيرين والشَّعْبِيَّ قولاً فيه تقيّة ، وكان ابن هبيرة لا يستشفي دن أن يسمع قول الحسن ، فقال : قل ما عندك يا أبا سعيد ، فقال : « يا ابن هبيرة : خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً ، فيزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصرك ، إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ، يا ابن هبيرة : إن تعص الله ، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تركب دين الله وعباده بساطار الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وفي رواية أخرى قال : « أقول والله إنه يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله نظاً غليظاً ، لا يعصى الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك ، إلى ضيق قبرك ، فلا يُغني عنك ابن عبد الملك شيئاً ، وإني لأرجو أن الله عز وجل سيصمك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، فاتق الله أيها الأمير ، فإنك لا تأمن أن ينظر الله إليك ، وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد ، نظرة يمتك بها ، فيعلق عنك باب الرحمة ، واعلم أني أخوفك ما خوفك الله سبحانه حين يقول : « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدي » وإذا كنت مع الله عز وجل في طاعته كماك بوائق<sup>(١)</sup> يزيد ، وإن كنت مع يزيد على معصية الله وغللك الله إلى يزيد حين لا يُغني عنك شيئاً » .

(١) جمع بائقة وهي الداهية .

فبكى عمر بن هبيرة بكاء شديداً ، ثم أجازهم ، وأضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين : سَفَسَفْنَا (١) لَهُ فَسَفَسَفَ لَنَا .

(وفيات الأعيان ١ : ١٢٨ ، الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٢ ، مروج الذهب ٢ : ١٧٨ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٤٣ ، شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٩ ، أمالي السيد المرتضى ١ : ١١٠ )

## ٤٦٨ - مقام الحسن عند النضر بن عمرو

وأحضر النضر بن عمرو - وكان والياً على البصرة - الحسن البصرى يوماً ، فقال : يا أبا سعيد إن الله عز وجل : خالق الدنيا وما فيها من رياضها (٢) ، وبهجتها ، وزينتها لعباده ، وقال عز وجل : « كَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » ، وقال عز من قائل : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » فقال الحسن :

« أبا الرجل : اتق الله في نفسك ، وإياك والأمانى التي ترججت (٣) فيها فتهلك ، إن أحداً لم يعط خيراً من خير الدنيا ، ولا من خير الآخرة بأمنيته ، وإنما هي داران ، من عمل في هذه أدرك تلك ، ونال في هذه ما قُدِّرَ له منها ، ومن أهمل نفسه خسرهما جميعاً ، إن الله سبحانه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لنفسه ، وبعثه برسالاته ورحمته ، وجعله رسولا إلى كافة خلقه ، وأنزل عليه كتاباً مهيمناً ، وحدد له في الدنيا حدوداً ، وجعل له فيها أجلاً ، ثم قال عز وجل : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » وأمرنا أن نأخذ بأسره ، ونهتدى بهديه ، وأن نسلك طريقته ، ونعمل بسنته ، فابلقنا إليه بفضله ورحمته ، وما قصرنا عنه فعلياً أن نستعين ونستغفر ، فذلك باب نخرجنا ، فأما الأمانى فلا خير فيها ، ولا في أحدٍ من أهلها » :

(١) سفسف عمله : لم يبالغ في إحكامه . (٢) الريش : اللباس الفاخر والمال والحصب والمعاش .

(٣) أى ملت إليها ، من ترجعت به الأرجوحة : مالت .

فقال النضر : والله يا أبا سعيد إنا على ما فينا لنُحِبَّ ربنا ، فقال الحسن :  
 « لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى عليه :  
 « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » فجعل سبحانه اتباعه صلى الله  
 عليه وسلم علما للمحبة ، وأكذب من خالف ذلك ، فاتق الله أيها الرجل في نفسك ،  
 وإيم الله لقد رأيت أقواما كانوا قبلك في مكانك ، يَعْلُونَ المنابر ، وتهتز لهم المراكب  
 وَيَجْرُونَ الذيول بطراً ورياء الناس ، يبنون المدر<sup>(١)</sup> ، ووثرون الأثر<sup>(٢)</sup> ، ويتدافسون  
 في الثياب ، أخرجوا من سلطانهم ، وسلبوا ما جمعوا من دنياهم ، وقدموا على رسهم ،  
 ونزلوا على أعمالهم ، فالويل لهم يوم التغابن<sup>(٣)</sup> ، ويا ويحهم - يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ  
 وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، إِكْلًا لِمَرِي مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .  
 ( الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٠ )

## ٤٦٩ - مقام آخر له عند النضر

ودخل عليه يوما آخر فقال :

« أيها الأمير أيذك الله ، إن أخك من نصحك في دينك ، وبصرك عيوبك ،  
 وهداك إلى مرشدك ، وإن عدوك من غرك ومناك ، أيها الأمير اتق الله فإنك أصبحت  
 مخالفا للقوم في الهدى والسيرة ، والعلانية والسريرة ، وأنت مع ذلك تتمني الأمان ،  
 وترجع في طلب العذر ، والناس أصلحك الله طابرات ، فطالب دنيا ، وطالب  
 آخرة ، وإيم الله لقد أدرك طالب الآخرة واستراح ، وتعب الآخر واخترم<sup>(٤)</sup> ،

(١) المدر : قطع الطين اليابسة ؛ والمراد يبنون القصور . (٢) استأثر على أصحابه : اختار  
 لنفسه أشياء حسنة واستبد بها ، والاسم : الأثرة بالتحريك ، والأثرة بالضم والكسر ، والجمع أثر  
 كفرصة وفرص . (٣) غيبته في البيع يغيبه ، والتغابن : أن يغيب بعض القوم بعضا ، وسمى يوم القيامة  
 يوم التغابن لأن أهل الجنة تغيب أهل النار بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا . (٤) هلك .

فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفاني ، وترك الباقي ، فتكون من النادمين ، واعلم أن حكماً قال :

أين الملكُ التي عن حظها غفلتُ حتى سفاها بكأس الموت ساقبها  
نعوذ بالله من الحور بعد الكور<sup>(١)</sup> ، ومن الضلالة بعد الهدى ، لقد حدثت أيها الأمير  
عن بعض الصالحين أنه كان يقول : « كفى بالمرء خيانة أن يكون للخونة أميناً ، وعلى  
أعمالهم معيناً » .  
( الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥١ )

## ٤٧٠ - مقال الحسن حين رأى دار الحجاج التي بناها بواسط

وروى أن الحجاج بنى داراً بواسط<sup>(٢)</sup> ، وأحضر الحسن ليراها ، فلما دخلها قال :  
« الحمد لله : إن الملك أيرؤن لأنفسهم عزاً ، وإنا آنرى فيهم كل يوم عبراً ، بعد  
أحدم إلى قصر فبشيده ، وإلى فرش فينجدده<sup>(٣)</sup> ، وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ،  
ثم يحفُّ به ذباب طمع ، وفراش نار ، وأصحاب سوء ، فيقول : أنظروا ما صنعت ! فقد  
رأينا أيها المغرور ، فكان ماذا يا أفسق الفاسقين ؟ أما أهل السموات فقد مقتوك ،  
وأما أهل الأرض فقد لعنوك ، بنيت دار الفناء ، وخرت دار البقاء ، وغررت في دار  
الغرور ، أتذلل في دار الجبود ، ثم خرج وهو يقول : إن الله سبحانه أخذ عهده على  
العلماء ، كيبيدئذنه للناس ولا يكتمونه » .

وبلغ الحجاج ما قال ، فاشتد غضبه ، وجمع أهل الشام ، فقال : يا أهل الشام أيشتمني  
عبد من عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكروني ! ثم أمر بإحضاره فجاء وهو  
يحرك شفطيه بما لم يسمع ، حتى دخل هلى الحجاج ، فقال : يا أبا سعيد ، أما كان لإمارتي  
عليك حق ، حين قلت ما قلت ؟ فقال : يرحمك الله أيها الأمير ، إن من خوفك حتى

(١) الحور : النقصان ، والكور : الزيادة ، وهو حديث شريف : « نعوذ بالله من الحور بعد  
الكور » أى من النقصان بعد الزيادة ؛ وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها : وأصله من كور العمامة وهو  
لفها وجمعها . (٢) واسط : مدينة بالمراقة من الجنوب بين دجلة والفرات ، بناها الحجاج ومات بها .  
(٣) التنجيد : التزيين ، ولتنجاد : الذى يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما .

تَبْلَغَ أَمْنِكَ أَرْفُقُ بِكَ وَأَحَبُّ فَيْكَ مِنْ أَمْنِكَ حَتَّى تَبْلُغَ الْخَوْفَ ، وَمَا أَرَدْتُ الَّذِي سَبَقَ  
إِلَى وَهْمِكَ ، وَالْأَمْرَانِ بِيَدِكَ : الْعَفْوُ وَالْعُقُوبَةُ ، فَافْعَلِ الْأَوَّلَى بِكَ ، وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلْ ،  
وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ، فَاسْتَحْيَا الْحَبَّاجَ مِنْهُ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ وَحَبَّاهُ  
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « فَلَمَّا دَخَلَ ، قَالَ لَهُ الْحَبَّاجُ : هَاهُنَا ، فَاجْلِسْ قَرِيبًا مِنْهُ ،  
وَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ وَعُمَانَ ؟ قَالَ : أَقُولُ قَوْلَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي عِنْدَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْكَ ،  
قَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى : « فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ؟ قَالَ : عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَبْضُلُ  
رَبِّي وَلَا يَنْدَسِي » عِلْمُ عَلِيٍّ وَعُمَانَ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ : أَنْتَ سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ يَا أَبَا سَعِيدٍ ، وَدَعَا  
بِغَالِيَةِ<sup>(١)</sup> وَعَلَّفَ بِهَا لِحِيَّتَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ تَبِعَهُ الْحَبَّاجُ فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي كُنْتَ قُلْتَ حِينَ  
دَخَلْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : « يَا عُدَّتِي عِنْدَ كُرْبَتِي ، وَيَا صَاحِبِي عِنْدَ شِدَّتِي ، وَيَا وُلِيَّ  
نِعْمَتِي ، وَيَا إِلَهِي وَإِلَهَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، ارْزُقْنِي مَوَدَّتَهُ ، وَاصْرِفْ  
عَنِّي أَذَاهُ » فَفَعَلَ رُبِّي عَزَّ وَجَلَّ .

ز الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٣ ، والمنية والأمل لابن يحيى المرتضى ص ١٤ ،  
وأمال السيد المرتضى ١ : ١١٢ )

## ٤٧١ - صفة الإمام العادل<sup>(٢)</sup>

لَمَّا وُلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخُلَافَةَ كَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ بِصِفَةِ الْإِمَامِ  
الْعَادِلِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

« اعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِمَامَ الْعَادِلَ قِوَامَ كُلِّ مَائِلٍ ، وَقَصْدَ<sup>(٣)</sup> كُلِّ  
جَائِرٍ ، وَصَلَاحَ كُلِّ فَاسِدٍ ، وَقُوَّةَ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَنَصْفَةَ<sup>(٤)</sup> كُلِّ مَظْلُومٍ ، وَمَنْزَعَ كُلِّ  
مَاهُوفٍ ، وَالْإِمَامَ الْعَادِلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّاعِي الشَّفِيقِ عَلَى إِبْلِهِ ، الرَّفِيقِ الَّذِي يَرْتَادُ

(١) طيب . (٢) أوردت هذا الكتاب هنا ، والكتابين التاليين له لانتظامها في سلك اللوصايا .  
(٣) هداية ورشاد . (٤) اسم من الإنصاف .

لها أطيب المرعى ، ويدودها عن سرايع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من  
أذى الحر والقر (١) ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم  
صغاراً ، ويملمهم كباراً ، يكتسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بعد مماته ، والإمام العدل  
يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة ، البرّة الرقيقة بولدها ، حماته كرهاً ، ووضعته كرهاً ،  
وربته طفلاً ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتقطعه أخرى ،  
وتفرح بهافيقه ، وتغتم بشكايته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتيم ، وخازن  
المساكين ، يربي صغيرهم ، ويمون كبيرهم ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين  
الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو  
القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويُسْمِعهم ، وينظر إلى الله ويربهم ، وينقاد  
إلى الله ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مأكك الله كعبد ائتمنه سيده ،  
واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال ، وشرّد العيال ، فأفقر أهله ، وفرّق ماله . واعلم  
يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا  
أتاها من يلبها ؟ وأن الله أنزل القصاص حياةً لعباده ، فكيف إذا قتلتهم من يقتص  
لهم ؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلة أشياءك عنده ، وأنصارك عليه ،  
فتزود له ، ولما بعده من الفزع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك  
الذي أنت فيه ، يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحبائك ، يئلبونك في قعره فريداً  
وحيداً ، فتزود له ما يضحك يوم يفرّ المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته  
وبنيه ، واذكر يا أمير المؤمنين إذا بُعِثَ ما في القبور ، وحصل ما في الصدور ، فالأسرار  
ظاهرة ، والكتاب لا يفادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أخصأها ، فالآن يا أمير المؤمنين  
وأنت في مهل ، قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل ، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد

(١) مثلث القاف : البرد .



الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فإنهم لا يترقبون في مؤمن إلا<sup>(١)</sup> ولا ذممة ، فنبوء بأوزارك ، وأوزار مع أوزارك ، وتحمل أثقالك ، وأثقالاً مع أثقالك ، ولا يغرّتك الدين يتنعمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك . لا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً ، وأنت مأسور في حبال الموت ، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبين والمرسلين ، وقد عنّت<sup>(٢)</sup> الوجوه للحى العيوش ، إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو الشهي من قبلي ، فلم آلك<sup>(٣)</sup> شفقةً ونصحاً ، وأنزل كتابي إليك كدأوى حبيبته ، بسقيه الأدوية الكريهة ، لما يرجوه في ذلك من العافية والصحة ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته »  
( العقد الفريد ١ : ١٢ ، الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٦ )

### ٤٧٢ - موعظته لعمر بن عبد العزيز

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز رحمه الله : اكتب إلى يا أبا سعيد بموعظة فأوجز ، فكتب إليه :

« أما بعد يا أمير المؤمنين : فكان الذي كان لم يكن ، وكان الذي هو كائن قد نزل ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الصبر ، وإن أذاقك تعجيل مرارته ، فلنعم ما أعقبك من طيب حلاوته ، وحسن عاقبته ، وأن الموى ، وإن أذاقك طعم حلاوته ، فابئس ما أعقبك من مرارته ، وسوء عاقبته ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الفائز من حرص على السلامة في دار الإقامة ، وفاز بالرحمة فأدخل الجنة . »

( الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٤ )

(١) مهدي . (٢) خضعت وثبات . (٣) لم أقصر .

### ٤٧٣ - موعظته لعمر بن عبد العزيز أيضا

وَ كَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : ا كْتُبْ إِلَيَّ يَا أَبَا سَعِيدٍ بِذَمِّ الدُّنْيَا ،

فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

«أما بعد يا أمير المؤمنين : فإن الدنيا دار ظعن<sup>(١)</sup> وانتقال ، وليست بدار إقامةٍ على حال ، وإنما أنزل إليها آدمُ عقوبةً ، فاحذرهما فإن الراغب فيها تارك ، والغنى فيها فقير ، والسعيد من أهلها من لم يتعرض لها ، إنها إذا اختبرها اللبيب الخاذق ، وجدها تذل من أعزها ، وتفرق من جمعها ، فهي كالسَّمِّ يأكله من لا يعرفه ، ويرغب فيه من يجهله ، وفيه والله حَقُّهُ ؛ فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جراحه ، يحتمى قبيلًا ، مخافة ما يكره طويلًا ، الصبرُ على لآوائها<sup>(٢)</sup> ، أيسر من احتمال بلائها ، واللبيب من حذرهما ولم يفتّر بزینتها ، فإنها غدّارة ختالة<sup>(٣)</sup> خداعة ، قد تعرضت بآمالها ، وتزينت لخطابها ، فهي كالأمروس ، العميون إليها نظرة ، والقلوب عليها وإلهه<sup>(٤)</sup> ، وهي - والذي بعث محمدًا بالحق - لأزواجها قاتلة ، فاتق يا أمير المؤمنين صرعنها ، واحذر عثرتها ، فالرّخاء فيها موصول بالشدة والبلاء ، والبقاء مؤدّ إلى الهدى والفناء .

واعلم يا أمير المؤمنين ، أن أمانيتها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصَفْوُها كدر ، وعيشها نكد ، وتاركها موفّق ، والتمسك بها هالك غرق ، والفتن اللبيب من خاف ماخوفه الله وحذر ما حذره ، وقدر من دار الفناء إلى دار البقاء ، فعند الموت يأتيه اليقين ؛ الدنيا والله يا أمير المؤمنين دار عقوبة ، لها يجمع من لا عقل له ، وبها يفتّر من لا علم عنده ، والحازم اللبيب من كان فيها كالمداوي جراحه ، يصبر على مرارة الدواء ، لما يرجو من

(١) ارتحال .

(٢) شدتها .

(٣) خداعة .

(٤) من الوله بالتحريك : وهو ذهاب العقل من شدة الوجد .

العافية ، وَيَخَافُ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الدَّارِ ، وَالدُّنْيَا وَيَا أَيُّهَا اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُلْمٌ ، وَالْآخِرَةَ  
يَقْفَظَةً ، وَالْمَتَوَسُّطَ بَيْنَهُمَا الْمَوْتَ ، وَالْعِبَادَ فِي أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ ، وَإِنِّي قَاتِلٌ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
مَا قَالَ الْحَكِيمُ :

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخْلَاكَ نَاجِيًا «  
وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابَهُ إِلَى عَمْرِ ، بَكَى وَانْتَحَبَ حَتَّى رَحِمَهُ مِنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وَقَالَ :  
يَرْحَمُ اللهُ الْحَسَنَ ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يُوقِظُنَا مِنَ الرَّقَدَةِ ، وَيُنَبِّهُنَا مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَاللهِ هُوَ مِنْ  
مُشْفِقٍ مَا أَنْصَحَهُ ! وَوَاعِظٍ مَا أَسَدَقَهُ وَأَفْصَحَهُ !

( الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٤ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٢١ )

## ٤٧٤ - كلمات حكيمة للحسن البصرى

وقال : احذر من نقل إليك حديث غيرك ، فإنه سينقل إلى غيرك حديثك .  
أيها الناس : إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تدركون ما تأملون  
إلا بالصبر على ما تكرهون . الصبر صبران : صبر عند المصيبة ، وصبر عن المعصية ،  
فمن قر على ذلك فقد نال أفضل الصبرين . أفضل الجهاد جهاد الهوى . لا تكن ممن  
يجمع علم العلماء وحكم الحكماء ، ويمجى في الحق مجرى السفهاء . من خاف الله أخاف  
الله سبحانه منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء . لولا ثلاثة  
ما طأ ابن آدم رأسه : الموت ، والمرض ، والفقر ، وإنه بعد ذلك لو ثاب . احذروا  
العابد الجاهل ، والعالم الفاسق ، فإن فيهما فتنة لكل مفتون . ترك الخطيئة أهون  
من معالجة التوبة . لا تكن شاة الراعى أعقل منك ، تزجرها الصبيحة ، وتطردها  
الإشارة . المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان ، بأمر واحد ، ووجه واحد ، ونصيحة واحدة ،  
وإنما يتبدل المناق يستأكل كل قوم . المؤمن صدق قوله فعله ، وسرّه علانيته ،  
ومشهدّه مخفيته . لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت الفكرة من عمله

والذكر من شأنه ، والمحاسبة من همته ، ولا يزال بشرته ما استعمل التسوية ، واتبع  
الهوى ، وأكثر الغفلة ، ورجح في الأمانى الحق مرة لا يبصر عليه إلا من عرف حسن  
العاقبة ، ومن رجا الثواب خاف العقاب حادثوا هذه القلوب ، فإنها سريعة الدور<sup>(١)</sup> ،  
واقدعوا<sup>(٢)</sup> هذه النفوس ، فإنها طلعة<sup>(٣)</sup> ، وإنكم إلا تزعوها<sup>(٤)</sup> تنزع بكم إلى شر  
غاية . يا بن آدم : نهارك ضيفك ، فأحسن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك ،  
وإن أسأت إليه ارتحل بؤذمك ، وكذلك ليالك إنما أنت أيها الإنسان عدد ، فإذا مضى  
لك يوم فقد مضى بعضك . وقيل له يا أبا سعيد : من أشد الناس صراخاً يوم القيامة ؟  
فقال : رجل رزق نعمة فاستعان بها على معصية الله . وكان يقول : لو قت الليل حتى  
ينحني ظهرك ، وصمت النهار حتى يسقم جسمك ، لم ينفعك ذلك إلا بورع صادق .  
وسمع رجلاً يكثر الكلام ، فقال : يا بن أخى أمسك عليك لسانك . فقد قيل : ما شئ  
أحق بسجن من لسان . وكان يقول : لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلى أحب  
خلق الله إلى الله فأفسده ، لكان ينبغي للعاقل أن يتركه ( يعنى العقل ) ويقول :  
ما أطال أحد الأمل إلا أساء العمل ، وما أساء العمل إلا ذل .

وقال : « يا عجبا لِقوم قد أمروا بالزاد ، وأوذِنوا بالرحيل ، وأقام أولهم على آخرهم ،  
فليت شعري ! ما الذى ينتظرون ؟ » وقال : اجمل الدنيا كالقنطرة : تجوز عليها ،  
ولا تعمُرُها ، وقال : ليس العَجَبُ من عَطِبَ كيف عطب ، إنما العَجَبُ من نجا  
كيف نجا ، وقال : « من أخلاق المؤمن قوة في دين ، وحِرص على العلم ، وقناعة في فقر ،  
ورحمة للجهود ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة ، وفقه في يقين ، وكسب في حلال » .  
( الحسن البصرى لابن الجوزى في مواضع متفرقة ، والبيان والتبيين ٣ : ٧٦ - ٨٣ ، أمالي السيد المرتضى  
١ : ١١٠-١١١ . وتهذيب الكامل ١ : ٢٩ . وزهر الآداب ١ : ١٧٨ ، ٢ : ٢٠٥ )

(١) دُور القلوب : احماء الذكر منها . (٢) كفوها واكبحوها . (٣) نفس طلعة :  
تكثر التطلع إلى الشيء ، وفي رواية : « فإنها طامحة » . (٤) وزعه كوضع : كفه ، وفي رواية :  
« ممنوعها » .

## ٤٧٥ - خطبة واصل بن عطاء<sup>(١)</sup> المنزوعة الرأ

الحمد لله القديم بلا غاية ، والبقاى بلا نهاية ، الذى علا فى دُنُوِّه ، ودنا فى عُلوِّه ، فلا يحويه زمان ، ولا يُحيط به مكان ، ولا يُشودُه<sup>(٢)</sup> حِفْظ ما خالق ، ولم يخلقه على مثالٍ سبق ، بل أنشأ ابتداعا ، وَعَدَّله اصطناعا ، فأحسن كل شيء خلقه ، وتَمَّم مشيئته ، وأوضح حكْمته ، فدل على الوهَيْتته ، فسبحانه لَأَمْعَب<sup>(٣)</sup> لِحْكَمه ، ولا دافع لقضائه ، تواضع كل شيء لعِظَمته ، وذلَّ كل شيء لسلطانه ، ووسِع كل شيء فضله ، لا يمزُب عنه مثقالُ حَبَّة ، وهو السميع العليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، إلهًا تقدَّست أسماؤه ، وعَظُمَت آلاؤه ، وعلا عن صفات كل مخلوق ، وتنزَّه عن شبيهه كل مصنوع ، فلا تبلُغه الأوهام ، ولا تُحيط به العقول ولا الأوهام ، يُعصَى فيحلم ، وَيُدْعَى فيسمع ، ويقبل التوبة من عباده ، وَيَعْفُو عن السيِّئَات ، وَيَعْلَم ما تفعلون ، وأشهد شهادة حق ، وقرآ صدق ، بإخلاص نية ، وِصْحَة طَوِيَّة ، أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه ، وخالصة<sup>(٤)</sup> وصفيِّه ، اجتمعته إلى خلقه بالبينَّة والهدى ودين الحق ، فبأنَّ مَأْلُكته<sup>(٥)</sup> ، ونصح لأُمَّته ، وجاهد فى سبيل الله ، لا تأخذه فى الحق لومة لأئم ، ولا يصدِّه عنه زعم زاعم ، ماضيا على سنته ، مؤفيا على قصده ، حتى أتاه اليقين ، فصلى الله على محمد ، وعلى آل محمد

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء شيخ المعتزلىن ، وأحد الأئمة المعكلمين ، وكان يُلغى بالرأ ، فيجعلها غينا ، فاستطاع بمهارته أن يخلص منها كلامه ، خطب يوما عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق سنة ١٢٦ شبيب بن شيبه ، وخالد بن صفوان ، والفضل بن عيسى ، ثم قفاهم واصل ، فارتجل هذه الخطبة وعراها من حرف الرأ ، وأبدع فى القول :

ففضل عبد الله خطبة واصل وضوعف فى قسم الصلوات له الشكذ

( والشكذ بالضم : العطاء ) وتوفى واصل سنة ١٣١ هـ . (٢) يثقله ، آده أودا ( كنصر ) بلغ

منه المجهود . (٣) لا راد له . (٤) هذا الشيء خالصة لك : أى خاصة . (٥) المألكة : بضم

اللام وتفتح : الرسالة .

أفضل وأزكى ، وأتم وأنى ، وأجل وأعلى صلاة صلاحها على صفوة أنبيائه ، وخالصة ملائكته ، وأضعاف ذلك ، إنه حميد مجيد .

أوصيكم عباد الله مع نفسى بتقوى الله ، والعمل بطاعته ، والمجانبة لمعصيته ، وأحضكم على ما يذنبكم منه ، ويؤلفكم لديه ، فإن تقوى الله أفضل زاد ، وأحسن عاقبة فى معاد ، ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها ، وفوائن لذاتها ، وشهوات آمالها ، فإنها متاع قليل ، ومدة إلى حين ، وكل شىء منها يزول ، فكم عابتم من أعاجيبها ، وكم نصبت لكم من حبايلها ، وأهلكت من جنح إليها ، واعتمد عليها ! أذاقتم خلوا ، ومزجت لهم سمًا ، أين الملوك الذين بنوا المداين ، وشيدوا المصانع ، وأرثقوا الأبواب ، وكانفوا الحجاب ، وأعدوا الجياد ، ومَلَكَوا البلاد ، واستخدموا التلاد ، قبضتهم بمَحَمَاهَا<sup>(١)</sup> ، وطحنهم بكلِّ كَلِمَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وعضتهم بأنيابها ، وعاضتهم من السمِّ ضيقًا ، ومن العِزَّةِ ذلًا ، ومن الحياة فناء ، فسكنوا اللحود ، وأكلهم الدود ، وأصبحوا لا ترى إلا مسًا كِفَمَهُمْ ، ولا تجد إلا معالهم ، ولا تحس منهم من أحد ، ولا تسمع لهم نبسًا ، فزودوا عافاكم الله ، فإن أفضل الزاد التقوى ، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلمكم تفلحون ، جعلنا الله وإياكم بمن ينتفع بمواعظه ، ويعمل لحظه وسعادته ، ومن يستمع القول فيتبع أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب إن أحسن قصص المؤمنين ، وأبلغ مواعظ المتقين ، كتاب الله ، الزكية آياته ، الواضحة بيناته ، فإذا تلى عليكم فأنصتوا له ، وأنصتوا لعلكم تفلحون ، أعوذ بالله القوى ، من الشيطان الغوى ، إن الله هو السميع العليم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، ثم قال :

(١) الحمل : شقان على البعير يحمل فيهما العنيلان ، والمراد أحتوت عليهم .

(٢) الكلكل : الصدر .

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ، وَالوحي المبين ، وَأعاذنا وإياكم من العذاب  
الآليم ، وأدخلنا وإياكم جنات النعيم .  
(مفتاح الأفكار ص ٢٧٠)

### ٤٧٦ - وصية عبد الملك بن مروان لبني أمية

وقال عبد الملك بن مروان : « يا بني أمية : ابذلوا نَدَاكُمْ ، وَكُفُّوا أَذَاكُمْ ،  
وَاعْفُوا إِذَا قَدَّرْتُمْ ، وَلَا تَبْخُلُوا إِذَا سُئِلْتُمْ ، فَإِنْ خَيْرَ الْمَالِ مَا أَفَادَ حَمْدًا ، أَوْ نَقَى ذَمًّا ،  
وَلَا يَقْوَانِ أَحَدُكُمْ : ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، فَإِنَّمَا النَّاسُ عِيَالُ اللَّهِ ، قَدْ تَكْفَلَهُ اللَّهُ  
بَارزاقهم ، فَمَنْ وَسَّعَ أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ ضَيَّقَ ضَيَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ . »

(الأمال ٢ : ٢٢)

### ٤٧٧ - وصية عبد الله بن شداد لابنه<sup>(١)</sup>

لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة ، دعا ابناً له يقال له محمد ، فقال :  
« يَا بُنَيَّ ، إِنِّي أَرَى دَاعِيَ الْمَوْتِ لَا يُقْلِعُ ، وَأَرَى مِنْ مَضَى لَا يَرْجِعُ ، وَمَنْ بَقِيَ  
فِيهِ يَنْزِعُ<sup>(٢)</sup> ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا ، عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلِيَكُنْ  
أَوْلَى الْأُمُورِ بِكَ شُكْرُ اللَّهِ ، وَحُسْنُ النِّيَّةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّ الشُّكْرَ يَزِدُّكَ ،  
وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ ، وَكَانَ كَمَا قَالَ الْحَطِيبَةُ :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ      وَاسْكُنْ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ  
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا      وَعِنْدَ اللَّهِ لِلتَّقَى مَزِيدُ  
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ      وَاسْكُنْ الَّذِي يَمْضَى بَعِيدُ

(١) هو عبد الله بن شداد بن الهادي ، واسمه أسامة الليثي ، خرج مع القراء في فتنة ابن الأشعث على  
الحجاج ، قيل : إنه غرق بدجيل ، وقيل : هلك هو وعبد الرحمن بن أبي ليلى في الجماجم ، افتحم بهما  
فرسهما الماء فذهبا . (٢) يشاقق .

ثم قال : أئى بُنَى ، لاتزهدن في معروف ، فإن الدهر ذو صُرُوف ، والأيام  
ذات نواب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغبٍ أصبح مطلوباً ما لديه ، واعلم  
أن الزمان ذو ألوان ، وَمَنْ يَصْحَبَ الزمانَ يَرِ الهوان ، وَكُنْ أئى بُنَى كما قال  
أبو الأسود الدؤلى :

وَعُدُّ من الرحمن فَضْلاً وَنِعْمَةً      عليك ، إذا ما جاء للعُرْفِ طالبٌ<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ امرأ لا يُرْتَجَى الخَيْرُ عنده      يَكُنْ هَيِّئاً ثِقْلاً على مَنْ يَصاحِبُ  
فلا تَمْنَعَنَّ ذَا حاجَةٍ جاء طالِباً      فَإِنَّكَ لا تَدْرِي متى أنت راغِبٌ  
رَأَيْتُ التَّوَا هذا الزمانَ بأهله      وَبَيْنَهُمْ فيه تكونُ النواثِبُ<sup>(٢)</sup>

ثم قال : أئى بنى ، كن جواداً بالمال في موضع الحق ، بخيلاً بالأسرار عن جميع  
الخلق ، فإن أحمدَ جود المرء الإنفاقُ في وجه البرِّ ، وإن أحمدَ بخلُ الحرِّ الضَّنُّ<sup>(٣)</sup>  
بمكتوم السرِّ ، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصارى :

أَجُودُ بِمَكْنُونِ التَّلَادِ ، وَإِنِّى      بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَأَلَنِ لَضَنِينَ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا جَارِزِ الإِثْنَيْنِ سرٌّ فَإِنَّهُ      بِذَثِّ ، وَتَكْثِيرِ الحَدِيثِ قَمِينِ<sup>(٥)</sup>  
وَعِنْدِي لَهُ يَوْمًا إِذَا ما ائْتَمَنْتَنِي      مَكَانٌ بِسَوْدَاءِ الفُؤَادِ مَكِينِ<sup>(٦)</sup>

ثم قال : أئى بنى ، وإن غلبت يوماً على المال ، فلا تدع الخيلة على حال ، فإن  
الكريم يَحْتال ، والدنى عيال<sup>(٧)</sup> ، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا ، أقل

(١) العرف : المعروف . (٢) التوا أصله التواء قصره لضرورة الشعر ، التوى به الزمان : اعوج .

(٣) الضمن بالكسر والضمانة بالفتح : البخل . (٤) سال يسال من باب خاف لغة في سأل

المهموز ، وليس سهلاً للوزن كما ظن بعضهم .

(٥) نث الحديث : أفشاء ، وقين : جدير ، وقطع همزة الإثنيين للضرورة .

(٦) سوداء الفؤاد ؛ وسويداؤه ، وسواده ، وأسوده : حبته . (٧) العيال جمع عيل كجيد :

وهو ما يلزم الإنفاق عليه ، ويكون اسماً للواحد (كما استعمله هنا) .



ما تكون في الباطن مالا ، فإن الكريم من كرمته طبيعته ، وظهرت عند الإنفاق<sup>(۱)</sup> نعمته ، وكن كما قال ابن خذاق العبدي<sup>(۲)</sup> :

وَجَدْتُ أَبِي قَدْ أُوْرَثَهُ أَبُوهُ      خِلَالاً قَدْ تُعَدُّ مِنَ الْمَعَالِي<sup>(۳)</sup>  
فَأَكْرَمُ مَا تَكُونُ عَلَى نَفْسِي      إِذَا مَا قَلَّ فِي الْأَزْمَاتِ مَالِي  
فَتَحَسُنُ سِيرَتِي وَأَصُونُ عِرْضِي      وَيَجْمَلُ عِنْدَ أَهْلِ الرَّأْيِ حَالِي  
وَإِنْ نِدْتُ الْغَنَى لَمْ أُغْلُ فِيهِ      وَلَمْ أُخْصَصْ بِجَفَوَاتِي الْمَوَالِي<sup>(۴)</sup>

ثم قال : أي بني ، وإن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بالشاهد ، فإنك إن أمضيتها حياً لها<sup>(۵)</sup> ، رجع العيب على من قالها ، وكان يقال : الأريب العاقل ، هو الفطن المتعافل ، وكن كما قال حاتم الطائي :

وَمَا مِنْ شَيْبَتِي شَتْمُ ابْنِ عَمِّي      وَمَا أَمَا مُخْلِفٌ مِنْ يَرْتَجِينِي  
وَكَلِمَةٌ حَاسِدٍ فِي غَيْرِ جُرْمٍ      سَمِعْتُ فَقُلْتُ مَرٌّ مَرٌّ فَأَنْذِينِي<sup>(۶)</sup>  
فَعَابُوهَا عَلَى وَلَمْ تَسُوْنِي      وَلَمْ يَعْرِقْ لَهَا يَوْمًا جَبَانِي  
وَذَوَالْوَيْنِ يَلْقَانِي طَلِيقًا      وَبِئْسَ إِذَا تَغَيَّبَ يَا تَلِينِي<sup>(۷)</sup>  
سَمِعْتُ بِعَيْنِيهِ فَصَفَحْتُ عَنْهُ      مُحَاطَةً عَلَى حَسْبِي وَدِينِي

ثم قال : أي بني ، لا نواخ امرأ حتى تماثره ، وتتمقد موارده ومصاديره ، فإذا استطعت العشرة ، ورضيت الخبرة<sup>(۸)</sup> ، فواخه على إقالة العثرة ؛ والمواساة في العسرة ، وكن كما قال المقنع الكندي :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أُرِدْتَ إِخَاءَهُمْ      وَتَوَسَّمْ فِعَالَهُمْ وَتَفَقَّدِ

(۱) الفتر . (۲) هو يزيد بن خذاق شاعر قديم . (۳) بنقل حركة الهمزة من أورثه إلى الدال من قد . (۴) الموال جمع مولى : وهو هنا القريب . (۵) قد حيا له وبجيا له : بإزائه ، أي إن تركتها تجرى في مجراها . (۶) نغذهم : جازهم . (۷) انثلى : قصر ، أي لا يقصر في نهش عرضي . (۸) الخبر والخبرة بكسر الحاء فيهما ، ويضمان : العلم بالشئ كالإختبار .

فَإِذَا ظَنَرْتِ بِيذَى الْأَبَابَةِ وَالتَّمَقَّى فَبِهِ الْيَدَيْنِ (قَرِيرَ عَيْنٍ) فَاشْدُدِ (١)  
وَإِذَا رَأَيْتِ (وَلَا مَحَالَةَ) زَلَّةً فَوَلِي أَخْبِكَ بِفَضْلِ حِلْمِكَ فَارْزُدِي

ثم قال : أى بنى ، إذا أحببت فلا تُفْرِطِ ، وإذا أبغضت فلا تُشْطِطِ (٢) ، فإنه قد كان  
يقال : أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَّا ، عَمَى أَنْ يَكُونَ بِبَغِضِكَ يَوْمًا مَّا ، وَأَبْغَضَ بِبَغِضِكَ  
هَوْنًا مَّا ، عَمَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبِكَ يَوْمًا مَّا ، وَكَانَ كَمَا قَالَ هُدْبَةُ بْنُ الْخَشْرَمِ الْعُدْرِيُّ :  
وَكَانَ مَعْقِلًا لِلْحَلْمِ وَأَصْفَحَ عَنِ الْخَلْمَا فَوَيْكَ رَاءَ مَا حَبِيتَ وَسَامِعِ (٣)  
وَأَحْبِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حَبًّا مُقَارِبًا فَوَيْكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتِ نَازِعِ (٤)  
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مُقَارِبًا فَوَيْكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتِ رَاجِعِ  
وَعَلَيْكَ بِصُحْبَةِ الْأَحْيَارِ ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَوَيْكَ وَصُحْبَةِ الْأَشْرَارِ ، فَإِنَّهُ عَارٌ ، وَكَانَ كَمَا  
قَالَ الشَّاعِرُ :

أَصْحَبِ الْأَخْيَارَ وَارْغَبْ فِيهِمْ رُبَّ مَنْ صَاحِبْتَهُ مِثْلُ الْجَرَبِ  
وَدَعِ النَّاسَ فَلَا تَشْتَمِهِمْ وَإِذَا شَأَمْتَ فَاشْتِمِي ذَا حَسَبِ  
إِنَّ مَنْ شَأَمَ وَغَدَا بِكَالِدِي يَشْتَرِي الصُّفْرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ (٥)  
وَاصْدُقِ النَّاسَ إِذَا حَدَّثْتَهُمْ وَدَعِ النَّاسَ فَمَنْ شَاءَ كَذَبْ  
(الأمالي ٢ : ٢٠٤ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧ ، ١٣٨)

(١) لب من باب تعب ؛ وفي لغة كقرب مع الفتح في المضارع لبابة : أى صار إذا اب بانضم  
وهو المعقل . (٢) شط في حكمة . وأشط : جار . (٣) المعقل : الملجأ ، والخلما : الفحشو .  
(٤) نزع عن الشيء : انتهى منه . (٥) الصفر كقفل ، وكمر الصاد لغة : النحاس .

## ٤٧٨ - وصية أسماء بن خارجة لابنته<sup>(١)</sup>

زوّج أسماء بن خارجة الفزاري بنته هنداً من الحجاج بن يوسف ، فلما كانت ليلة أراد البناء بها ، قال لها أسماء : « يا بُدَيَّةُ ، إن الأمهات يؤدبن البنات ، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة ، فعليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسّن الكحل ، وإياك وكثرة المعاتبه ، فإنها قطيعة لود ، وإياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وكوني لزوجك أمةً ، يكن لك عبداً ، واعلمى أني القائلُ لأمك :

خدي العفو ميني تستديمي مودتي      ولا تنطقي في سورتى حين أغضب<sup>(٢)</sup>  
 ولا تنقريني نقرة اللث مرة      فإنك لا تدرين كيف المغيب  
 فإني وجدت الحب والصدر والأذى      إاجتمعاً لم يلبث الحب يذهب  
 (الأغاني ١٨ : ١٢٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٥)

## ٤٧٩ - رجل ينصح لهشام بن عبد الملك

وخرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيتُ كالأيوم ، ولا سمعتُ كأربع كلمات ، تكلم بهن رجلٌ عند هشام ، دخل عليه فقال :  
 « يا أمير المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاحٌ مُدِّيك ، واستقامةٌ رعيتك » . قال : وما هن ؟ قال : « لا تعدّ عِدَّةً لا تثقُ من نفسك بإنجازها ، ولا يغرُّك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدرُ وعرّاً ، واعلم أن الأعمال جزاء ، فاتقِ العواقب ، وأنّ للأمور بفتاتٍ ، فكن على حذر » .

قال عيسى بن داب : فحدثت بهذا الحديث الهدي ، وفي يده لقمةٌ قد رفعها إلى فيه ،

(١) أورد الجاحظ هذه الوصية بصورة أوجز ، وذكر أنها وصية عبد الله بن جعفر لابنته

(٢) السورة : الحدة .

فأمسكها ، وقال : وَيُنْحَك ! أَعِدْ عَلَيَّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين أَسِغْ<sup>(١)</sup> لِقَمَتِكَ ، فقال :  
حديثك أعجبُ إليَّ .

( زهر الآداب ٣ : ١٨٠ )

## ٤٨٠ - وصية عبد الحميد بن يحيى الكاتب للكتاب

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب<sup>(٢)</sup> رسالة إلى الكتاب بوصيهم فيها ، قال :  
« أما بعدُ حَفِظْكُمْ اللهُ يَا أَهْلَ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ، وَحَاطْكُمْ وَوَقِّكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ ، فَإِنَّ  
اللهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمَلَ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَمَنْ بَعْدَ  
الْمُلُوكِ الْمَكْرَمِينَ أَصْدَقًا ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً ، وَصِرْتُهُمْ فِي صِنُوفِ الصِّنَاعَاتِ ،  
وَضُرُوبِ الْمَحَارِلَاتِ ، إِلَى أَسْبَابِ مَعَايِشِهِمْ ، وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ ، فَجَعَلَكُمْ مَعْشَرَ الْكُتَّابِ  
فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ ، أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ ، بِكُمْ تَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مَحَاسِنُهَا ،  
وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا ، وَبِنِصَاةِكُمْ يُصْلِحُ اللهُ لِلخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ ، وَتَعْمُرُ بِلَادَهُمْ ، لَا يَسْتَفْنِي  
الْمَلِكُ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوَجِدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ، فَمَوْعِدُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْعِدُ أَسْمَاءِهِمْ الَّتِي  
بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارُهُمُ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَأَلْسِنَتُهُمُ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ ، وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي  
بِهَا يَبْطِشُونَ ، فَأَمْتَعَكُمْ اللهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا نَزَعَ عَنْكُمْ مَا أَضْفَاهُ<sup>(٣)</sup>  
مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ .

وليس أحدٌ أحوجَ إلى اجتماعِ خِلالِ الخَيْرِ المَحْمُودَةِ ، وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ  
المَعْدُودَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابُ ، إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ  
الْكِتَابَ يَحْتَاجُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَثِقُ بِهِ فِي مَهْمَاتِ أُمُورِهِ ، أَنْ  
يَكُونَ حَاجِبًا فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ ، فَهَيَّأْ فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، مَقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِقْرَامِ ، مَحْجَبًا  
فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ ، مُؤَثِّرًا لِلْعَقَافِ ، وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، كَقَوْمًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِيئًا عِنْدَ

(١) ابتلع . (٢) هو عبد الحميد بن يحيى العامري ، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء

الأمويين ، قتله السفاح سنة ١٣٢ هـ . (٣) أسبغ .

الشدايد ، علما بما يأتي من الفوازل ، بضع الأمور مواضعها ، والطوارق أما كتبها ، قد  
نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه ، فإن لم يُحْكَمْه ، أخذ منه بمقدار يكتبني به ،  
يعرف بغيره عقله ، وحسن أدبه ، وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبة  
ما يصدر عنه قبل صدوره ، فبعد ذلك لکن أمر عدته وعتاده<sup>(١)</sup> ، ويهيئ لكل وجه  
هيئته وعادته ، فتفاضلوا ، يا معشر الكتاب ، في صنوف الآداب ، وتفقهوا في الدين ،  
وابدهوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية ، فإنها ثقاف<sup>(٢)</sup> ألسنتكم ،  
ثم أجيدوا الخط ، فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ،  
وأيام العرب والمعجم ، وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم ،  
ولا تضبّعوا النظر في الحساب ، فإنه قوام كتاب الخراج ، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع  
سنيتها<sup>(٣)</sup> ، ودنياها ، وسفاسف<sup>(٤)</sup> الأمور ومحقرها ، فإنها مدلة للرقاب ، مفسدة  
للكتاب ، ونزهاوا صناعتكم عن الدنات ، وأزبثوا<sup>(٥)</sup> بأنفسكم عن السعاية والنميمة ،  
وما فيه أهل الجهالات ، وإياكم والكبير والصلف والعظمة ، فإنها عداوة مجتلبة من غير  
إحنة ، وتحابثوا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصوا عليها بالذي هو أليق بأهل  
الفضل والعدل والتبيل من سلفكم

وإن نبأ الزمان برجل منكم فاعظفوا عليه وواسوه ، حتى يرجع إليه حاله ،  
ويثوب<sup>(٦)</sup> إليه أمره ، وإن أقدم أحدكم الكبير عن مكاتبه ولقاء إخوانه ، فزوره  
وعظموه وشارروه ، واستظهروا<sup>(٧)</sup> بفضل تجربته ، وقدم معرفته ، وليكن الرجل منكم  
على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه ، أحرص منه على ولده وأخيه ، فإن  
عرضت في الشغل محمدا ، فلا يضيفها إلا إلى صاحبه ، وإن عرضت مدمه ، فليحملها

(١) للعتاد : العدة . (٢) الثقاف في الأصل : ماتسوى به الرماح . (٣) رفيها .

(٤) الرديء من كل شيء . (٥) ربأ : علا وارتفع . (٦) يرجع . (٧) تقروا .

هو من دونه ، وایحذر السَّفْطَةَ والزَّلَّةَ ، وَالْمَلَلَ عند تغير الحال ، فإن العيب إليکم معشر  
الكتاب ، أسرعُ منهُ إلى الفِرَاءِ ، وهو لکم أفسدُ منهُ لها .  
فقد علمتم أن الرجل منکم إذا صحبهُ الرجل ، يَبْذُلُ له من نفسه ما يجب له عليه من  
حقه ، فواجبٌ عليه أن يعتقد له من وقائِهِ ، وشكره ، واحتماله ، وصبره ، ونصيحتِهِ ،  
وكتبان سره ، وتدبير أمره ، ما هو حَزَاءُ لِحَقِّهِ ، ويصدق ذلك بفعله عند الحاجة إليه ،  
والاصطرار إلى ما لديه .

فاستشعروا إذا کم - وفقکم الله من أنفسکم - في حالة الرخاء والشدة والحِرمان والمواصاة  
والإحسان ، والسراء والضرراء ، فَنِعْمَتِ الشَّيْمَةِ هذه لمن وُسم بها من أهل هذه الصناعة  
الشريفة ، فإذا وُلِّيَ الرجل منکم ، أو صيِّرَ إليه من أمر خلق الله وعياله أمرٌ ، فليراقب  
الله عز وجل ، وليؤثر طاعته ، وليكن على الضعيف رقيقاً ، وللمظلوم منصفاً ، فإن  
الخلق عيال الله ، وأحبُّهم إليه أرقُّهم بعِياله ، ثم ليكن بالعدل حاكماً ، وللأشراف  
مُكرِّماً ، وللقيء موفراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية متألِّفاً ، وعن إيدائهم منخففاً ،  
وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً ، وفي سِجِّلات خراجهِ واستقضاء حقوقهِ رقيقاً ،  
وإذا صحبَ أحدكم رجلاً فليختبر خلائقهُ ، فإذا عَرَفَ حَسَنها وقبيحها ، أعانه على ما يوافقهُ  
من الحَسَن ، واحتمال لصرْفِهِ عما يهواه من القبيح ، بأطف حيلة ، وأجل وسيلة ، وقد علمتم  
أن سائس الهيمة إذا كان بصيراً ببيانتها ، التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رَمُوحاً<sup>(۱)</sup>  
لم يهيجها إذا رَكِبها ، وإن كانت شَبُوباً<sup>(۲)</sup> اتقاها من قبَل يديها ، وإن خاف منها  
شُرُوداً توقأها من ناحية رأسها ، وإن كانت حرُوناً قمع برفقِ هواها في طريقها ، فإن  
استمرَّت غطفها يسيراً ، فيسلس له قيادها ، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس  
الناس وعاملهم ، وخدمهم وداخلهم .

والكتاب بفضل أدبه ، وشريف صنعتِهِ ، ولطيف حيلتِهِ ، ومعاملتِهِ لمن يجاوره

(۱) رمحه الفرس كنعج : رفحه . (۲) شب الفرس كضرب ونعير : رفع يديه .

من الناس وينظره ، ويفهم عنه أو يخاف سطوته ، أرى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم  
وَدَه ، من سائس البهيمه التي لا تُحِير<sup>(١)</sup> جوابًا ، ولا تعرف صوابًا ، ولا تفهم خطابًا ،  
إلا بقدر ما يُصَيِّرُها إليه صاحبها الرأكب عليها ؛ ألا فأمعنوا رحمكم الله في النظر ،  
وأعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر ، تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النُموّة ،  
والاستفان والجفوة ، ويصير<sup>(٢)</sup> منكم إلى الموافقة ، وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة ،  
إن شاء الله تعالى .

ولا يجارزن الرجل منكم - في هيئة مجلسه ، وملبسه ، ومركبته ، ومطعمه ،  
ومشربه ، وبنائه<sup>(٣)</sup> وخدمه وغير ذلك من فنون أمره - قدر حقه ، فإنكم - مع ما فضلكم  
الله به من شرف صنعتكم - خدمة لا تحمّلون في خدمتكم على التقصير ، وحفظة  
لا تحتمل منكم أعمال التضييع والتبذير ، واسمعينوا على عفاءكم بالقصد في كل ما ذكرته  
لكم ، وقصصته عليكم ، واحذروا متالف السرف ، وسوء عاقبة الترف ، فإنهما  
يُمَقِّبان الفقر ، ويُذِلّان الرقاب ، وَيَفْصَحان أهلها ، ولا سيما الكتاب ، وأرباب  
الآداب ، والأمور أشباه ، وبعضها داييل على بعض ، فاستدلوا على مؤنّف<sup>(٤)</sup> أعمالكم  
بما سبقت إليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضاعها محجّة ، وأصدقها حجة  
وأحدها عاقبة .

واعلموا أن للتدبير آفة متباعدة ، وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله ورؤيته ،  
فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته ، وليوجز في ابتدائه وجوابه ،  
ولياخذ بمجامع حججه ، فإن ذلك مصلحة أفعله ، ومدفعة للشاغل عن إكثاره ،

(١) لا ترد . (٢) تأمنوا ؛ مجزوم في جواب الأمر ، أو بعبارة أخرى جواب لشرط محذوف مع  
فعل الشرط أي إن تعملوا . . . تأمنوا ؛ ومن ثم يجوز في « ويصير » ثلاثة أوجه الجزم ، والنصب  
والرفع كما هو مشهور . فقول بعضهم : « ولعل ثبوت الياء قبل الراء من زيادة الناصخ » مردود .  
(٣) بنى على أهله ، وبها بناء ، وابتنى : زفها . (٤) مبتدأ .

وَلْيَضْرَعِ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةٍ تَوْفِيقَهُ ، وَإِمْدَادِهِ بِتَسْدِيدِهِ مَخَافَةَ وَقُوعِهِ فِي الْغَلَطِ الْمُضِرِّ بِدَنِهِ وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانًّا ، أَوْ قَالَ قَائِلًا : إِنْ الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صَنَعَتِهِ ، وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ ، إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ ، وَحَسَنِ تَدْبِيرِهِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ بِظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ إِلَى أَنْ يَكِلَهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ ، فَيَصِيرَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ كَافٍ ، وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ .

وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ ، وَأَحْمَلُ إِعْبَاءِ التَّدْبِيرِ مِنْ مُرَافِقِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ ، فَإِنْ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَبَابِ مِنْ رَمَى بِالْعُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَرَأَى أَنَّ صَاحِبَهُ أَعْقَلَ مِنْهُ ، وَأَحْمَدُ فِي طَرِيقَتِهِ ، وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعْمِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، مِنْ غَيْرِ اغْتِرَارٍ بِرَأْيِهِ ، وَلَا تَزْكِيَةٍ لِنَفْسِهِ ، وَلَا تَكَاثُرٍ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ ، وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ ، وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ وَالتَّدَاوُلِ لِعِزَّتِهِ ، وَالتَّحَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ .

وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ : « مَنْ يَلْزِمِ النَّصِيحَةَ <sup>(١)</sup> يَلْزِمَهُ الْعَمَلُ » وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغُرَّةُ كَلَامِهِ ، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ؛ فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرَهُ ، وَتَمَمْتُهُ بِهِ ، تَوَلَّيْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطُّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ ، بِمَا يَقُولِي بِهِ مَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

( صَبِيحُ الْأَعْيُنِ ١ : ٨٥ )

(١) فِي نَسْخَةِ : « الصَّحَّة » ، وَذَكَرَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ( ٢ : ٤٦ ) أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ كَلَامِ

الْأَحْنَفِ السَّائِرِ فِي أَيْدِي النَّاسِ .



# الصراع بين الأموية والعباسية

٤٨١ - خطبة قحطبة بن شبيب الطائي<sup>(١)</sup>

لما دخل أبو مسلم الخراساني زعيم الدعوة العباسية مدينة مرو سنة ١٣٠ هـ هرب منها نصر بن سيار - أمير خراسان من قبيل مروان بن محمد الأموي - ثم سار إلى نُبَاتة ابن حنظلة : عامل جرجان<sup>(٢)</sup> ، فوجه أبو مسلم قحطبة بن شبيب في جيش لقتاله<sup>(٣)</sup> ، وقدم قحطبة ، فنزل بإزاء نُبَاتة ، وأهل الشام في عِدَّة لم ير الناس مثلها ، فلما رآهم أهل خراسان هابوهم ، حتى تكلموا بذلك وأظهروه ، وبلغ قحطبة ، فقام فيهم خطيباً ، فقال :

« يا أهل خراسان : هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين ، وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم ، حتى بدّلوا وظلموا ، فسخط الله عز وجل عليهم ، فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أذلّ أمة ، كانت في الأرض عفاً ، فغلبوهم على بلادهم ، واستنكحو نساءهم ، واسترقّوا أولادهم ، فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ، ويوفون بالعهد ، وينصرون

(١) هو أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ١٠٣ ، أو ١٠٤ ، وكان قدم على أبي مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم الإمام ، ومعه لوازمه الذي عقده له إبراهيم .

(٢) من قبل يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراق . (٣) وكان قحطبة قبل ذلك قد تبعاً لقتال تميم بن نصر بن سيار ثم زحف إليه فافتتلوا قتالا شديداً ، وقتل تميم بن نصر في المعركة ، وقتل معه مقتلة عظيمة واستبيح مسكرهم ، ثم توجه إلى نيسابور ، وكان نصر بن سيار نزل بها ، فبلغه ذلك ، فارتحل هاربا ، وتفرق عنه أصحابه ، فسار إلى نُبَاتة بن حنظلة بجرجان ، ونزل في آخر أمره ساوة بين همدان والري ، فأتى بها كذا .

المظلوم ، ثم بدّلوا وغيرُوا وجاروا في الحكم ، وأخافوا أهل البرِّ والتقوى من عِترَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأطكم عليهم ، لينتقم منهم بكم ، ليكونوا أشدَّ عقوبةً ، لأنكم طلبتموم بالنار ، وقد عهد إليَّ الإمام<sup>(١)</sup> أنكم تلقونهم في مثل هذه العِدَّة ، فينصركم الله عز وجل عليهم ، فتَهزموهم وتقتلونهم .

وقد قرى على قحطبة كتابُ أبي مسلم : « من أبي مسلم إلى قحطبة ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فناهضُ عدوك ، فإن الله عز وجل ناصرُك ، فإذا ظَهَرَت عليهم ، فأخِز في القتل » فالتقوا في مستهلِّ ذى الحِجَّة سنة ١٣٠ هـ في يوم الجمعة ، فقال قحطبة :

### ٤٨٢ - خطبة أخرى له

« يا أهل خراسان : إن هذا يوم قد فضله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام ، والعمل فيه مضاعفٌ ، وهذا شهر عظيم ، فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عز وجل ، وقد أخبرنا الإمامُ أنكم تُنصرون في هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم ، فالقوه بجد واحتساب ، فإن الله مع الصابرين » ثم ناهضهم فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض ، فانهزم أهل الشام ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقتل نباتة ، وبعث قحطبة برأسه ورأس ابنه حَيَّة إلى أبي مسلم .

( تاريخ الطبرى ٩ : ١٠٦ )

(١) هو إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان نصر بن سيار حين أظهر أبو مسلم الدعوة العباسية في خراسان وقويت شوكته . كتب إلى مروان يعلمه بحال أبي مسلم ومن معه ، وأن الذى تدعو الدعاة إليه هو إبراهيم الإمام . فأرسل مروان إلى عامل البلقاء ( فى أطراف الشام ) أن يسير إلى الحميمة ( كجهينة ) حيث يقيم إبراهيم فيشده وثاقا ، فحمل إلى مروان فحبسه فى حران ثم قتله فى سجنه ، ولما قبض على إبراهيم الإمام خاف أخواه السفاح والمنصور وجماعة من أقاربهم ، فهربوا إلى الكوفة ، فأخلى لهم أبو سلمة الخلال دارا بالكوفة ، وكتب أمرهم حتى وصل أبو مسلم بالجنود من خراسان إلى الكوفة ، ودخل على بنى العباس ، وسلم على السفاح بالخلافة ، وبويغ بها سنة ١٣٢ هـ .

## استدراك على الجزء الأول

سقطت هذه الخطبة سهوا في أثناء الطبع فأوردناها هنا

### خطبة السيدة عائشة حين أنبتت بقتل عثمان

كانت السيدة عائشة خرجت إلى مكة للحج وعثمان محصور ، ثم خرجت من مكة ريد المدينة ، فلما كانت بسرِّف أنبتت بقتل عثمان ، فانصرفت إلى مكة فقصدت الحِجْرَ فسترت فيه ، واجتمع إليها الناس فقالت :

« أيها الناس : إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالأمس ، ونقموا عليه استعمال من حَدَثتِ سِنِّه ، وقد استعمل أمثالهم قبله ، ومواضع من الحِمَى حماها لهم ، فتابعهم ونزع لهم عنها ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام ، والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ، والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا نخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، أو الثوب من دَرَنِهِ ، إذ ماصوه<sup>(١)</sup> كما يماص الثوب بالماء . (الكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٢ )

(١) الموص : غسل لبن ولذلك باليد .

سقط من هامش ص ( ٣٠ ) ما يأتي :

جاء في مقال الحسن بن علي رضي الله عنهما للمغيرة بن شعبة ص ٣٠ : « وإن حدا الله في الزنا ثابت عليك ، ولقد درأ عمر عنك حقا الله سائله عنه . » وخبر ذلك أن المغيرة بن شعبة كان عاملا على البصرة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاتمه أبو بكره - أخو زياد - هو ونفر معه بأنه زنى بأُم جميل بنت الأرقم ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، فعزل المغيرة وولى مكانه أبا موسى الأشعري - وكان ذلك سنة ١٧ هـ - وارتحل المغيرة وأبو بكره ومن معه حتى قدموا على عمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، وقد أقسم بين يدي عمر أنه مأتى إلا امرأته ، وكان الشهود عليه : أبا بكره ، وشبل بن معبد البجلي ، ونافع بن كلدة ؛ وزيادا ، فبدأ عمر بأبي بكره ، فشهد عليه أنه زنى بأُم جميل ، وشهد شبل ونافع بمثل ذلك ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم ، إذ سأله هل تعرف المرأة ؟ قال : لا ، ولكن أشبهها ، فنحاه وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد ، وقرأ : « فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ » فقال المغيرة : اشفى من الأعباء فقال : اسكت ، أسكت الله نأمتك ، أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك .

اقرأ القصة في تاريخ الطبري ٤ : ٢٠٧ - .

انتهى الجزء الثاني

ويليه

الجزء الثالث وأوله : الباب الرابع في خطب ووصايا

العصر العباسي الأول

# فهرس

## الجزء الثاني

من جمهرة خطب العرب

### الباب الثالث

#### الخطب والوصايا في العصر الأموي

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطب بني هاشم وشيعتهم وما يتصل بها	٧	
خطب الحسن بن علي رضي الله عنه		
خطبة الحسن بن علي بعد وفاة أبيه	٧	١
تعبئة الجيوش لقنال معاوية		
خطبة الحسن بن علي في الحث على الجهاد	٩	٢
مقال عدى بن حاتم	٩	٣
خطبة الحسن وقد جنح إلى مصالحة معاوية	١٠	٤
خطبته يبرر مصالحته لمعاوية	١١	٥
خطبته في الصلح بينه وبين معاوية	١٢	٦
خطبة له بعد الصلح	١٢	٧
خطبة لمعاوية في أهل الكوفة	١٤	٨
رد الحسن بن علي على معاوية حين نال منه ومن أبيه	١٤	٩
خطبة سليمان بن صرد في استنكار الصلح	١٥	١٠
خطبة الحسن يرد على مستنكري الصلح	١٦	١١

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة له في عهد خلافته	١٧	١٢
» أخرى له	١٨	١٣
مخاصمة ومهاجاة	١٩	
بين الحسن بن عليّ ، وبين عمرو بن العاص ، والوليد ابن عقبة ، وعتبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، بحضرة معاوية		
مقال عمرو بن العاص	٢١	١٤
» الوليد بن عقبة بن أبي معيط	٢١	١٥
» عتبة بن أبي سفيان	٢٢	١٦
» المغيرة بن شعبة	٢٢	١٧
رد الحسن بن عليّ عليهم	٢٢	١٨
رثاء محمد بن الحنفية لأخيه الحسن رضي الله عنهما	٣١	١٩
مقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه		
تأبيه عن بيعة يزيد وخروجه إلى مكة		
نصيحة محمد بن الحنفية للحسين رضي الله عنهما	٣٥	٢٠
بعثة مسلم بن عقيل إلى الكوفة		
خطبة عابس بن أبي شبيب الشاكري	٣٧	٢١
» النعمان بن بشير	٣٧	٢٢
» عبيد الله بن زياد	٣٨	٢٣
» أخرى له	٣٩	٢٤
» كثير بن شهاب	٣٩	٢٥
» عبيد الله بن زياد	٤٠	٢٦

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خروج الحسين رضى الله عنه إلى الكوفة		
نصيحة ابن عباس له	٢٧	٤٢
« أبي بكر بن عبد الرحمن المخزومي اه	٢٨	٤٤
خطبة عبيد الله بن زياد	٢٩	٤٥
« للحسين رضى الله عنه	٣٠	٤٦
« أخرى له	٣١	٤٦
« « «	٣٢	٤٧
« زهير بن القين البجلي	٣٣	٤٧
« للحسين أيضاً	٣٤	٤٨
خطبته ليلة قتله	٣٥	٤٩
رد أهل بيته عليه	٣٦	٥٠
« أصحابه	٣٧	٥٠
خطبته غداة يوم قتله	٣٨	٥١
دعاؤه وقد صبحته الخيل	٣٩	٥١
خطبته وقد دنا منه التوم	٤٠	٥٢
خطبة أخرى	٤١	٥٢
« زهير بن القين	٤٢	٥٤
« الحرّ بن يزيد	٤٣	٥٦
طلب التوابين بدم الحسين رضى الله عنه		
خطبة المسيب بن نجبة الفزارى	٤٤	٥٨
خطبة رفاعة بن شداد	٤٥	٥٩
« سليمان بن صرد	٤٦	٦٠
« خالد بن سعد بن نفيل	٤٧	٦١
« سعد بن حذيفة بن اليمان	٤٨	٦٢

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة عبد الله بن الحنظل الطائي	٤٩	٦٢
» عبيد الله بن عبد الله المرسي	٥٠	٦٣
» عبد الله بن يزيد الأنصاري	٥١	٦٥
» إبراهيم بن محمد بن طلحة	٥٢	٦٦
رد المسيب بن نجبة .	٥٣	٦٦
رد عبد الله بن وال التيمي	٥٤	٦٧
خطبة سليمان بن سرد	٥٥	٦٨
» صمخير بن حذيفة بن هلال	٥٦	٦٨
ما أشار به عبد الله بن سعد	٥٧	٦٨
رأى ابن سرد	٥٨	٦٩
خطبة عبد الله بن يزيد	٥٩	٧٠
» سليمان بن سرد	٦٠	٧٠
» أخرى له	٦١	٧١
» »	٦٢	٧٢
» عبد الملك بن مروان	٦٣	٧٣
طلب المختار بن أبي عبيد الثقفي بدم الحسين رضي الله عنه		٧٤
خطبته حين قدم الكوفة	٦٤	٧٤
ما كان يردده على زائريه في سجنه	٦٥	٧٥
خطبة عبد الله بن مطيع العدوي حين قدم الكوفة	٦٦	٧٦
رد السائب بن مالك	٦٧	٧٧
خطبة عبد الرحمن بن شريح	٦٨	٧٨
» أخرى له	٦٩	٧٨
» محمد بن الحنفية	٧٠	٧٩
» المختار	٧١	٧٩



الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة عبد الرحمن بن شريح	٨٠	٧٢
» المختار في دار إبراهيم بن الأشتر	٨١	٧٣
» يزيد بن أنس الأسدي	٨٢	٧٤
» عبد الله بن مطيع	٨٢	٧٥
تحريض ابن الأشتر أصحابه	٨٣	٧٦
خطبة ابن مطيع وهو محصور	٨٣	٧٧
» المختار بعد هرب ابن مطيع	٨٤	٧٨
» » وقد استنصره ابن الحنفية	٨٥	٧٩
» » وقد شيع ابن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد	٨٧	٨٠
خطبته وقد سار إليه مصعب بن الزبير	٨٨	٨١
—		
خطبة محمد بن الحنفية يرد على عبد الله بن الزبير وقد تنقص الإمام -	٩٠	٨٢
عبد الله بن عباس ومعاوية	٩١	٨٣
عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا		
مقال معاوية	٩٤	٨٤
» ابن عباس	٩٥	٨٥
عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا		
مقال معاوية لابن عباس	٩٥	٨٦
» ابن عباس	٩٦	٨٧
عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا		
مقال معاوية لبني هاشم	٩٧	٨٨
» ابن عباس	٩٧	٨٩

رقم الصفحة رقم الخطبة  
الخطبة أو الوصية  
عبد الله بن عباس ومعاوية أيضاً

مقال معاوية	٩٠	٩٨
و ابن عباس	٩١	٩٩
عبد الله بن عباس ومعاوية أيضاً	٩٢	٩٩
عبد الله بن عباس وعمبة بن أبي سفيان	٩٣	١٠٠
مخاصمة بين عبد الله بن عباس وبين معاوية وأصحابه		
جواب ابن عباس	٩٤	١٠١
مقال عمرو بن العاص	٩٥	١٠٢
جواب ابن عباس	٩٦	١٠٢
مقال مروان بن الحكم	٩٧	١٠٣
جواب ابن عباس	٩٨	١٠٤
مقال زياد	٩٩	١٠٥
جواب ابن عباس	١٠٠	١٠٥
مقال عبد الرحمن بن أم الحكم	١٠١	١٠٦
جواب ابن عباس	١٠٢	١٠٦
مقال المغيرة بن شعبة	١٠٣	١٠٧
جواب ابن عباس	١٠٤	١٠٧
مقال يزيد بن معاوية	١٠٥	١٠٨
جواب ابن عباس	١٠٦	١٠٩
مقال معاوية	١٠٧	١٠٩
جواب ابن عباس	١٠٨	١٠٩
عبد الله بن عباس ، وعمرو بن العاص		
مقال ابن عباس	١٠٩	١١١

الخطبة أو اللوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
رد ابن العاص	١١٠	١١٢
عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص أيضا	١١١	١١٣
عمرو بن العاص وابن عباس	١١٢	١١٤
مفاخرة عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس	١١٣	١١٤
<b>ابن عباس وابن الزبير في مجلس مروان بن الحكم</b>		
مقال ابن الزبير	١١٤	١١٩
» » عباس	١١٥	١٢٠
—		
خطبة عبد الله بن عباس يرد على ابن الزبير وقد عاب بني هاشم	١١٦	١٢٠
» ابن الزبير يتنقص ابن عباس	١١٧	١٢٣
رد ابن عباس عليه	١١٨	١٢٥
عبد الله بن جعفر ، وعمرو بن العاص	١١٩	١٢٧
الحسن بن علي ، وعمرو بن العاص	١٢٠	١٢٩
الحسن بن علي ، ومروان بن الحكم	١٢١	١٣٠
عقيل بن أبي طالب ومعاوية	١٢٢	١٣١
خطبة السيدة أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة بعد مقتل الحسين عليهم السلام	١٢٣	١٣٤
خطبة السيدة زينب بنت علي عليهما السلام بين يدي يزيد	١٢٤	١٣٦
رثاء الحسين لأخيه الحسن عليهما السلام	١٢٥	١٣٩
عبد الله بن هاشم بن عتبة وعمرو بن العاص في مجلس معاوية	١٢٦	١٤٠
عبد الله بن هاشم في مجلس معاوية	١٢٧	١٤٥
<b>قيس بن سعد بن عبادة ومعاوية</b>		
مقال معاوية	١٢٨	١٤٥
رد قيس بن سعد	١٢٩	١٤٦

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
معاوية وصعصعة بن صوحان وعبد الله بن الكواء	١٤٦	١٣٠
صعصعة بن صوحان ومعاوية	١٤٨	١٣١
» » » وعبد الله بن عباس	١٥٠	١٣٢
» » » ورجل من بني فزارة	١٥٤	١٣٣
رجل من آل صوحان يجبه عبد الملك بن مروان وهو يخطب	١٥٥	١٣٤
وصف عقيل بن أبي طالب لآل صوحان	١٥٦	١٣٥
وصية محمد الباقر لعمر بن عبد العزيز	١٥٧	١٣٦

### خطب الزبيريين وما يتصل بها

خطب عبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير ومعاوية

مقال ذكوان مولى الحسين	١٥٩	١٣٧
» معاوية	١٥٩	١٣٨
» ابن الزبير	١٦٠	١٣٩
» معاوية	١٦٢	١٤٠

عبد الله بن الزبير ومعاوية أيضاً	١٦٤	١٤١
عبد الله بن الزبير ومعاوية وعمرو بن العاص	١٦٥	١٤٢
خطبة ابن الزبير لما قتل الحسين عليه السلام	١٦٨	١٤٣
مناظرة ابن الزبير للخوارج	١٦٩	١٤٤
أبو صخر الهذلي وعبد الله بن الزبير	١٧٣	١٤٥
خطبته وقد قدم عليه أهل العراق	١٧٤	١٤٦
» لما بلغه قتل مصعب	١٧٥	١٤٧
خطبة أخرى له	١٧٧	١٤٨
خطبته وقد بلغه قتل عمرو الأشدق	١٧٧	١٤٩

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر	١٧٨	١٥٠
خطبته يوم قتله	١٧٩	١٥١
خطبة أخرى	١٨٠	١٥٢
مصعب بن الزبير	١٨١	١٥٣

## خطب الأمويين

### خطباء البيت الأموي

#### خطب معاوية

خطبته بالمدينة عام الجماعة	١٨٢	١٥٤
خطبة أخرى له بالمدينة	١٨٣	١٥٥
» له بالمدينة	١٨٣	١٥٦
خطبته حين ولي المغيرة بن شعبة الكوفة	١٨٤	١٥٧
خطبة له في يوم صائف	١٨٥	١٥٨
آخر خطبة له	١٨٥	١٥٩
خطبته وقد حضرته الوفاة	١٨٥	١٦٠
وصيته لابنه يزيد	١٨٧	١٦١

#### خطب يزيد بن معاوية

خطبته بعد موت معاوية	١٨٩	١٦٢
خطبة أخرى له	١٨٩	١٦٣
» معاوية بن يزيد	١٩٠	١٦٤
وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز	١٩١	١٦٥

#### خطب عبد الملك بن مروان

خطبته بمكة	١٩٢	١٦٦
------------	-----	-----

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة له موجزة	١٦٧	١٩٢
خطبته حين قتل عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص	١٦٨	١٩٣
» لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير	١٦٩	١٩٤
» عام حجه	١٧٠	١٩٥
» وقد علم بخروج ابن الأشعث	١٧١	١٩٦
وصيته لبعض أمرائه	١٧٢	١٩٧
» للشعبي	١٧٣	١٩٧
» لأخيه عبد العزيز بن مروان	١٧٤	١٩٨
» لولده عند وفاته	١٧٥	١٩٨

---

خطبة للوليد بن عبد الملك	١٧٦	١٩٩
» لسليمان بن عبد الملك	١٧٧	٢٠٠

### خطب عمر بن عبد العزيز

أولى خطبه	١٧٨	٢٠١
خطبة له بالمدينة	١٧٩	٢٠١
خطبة أخرى	١٨٠	٢٠٢
خطبة أخرى	١٨١	٢٠٣
» »	١٨٢	٢٠٤
» »	١٨٣	٢٠٤
» »	١٨٤	٢٠٥
» »	١٨٥	٢٠٥
» له يوم عيد	١٨٦	٢٠٦
» أخرى	١٨٧	٢٠٦
» »	١٨٨	٢٠٧

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أخرى	١٨٩	٢٠٧
» »	١٩٠	٢٠٨
» »	١٩١	٢٠٨
» »	١٩٢	٢٠٨
» »	١٩٣	٢٠٩
» »	١٩٤	٢١٠
» »	١٩٥	٢١٠
» »	١٩٦	٢١١
آخر خطبة له	١٩٧	٢١١
نص آخر	١٩٨	٢١٢
كلامه في مرضه الذي مات فيه	١٩٩	٢١٣
مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج	٢٠٠	٢١٤
تأبينه ابنه عبد الملك	٢٠١	٢١٧
—————		
خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد	٢٠٢	٢١٨
وصية يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه	٢٠٣	٢١٩
خطب عتبة بن أبي سفيان		
خطبة له في تهدد أهل مصر	٢٠٤	٢٢٠
» » في تقريرهم وتهديدهم	٢٠٥	٢٢١
» » فيهم وقد أرجفوا بموت معاوية	٢٠٦	٢٢١
خطبته فيهم وقد منعوا الخراج	٢٠٧	٢٢٢
» فيهم إذ طعنوا على الولاية	٢٠٨	٢٢٢
» بمكة	٢٠٩	٢٢٣
» في علته التي مات فيها	٢١٠	٢٢٤
وصيته لمؤدب ولده	٢١١	٢٢٤

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وصية سعيد بن العاص لبيه	٢١٢	٢٢٥

### خطب عمرو بن سعيد الأشدق

خطبة له بالمدينة	٢١٣	٢٢٨
» » بمكة	٢١٤	٢٢٩
ملاحاة الوليد بن عقبة معه في مجلس معاوية	٢١٥	٢٣٠
خطبته حين غلب على دمشق	٢١٦	٢٣١

خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان	٢١٧	٢٣٢
خالد بن عبد الله بن أسيد وعبد الملك بن مروان	٢١٨	٢٣٣
نصيحة لعمر بن عتبة بن أبي سفيان	٢١٩	٢٣٤
تأديب معاوية لجلسائه	٢٢٠	٢٣٤
كلام معاوية وقد سقطت ثنيتاه	٢٢١	٢٣٤
تقريع عبد الملك بن مروان لأحد عماله	٢٢٢	٢٣٥

### طلب معاوية البيعة ليزيد

خطبة الضحاك بن قيس الفهري	٢٢٣	٢٣٧
» عبد الرحمن بن عثمان الثقفي	٢٢٤	٢٣٨
» ثور بن معن السلمى	٢٢٥	٢٣٩
» عبد الله بن عصام الأشعري	٢٢٦	٢٤٠
» عبد الله بن مسعدة الفزارى	٢٢٧	٢٤٠
» عمرو بن سعيد الأشدق	٢٢٨	٢٤١
» الأحنف بن قيس	٢٢٩	٢٤٢
» الضحاك بن قيس	٢٣٠	٢٤٢
» الأحنف بن قيس	٢٣١	٢٤٣
» عبد الرحمن بن عثمان الثقفي	٢٣٢	٢٤٤



الخطبة أو الوصية

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطوه معاوية	٢٢٣	٢٤٤
يزيد بن المقنع	» ٢٢٤	٢٤٥
الأحنف	» ٢٣٥	٢٤٥
معاوية	» ٢٣٦	٢٤٦
عبد الله بن عباس	» ٢٣٧	٢٤٧
عبد الله بن جعفر	» ٢٣٨	٢٤٧
عبد الله بن الزبير	» ٢٢٩	٢٤٨
عبد الله بن عمر	» ٢٤٠	٢٤٨
معاوية	» ٢٤١	٢٤٩
مروان بن الحكم	» ٢٤٢	٢٥٠
معاوية	» ٢٤٣	٢٥١
مروان وعبد الرحمن بن أبي بكر	٢٤٤	٢٥١
خطبة معاوية	٢٤٥	٢٥٣
الحسين	» ٢٤٦	٢٥٥
معاوية	» ٢٤٧	٢٥٧
عبد الله بن عمر	» ٢٤٨	٢٥٧
معاوية	» ٢٤٩	٢٥٨
عبد الله بن الزبير	» ٢٥٠	٢٦٠
معاوية	» ٢٥١	٢٦١

تهنئة وتعزية

خطبة عبد الله بن همام السلولى	٢٥٢	٢٦٣
عطاء بن أبي سفيان الثقفى	» ٢٥٣	٢٦٤
عبد الله بن مازن	» ٢٥٤	٢٦٤
غيلان بن مسلمة الثقفى	» ٢٥٥	٢٦٥

## خطب ولاة الأمويين وقوادهم

### خطب زياد بن أبيه

خطبته بفارس وقد كتب إليه معاوية يتهدده	٢٥٦	٢٦٦
وقد بعث معاوية إليه المغيرة بن شعبة يستقدمه	» ٢٥٧	٢٦٧
وقد استلحقه معاوية	» ٢٥٨	٢٦٩
حين ولي البصرة ( وهى البتراء )	» ٢٥٩	٢٧٠
بالكوفة وقد ضمت إليه	» ٢٦٠	٢٧٤
خطبة أخرى له بالكوفة	٢٦١	٢٧٥
خطبته بالكوفة يتهدد الشيعة	٢٦٢	٢٧٥
خطبة أخرى له	٢٦٣	٢٧٦
» »	٢٦٤	٢٧٦
وصية لزياد	٢٦٥	٢٧٧
ما كان يقوله لمن ولاه عملا	٢٦٦	٢٧٧
خطبة الضحاك بن قيس الفهرى بالكوفة	٢٦٧	٢٧٨
خطبته عند موت معاوية	٢٦٨	٢٧٩
خطبة النعمان بن بشير بالكوفة	٢٦٩	٢٨٠
عبيد الله بن زياد بن أبيه بين يدي معاوية	» ٢٧٠	٢٨١
رد معاوية على ابن زياد	٢٧١	٢٨٣
مقال يزيد بن معاوية	٢٧٢	٢٨٤
وصية المهلب بن أبي صفرة لأبنائه	٢٧٣	٢٨٥

### خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

خطبة بمكة بعد مقتل ابن الزبير	٢٧٤	٢٨٧
خطبته بعد قتل ابن الزبير	٢٧٥	٢٨٧

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبته حين ولي العراق	٢٧٦	٢٨٨
« وقد سمع تكبيراً في السوق	٢٧٧	٢٩١
« وقد قدم البصرة	٢٧٨	٢٩٢
« بعد وقعة دير الجماجم	٢٧٩	٢٩٣
خطبة أخرى له في أهل الكوفة وأهل الشام	٢٨٠	٢٩٥
« له بالبصرة	٢٨١	٢٩٥
« أخرى له بالبصرة	٢٨٢	٢٩٦
خطبته في أهل العراق يصارحهم بالكراهية	٢٨٣	٢٩٧
خطبة أخرى	٢٨٤	٢٩٧
خطبته لما مات عبد الملك بن مروان	٢٨٥	٢٩٨
« حين أربد الحج	٢٨٦	٢٩٨
« لما أصيب بولده وأخيه محمد في يوم واحد	٢٨٧	٢٩٩
« وقد أرجف أهل العراق بموته	٢٨٨	٣٠٠
خطبة له في الوعظ	٢٨٩	٣٠١
« أخرى	٢٩٠	٣٠٢
« »	٢٩١	٣٠٢
« »	٢٩٢	٣٠٣
« »	٢٩٣	٣٠٣

### خطب قتيبة بن مسلم الباهلي

خطبته بحث على الجهاد وقد تهباً لغزو طخارستان	٢٩٤	٣٠٤
« وقد تهباً لغزو بلاد السغد	٢٩٥	٣٠٥
« وقد سارت إليه جيوش الشاش وفرغانة	٢٩٦	٣٩٦
« حين دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك	٢٩٧	٣٠٧
خطبة أخرى	٢٩٨	٣١٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أخرى	٢٩٩	٣١٠
» »	٣٠٠	٣١١
كلمات حكيمة لقتيبة بن مسلم	٣٠١	٣١٢
<hr/>		
خطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس	٣٠٢	٣١٤
نص آخر لخطبة طارق	٣٠٣	٣١٦
خطبة عثمان بن حيان المرّي	٣٠٤	٣١٦
وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد	٣٠٥	٣١٨
نصيحة عمر بن هبيرة لبعض بنيّه	٣٠٦	٣٢٠
<hr/>		
<b>خطب خالد بن عبد الله القسري</b>		
خطبته بمكة بدعو إلى الطاعة ولزوم الجماعة	٣٠٧	٣٢١
خطبة أخرى يشيد فيها بفضل الوليد	٣٠٨	٣٢٢
خطبته بمكة في الحجّاج	٣٠٩	٣٢٢
» في الحث على مكارم الأخلاق	٣١٠	٣٢٣
» يوم عيد	٣١١	٣٢٤
قوله وقد سقطت جرادة على ثوبه	٣١٢	٣٢٤
<hr/>		
خطبة يوسف بن عمر الثقفي	٣١٣	٣٢٤
خطبة له	٣١٤	٣٢٥
<hr/>		
<b>خطب الفتن والأحداث</b>		
فتنة المدينة ووقعة الحرة		
خطبة عبد الله بن حنظلة الأنصاري	٣١٥	٣٢٦
» مسلم بن عقبة يؤنب أهل الشام	٣١٦	٣٢٧
» مسلم يحرضهم	٣١٧	٣٢٧

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة ابن حنظلة يحرص أصحابه	٣٢٨	٣١٨
اضطراب الأمر بعد موت يزيد		
خطبة عبيد الله بن زياد بن أبيه	٣١٩	٣٢٩
» أخرى له	٣٢٠	٣٣٠
» عمرو بن حريث	٣٢١	٣٣١
» عمرو بن مسمع	٣٢٢	٣٣١
خطبة الأحنف بن قيس	٣٢٣	٣٣٢
» روح بن زنباع الجذامي بالمدينة	٣٢٤	٣٣٤
خطبته يؤيد مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة	٣٢٥	٣٣٦
—————		
خطبة الغضبان بن القبعثري يحض على قتل الحجاج	٣٣٦	٣٣٧
خطبة مطرف بن المغيرة بن شعبة	٣٢٧	٣٣٨
» » »	٣٢٨	٣٣٨
خطبة سعيد بن المجالد	٣٢٩	٣٣٩
فتنة ابن الأشعث		
خطبة ابن الأشعث بسجستان	٣٣٠	٣٤٠
خطبته يعرض على الجند رأى الحجاج	٣٣١	٣٤٠
خطبة عامر بن واثلة الكنانى	٣٣٢	٣٤١
» عبد المؤمن بن شيبث بن ربيعى	٣٣٣	٣٤٢
» ابن الأشعث بالمربد	٣٣٤	٣٤٢
خطبته حين أراد عبد الملك أن يترضى أهل العراق	٣٣٥	٣٤٣
عامر الشعبي والحجاج	٣٣٦	٣٤٤
أيوب بن القرية والحجاج	٣٣٧	٣٤٤
كلمة لابن القرية	٣٣٨	٣٤٨

المخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
<b>فتنة يزيد بن المهلب</b>		
خطبة أيوب بن سليمان بن عبد الملك	٣٣٩	٣٤٩
يزيد بين يدي الوليد	» ٣٤٠	٣٥٠
مخلد بن يزيد بن المهلب بين يدي عمر بن عبد العزيز	» ٣٤١	٣٥٠
يزيد بن المهلب يحرص أصحابه على القتال	» ٣٤٢	٣٥٢
أخرى له	» ٣٤٣	٣٥٣
» »	» ٣٤٤	٣٥٤
الحسن البصرى يثبط الناس عن يزيد بن المهلب	» ٣٤٥	٣٥٤
مروان بن المهلب	» ٣٤٦	٣٥٥

### خطب الأحنف بن قيس التميمي

الأحنف ومعاوية	٣٤٧	٣٥٦
» » أيضاً	٣٤٨	٣٥٧
قوله في مدح الوالد	٣٤٩	٣٥٨
شفاعته لدى مصعب بن الزبير	٣٥٠	٣٥٨
نصيحته لقومه	٣٥١	٣٥٨
خطبته في قوم كانوا عنده	٣٥٢	٣٥٩
كلمات حكيمة للأحنف	٣٥٣	٣٦٠
صفية بنت هشام المنقرية تؤ بن الأحنف	٣٥٤	٣٦١

### خطب الوفود

وما ألقى بحضرة الخلفاء والأمراء والرؤساء

الوافدون على معاوية

وفود الأحنف بن قيس والنمر بن قطبة على معاوية	٣٥٥	٣٦٣
وفد أهل العراق على معاوية ، وفيهم الأحنف	٣٥٦	٣٦٤

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة زياد	٣٦٤	٣٥٧
» معاوية	٣٦٥	٣٥٨
» الأحنف بن قيس	٣٦٥	٣٥٩
وفد العراق على معاوية وفيهم دغفل النسابة	٣٦٩	٣٦٠
دغفل وجماعة من الأنصار	٣٦٩	٣٦١
وفد أهل العراق على معاوية وفيهم صعصعة بن صوحان	٣٧١	٣٦٢
وفود العرب ومعاوية	٣٧٢	٣٦٣
» عبد العزيز بن زرارة على معاوية	٣٧٣	٣٦٤
» زيد بن منية على معاوية	٣٧٤	٣٦٥
» ضرار بن حمزة الصدائي على معاوية		٣٦٦

#### الوافدات على معاوية

وفود سودة بنت عمارة على معاوية	٣٧٥	٣٦٧
» أم سنان بنت خيثمة على معاوية	٣٧٨	٣٦٨
» بكارة الهلالية على معاوية	٣٨٠	٣٦٩
» أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية	٣٨١	٣٧٠
أم البراء بنت صفوان ومعاوية	٣٨٤	٣٧١
دارمية الحجونية ومعاوية	٣٨٥	٣٧٢

---

شداد بن أوس ومعاوية	٣٨٧	٣٧٣
معاوية ورجل من أهل سبأ	٣٨٨	٣٧٤
حديث معاوية مع عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان	٣٨٩	٣٧٥
حديث الخيار بن أوفى النهدي مع معاوية	٣٩٠	٣٧٦
حديث عرابة بن أوس بن حارثة مع معاوية	٣٩١	٣٧٧
سعيد بن عثمان بن عفان ومعاوية	٣٩٢	٣٧٨

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
مصقلة بن هبيرة ومعاوية	٣٧٩	٣٩٣
روح بن زنباع ومعاوية	٣٨٠	٣٩٣
مخاصمة أبي الأسود الدؤلى وامراته بين يدي زياد بن أبيه	٣٨١	٣٩٤
صورة أخرى	٣٨٢	٣٩٥
وفد أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير	٣٨٣	٣٩٨
كلام خطيب الأزدي بين يدي عبد الملك بن مروان	٣٨٤	٣٩٨
سؤال عبد الملك للحجاج وما أجابه به	٣٨٥	٣٩٩
وفود الحجاج بإبراهيم بن محمد بن طلحة على عبد الملك بن مروان	٣٨٦	٣٩٩
قدوم الحجاج مع أشرف المصريين على عبد الملك	٣٨٧	٤٠٢
وفود مالك بن بشير على الحجاج بقتل الأزارقة	٣٨٨	٤٠٣
» كعب الأشقرى على الحجاج	٣٨٩	٤٠٤
سليك بن سلكة والحجاج	٣٩٠	٤٠٥
جامع المحاربي والحجاج	٣٩١	٤٠٦
ليلي الأخيلية والحجاج	٣٩٢	٤٠٧
الغضبان بن القبعثرى والحجاج	٣٩٣	٤١٢
ابن القرية يعدد مساوي المزاح	٣٩٤	٤١٤
يزيد بن مسلم وسليمان بن عبد الملك	٣٩٥	٤١٥
وفود العراق على سليمان بن عبد الملك	٣٩٦	٤١٦
كلام أبي حازم لسليمان بن عبد الملك	٣٩٧	٤١٧
أبو حازم وسليمان بن عبد الملك أيضا	٣٩٨	٤١٨
وفد أهل الحجاز عند عمر بن عبد العزيز	٣٩٩	٤١٩
خالد بن صفوان يعزى عمر بن عبد العزيز ويهنته	٤٠٠	٤٢٠
خطبة عبد الله بن الأهم	٤٠١	٤٢٠
مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز	٤٠٢	٤٢٢
وفد أهل الحجاز على هشام بن عبد الملك	٤٠٣	٤٢٢



الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام	٤٢٤	٤٠٤
خالد بن صفوان يصف جريرا والفرزدق والأخطل	٤٢٦	٤٠٥
خالد بن صفوان وبلال بن أبي بردة	٤٢٧	٤٠٦
خطبة الكميت بن زيد بين يدي هشام يستعطفه	٤٢٨	٤٠٧
مخاصمة عدى بن أرطاة لا مرأته عند شريح القاضي	٤٣٢	٤٠٨
كلمة لعمر بن عتبة بن أبي سفيان	٤٣٣	٤٠٩
خطبة دينار	٤٣٤	٤١٠
رجل يمدح خالد بن عبد الله القسري	٤٣٤	٤١١
خطب الخوارج وما يتصل بها	٤٣٥	
خطبة حيان بن ظبيان السلمى	٤٣٥	٤١٢
اثمار الخوارج	٤٣٧	
مقال المستورد بن علفمة	٤٣٧	٤١٣
» حيان بن ظبيان	٤٣٧	٤١٤
» معاذ بن جوين	٤٣٨	٤١٥
خطبة المغيرة بن شعبة	٤٣٨	٤١٦
» صعصعة بن صوحان	٤٣٩	٤١٧
» المستورد بن علفمة	٤٤١	٤١٨
» معقل بن قيس الرياحى	٤٤٢	٤١٩
كلمات حكيمة للمستورد	٤٤٢	٤٢٠
اثمار الخوارج ثانية	٤٤٣	
خطبة حيان بن ظبيان	٤٤٣	٤٢١
» معاذ بن جوين	٤٤٣	٤٢٢

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
رد حيان بن ظبيان	٤٤٤	٤٢٣
مقال عتريس بن عرقوب	٤٤٤	٤٢٤
رد حيان	٤٤٥	٤٢٥
خطبة حيان	٤٤٥	٤٢٦
مسلم بن عبيس حين خرج لقتال الأزارقة	٤٤٦	٤٢٧
<b>خطب المهلب بن أبي صفرة</b>		٢٤٨
خطبته في حث جنده على قتال الأزارقة	٤٤٨	٤٢٨
خطبة أخرى له في جنده	٤٤٩	٤٢٩
نص آخر	٤٤٩	٤٣٠
خطبته في جنده وقد استخلف عليهم ابنه المغيرة	٤٥٠	٤٣١
خطبة الزبير بن علي في الأزارقة	٤٥١	٤٣٢
عتاب بن ورقاء الرياحي وقد طال عليه الحصار	٤٥٢	٤٣٣
نصيحة عرهم العدوي لخالد بن عبد الله	٤٥٣	٤٣٤
خطبة قطري بن الفجاءة	٤٥٤	٤٣٥
عبد ربه الصغير	٤٥٨	٤٣٦
صالح بن مسرح	٤٥٩	٤٣٧
أخرى له	٤٦٠	٤٣٨
»	٤٦١	٤٣٩
زائدة بن قدامة	٤٦٢	٤٤٠
الحجاج بن يوسف	٤٦٢	٤٤١
أخرى للحجاج	٤٦٣	٤٤٢
شبيب بن يزيد الشيباني	٤٦٣	٤٤٣
عتاب بن ورقاء	٤٦٤	٤٤٤
الحجاج	٤٦٤	٤٤٥

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
	٤٤٦	٤٦٥

### خطب أبي حمزة الشاربي

خطبته حين دخل المدينة	٤٤٧	٤٦٧
خطبة أخرى له	٤٤٨	٤٦٨
خطبته وقد بلغه أن أهل المدينة يعيرون أصحابه	٤٤٩	٤٦٩
خطبة أخرى	٤٥٠	٤٧٦
خطبته في سب أهل المدينة وتقريرهم	٤٥١	٤٧٨
خطبة أخرى	٤٥٢	٤٨٠
خطبته حين خرج من المدينة	٤٥٣	٤٨١
عمران بن خطان والحجاج	٤٥٤	٤٨١

### الخطب الوعظية والوصايا

خطبة سحبان بن زفر الوائلي	٤٥٥	٤٨٢
» معاوية	٤٥٦	٤٨٣
» عبد الملك بن مروان	٤٥٧	٤٨٣
» لعمر بن عبد العزيز	٤٥٨	٤٨٤

### كلام الحسن البصري

خطبة له	٤٥٩	٤٨٥
» أخرى	٤٦٠	٤٨٧
» »	٤٦١	٤٨٨
» »	٤٦٢	٤٨٨
» »	٤٦٣	٤٨٩
» »	٤٦٤	٤٨٩
» »	٤٦٥	٤٩٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أخرى	٤٦٦	٤٩٠
مقام الحسن البصرى عند عمر بن هبيرة	٤٦٧	٤٩١
مقام الحسن البصرى عند النضر بن عمرو	٤٦٨	٤٩٢
مقام آخر له عند النضر	٤٦٩	٤٩٣
مقال الحسن حين رأى دار الحجاج التى بناها بواسط	٤٧٠	٤٩٤
صفة الإمام العادل	٤٧١	٤٩٥
موعظته لعمر بن عبد العزيز	٤٧٢	٤٩٧
موعظة لعمر بن عبد العزيز أيضاً	٤٧٣	٤٩٨
كلمات حكيمة للحسن البصرى	٤٧٤	٤٩٩
خطبة واصل بن عطاء	٤٧٥	٥٠١
وصية عبد الملك بن مروان لبنى أمية	٤٧٦	٥٠٣
» عبد الله بن شداد لابنه	٤٧٧	٥٠٣
» أسماء بن خارجة لابنته	٤٧٨	٥٠٧
رجل ينصح هشام بن عبد الملك	٤٧٩	٥٠٧
وصية عبد الحميد بن يحيى الكاتب للكاتب	٤٨٠	٥٠٨

### الصراع بين الأموية والعباسية

خطبة قحطبة بن شبيب الطائى

» أخرى له

### استدراك على الجزء الأول

خطبة السيدة عائشة حين أنبتت بقتل عثمان

## فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

أم البراء بنت صفوان : ٣٨٤	(١)
أم سنان بنت خيثمة : ٣٧٨	إبراهيم بن الأشتر : ٨٣
السيدة أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها ١٣٤	إبراهيم بن محمد بن طلحة : ٦٦ - ٣٩٩
أيوب بن سليمان بن عبد الملك : ٣٤٩	أبو الأسود الدؤلي : ٣٩٤
أيوب بن القرية : ٣٤٤ - ٣٤٨ - ٤٤٤	أبو بكر بن عبد الرحمن : ٤٤
(ب)	أبو بكر الهذلي : ٤٠٢
بكاره الهلالية : ٣٨٠	أبو حازم الأعرج : ٤١٧ - ٤١٨
بلال بن أبي بردة : ٤١٦	أبو حاضر الأسدي : ٣٩٨
(ث)	أبو حمزة الشاري : ٤٦٧ - ٤٦٨ -
ثور بن معن السلمى : ٢٣٩	٤٦٩ - ٤٧٦ - ٤٧٨ - ٤٨٠ -
(ج)	٤٨١
جامع المحاربي : ٤٠٦	أبو صخر الهذلي : ١٧٣
(ح)	الأحنف بن قيس : ٢٤٢ - ٢٤٣ -
الحجاج بن يوسف الثقفي : ٢٨٧ - ٢٨٨ -	٢٤٥ - ٣٣٢ - ٣٥٦ - ٣٥٧ -
٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٥ -	٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٣ -
٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ -	٣٦٤
٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ -	أروى بنت الحارث بن عبد المطلب : ٣٨١
٤٠٢ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ -	أسماء بن خارجة : ٥٠٧

الحر بن يزيد : ٥٦

الحسن البصرى : ٤٨٥ — ٤٨٧ —

٤٨٨ — ٤٨٩ — ٤٩٠ — ٤٩١ —

٤٩٢ — ٤٩٣ — ٤٩٤ — ٤٩٥ — ٤٩٧

— ٤٩٨ — ٤٩٩ —

الحسن بن علي رضي الله عنه : ٧ — ٦ —

١٠ — ١١ — ١٢ — ١٤ — ١٦ — ١٧ —

١٨ — ٢٢ — ١٢٩ — ١٣٠ —

الحسين بن علي رضي الله عنه : ٤٥ —

٤٦ — ٤٧ — ٤٨ — ٤٩ — ٥١ —

٥٢ — ١٣٩ — ٢٥٥ —

حيان بن ظبيان : ٤٣٥ — ٤٣٦ — ٤٤٣ —

٤٤٤ — ٤٤٥ —

(خ)

خالد بن سعد بن نفييل : ٦١

خالد بن صفوان : ٤٠١ — ٤٠٢ — ٤٢٠ —

— ٤٢٤ — ٤٢٦ — ٤٢٧ —

خالد بن عبد الله بن أسيد : ٢٣٣

— خالد بن عبد الله القسرى : ٣٢١ —

٣٢٢ — ٣٢٣ — ٣٢٤ —

خالد بن يزيد : ٢٣٢

الخيار بن أوفى النهدي : ٣٩٠

(د)

دارمية الحجونية : ٣٨٥

دغفل بن حنظلة : ٣٦٥ — ٣٦٩ —

دينار : ٤٣٤

(ذ)

ذكوان : ١٥٩

(ر)

رفاعة بن شداد : ٥٩

روح بن زنباع : ٣٣٤ — ٣٣٦ — ٣٩٣ —

(ز)

زائدة بن قدامة : ٤٦٢

الزبير بن علي : ٤٥١

زهير بن القين البجلي : ٤٧ — ٥٤ —

زياد بن أبيه : ١٠٥ — ٢٦٦ — ٢٦٧ — ٢٦٩ —

٢٧٠ — ٢٧٤ — ٢٧٥ — ٢٧٦ — ٣٦٤ —

زيد بن منية : ٣٧٣

السيدة زينب بنت علي رضي الله عنها :

١٣٦

(س)

السائب بن مالك : ٧٧

سمحيان بن زفر : ٤٨٢

سعد بن حذيفة بن اليمان : ٦٢

سعيد بن العاص : ٢٢٥

سعيد بن عثمان بن عفان : ٣٩٢

سعيد بن المجالد : ٣٣٩

سليك بن السلوك : ٤٠٥

سليمان بن صرد : ١٥ — ٦٠ — ٦٨ —

٦٩ — ٧٠ — ٧١ — ٧٢ —

سليمان بن عبد الملك : ٢٠٠

سودة بنت عمارة : ٣٧٥

(ش)

شبيب بن يزيد الشيباني : ٤٦٣

عبد العزيز بن زرارۃ : ٣٧٢  
 عبد العزيز بن مروان : ٤٢٠  
 عبد الله بن الأهم : ٤٢٠  
 عبد الله بن جعفر : ١٢٧ — ٢٤٧  
 عبد الله بن الحنظل : ٦٢  
 عبد الله بن حنظلة الأنصاري : ٣٢٦ —  
 ٣٢٨  
 عبد الله بن الزبير : ١١٤ — ١١٩ —  
 ١٢٣ — ١٦٠ — ١٦٤ — ١٦٥ —  
 ١٦٨ — ١٦٩ — ١٧٣ — ١٧٤ —  
 ١٧٥ — ١٧٧ — ١٧٨ — ١٧٩ —  
 ١٨٠ — ٢٤٨ — ٢٦٠  
 عبد الله بن سعد : ٦٨  
 عبد الله بن شداد : ٥٠٣  
 عبد الله بن عباس : ٤٢ — ٩١ — ٩٥ —  
 ٩٩ — ١٠٠ — ١٠١ — ١٠٢ —  
 ١٠٤ — ١٠٥ — ١٠٦ — ١٠٧ —  
 ١٠٩ — ١١١ — ١١٣ — ١١٤ —  
 ١٢٠ — ١٢٥ — ٢٤٧  
 عبد الله بن عبد الحجر : ٣٨٩  
 عبد الله بن عصام : ٢٤٠  
 عبد الله بن عمر : ٢٤٨ — ٢٥٧  
 عبد الله بن الكواء : ١٤٦  
 عبد الله بن مازن : ٢٦٤  
 عبد الله بن مسعدة : ٢٤٠  
 عبد الله بن مطيع : ٧٦ — ٨٢ — ٨٣

شداد بن أوس الطائي : ٣٨٧  
 شريح القاضي : ٤٣٣  
 (ص)  
 صالح بن مسرح : ٤٥٩ — ٤٦١  
 صخير بن حذيفة بن هلال : ٦٨  
 صعصعة بن صوحان : ١٤٦ — ١٤٨ —  
 ١٥٠ — ١٥٤ — ٣٦٩ — ٤٣٩  
 صفية بنت هشام المنقرية : ٣٦١  
 (ض)  
 الضحاك بن قيس : ٢٣٧ — ٢٤٢ —  
 ٢٧٨ — ٢٧٩  
 ضرار بن حمزة الصدائي : ٣٧٤  
 (ط)  
 طارق بن زياد : ٣١٤ — ٣١٦  
 (ع)  
 السيدة عائشة رضي الله عنها : ٥١١  
 عابس بن أبي شبيب : ٣٧  
 عامر الشعبي : ٣٤٤  
 عامر بن وائلة الكناني : ٣٤١  
 عبد الحميد بن يحيى : ٥٠٨  
 عبد ربه الصغير : ٤٥٨  
 عبد الرحمن بن أبي بكر : ٢٥١  
 عبد الرحمن بن أم الحكم : ١٠٦  
 عبد الرحمن بن شريح : ٧٨  
 عبد الرحمن بن عثمان : ٢٣٨ — ٢٤٤  
 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : ٣٤٠ —  
 ٣٤٢ — ٣٤٣

عمر بن عبد العزيز : ٢٠١ - ٢٠٢ -

٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ -

٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ -

٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ -

٢١٧ - ٤٨٤

عمر بن هبيرة : ٣٢٠

عمرو بن حريث : ٣٣١

عمرو بن سعيد الأشدق : ٢٢٨ - ٢٢٩ -

٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٤١

عمرو بن العاص : ٢١ - ١٠٢ - ١١٢ -

١١٣ - ١١٤ - ١٤٠ - ١٦٥

عمرو بن عتبة بن أبي سفيان : ٢٣٤ - ٤٣٣ -

عمرو بن مسمع : ٣٣١

عمران بن حطان : ٤٨١

(غ)

الغضبان بن القبعثري : ٣٣٧ - ٤١٢ -

غيلان بن مسلمة الثقفي : ٢٦٥

(ق)

قتيبة بن مسلم : ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ -

٣٠٧ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ -

قحطبة بن شبيب الطائي : ٥٠٩ - ٥١٠ -

قطري بن الفجاءة : ٤٥٤

قيس بن سعد بن عبادة : ١٤٦

(ك)

كثير بن شهاب : ٣٩

كعب بن معدان الأشقري : ٤٠٤

عبد الله بن ماشم : ١٤٠ - ١٤٥ -

عبد الله بن همام السلولي : ٢٦٣

عبد الله بن وال التيمي : ٦٧

عبد الله بن يحيى الأباضي : ٤٦٥

عبد الله بن يزيد الأنصاري : ٦٥ - ٧٠ -

عبد المؤمن بن شبت بن ربيعي : ٣٤٢

عبد الملك بن مروان : ٧٣ - ١٩٢ -

١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ -

١٩٧ - ١٩٨ - ٢٣٥ - ٤٨٣ -

٥٠٣

عبيد الله بن زياد بن أبيه : ٣٨ - ٣٩ -

٤٠ - ٤٥ - ٢٨١ - ٣٢٩ -

عبيد الله بن عبد الله المري : ٦٣

صتاب بن ورقاء الرياحي : ٤٥٢ - ٤٦٤ -

عتبة بن أبي سفيان : ٢٢ - ٢٢٠ -

٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٦٤ -

عتريس بن عرقوب : ٤٤٤

عثمان بن حيان المري : ٣١٦

العجاج بن رؤبة : ٣٩٩

عدى بن حاتم : ٩

عدى بن أرطاة : ٤٣٢

عرابة بن أوس بن حارثة : ٣٩١

عدهم العدوي : ٤٥٣

عطاء بن أبي صيفي : ٢٦٤

عقيل بن أبي طالب : ١٣١ - ١٥٦ -

عمر بن عبد الرحمن : ٤٥



١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٧

٢٣٤ - ٢٤٤ - ٢٤٦ - ٢٤٩

٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٥٨

٢٦١ - ٣٨٢ - ٣٦٥ - ٣٧١

٣٨٨ - ٤٨٣

معاوية بن يزيد : ١٩٠

معقل بن قيس : ٤٤٢

المغيرة بن شعبة : ٢٢ - ١٠٧ - ٤٣٨

المهلب بن أبي صفرة : ٢٨٥ - ٤٤٨

٤٤٩ - ٤٥٠

( ن )

النعمان بن بشير : ٣٧ - ٢٨٠

( و )

واصل بن عطاء : ٥٠١

الوليد بن عبد الملك : ١٩٩

الوليد بن عقبة : ٢١ - ٢٣٠

( ى )

يزيد بن أبي مسلم : ٤١٥

يزيد بن أنس الأسدي : ٨٢

يزيد بن معاوية : ١٠٨ - ١٨٩ - ٢١٩ - ٢٨٤

يزيد بن المقنع : ٢٤٥

يزيد بن المهلب : ٣١٨ - ٣٥٠ - ٣٥٢

٣٥٤ - ٥٣٣

يزيد بن الوليد : ٢١٨

يوسف بن عمر الثقفي : ٣٢٤ - ٣٢٥

تم فهرس أعلام الخطباء

الكعب بن زيد الأسدي : ٤٢٨

( ل )

ليلي الأخيلية : ٤٠٧

( م )

مالك بن بشير : ٤٠٣

محمد بن أبي الجهم العدوي : ٤٢٣

محمد الباقر : ١٥٧

محمد بن الحنفية : ٣١ - ٣٥ - ٩٠

محمد بن عمير بن عطار : ٤٠١

محمد بن كعب القرظي : ٤٢٣

المختار بن أبي عبيد الثقفي : ٧٤ - ٧٥

٨١ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٧ - ٨٨

مخالد بن يزيد بن المهلب : ٣٥٠

مروان بن الحكم : ١٠٣ - ١٩١ - ٢٥٠

مروان بن المهلب : ٣٥٥

المستورد بن علفة : ٤٣٧ - ٤٤٤ - ٤٤٢

مسلم بن عبيس : ٤٤٦

مسلم بن عقبة : ٣٢٧

المسيب بن نجبة : ٥٨ - ٦٦

مصعب بن الزبير : ١٨١

مصقلة بن هبيرة : ٢٩٣

مطرف بن المغيرة : ٣٣٨

معاذ بن جوين : ٤٣٨ - ٤٤٣

معاوية بن أبي سفيان : ١٤ - ٩٤ - ٩٥

٩٧ - ٩٨ - ١٠٩ - ١٤٥ - ١٤٦

١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٦٥

